

الْجَنَائِدُ
فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ
نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم

تأليف :
الدكتور نايف محمود معروف

دَارُ الطَّبَاعَةِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ
بِئِيرُوت

جميع الحقوق محفوظة
لدار الطليعة للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

ص.ب ١١١٨١٣

٣١٤٦٥٩ }
٣٠٩٤٧٠ } تلفون

الطبعة الاولى

١٩٧٧ م / ١٣٩٧ هـ

الطبعة الثانية

١٩٨١ م / ١٤٠١ هـ

الطبعة الثالثة

١٩٨٦ م / ١٤٠٦ هـ

الجنائز
في العصر الأموي

اللَّهُدَاءُ

إِلَى التَّجْرِصَمَاتِي " وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ " إِلَى
التَّجْرِصَمَاتِي لِبِنَةِ الْحَيَاةِ ، إِلَى التَّجْرِصَمَاتِي أَنْارَتِي لِي
سَبِيلَ الْعَرَفَةِ ، إِلَى " أُمَّجِي " ...

القِسْمُ الْأَوَّلُ مِنْ رِسَالَةٍ نَالَتْ دَرَجَتَهُ « دُكْتُورَاهِ دَوْلَةٌ »
فِي اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَدَابِهَا بِدَرَجَةِ « شَرَفِ أَوْلَى »
مِنَ الْجَامِعَةِ الْيَسُوعِيَّةِ فِي بَيْرُوتِ .

• الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الرِّسَالَةِ هُوَ « دِيْوَانُ الْفَوَارِجِ » [شِعْرُهُمْ ، خُطْبُهُمْ ، رِسَالَتُهُمْ] •
ط. دار المسيرة - بيروت •

تمهيد

يجيء اختيار موضوع الرسالة الجامعية في مقدمة ما يشغل بال طالب الدراسات العليا في بواكير عهده بها ، نظرا لما يترتب على هذا الاختيار من نتائج حاسمة تؤثر على مجرى الدراسة في مختلف مراحلها . وادراكا مني اهمية هذا الامر ، فقد قضيت وقتا طويلا في البحث والاستقصاء ، الى ان وقع في خاطري موضوع الخوارج الذي يجمع بين الفكر والادب .

وحيثما باشرت العمل الجدتي الهادف ، كان اول ما اثار انتباهي ان موضوع الخوارج لم يحظ باهتمام الباحثين المحدثين بالقدر الذي يستحقه ، اذ لم يفرد لهؤلاء القوم اي بحث علمي متكامل . وربما كان فلهوزن *Wellhausen* هو اول من التفت اليهم بشكل جاد ، وذلك حين وضع كتابه «الخوارج والشيعه» في الالمانية سنة ١٩٠٢ م ، وهو الذي ترجمه عبد الرحمن بدوي الى العربية في سنة ١٩٥٦ م . والكتاب يكاد يقتصر على التاريخ السياسي والنشاط الحربي لحركة الخوارج ليس غير ، اذ كان نصيب الشراة منه زهاء ١٤ صفحة من الحجم الصغير . ويؤخذ على هذا الكتاب انه «سيء العرض ويصعب استخلاص الخطوط العامة فيه» (١) .

كما كتبت سهر القلماوي رسالتها الاولى (الماجستير) في اواخر الثلاثينات

١ - سوافجه *Sauvaget* : الدخلى الى تاريخ الشرق الاسلامي ، ص ١١٩ (ط. باريس ،

حول «أدب الخوارج» من خلال تناولها لعدد محدود جدا من شعرائهم (٢) .
وأخيرا وضع ايلي سالم Elie Salem بحثا في اللغة الانجليزية تحت
عنوان «النظرية السياسية والاجتماعية للخوارج» (٣) .

وباستثناء هذه البحوث الثلاثة لم أقع على أي كتاب يصحّ تصنيفه في باب
البحوث العلمية المألوفة (٤) . ولكن مع ذلك نجد كثيرين من الكتّاب - عربا
وافرنجا - تحدثوا عن الخوارج في معرض حديثهم عن تاريخ العصر الأموي ، ولا
يمكن بحال من الاحوال جحد فضلهم او التقليل من أهمية عملهم .
والباحث في موضوع الخوارج يظهر له جليا ان دراسة هذه الحركة ليست
من الامور السهلة ، خصوصا ان مصادر البحث - على وفرتها - تعتمد خصوم
الخوارج من الشيعة والسنة ، وذلك لعدم توافر المصادر الخارجية في المكتبات
العربية المتداولة (٥) . ومع ذلك فالانصاف يحتم علينا ان نذكر ان بعض هؤلاء
الخصوم قد افاضوا بذكر أخبار الخوارج ولسم يجحدوهم حقهم كما يظن
الكثيرون (٦) .

ورغم الصعوبات الكثيرة التي واجهتني في انجاز هذا البحث وتقديمه ، فقد
سعت جاهدا الى ان تكون هذه الدراسة عملا متكاملا ، اذ تناولت جماعسة

٢ - القلماوي : ادب الخوارج في العصر الأموي ، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٤٥ م . والشعراء الذين تناولتهم الدراسة هم : عمران بن حطان ، قطري بن الفجاءة ، الطرماح
بن حكيم . علما بان الطرماح هذا يحسب في عداد شعراء الخوارج ، مع ان الروح الخارجية لا
تظهر الا في عدد محدود جدا من قصائد ديوانه .

3 — Salem : Political Theory & Institutions of the Khawarej, Bal-
timore, Hopkins press, 1956.

٤ - هناك آخرون أفردوا بحوثا خاصة بتاريخ الخوارج . ولكن لدى معاينتها يظهر جليا انها
لا ترقى لمستوى البحوث العلمية المتداولة ، وذلك لكونها تفتقد المقومات المنهجية الأساسية المتعارف
عليها في وقتنا الحاضر . وهذه المؤلفات هي :

- الخوارج في الاسلام - عمر ابو النصر ، ط. بيروت ١٩٤٩ .
- ملخص تاريخ الخوارج منذ ظهورهم الى ان شتت المهلب شملهم - محمد شريف سليم ،
ط. دار التقدم - القاهرة ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ .
- وقعة النهروان او الخوارج - الخطيب بن الحسين الهاشمي ، ط. الحيدري - طهران
١٣٧٢ هـ .

٥ - لقد أثار اهتمامي في فهارس مكتبة الجامعة الامريكية في بيروت وجود مخطوطة مصورة
تحت عنوان «كتاب في اعتقاد الخوارج» تحت رقم Mic - A / 362 . ولكن خاب املي حين
استعرضت هذه المخطوطة صفحة صفحة ، دون ان أعثر على كلمة واحدة فيها ذكر للخوارج .

٦ - من هؤلاء : الطبري في تربيخه ، والمبرد في كامله ، والبلاذري في انسابه ، وآخرون

غيرهم .

الخوارج - نشأة وتاريخا وعقيدة وأدبا - في اطار العصر الاموي ليس غير . على انني - في عملي هذا - لا ازمع الاحاطة الشاملة بأمرهم في تلك الحقبة الهامة من تاريخهم . فما هي الا بداية هادفة ستتبعها محاولات ، كلما أتيسح لي ان أضيف الى هذا البحث شيئا جديدا . فقد تكشف لنا الآثار المخطوطة - التي لم تر النور بعد - ما يجعلنا نعدّل خط سيرنا الذي اعتمدناه في كتابة هذه الرسالة الجامعية .

وأخيرا فان هذا البحث هو ثمرة دراستي الجامعية ، فان كان قد أصابني التوفيق ، فهذا من فضل الله عليّ ، وان تكن الاخرى ، فليشفع بي اني قدمت غاية جهدي وطاقة احتمالي .

الباب الأول

نشأة الخوارج واخبارهم قبل العصر الأموي

- الفصل الاول : التطرف والمعارضة في عهد الرسول .
- الفصل الثاني : العصبية القبلية واثرها في نشأة الخوارج .
- الفصل الثالث : القراء وعلاقتهم بنشأة الخوارج .
- الفصل الرابع : دور السيئة في نشأة الخوارج .
- الفصل الخامس : دور المعارضة في التمهيد لظهور الخوارج .
- الفصل السادس: علي والخوارج .

لقد اعتاد الباحثون ان يُورخوا لحركة الخوارج ابتداء من وقعة صفين ، ثم يرون ان ظهورهم كان نتيجة لقبول علي بمبدأ التحكيم في أعقاب تلك الحرب . وعلى هذا الاعتقاد درج المؤرخون القدامى ، وتابعهم في ذلك المحدثون . ولكن ، لدى دراسة أخبار الخوارج في المصادر المختلفة ، يظهر ان نشأة هذه الجماعة ما زال يكتنفها الغموض ، وتحيط بها الشبهات ، وتغلفها نزعات بعض الرواة (١) .

ومن هنا ، فان البحث عن بذور الخوارج الاولى يستوجب العودة الى عهد الاسلام التي سبقت ورافقت الصراع السياسي والعسكري بين علي ومعاوية ، وذلك سعياً وراء الكشف عن العوامل المحيطة الفاعلة التي مهدت لظهورهم القوي المفاجيء وأعانت عليه . لانه لا يعقل ان تنشأ فرقة بهذا الحجم الكبير ، دون ان يسبق ذلك تنظيم دقيق وتخطيط مسبق . كما لا بد لهؤلاء الناس من مبادئ يلتقون حولها ، او مصالح مشتركة يضحون من اجلها ، استهوتهم - في بادىء الامر - فجمعتهم على صعيد واحد لتحقيقها . ولما تباينت اهداف قادتهم ، وتشعبت اجتهادات زعمائهم ، اخذوا ينقسمون على انفسهم . فكفّر بعضهم بعضاً لآتفه الاسباب ولاقل الموجبات .

* لاحظ جب وكرامرز Gibb & Kramers ان روايات المؤرخين العرب حول اصل الخوارج مضطربة ومتناقضة ، وان تاريخ ظهورهم لا يزال غير معروف .
Shorter Encycl. of Islam, p. 247.

الفصل الأول

التطرف والمعارضة في عهد الرسول

قبل الخوض في البحث عن جذور الخوارج وأصولهم ، لا بد من الإشارة الى امر يلفت النظر ويسترعي الاهتمام ، وهو ان علماء المسلمين وأصحاب سيرهم قد ربطوا ما أصاب المسلمين من فتن وانقسامات بأحاديث ينسبونها لرسولهم ، تتناول تلك الاحداث التي وقعت في صدر الاسلام (١) ، وبخاصة فيما يتعلق بنشأة الفرق الاسلامية ، وفي مقدمتها فرقة الخوارج التي نحن بصدد الحديث عنها في هذا البحث .

ولعل من الصعب على الباحث تجاهل هذه الروايات وتلك الاحاديث ، لان مصادر بحثه تعتمد الرواة والمؤرخين الذين صبغوا أخبارهم بمفاهيم هذا الاعتقاد . ولكن التفاتنا هذا ، لا يعني الاخذ بتلك الروايات كمسلمات لا تقبل المناقشة او الجدل ، بل سننظر اليها بموضوعية واعية كوقائع حياتية تخضع لمنطق التاريخ ومعطياته ، خصوصا وان تلك الاحاديث لم تصل الى حد التواتر عن الرسول (ص) .

١ - الملطي : التنبية والرد ، ص ٨٤ .

الرسول (ص) وبذرة الخوارج الاولى :

يكاد يتفق رواة الحديث وأصحاب الاخبار على ان النبي محمداً قد تنبأ بظهور الخوارج . ويرون ذلك من خلال حادثة جرت معه في حياته ، وبحضور عدد من اصحابه .

فقد روى صاحب السيرة (ت ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) ان بعض الغنائم جاءت النبي، فأخذ يوزعها بين الناس . فجاءه رجل من تميم ، يقال له ذو الخُوَيْصِرَة (٢) ، واعترض على قسمته قائلاً : «لم أرك عدلت !» . فغضب النبي ، وقال له : «ويحك ! اذا لم يكن العدل عندي ، فعند من يكون !» . ولما حاول احد الصحابة قتل هذا الرجل ، قال له الرسول (ص) : «دعه ، فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين (يتبعون أقصاه) ، حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة» (٣) . اما الامام البخاري ، ومثله الامام مسلم ، فانهما يوردان حديث ذي الخُوَيْصِرَة في مواقع كثيرة ، وصيغ مختلفة ، تتفق جميعها على وقوع هذه الحادثة (٤) . كما تتفق على قول النبي ، انه سيكون من جنس هذا الرجل قوم يمرقون من الدين ، آيتهم رجل أسود مخدج اليد (٥) . وفي رواية اخرى : «يخرجون في فرقة من الناس ، سيماهم التحالق» (٦) .

٢ - ذو الخويصرة او الخنْصِرَة (المبرد : الكامل ، ٩٥٥/٣) .

٣ - ابن هشام : سيرة ، ٤٩٦/٢ .

٤ - يقول الامام البخاري في باب المؤلفة قلوبهم : «سمعت ابا سعيد الخدري يقول : بعث علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهبية في اديم مقروظ لم تحصل من ترايبها ، قال : فقسما بين أربعة نفر : بين عبيدة بن بدر ، وأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع اما علقمة واما عامر بن الطفيل . فقال رجل من اصحابه : كنا نحن أحسق بهذا من هؤلاء ، قال : فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألا تأمنوني وأنا امين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء ؟ قال : فقام رجل غائر العينين ، مشرف الوجنتين ، ناشز الجبهة ، كث اللحية ، مخلوق الرأس ، مشمر الازار ، فقال : يا رسول الله انسق الله ، قال : ويلك ، اولست احق اهل الارض ان يتقي الله ؟ قال : ثم ولّى الرجل ، فقال خالد بن الوليد : يا رسول الله ، الا اضرب عنقه ؟ قال : لا ، لعله يصلي . فقال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اني لم اومر ان انقب قلوب الناس ولا اشق بطونهم قال : ثم نظر اليه وهو مقف ، وقال : انه يخرج من ضُضْء هذا قوم يتلون كتاب الله وطباً ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . وأظنه قال : لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثود» . (صحيح البخاري . شرح ابن حجر ، ١٢٩/٩) .

٥ - صحيح مسلم : شرح النووي ، ١٦٥/٧ .

٦ - صحيح مسلم : شرح النووي ، ١٦٧/٧ .

وفي شرح ابن حجر لحديث ذي الخويصرة يذكر : «وقيل : اسمه حرقوص بن زهير السعدي» (٧) .

اما ابن الجوزي فيورد خبر هذا التميمي ، ويقول : «وهو اول خارجي خرج في الاسلام» (٨) .

ويلخص الملطي الروايات المختلفة لهذه الحادثة ، ثم يؤكد انها جاءت في الخوارج ، ويضيف قائلا : «قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم باجماع الامة ، لا يختلف فيه ناقل ولا راو انه سماه مارقة» (٩) .
ولدى البحث عن بدور الخوارج الاولى لا يستطيع الباحث ان يمر بهذه الحادثة مروراً عابراً ، لكونها لا تخضع للبحث العلمي ، او انها تدخل في باب الاساطير كما وصفها فلهوزن (١٠) Wellhausen ، فقد جاءت في روايات اكابر العلماء وثقاتهم عند المسلمين . وفلهوزن Wellhausen نفسه اعتمد هؤلاء الرواة في تكوين نظرياته التاريخية . كما لوحظ انه لم ينكر نقد الخارجي للنبي محمد (ص) حين يقول : «وما يعنيني هنا قبل كل شيء ، هو نقد الخوارج ها هنا . فالتشدد في مبادئ الاسلام يفضي بهم الى ان يتجاوزوا بنقدمهم الى النبي نفسه» (١١) . وهذا رأي صريح بنسبة هذا الرجل الى الخوارج قبل التثبت من وجودهم في عصر الرسول !.

حرقوص التميمي وعلاقته بالخوارج :

لم ينته دور حرقوص السعدي عند حد الخروج على حكم الرسول وتوجيه النقد الحاد له . فقد وجدناه - فيما بعد - عنصراً بارزاً في التآمر على عثمان ، ثم يجيء بعد ذلك على رأس ثوار البصرة ، الذين اسهموا في الثورة على خليفة المسلمين - تلك الفتنة التي كانت الشرارة الاولى لما أعقبها من ثورات وفتن في طول البلاد الاسلامية وعرضها (١٢) .
وهناك في صفين (١٣) ، وفي أحلك الساعات التي واجهها الامام علي ، حين

٧ - صحيح البخاري : شرح ابن حجر ، ١٣٠/٩ .

٨ - ابن الجوزي : تلبس ابليس ، ص ٩٠ .

٩ - الملطي : التنبيه والرد ، ص ٥٠ - ٥١ . راجع موطأ الامام مالك ، ص ٣٠٩ .

١٠ - فلهوزن Wellhausen : الخوارج والشيعة ، ص ٣٥ - ٣٦ .

١١ - المرجع نفسه ، ص ٣٦ .

١٢ - الطبري : تاريخ ، ٢٩٥٥/٦ .

١٣ - صفين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي ، كانت به الوقعة

المشهوره بين علي ومعاوية (ياقوت : معجم البلدان) .

انشقّ عليه أتباعه ، نجد حرقوصا هذا بين قادة الخوارج البارزين ، الذين خرجوا على طاعة اميرهم وخالفوا رأيه . فبعد ان كان قد اشترك في الزام علي بقبول مبدأ التحكيم ، نراه ثانية يأتي بصحبة زرعة بن البرج الطائي ، فيدخلان على امير المؤمنين ، ويقول له حرقوص : «تب من خطيئتك وذلك ذنب ينبغي ان تتوب منه» (١٤) .

وبعد خروج الخوارج وانحيازهم الى النهروان (١٥) ، وجدناهم يؤمرون عليهم رجلين - احدهما حرقوص بن زهير السعدي الذي قتل في تلك الموقعة (١٦) . ولكن ما يشير الاستغراب ، ان عمر بن الخطاب كان قد استعمل حرقوصا التميمي وأمّره عند فتح الاهواز (١٧) ، كما اشركه في فتح بعض المناطق الاخرى من بلاد فارس . ثم ترد عمر شكوى من الجند بأن قائدهم انزلهم في جبل قصي يشق على المسلمين الاختلاف اليه ، فيبعث اليه امير المؤمنين ، ويأمره بالنزول الى السهل . ويقول الطبري ، ومثله ابن الاثير ان حرقوصا هذا بقي الى يوم صفين ، وصار حروريا ، وشهد النهروان مع الخوارج (١٨) .

ولعل استغرابنا لاستعمال عمر لهذا التميمي يخفّ ، حين نعلم ان حرقوصا هذا كانت له صحبة مع الرسول (١٩) ، وان الرسول نفسه كان يستعين في حربه بالمنافقين واليهود (٢٠) . كما لا ننسى انه كان منيعا في قومه من بني سعد (٢١) ، فهل حاول عمر ان يؤلف قلبه او يتقي شرّه ، فأمره وابعده؟! ومما يشير الى ان صحبته لرسول كانت موضع شك ونظر ما نقله الزبيدي، من ان حرقوصا كان منافقا ، وفيه نزل قوله تعالى : «ومنهم من يلزمك فسي الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون» (٢٢) . كما رأى ذلك كثير من المفسرين (٢٣) .

١٤ - الطبري : تاريخ ، ٣٣٦٠/٦ - ٣٣٦١ .

١٥ - النهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، كان بها وقعة مشهورة

لامير المؤمنين علي بن ابي طالب مع الخوارج . (ياقوت : معجم البلدان) .

١٦ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٠٤ .

١٧ - الاهواز : كورة كبيرة تقع بين البصرة وفارس ، وسوق الاهواز من مدنها . وهذا الاسم

سميت به في الاسلام ، وكان اسمها في ايام الفرس خوزستان . (ياقوت : معجم البلدان) .

١٨ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٨٠/٦ . ابن الاثير : الكامل ، ٥٤٥/٢ .

١٩ - صحيح مسلم : شرح النووي ، ١٥٩/٧ . الزبيدي : تاج ، ٣٧٩/٤ .

٢٠ - البلاذري : انساب ، ٣٦١/٥ .

٢١ - الطبري : تاريخ ، ٣١٣١/٦ . ابن الاثير : الكامل ، ٢١٩/٣ .

٢٢ - التوبة ٥٨ .

٢٣ - الزبيدي : تاج ، ٣٧٩/٤ .

ذو الثدية وخرقوص التميمي :

بعد هزيمة الخوارج في النهروان أمر علي أصحابه ان يلتمسوا ذا الثدية بين القتلى . فاستخرج من بين الجثث المتراكمة بنفس النعت الذي نعت به الرسول . حينذاك خرّ علي ساجدا ، وهو يقول : «الله اكبر ، ما كذبت عليّ محمد ، وانه لناقص اليد ، ليس فيها عظم ، طرفها حلمة مثل ثدي المرأة» (٢٤) .
وهنا لا بد من التساؤل ، هل كان خرقوص التميمي هو نفسه ذو الثدية المخدج اليد ؟

يبدو لنا انهما شخصان مختلفان ، لا شخص واحد ، وذلك على الرغم من ان اكثر الرواة يرون ان المخدج هو خرقوص التميمي عنه (٢٥) . ولعل ما يرجح هذا الاعتقاد لدينا ، تلك الروايات العديدة التي جاءت عند الامامين بخاري ومسلم . فانهما اوردا حديث المارقة في مواقع كثيرة دون ان يشررا في أي منها الى ان المخدج هو نفسه ذو الخويصرة . كما ان ابن حجر العسقلاني في شرحه لصحيح البخاري ، والنووي في شرحه لصحيح مسلم لم يربط بينهما . ولدى النظر في احدي الروايات التي سبق ذكرها ، يتضح لنا ان ذا الثدية هو علامة الخوارج للمستقبل ليس غير ، وان لا علاقة له بذي الخويصرة الا ان يكون من ضئضئه في سلوكه (٢٦) . ويقول المبرد فيما روي عن النبي (ص) انه قال في وصف الخوارج : «سيماهم التحليق ... علامتهم رجل مخدج اليد» (٢٧) .
وفي رواية اخرى في شرح البخاري عن ابي داود ، وفي تاريخ الطبري عن ابي مريم (مالك بن ربيعة السلولي) ان المخدج ذا الثدية كان يسمى نافعا (٢٨) . فهو - اذن - ليس خرقوصا .

يضاف الى ما تقدم ، ان حديث ابي سعيد الخدري الذي رسم به ملامح التميمي ومظهره وازاره ، لم يذكر لنا انه مشوه اليد او اسود اللون . بينما نجد رواية الامام مسلم تنطبق على وصف ذي الثدية عند ابن كثير ، الذي يصفه قائلا : «كان ذو الثدية رجلا من عرنة من بجيلة ، وكان اسود شديد السواد» (٢٩) . ان اغلب الظن ان الذين خلطوا بين الاثنين كانوا ضحية لبس وقعوا فيه ، لورود خبرهما في رواية واحدة . ومما يجعلنا اكثر التزاما بما ذهبنا اليه ، قول

-
- ٢٤ - صحيح مسلم : شرح النووي ، ١٦٦/٧ . السعدي : مروج ، ٢٨٥/٢ .
٢٥ - المبرد : الكامل ، ١٠٠٧/٢ . البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٦٨ . البكري : السط ، ٢٣٥/١ . الاسفرايني : التبصير ، ص ٤٧ (ط . الخانجي ١٣٧٤/١٩٥٥) .
٢٦ - صحيح مسلم : شرح النووي ، ١٦٥/٧ . من ضئضئه : اي من جنسه ، من معدنه .
٢٧ - المبرد : الكامل ، ٩٥٥/٢ .
٢٨ - صحيح البخاري : شرح ابن حجر ، ١٣٠/٨ . الطبري : تاريخ ، ٣٣٨٨/٦ .
٢٩ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٨٩/٧ .

الشهرستاني عن قدامى الخوارج : «وهم الذين أولهم ذو الخويصرة ، وآخرهم ذو الندية» (٢٠) . فهما شخصان مختلفان ، احدهما بداية والآخر نهاية .

خلاصة حديث المارقة :

والآن لنعد الى حديث الخوارج المشار اليه آنفا ، لنستقرىء معانيه ، ونتقصى أبعاده . يستخلص من تلك الحادثة ان الرسول (ص) كان يوزع بعض غنائم الحرب ، فأثر بعض المسلمين على غيرهم . فجاءه ذلك التميمي ، ناقدا لطريقته في التوزيع ، متهما اياه بالجور والمحاباة في قسمته ، فاذا بالنبي تظهر عليه امارات الحدّة والغضب . وبعد ان يقفّي ذلك الرجل ، يخبر الرسول اصحابه بأنه سيظهر من بين المسلمين قوم من أمثال هذا التميمي ، يخرجون - بتطرفهم في دينهم - من الاسلام ، كما يخرج السهم من الرميّة .

لعل مبدءا ابداء الرأي والاعتراض على الرسول عند قسمة غنائم الحرب ، لم يكن من قبل هذا التميمي فحسب . فهؤلاء بعض الانصار ، وآخرون من قريش يعترضون على النبي (ص) عند توزيع غنائم حنين (٢١) ، فيقولون على مسمع منه : «يعطي صناديد اهل نجد ويدعنا؟!» ، فيقول النبي (ص) : «انما فعلت ذلك لاتألفهم» (٢٢) . فلم يغضب الرسول لاعتراض هؤلاء القوم ، كما ان المعارضين سرعان ما داخلهم الرضى ، حينما ادركوا الحكمة من عمل نبيهم ، وانه انما يرمي الى تأليف قلوب اناس لما يدخل الايمان الى اعماق قلوبهم . ويروي صاحب السيرة ان الرسول كان يعطي اشرافا من اشراف الناس ، ليتألفهم ويتألف بهم قومهم . فقد اعطى ابا سفيان ، كما اعطى الأقرع بن حابس التميمي (٢٣) . اما حرقوص التميمي ، فقد كان عنيفا في اعتراضه ، حادا في تطرفه ، اذ لم يكتف بتقديم رأيه فحسب ، بل ساق اتهاما مباشرا وصريحا لمحمد (ص) وبلا مراعاة لكونه نبيا يوحى اليه من السماء ، فهو يقول له : «اتق الله!» . ثم يصدر عليه حكما قاسيا حين يقول له : «لم أرك عدلت!» . انه يطلب العدل .

٢٠ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١١٦/١ .

٢١ - حنّين : اسم واد بين مكة والطائف ، وقعت فيه موقعة بين المسلمين وأعدائهم ، وهو اليوم الذي ذكره تعالى في كتابه العزيز «ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم ...» (ياقوت : معجم البلدان) .

٢٢ - صحيح البخاري : شرح ابن حجر ، ١٢٠/٩ . صحيح مسلم : شرح النووي ،

١٥٧/٧ ، ١٦١ .

٢٣ - ابن هشام : سيرة ، ٤٩٢/٢ .

فأي عدل هذا؟! انه العدل الذي يراه بنفسه عدلا . يقول فيه ابن الجوزي . «وآفته انه رضي برأي نفسه ، ولو وقف لعلم انه لا رأي فوق رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٢٤) . ففي اعتقاد المسلمين ، ان رسولهم معصوم فسي شريعته ، وان ما يقرره من قول او عمل هو سنّة لهم ، فهو الذي قال فيه القرآن : «وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى» (٢٥) . وفي موضع آخر يقول عز وجل : «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» (٢٦) .

ان هذا الاعرابي الذي أعلنها صريحة في وجه النبي محمد (ص) ، ليس غريبا ان يعلنها ثورة حمراء في وجه اي امام لا تعجبه سيرته ، او يخالفه في اجتهاده . وهكذا وجدناه في موقفه من عثمان اولا ، وفي تصلبه مع علي ثانيا ، وفي خروجه مع رؤوس الخوارج ومقتله في النهروان اخيرا ، انه يمثل روح الخوارج الثائرة - العنيفة في تطرفها ، الصلبة في مطلبها ، المتعصبة لآرائها . فلتكن العدالة التي يرونها «ولو فئيت الدنيا بأسرها» (٢٧) .

ولدى دراستنا لتاريخ الخوارج وعقائد فرقهم ، سنجد ان الحديث جاء مطابقا لوصفهم ، فقد كانوا على شاكلة هذا التميمي، يزينون الامور بموازينهم الحساسة، فيخسرون هنا ، ويستوفون هناك .

ولكن هذا التوافق لا يكفي للتسليم بمذهب القائلين ، ان هذا الحديث جاء في جماعة الخوارج الذين نزلوا حروراء (٢٨) في طريق العودة من صفين ، فان رواية الحديث نفسه ينكر معرفته بالحرورية . فقد جاء في صحيح مسلم : «سئل ابو سعيد الخدري عن الحرورية : هل سمعت رسول الله يذكرها ؟ قال : لا أدري من الحرورية ، ولكن سمعت ... الحديث» (٢٩) . وبذلك يمكن القول ان هذه الحادثة تدل على وجود معارضة ، لعل حركة الخوارج انبثقت منها فيما بعد .

اما شيوع حديث المارقة وانتشاره على السنة الرواة ، والصاقه بالخوارج ، فعلى الأرجح انه كان بعد ظهور الحرورية وانطباق أوصافهم على روح الحديث ومعناه ، مما جعل الناس يتناقضونه على نطاق واسع . وقد يكون خصوم الخوارج من المسلمين هم الذين تعمدوا اشاعته ، ليكون عوناً لهم في حربهم لهؤلاء الناس . ثم جاء الرواة والمؤرخون ، فوجدوا اتفاق الناس على صحة الرواية ، فأثبتوها في مؤلفاتهم وسيرهم .

٢٤ - ابن الجوزي : تلبس ابليس ، ص ٩٠ .

٢٥ - النجم ٣ - ٤ .

٢٦ - الاحزاب ٢١ .

٢٧ - فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ٣٦ .

٢٨ - حروراء : قرية بظاهر الكوفة ، نزل فيها الخوارج الذين خالفوا علي بن ابي طالب ،

فنسبوا اليها . (باتوت : معجم البلدان) .

٢٩ - صحيح مسلم : شرح النووي ، ١٦٤/٧ .

الفصل الثاني

العصبية القبلية واثرها في نشأة الخوارج

لمحة عن مفهوم العصبية القبلية في العصر الجاهلي :

لا يستطيع باحث في تاريخ صدر الاسلام ، ان يتجاهل عاملا خطيرا كان وراء كثير مما جرى في تلك الحقبة الحاسمة من تاريخ المسلمين ، ذلك هو الصراع القبلي الذي لعب دورا بارزا في حياة الناس ، واثّر في مجاري الامور وفسى تحديد المواقف في كثير من القضايا السياسية المصرية عصرئذ . فالعرب قبل الاسلام كانت تسودهم حياة العصبية والعصبية ، اذ كان لكل قبيلة او مجموعة من القبائل كيان خاص بها - في اطاره يعيشون ، وعن حماه يدودون . وقد عرف العربي في الجاهلية باعتزازه بقبيلته ، وتطرفه في الدفاع عن عشيرته ، حتى ليقدمها على رابطته الزوجية اذا دعت الحاجة لذلك . قال احدهم في الحرص على هذا الكيان (١) :

حقا يفرّق بين الزوج والمتر

فاحفظ عشيرتك الأدين إنّ لهم

١ - البريد الكامل ، ص ١٩٩ (ط. لبيزغ ١٨٦٤) .

وأفراد القبيلة متكافلون متضامنون ، يتناصرون في السراء والضراء ، حتى جرى على لسانهم : «انصر اخاك ظلما او مظلوما» (٢) . وهم يد على من سواهم ، حقا كان مطلبهم أم باطلا ، فقد قال أخو هوازن في وجوب التزام امر القبيلة في جميع الظروف وشتى الاحوال (٣) :

وهل انا الا من غزيّة ان غوت غويت ، وان ترشد غزيّة ارشد
ومن مظاهر العصبية الجاهلية كراهية قبيلة من القبائل ان تخضع لقبيلة
أخرى او لسيد غريب عنها ، فكثيرا ما كانت الحروب الطويلة تنشب من اجل ذلك . ولم يكن الامر يقتصر على كراهية الخضوع لقبائل بعيدة الدم والنسب ، بل كثيرا ما دارت رحى المعارك الطاحنة بين القبائل المتقاربة حسبا ونسبا . ولعل حرب البسوس بين بكر وتغلب ، وحرب داحس والغبراء بين عيس وذبيان اصدق مثال على ذلك .

الاسلام وعصبية الجاهلية :

جاء الاسلام وقبائل العرب يفزوا بعضها بعضا ، واللواء معقود لمكة على العرب ، ولقريش على مكة . فقد أتيح لمكة اليسار والفضى لقرىها من ميناء جدة على البحر الاحمر ، ولكونها محطة التجار بين الشمال والجنوب . وكانت قرى شدة مكة ، فقد كان لها الحجابة لحفظ مفاتيح الكعبة ، والسدانة لخدمتها ، كما كان لها رفاة الحجيج الى البيت الحرام (٤) . ثم تأكدت زعامتها لا على مكة فحسب ، بل على العرب جميعا ، وذلك بظهور النبي محمد (ص) بين ظهرانيها ، ولنزول القرآن بلهجتها (٥) .

ولكن الدين الجديد الذي جاء به محمد (ص) من السماء خاطب الناس عامة بلسان واحد ، ولم يقدم شعبا على شعب ، ولا قبيلة على قبيل . فالبشر مهما اختلفت ألوانهم وتباينت أجناسهم ، فان ميزان التفاضل عند الله ليس بعراقة

٢ - ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٠ . وروي عن النبي محمد (ص) انه قال ايضا : «انصر اخاك ظلما او مظلوما . قالوا : يا رسول الله ، نصره مظلوما ، فكيف نصره ظلما ؟ قال : تأخذون فوق يديه» . صحيح البخاري : شرح ابن حجر ، ٢٢٣/٦ .

٣ - الطبري : تاريخ ، ٤٣/٤ .

٤ - ابن هشام : سيرة ، ١٢٥/١ . الرفادة : شيء كانت قرىش تتزافد به في الجاهلية فيخرج كل انسان مالا بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالا عظيما ايام الموسم ، فيشترون به للحجاج الطعام (اللسان) .

٥ - صحيح البخاري : شرح ابن حجر ، ٢٤٨/٧ .

الحسب ولا بأضالة النسب ، وانما بالايمان والتقوى . قال تعالى : «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم» (٦) .

وهذا نبي الاسلام يحمل على دعوى الجاهلية ويعتفها ، فلا يرى فضلا لعربي على عجمي ، ولا لعدناني على قحطاني ، ولا لقريشي على تميمي الا بعمل صالح ، فقد قال في خطبة الوداع : «ايها الناس : ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب . ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربي على عجمي الا بالتقوى» (٧) . ثم لا يكتفي بتأكيد المساواة الانسانية فحسب ، بل يشن حملة عنيفة على دعاة العصبية وانصارها ، حتى يخرجهم من بيضة الاسلام ، وذلك حين يقول : «ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية» . فلما سئل عن العصبية التي يعنيها ، قال : «هي ان تعين قومك على الظلم» (٨) .

وهكذا ، فان عقيدة الاسلام كانت ترمي الى نقل ولاء العربي من دائرة قبيلته الضيقة الى دائرة الامة الكبرى ، التي سداها القرآن ولحمتها سنة نبيّه . وقد استطاع هذا الرسول - خلال سني نبوته - ان يجمع القبائل المتنافرة ، وان يشدها بعضها الى بعض ، وان يحول مفاخرها بأيامها الى نصره الديين الجديد . فبعد ان كان العرب يتفاخرون بالانساب ، ويتفاضلون بالعصبية والعصبية ، جاء الاسلام ، فجمعهم تحت راية واحدة ، وجعلهم يحاربون اعداء دينهم . كما استطاع ان يحول تنازع قبائلهم في سبيل السيادة والسيطرة الى تنافس في خدمة نبيهم ، الذي ملك عليهم نفوسهم . فهؤلاء الأوس والخزرج ، الذين طالما تنازعوا من اجل الرياسة والصدارة في الجاهلية ، صاروا يتسابقون لارضاء رسولهم ، فما إن تصنع الأوس شيئا لنصرته حتى تبادر الخزرج السى عمل مماثل (٩) .

ولكن هذا لا يعني ان عصبية الجاهلية قد اقتلعت جذورها من نفوس الناس بين عشية وضحاها ، وان الايمان دخل الى اعماق قلوبهم . فالقرآن ذاته يصف اعراب البادية بأنهم أشد الناس كفرا (١٠) ، وبأنهم لبسوا ثوب الاسلام ولما يدخل

٦ - الحجرات ١٣ .

٧ - الجاحظ : البيان والتبيين ٢٠ / ٢٢ . ابن عبد ربه : العقد ، ٤ / ٥٨ .

٨ - صحيح البخاري : شرح ابن حجر ، ٧ / ٣٥٧ . الهندي : كنز العمال ، ٣ / ٢٩٠ .

٩ - ابن هشام : سيرة ، ٢ / ٢٧٣ .

١٠ - قال تعالى : «الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله

والله عليم حكيم» التوبة ٩٧ .

الإيمان الى أفندتهم (١١) . وهؤلاء بنو حنيفة ينضمون بدافع العصبية القبلية الى قريتهم منسجمة الكذاب ، على الرغم من قناعتهم بتضليله لهم (١٢) . ويرى ابن خلدون ان أعراب البادية لم يعيشوا حياة الاسلام ، ولم يمارسوه كاملا . لانه لم تتح لهم فرصة التفهم الواعي لأحكامه . كما يرى ان أكثر الأعراب الذين نزلوا الامصار كانوا جفاة لم يأخذوا نصيبا كافيا من صحبة الرسول ، فلا صقلتهم سنته ، ولا هذبتهم سيرته . فضلا عما كانوا عليه في حياة جاهليتهم من جفاء الطبع وخشونة الحياة وعمى العصبية ، فسرعان ما تمردوا على قيادة الامة وسلطان الاسلام (١٣) .

هؤلاء الجفاة القساة لم يتخلوا عن خشونتهم دفعة واحدة ، فقد وفد وفد تميم على مسجد الرسول ، وأخذوا ينادون محمدا (ص) من وراء الحجرات قائلين: «أخرج الينا يا محمد ... جئناك لنفاخرلك» (١٤) .

ويبدو ان الامر لم يقتصر على أعراب البادية ، فان كثيرا من القبائل العربية القوية لم تتسن لهم صحبة الرسول (ص) وتفهم آيات القرآن ، فيقول ابن خلدون : «وأما سائر العرب من بني بكر بن وائل ، وعبد قيس ، وسائر ربيعة ، والأزد ، وكندة ، وتميم ، وقضاعة ، فلم يكونوا من تلك الصحبة الا قليلا منهم» (١٥) .

وهكذا ، فلا بد ان كثيرا من العرب قد بقيت في نفوسهم عصبية الجاهلية ، وان وجود محمد (ص) على رأس الدولة الاسلامية أخمدها وأخفاها . ولكن ما ان انتقل الرسول الى الرفيق الاعلى حتى رأينا مظهرا لها في سقيفة بني ساعدة ، وذلك حين انتصر بعض الانصار لسعد بن عباد وقاتلوا للمهاجرين من قريش : «منا امير ومنكم امير» . ثم لا تلبث هذه الظاهرة ان تختفي ، ويتراجع الانصار عن مطلبهم ، ويرضون بخلافة ابي بكر حين يذكرهم بفضل قريش في الاسلام ، وبأن العرب لا تجتمع الا عليها ، ويدعم حجته ودعواه بحديث يرده للرسول يقول فيه : «الأئمة من قريش» (١٦) .

وتظهر العصبية قوية عند ابي سفيان - سيد قريش في الجاهلية قبل فتح مكة - الذي تخلف عن بيعة ابي بكر ، وحاول اثارة حمية الدم في اقاربه ، فقال

١١ - قال تعالى : «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان

في قلوبكم» الحجرات ١٤ .

١٢ - ابن هشام : سيرة ، ٧٢/٢ ، ٤١٢ .

١٣ - ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥١ .

١٤ - الطبري : تاريخ ، ٣٧٨/٢ .

١٥ - ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥١ .

١٦ - ابن هشام : سيرة ، ٦٦٠/٢ . ابن قتبية : الامامة والسياسة ، ١٢/١ . الطبري :

تاريخ ، ٤٦٦/٢ .

موجها كلامه لعلي بن ابي طالب :

بني هاشم لا تطعموا الناس فيكم
فما الامر الا فيكم واليكس
ولاسيما تيم بن مرّة او عدي
وليس لها الا ابو حسن علي

ولكن سرعان ما اطفأ علي نار العصبية التي حاول اشعالها ابو سفيان ، حين رد عليه قائلا : «انك تريد امرا لسنا من اصحابه» . فقصد ابو سفيان العباس بن عبد المطلب . ، فلم يستجب له ايضا ، فعاد بعصبيته خائبا (١٧) .

ثم تتمثل العصبية القبلية ايضا في حركة الردة ، اذ ان بعض القبائل القوية رفضت ان تعنو لسلطان قريش ، فمنعوا الزكاة من اجل ذلك . ولكن موقف ابي بكر الحاسم من اهل الردة ، جعل القبائل الاخرى تتخلى عن عصبيتها وتسلم زمام امرها لقريش ، التي تاكدت قيادتها ، لا على عرب الجزيرة فحسب ، بل انتقلت سيادتها الى خارج الجزيرة العربية ، لتشمل ارض الفتوحات الاسلامية بأسرها . ان استقرار الخلافة في قريش وعلو شأنها في مختلف الاصقاع الاسلامية اثار غيرة القبائل القوية الاخرى وحسدها ، وبخاصة اولئك الذين كانت عصبية الجاهلية ما تزال تنبض في عروقهم ، اذ وجدوا في رياسة قريش عليهم تسلطا انفته نفوسهم ، وغذاه طموح بعض زعمائهم . وقد صورّ احد شعراء عبد القيس ما كانت تكنه نفوسهم وما تضرره قلوبهم من حسد وتحامل على قريش ، فقال(١٨):

تولت قريش لذة العيش واتقت
بنا كل فج من خراسان اقبرا

ولم يقف الامر عند حد حسد بعض القبائل القوية لقريش ، فان بعض القريشيين انفسهم اصابهم غرور العظمة واخذوا بنشوة الظفر ، حتى ظنوا ان ارض الاسلام اقطاع لهم . فأتاروا - بسلوكم هذا - حفيظة بعض الناس من القبائل الاخرى ، الذين راوا بتعاليمهم هذا خروجا على مبادئ الاسلام التي تأمر بالعدل والمساواة . فهذا امير الكوفة سعيد بن العاص يقول في اشد المواطن حساسية : «انما هذا السواد بستان قريش» . فيتصدى له الأشتر بن مذحج الهمداني قائلا : «السواد الذي أفاء الله علينا بأسيافنا تزعم انه بستان لسك ولقومك؟» ، ثم قاما يتشابكان (١٩) .

١٧ - اليعقوبي : تاريخ ، ١٢٦/٢ . ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٧/٦ .

١٨ - الطبري : تاريخ ، ١٥٨٠/٦ .

١٩ - البلاذري : انساب ، ٤٠/٥ . الطبري : تاريخ ، ٢٩١٦/٦ . السواد : يراد به رستاق

العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب ، وسمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والاشجار (باقوت - معجم البلدان) .

ويعتقد ميور Muir ان كثيرا من القبائل العربية اصابهم الانزعاج من امتيازات قريش وسيطرتها عليهم (٢٠) .

ثم ظهرت بوادر الثورة على قريش في الكوفة ، وذلك حين اخذ نفر من زعماء القبائل هناك يظهرون النقمة على قريش وسلطانها ، فأمر عثمان بنفيهم الى الشام . وهناك وفي حضرة معاوية ، الذي اخذ يعدد مناقب قريش في الجاهلية والاسلام ، يتحداه رجل من هؤلاء المنفيين قائلا : «اما ما ذكرت من قريش ، فانها لم تكن اكثر العرب ولا امنعها في الجاهلية فتخوفنا» (٢١) .

صحيح ان بعض القبائل العربية كانت تحسد قريشا على مكانتها وصدارتها في الاسلام ، الا ان ايا منها لم تتقدم لانتزاع الامر او لاختد القيادة من قبيلة الرسول . ولكن حين دب الخلاف في صفوف قريش ذاتها ، انقسمت القبائل على نفسها ، فساند فريق منها الامويين ، وساند آخرون الهاشميين . وكان هذا التحول ، اما اعتقادا لاحقية هذا او ذاك بالخلافة ، وإما لهوى قبلي يكمن في نفوس بعض قاداتهم .

ان الحديث عن العصبية القبلية لا يجوز ان يؤخذ على اطلاقه ، فانه على الرغم من مظاهر العصبية التي كانت تظهر عند بعض القبائل ، فقد كان عامل الايمان بالاسلام يتجاوز أفراد القبيلة الواحدة . فنجد فريقا منها في معسكر ، بينما الفريق الآخر في المعسكر الآخر - كل حسب اعتقاده واجتهاده ، هذا ما لاحظناه في الصراع على منصب الخلافة ، وما سلاحظه في صفوف الخوارج انفسهم .

أثر العصبية القبلية في نشأة الخوارج :

كما كان للعصبية اثر كبير في كثير مما وقع من أحداث في تاريخ صدر الاسلام . فقد كان لها اثر مماثل في التمهيد لنشأة الخوارج وفي استمرار وجودهم لسنوات طويلة بعد ظهورهم .

ولعل اول موقف خطير ظاهر تمثلت فيه العصبية الجاهلية ، وأسهم في تعزيز امر الخوارج فيما بعد ، كان موقف الأشعث بن قيس من اختيار ممثل علي في الحكومة ، حين اعترض على ترشيح عبد الله بن عباس قائلا : «لا والله ، لا يحكم فيها مضرين حتى تقوم الساعة» (٢٢) . ولما لفت علي نظره وحذره من تكليف ابي موسى الاشعري ، قدم عصبته اليمينية على الراية التي يحارب تحت

20 — Muir : The Caliphate, p. 229, 250.

٢١ - الطبري : تاريخ ، ٢٩١٦/٦ .

٢٢ - ابن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٥٠٠ . اليعقوبي : تاريخ ، ١٨٩/٢ .

ظلالها ، وقال : «والله ، لان يحكما ببعض ما نكره ، واحدهما من اهل اليمن أحب لنا من ان يكون بعض ما نحب في حكمهما وهما مضران» (٢٢) .
ان موقف الاشعث الكندي هذا فيه غلو زائد في اتجاه عصبية قبلية جاء الاسلام لمحاربتها . ثم لا ننسى النتائج الخطيرة التي ستسفر عنها هذه الحكومة ، والتي ستكون عاملا هاما في تشجيع الخوارج وتقوية امرهم في تحدي علي وخلع امامته .

ولكي يتكشف لنا اثر العصبية القبلية في نشأة الخوارج ، كان لا بد من التعرف بعناصر تكوينهم في بدء امرهم . فلدى الاطلاع على آراء الباحثين الافرنج ، نجد ديمومبين Demombyne يرى ان عددا كبيرا من الموالي انضم الى الخوارج حين نادوا بالمساواة بين القبائل وعارضوا حصر الخلافة في قريش (٢٤) . ويعزو جب وكرامرز Gibb & Kramers هذا الانضمام الى مساواة الخوارج بين الموالي والعرب (٢٥) . بينما يرى نيكلسون Nicholson ان الخوارج كانوا من البدو الذين استقروا في الكوفة والبصرة بعد فتح فارس (٢٦) ، ويشاركه في الرأي بروكلمن Brockelmann فيراهم من قبائل تميم (٢٧) .

اما الباحثون العرب فيؤكدون عروبة الخوارج ، فيذهب العبادي الى انهم كانوا من قبائل تميم وحنيفة وربيعة ، الذين كان لهم شأن كبير بين عرب الجاهلية (٢٨) . ويعتقد ماجد ان اغلبية الخوارج كانوا من بدو تميم باليمامة (٢٩) ، كما كان ابو النصر يرى ذلك ايضا (٣٠) .

ويذهب احمد امين الى ان الموالي الذين انضموا الى الخوارج ، لم يكونوا ذوي اثر عددي ، اذ كان الخوارج من البدو المتعصبين لجنسهم ، الذين يحتقرون الموالي ويزدرونهم (٣١) . ويشير هيكل الى ان قبائل البصرة والكوفة كانت تلقى التأييد والتشجيع على الثورة من الفرس منذ ايام الفتنة على عثمان (٣٢) .

٢٢ - ابن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٥٠٠ . الطبري : تاريخ ، ٢٣٢٣/٦ .

٢٤ - ديمومبين : النظم الاسلامية ، ص ٤٨ .

25 — Gibb & Kramers : Shorter Encyclopaedia of Islam, p. 248.

26 Nicholson : A Lit. of the Arabs, p. 209.

٢٧ - بروكلمن : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١١٩ .

٢٨ - العبادي : صور من التاريخ الاسلامي ، ص ١٧٦ .

٢٩ - ماجد : التاريخ السياسي ، ١٣٥/٢ . اليمامة : تعد اليمامة من اقاليم نجد ، وكان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب خالد بن الوليد في ١٢ هـ / ٦٣٣ م (ياقوت : معجم البلدان) .

٣٠ - ابو النصر : الخوارج في الاسلام ، ص ١٤ .

٣١ - امين : فجر الاسلام ، ص ٢٦٢ .

٣٢ - هيكل : عثمان ، ص ١٠١ .

والذي نميل اليه ، هو ان الخوارج - في بدء امرهم - كانوا عربا خلاصا ، ومن اعراب البادية بشكل خاص ، فقد وصفوا عند معارضتهم لامضاء الحكومة ، بأنهم من اعراب بكر وتميم (٢٢) . اما الموالي فلم يكن لهم وجود ملحوظ بين صفوفهم في اول الامر ، واغلب الظن ان انضمامهم - بشكل واسع - لحركة الخوارج ، كان بعد خروج الخريّت الناجي (٢٤) ، وبعد ان اتخذت الحرورية من ارض فارس منطلقا لتحركاتهم وملجأ لراحتهم واستعدادهم (٢٥) . ويروي لنا اليعقوبي ان اول عصابة خرج فيها الموالي كان عليها امير من اهل الكوفة من موالي بني الحارث بن كعب ٤٣ هـ / ٦٦٣ م . وقد بعث اليهم المغيرة بن شعبه رجلا من بجيلة فقتلهم (٢٦) .

ولعل قبائل تميم المضرية امتدت حزب الخوارج باكبر رصيد له من العساكر والقادة ، حتى ليتمكن القول : ان هذه الحركة ولدت في اكناف تميم وتحت رايتها ، وكان ذلك حين مر بهم الاشعث ليقرا عليهم كتاب التحكيم (٢٧) . ثم كان امير القتال فيهم شبث بن ربعي التميمي حين نزلوا حروراء ، كما كان من زعمائهم الاوائل حرقوص بن زهير السعدي التميمي ، وميسر بن فدكي التميمي ، وعروة بن ادية التميمي واخوه مرداس الذي سيمثل السلف الصالح عندهم (٢٨) . وفيما بعد سجد قبائل تميم ترفد الخوارج بأبرز رؤوسهم واصلب قادتهم . فهذا ما ستراه عند الحديث عن أئمتهم وامراء الحرب فيهم في فصول لاحقة . ولكن هذا لا يعني ان قبائل تميم قد اصبحت خارجية بأكملها ، بل سترها تنقسم على نفسها ، فتحارب تميم الدولة الاسلامية تميم الخوارج (٢٩) . كما لا يعني ذلك ان القبائل العربية الاخرى كانت بعيدة عن هذه الحركة ، فقد كان من زعمائهم الاوائل عبد الله بن الكواء اليشكري البكري ، وشريح بن اوفى العبسي ، وحزمة بن سنان الاسدي ، ومنعاذ بن جوين الطائي ، وعبد الله بن وهب الراسبي ، وغيرهم آخرون من قبائل مختلفة (٤٠) .

ولعل اصدق برهان على نزعة الخوارج القبلية ، وعصبيتهم الموجهة ضد قريش وسلطانها ، اننا لا نجد في صفوفهم - لفترة طويلة من تاريخ وجودهم -

٢٣ - الطبري : تاريخ ، ٢٢٥٣/٦ .

٢٤ - كان خروج الخريّت الناجي بعد يوم النهروان (الطبري : تاريخ ، ٣٤٢٧/٦) .

٢٥ - الطبري : تاريخ ، ٨٦/٤ .

٢٦ - اليعقوبي : تاريخ ، ٢٢١/٢ .

٢٧ - الطبري : تاريخ ، ٣٩/٤ .

٢٨ - الطبري : تاريخ ، ٤٦/٤ . ابن الاثير : الكامل ، ٣٢٦/٣ .

٢٩ - المبرد : الكامل ، ١١٢٩/٣ .

٤٠ - المسعودي : مروج ، ٢٧٥/٢ . الطبري ، ٢٣٦٤/٦ ، ٣٣٧٧ ، ٣٣٨٢ .

الفصل الثالث

القراء وعلاقتهم بالخوارج

القراء قبل صفتين :

لعل من المفيد قبل البحث عن علاقة القراء بنشأة الخوارج ، أن نتعرف بهؤلاء الناس ، الذين جعلهم بعض الباحثين التربة التي نبت فيها حزب الخوارج (١) . هم جماعة من المسلمين شهروا بجودة قراءتهم للقرآن ، فقد كانوا يحفظونه ويعلمونه للناس . وهذا الامر يعود لأيام الرسول (ص) نفسه ، فقد روي ان النبي مر بأبي موسى الاشعري ، وهو يقرأ القرآن ، فامتدحه ، ثم قال : «لقد أوتي هذا من مزامير آل داود» . وقيل ان ابا موسى كان حسن الصوت جدا ، ويعلم الناس كتاب الله (٢) . ولكن فيما بعد سمي السلف اهل الدين والعلم القراء ، وادخلوا فيهم العلماء والنسّاك (٣) . ونظرا لما كان للقرآن من سيطرة على مشاعر الناس وعقولهم في تلك الحقبة

١ - فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ١٤ ، ٢١ - ٢٢ .

٢ - ابن سعد : الطبقات ، ١٠٧/٤ وما بعدها .

٣ - ابن تيمية : الفرقان ، ص ٤٦ .

الزمنية ، فليس غريبا ان يكون لقرائه - الذين يحسنون ترتيله - سلطان روحي شامل على عامة المسلمين . ثم تطورت منزلة هؤلاء القوم في نفوس الناس ، فاتخذوا شارة لهم وتبرنسوا ، حتى عرفوا اخيرا بأصحاب البرانس (٤) وكان ابو موسى الاشعري مبرنسا (٥) . ولعل هذا يفسر اصرار فريق من القراء على ان يمثل الامام علي بأبي موسى في الحكومة التي اعقبت يوم صفين (٦) .

ولكن لا بد من التفريق بين قراء القرآن وبين علماء الاسلام ، اذ ليس بالضرورة ان يكون قارئ القرآن فقيها او عالما بأحكام هذا الكتاب . فهؤلاء اكابر الصحابة من المهاجرين والانصار ، الذين شهروا بعلم الكتاب والسنة ، لم يعرفوا في جماعة القراء . وهذا ابو موسى الذي قيل فيه : «ولم يكن في هذه الامة من هو اقرا من ابي موسى» (٧) رماه بعضهم بالغفلة لموقفه في التحكيم (٨) .

وعلى الرغم من ان هؤلاء الناس كانوا موجودين بين المسلمين منذ ايام الرسول ، فلم نسمع انهم شكلوا طبقة خاصة بهم تميزهم عن سائر الناس . كما لم يحاولوا التدخل في الامور الدينية او السياسية طوال عهدي ابي بكر وعمر . اما في عهد عثمان ، فقد اخذ فريق منهم يتدخلون في شؤون الحياة العامة ، فكتب بعضهم الى عثمان ، يشكون امير الكوفة سعيد بن العاص، الذي اتهموه بالاكثار على قوم من اهل الورع والتقوى (٩) . كما ان آخرين منهم لم يقفوا عند حد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل تجاوزوا ذلك الى الطعن على خليفة المسلمين واثارة الناس عليه ، مما اضطر عثمان الى نفي بعضهم من الكوفة ، فاشتد سخطهم وقوي انكارهم (١٠) .

ويبدو ان خصوم عثمان السياسيين وغيرهم من الحاقدين عليه ، وجدوا في هؤلاء المؤمنين من الناس تربة صالحة لبث دعواهم في صفوفهم ، حين ادخلوا في روعهم ان امام المسلمين خالف سيرة ابي بكر وعمر ، وآثر القربى ، وخسرج بذلك عن حدود الله (١١) . ولعل هذا الاعتقاد هو الذي دفع عددا من القراء الى الاشتراك في الخروج على عثمان . كما ان اعتقاد آخرين منهم بأن عليا قد تجاوز

٤ - البرانس : جمع برنس ، وهو قنسوة طويلة كان يلبسها النسك فسي صدر الاسلام

(اللسان) .

٥ - ابن عبد ربه : المقدم ، ٢٤٧/٤ .

٦ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة . ١١١/١ . الطبري : تاريخ ، ٢٢٢٢/٦ .

٧ - الجاحظ : البيان ، ٣٧٨/١ .

٨ - الطبري : تاريخ ، ٢٢٥٨/٦ .

٩ - البلاذري : انساب ، ٤١/٥ .

١٠ - الطبري : تاريخ ، ٢٩٠٧/٦ - ٢٩٠٩ .

١١ - البلاذري : انساب ، ٤١/٤ .

حدود الله بقبوله مبدأ التحكيم ، سيدفعهم الى الخروج عليه والانتقال الى معسكر الخوارج .

ومما هو جدير بالذكر ، ان القراء لم يكونوا جميعا من صنف واحد ينساقون مع هذا او ذلك ، بمجرد انارتهم وتحريك عواطفهم الدينية . فهذا عبد الله ابن مسعود (الصحابي المشهور) في اربعمائة رجل من القراء ، يمتزلون الفتنة بين المسلمين ، ثم لا يرضون الاشتراك في المسير مع علي لحرب معاوية (١٢) . كما ان فريقا آخر منهم كانوا ينكرون على عثمان سياسته ، قد أنكروا ايضا قتله ، اذ كان يكفيهم ان يعتدل او يعتزل (١٣) .

دور القراء في نشأة الخوارج :

عند الاعداد لحرب صفين برز القراء كجماعات لها دورها العسكري والسياسي . فحين عقد علي ألوية جيشه ، جعل مسعر بن فدكي التميمي على قراء اهل البصرة ، كما ان قراء اهل الكوفة صاروا الى عبد الله بن بنديل وعمتار بن ياسر (١٤) . وفي الوقت ذاته نجد عبيد الله بن عمر بن الخطاب على اربعة آلاف من قراء اهل الشام (١٥) .

وفيما بعد ، تراهم - من كلا المعسكرين - يسعون جهدهم لمنع الاقتتال بين المسلمين في صفين ، فقد ظلوا يفتلون بين الجيشين المتحاربين طوال ثلاثة اشهر (١٦) . وحين رفع الشاميون المصاحف ، جاءت عصاة من القراء - على رأسهم مسعر بن فدكي التميمي ، وزيد بن حنظلة الطائي - الى علي طالبين الاستجابة لحكم القرآن ، ووصل بهم الامر الى تهديده بالقتل ان لم يستجب لمطلبهم (١٧) . ثم نجد القراء يتخذون خطوة اخرى في سبيل انتهاء القتال ، وذلك حين قعدوا بين المعسكرين وأخذوا يتدارسون كتاب الله . وفي آخر الامر يتفقون على الاحتكام الى القرآن (١٨) .

ولعل وجه الفراقة في الامر ، ان قراء اهل الشام لم يعترضوا سبيل معاوية،

-
- ١٢ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٦٥ .
 - ١٣ - البلاذري : انساب ، مخطوطة باريس ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ (نقلا عن مجلة المجمع العلمي العراقي ، ص ١٨ ، عدد ١٥/١٩٦٧) .
 - ١٤ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٢٩/٤ .
 - ١٥ - الطبري : تاريخ ، ٣٣١٢/٦ .
 - ١٦ - ابن مزاحم : وقعة صفين ، ص ١٩٠ . الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٦٩ .
 - ١٧ - الطبري : تاريخ ، ٣٣٦٠/٦ - ٣٣٦١ .
 - ١٨ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٩٢ .

ولم يتدخلوا في اختيار ممثله في الحكومة ، في حين نجد فريقا من قراء اهل العراق يفرضون على علي انتهاء الحرب اولا ، ويفرضون عليه ابا موسى الاشعري ممثلا له في الحكومة ثانيا (١٩) . وفي الوقت ذاته - تقريبا - نجد فريقا آخر من جماعة القراء ، يتقدمهم عبد الله بن وهب الراسبي ، يأتون عليا بعد قبوله مبدا التحكيم ، فيعترضون على ذلك ويطلبون منه استئناف القتال ضد معاوية (٢٠) . ولعل هذا يشير الى ان الامور لم تكن تسير على خير ما يرام في معسكر علي ، وان اناسا يضمرون العداوة لامير المؤمنين ، قد تجلبوا بجلابيب التقوى وتسللوا الى مكان الصدارة بين اصحابه ، صاروا يعملون على احراجه في المواقف الحاسمة المصرية (٢١) .

وهكذا ، نجد عصابة من القراء يطلبون وقف القتال ، ويصرون على الالتزام به تمهيدا لتحكيم القرآن ، بينما نجد عصابة اخرى منهم يطلبون الاستمرار في الحرب ويصرون على تحكيم السيف في رقاب خصومهم . ويزداد الامر اشتباها حين نجد قادة العصبتين على راس جماعة الخوارج في النهروان . فهل كانت العملية ادوارا موزعة ، وخططا موضوعة ، تشير الى براعة في التخطيط ومهارة في التنفيذ؟!

لقد استغرب برنوف Brunnow هذا التناقض بموقف جماعة القراء ، فأخذ يوزع اعمالها المتناقضة على جماعات مختلفة في معسكر علي (٢٢) . ولعله لم يلاحظ اجتماع زعماء هؤلاء الناس على حرب علي فيما بعد ، وان الجماعات المختلفة - ظاهرا - ربما كانت ترعاها وتحركها جماعة واحدة في الخفاء .

وأخيرا ، وبعد قبول علي بالحكومة وعودته من صفين ، خرج عليه الخوارج ونزلوا حروراء . وقد جعلتهم بعض المصادر من القراء (٢٣) ، في حين لا يصر الطبري ، ومثله ابن الجوزي على ذلك (٢٤) . وربما كانوا خليطا من القراء وغيرهم (٢٥) .

وبعد هذا التاريخ يقف نعتهم بهذا الاسم ، فقد اصبحوا في عداد حزب الخوارج الذين سنعرفهم فيما بعد . ولقد تناول بعض الباحثين الافرنج امر هؤلاء الناس ومدى علاقتهم بنشأة

-
- ١٩ - ابن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٤٩٩ . ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ١١٤/١ .
 - ٢٠ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ١١١/١ .
 - ٢١ - ابن عبد ربه : العقد ، ٣٤٧/٤ .
 - ٢٢ - فلهوزن : الخوارج والشيعية ، ص ١٥ .
 - ٢٣ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ١١١/١ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٧٩/٧ .
 - ٢٤ - الطبري : تاريخ ، ٣٣٤٩/٦ . ابن الجوزي : تلبس ابليس ، ص ٩١ .
 - ٢٥ - المسعودي : مروج ، ٢٧٥/٢ .

الخوارج . فنقل فلهوزن Wellhausen أنهم كانوا يغشون الجماهير ويؤثرون فيها ، حتى صارت لهم الكلمة العليا بين ثوار الكوفة ، ووقعت عليهم بذلك تهمة قتل عثمان . كما يرى أنهم كانوا في طليعة المحاربين في معارك اليمامة (٢٦) والجمل وصفين ، ثم يخلص الى القول : « فعلى المرء الاقرار بإمكان ان يكون هؤلاء هم التربة التي نبت فيها الخوارج » (٢٧) .

ربما كان ما يقوله فلهوزن Wellhausen صحيحا ، لو لم نجد اكبرهم من امثال ابن مسعود وصحبه يعتزلون الحرب قبل نشوبها (٢٨) ، كما نجد كثيرين آخرين يعودون الى راية علي بعدما تكتشفت اهداف زعمائهم يوم النهروان (٢٩) . ولكن ما يمكن الاقرار به وترجيحه ان قادة السبئية ، الذين كانوا يعملون لخروج الناس على علي في الوقت المناسب ، قد وجدوا - كما لاحظ فلهوزن Wellhausen - في هؤلاء المؤمنين البسطاء تربة خصبة لقبول آرائهم .

ويغالي خودا بخش Khuda Buhksh حين ينكر وجود احد من القراء بين الخوارج (٣٠) .

ويذهب اوليري O'Leary الى ان الخوارج قد ادعوا أنهم يمثلون طبقة المؤمنين الاولين ، ولكنهم في الحقيقة كانوا بأكثريتهم من عرب البلاد التي فتحها المسلمون ، فوالوا عليا اولاً ، ثم انقلبوا عليه (٣١) .

اما الكتاب العرب ، فقد قللوا من أهمية دورهم في نشأة الخوارج . فرأى احمد امين ان بعضهم انضم الى الخوارج بعد فشل حكومة الحكمين (٣٢) . بينما ينفي الدوري ان يكون الخوارج الاولون من القراء كما ظن البعض (٣٣) . ويلاحظ جواد علي ان الذين انضموا الى الخوارج منهم لم يكونوا من المهاجرين والانصار ، بل كانوا من عرب البصرة والكوفة بأغليبيتهم الساحقة (٣٤) .

ومهما اختلفت الآراء حول هذه القضية الدقيقة الغامضة ، فانه يمكن القول: ان هؤلاء الناس الذين اخذوا اسمهم من كثرة تعاطيهم بالقرآن وحفظه وتدريسه ،

٢٦ - اليمامة : احدى مقاطعات نجد ، فتحها خالد بن الوليد عنوة في سنة ١٢هـ / ٦٣٣م

(ياقوت : معجم البلدان) .

٢٧ - فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ٢١ - ٢٢ .

٢٨ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٦٥ .

٢٩ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢١٠ . الطبري : تاريخ ، ٦/ ٣٣٨ .

30 - Khuda Buhksh : Contrib. to the Hist. of Isl. Vol. II. p. 59.

31 - O'Leary : Arabic Thought, p. 59.

٣٢ - امين : فجر الاسلام ، ص ٢٥٦ .

٣٣ - الدوري : مقدمة في تاريخ الاسلام ، ص ٥٩ .

٣٤ - علي : مجلة الجمع العلمي العراقي ، ص ١٦ ، عدد ١٥/ ١٩٦٧ .

والذين لبسوا البرانس للدلالة على الصبغة الدينية التي يمثلونها في حياتهم العامة، لم يشكلوا كتلة سياسية او دينية خاصة بهم . ولكن في الوقت ذاته لا نستطيع ان ننكر . ان كثيرا من هؤلاء الناس قد انساقوا في تيار الثورة على عثمان ، وان آخرين منهم قد جرفتهم دعوة الخوارج في بدء امرها ، خصوصا وان بعض زعماء الخوارج يوم النهروان كانوا من اصحاب الراي فيهم .

ولكن بعد خروج الحرورية على علي ، وظهر هويتهم السياسية والفكرية ، لم يعد من الجائز القول بأن الخوارج كانوا من طبقة القراء . فقراء المهاجرين والانصار - كما سبق وعلمنا - اعتزلوا الاقتتال بين المسلمين قبل صفين (٢٥) ، كما ان قراء البصرة وغيرهم من القراء سيتولون بأنفسهم محاربة الخوارج فيما بعد (٢٦) . وفي اواخر العصر الاموي نجد ابا حمزة الخارجي يحمل بعنف على قراء المدينة ، وذلك حين يتهمهم بتضليل المسلمين وخذاعهم (٢٧) .

٢٥ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٦٥ .

٢٦ - المبرد : الكامل ، ٣/ ١١٢٧ . المصنف المجهول ، ص ٩٣ .

٢٧ - خ / ٣٦ (الديوان) .

الفصل الرابع

دور السبئية في نشأة الخوارج

لعل من المفيد ، قبل الحديث عن السبئية ودورها في اثارة الفتن في طول البلاد الاسلامية وعرضها ومن ثم عن علاقتها بنشأة الخوارج ، ان نعرض - بلمحة عابرة - تطور العلاقات بين اليهود والمسلمين بعد هجرة النبي محمد (ص) الى المدينة ، وما آل اليه المصير بينهما فيما بعد .

اليهود وزوالهم من الجزيرة العربية :

اليهودية احدى الديانات السماوية التي دخلت الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام . وقيل ان اليهود تمكنوا - قبل البعثة النبوية - من اقامة مستعمرات لهم في تيماء (١) ، وفدك (٢) ، وفي وادي القرى (٣) ، ويشرب وغيرها . وكان

-
- ١ - تيماء : بلد بين الشام ووادي القرى (ياقوت : معجم البلدان) .
 - ٢ - فدك : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان (ياقوت : معجم البلدان) .
 - ٣ - وادي القرى : واد بين المدينة والشام ، وهو من اعمال المدينة ، كثير القرى (ياقوت : معجم البلدان) .

يهود يثرب ثلاث قبائل هم : بنو قَيْنِقَاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة . كما كان قد تهود قوم من الأوس والخزرج ، وهما أشد القبائل العربية في تلك المدينة(٤) . ولكن يبدو ان انتشار اليهودية كان محدودا بين القبائل العربية . وربما كان مرد ذلك الى ان اليهود انفسهم لم يكونوا يرغبون في ادخال الناس في دينهم ، الا اذا توافرت فيهم جميع شروط التوراة والتلمود وكانوا على استعداد للخضوع الى تلك النظم المعقدة . ولما كانت العقائد اليهودية تفرض طقوسا لا تتفق وفترة العرب - الذين كانوا يميلون للبساطة والانطلاق - فانهم لم يندفعوا الى اعتناق اليهودية على نطاق واسع (٥) .

اما علاقة اليهود بالأوس والخزرج فلم تكن - دوما - على خير ما يرام ، فكثيرا ما كانت تعتورها الخصومات والمناوشات . ولكي يتمكن اليهود من إحكام سيطرتهم وفرض نفوذهم في يثرب ، كانوا يتفننون في الدس والوقيعة بين القبيلتين المتجاورتين ، فوَقعت بينهما الوقائع الكثيرة في أواخر العصر الجاهلي (٦) .

وكانت اليهودية - من قبل - قد اخذت موطئ قدم لها في اليمن ، فيقول ابن قتيبة : «وكانت اليهودية في حمير ، وبنو كنانة وبنو الحارث ابن كعب ، وكندة» (٧) .

هؤلاء اليهود الذين يصفون انفسهم بأنهم شعب الله المختار ، ويعتقدون انهم ابناء الله واحبائه ، اخذوا - قبيل البعثة النبوية بقليل - يشيرون الناس باقتراب ظهور نبي جديد . كما كانوا يستنصرون على مشركي الجاهلية بنبي آخر الزمان ، ويتوعدونهم به والاستظهار عليهم بنصرته (٨) .

ويذكر ولفنسون Welverson ان اليهود اشاعوا بين العرب ان المسيح المنتظر الذي سيأتي لنصرة شعب الله المختار على اعدائه قد قرب امره(٩) . وهكذا فقد هياوا الناس في يثرب وجوارها الى ترقب نبي جديد .

ثم جاء ظهور النبي محمد (ص) مخيبا لآمالهم ، مخالفا لتوقعاتهم . فهم يعتقدون ان النبوة مقصورة عليهم وانها لا تكون الا في بني اسرائيل . وراوا ان ظهور رجل ليس منهم يدعو الى الوجدانية ، انما هو ظاهرة غريبة في تاريخ

٤ - اليعقوبي : تاريخ ، ٢٥٧/١ .

٥ - ولفنسون : تاريخ اليهود ، ص ٧٢ - ٧٣ .

٦ - ابن هشام : سيرة ، ٥٥٥/١ . ابن الاثير : الكامل ، ٦٨٠/١ .

٧ - ابن قتيبة : المعارف ، ص ٦٢١ .

٨ - ابن هشام : سيرة ، ٢١١/١ .

٩ - ولفنسون : تاريخ اليهود ، ص ١٠٢ .

البشر (١٠) . فطمعوا في تحويله الى دينهم ، ودعوه لان يتهود (١١) . فلما لم يفلحوا في ذلك ، اخذوا يشككون برسالة الاسلام وبصدق صاحبها (١٢) . ولكن الامور سارت الى عكس ما يشتهون ، اذ سرعان ما انتشر الدين الجديد في يثرب ، وتلت ذلك هجرة الرسول الى جوارهم . فلم يأنسوا بهذا الجوار وتطيروا بقدمه . ثم بدأت المشاحنات بينهم وبينه ، واخذت متاعبه تزداد معهم يوما بعد آخر ، اذ كانوا يرون في كل نجاح يحققه خسرانا لهم ، خصوصا انهم كانوا قد استطاعوا - قبيل البعثة - ان يصحوا على قدم المساواة مع قبيلة الأوس وغيرها من القبائل الاخرى (١٣) . فأروا بنجاحه في يثرب تهديدا لمركزهم الديني والسياسي والاقتصادي .

ولكي يطمئنهم ويبعد عنهم هواجسهم ، فقد عقد النبي (ص) معهم عهدا وأمانا ، شريطة ألا يظهروا عليه عدوا . ولكن يبدو ان عوامل الشك والريبة عندهم كانت اقوى من العهود والمواثيق ، فصاروا كلما حقق نصرا يزدادون له كيدا . فبعد انتصاره في بدر اظهروا له الحسد ونقضوا العهد معه . ففزا يهود بني قينقاع في السنة الثانية للهجرة / ٦٢٣ م ، وأجلاهم عن المدينة (١٤) فهجروها ونزلوا أذرعات في شمال الحجاز (١٥) .

وفي السنة الرابعة للهجرة / ٦٢٥ م دبّر يهود بني النضير مؤامرة لاغتيال الرسول (ص) ، وذلك بالقاء صخرة عليه . ولكنه نجا قبل تنفيذها (١٦) . فخرج اليهم وأجلاهم عن مواقعهم . فلجأوا الى خيبر ، ومنهم من سار الى بلاد الشام (١٧) .

ولم يبق من يهود يثرب بعد حرب الرسول لهم الا بنو قريظة ، الذين كانوا قد عقدوا معاهدة سلام معه . ولكن لم يمض وقت طويل حتى نقضوا ذلك العهد، وذلك حين البوا قريشا على مهاجمة محمد في المدينة ، وعاهدوهم على مشاركتهم في مقاتلته يوم غزوة الخندق . فثار المسلمون منهم في غزوة بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة / ٦٢٦ م (١٨) .

بعد هذه الحروب المتواصلة بين الرسول واليهود ، ادرك النبي محمد (ص)

-
- ١٠ - ولفنسون : تاريخ اليهود ، ص ١١١ .
 - ١١ - ابن هشام : سيرة ، ٥٤٩/١ .
 - ١٢ - ابن هشام : سيرة ، ٥٤٤/١ .
 - ١٣ - بروكلمن : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٤٣ .
 - ١٤ - ابن هشام : سيرة ، ٤٧/٢ .
 - ١٥ - المقرئبي : امتاع الاسماع ، ١٠٥/١ .
 - ١٦ - ابن هشام : سيرة ، ٥٦٣/١ .
 - ١٧ - ابن هشام : سيرة ، ١٩٠/٢ . الطبري : تاريخ ، ٢٢٤/٢ - ٢٢٥ .
 - ١٨ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٥/٢ ، ٢١٤ .

استحالة التفاهم معهم ، لانهم لا يحفظون للمواثيق عهدا ، ثم جاءت الآيات القرآنية لتكشف خبيثة اليهود تجاه الاسلام والمسلمين ، فكان من أشدها قوله تعالى : «لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا» (١٩) .
وبذلك تأبدت العداوة بينهما ، فعزم النبي (ص) على كسر شوكتهم وانهاء وجودهم في ارض الحجاز . ففزاهم المسلمون في آخر معاقلمهم في خيبر ، وفتحت حصونهم في السنة السابعة للهجرة / ٦٢٨ م . فهجروها وزحلوا عنها الى البلاد المجاورة (٢٠) .

وبعد هزيمتهم المنكرة في خيبر ، لم يبق لهم أمل في البقاء في ارض الحجاز . فقصد فريق منهم بلاد الشام ، وأسلم بعضهم فحسن إسلامهم ، وكان من هؤلاء عبد الله بن سلام ومخبريق ، وهما من أحبار اليهود (٢١) . كما ان بعضهم الآخر اظهروا الاسلام وأبطنوا العداوة والكيد له (٢٢) .

وقد رأى ولفنسون ان غزوة خيبر قضت قضاء تاما على قوة اليهود السياسية والاقتصادية والدينية في جزيرة العرب (٢٣) . غير ان ابن هشام يخبرنا بأن اليهودية لم تمت في الجزيرة العربية حينذاك ، وانها عادت فاشرابت ثانية بعد وفاة الرسول (ص) . ولكن ما كان لها ان تنجح ، وقد تسلم زمام الامر ابو بكر الصديق الذي حسم امر اهل الردة بسرعة متناهية .

ومما هو جدير بالذكر ان بعض الروايات تجعل لعلي دورا ظاهرا في الهزائم التي مني بها اليهود ، خصوصا عند فتح حصون خيبر (٢٥) .
وفي عهد عمر بن الخطاب تم اجلاء اليهود نهائيا عن سائر ارض الجزيرة العربية ، وذلك انفاذا لما نقل عن الرسول (ص) في وجعه الاخير ، من انه لا يجتمعن في الجزيرة دنان . فلما فحص عمر عن ذلك ، وبلغه الثبوت ، انفذ لليهود عهدهم وأجلاهم عنها (٢٦) .
بعد وفاة الرسول (ص) تولى ابو بكر امامة المسلمين ، وتلاه عمر بن الخطاب.

١٩ - المائدة ٨٢ . هناك آيات كثيرة في القرآن تناولت موقف اليهود من الاسلام والمسلمين .
راجع كتاب «اليهود في القرآن» لمحمد عزت دروزة .

٢٠ - ابن هشام : سيرة ، ٢٢٨/٢ . ابن الاثير : الكامل ، ٢١٦/٢ .

٢١ - ابن هشام : سيرة ، ٥١٦/١ ، ٥١٨ ، ١٩٢/٢ . صحيح البخاري : شرح ابن حجر ،

٢٧٧/٨ .

٢٢ - ابن هشام : سيرة ، ١٧٤/٢ - ١٧٥ (ط. دار احياء التراث العربي - بيروت) .

٢٣ - ولفنسون : تاريخ اليهود ، ص ١٧٥ .

٢٤ - ابن هشام : سيرة ، ١٦٥/٢ .

٢٥ - ابن هشام : سيرة ، ٢٢٤/٢ ، ٢٢٤ - ٢٣٥ .

٢٦ - ابن هشام : سيرة ، ٢٥٣/٢ ، ٣٥٧ . الطبري : تاريخ ، ٢٤٥/٢ .

وكان الإسلام - حينذاك - في أوج ازدهاره ، فلم يكن هناك مجال - في ظل هذين الخليفتين - لبروز معارضة فعالة ، إذ كان لموقف ابي بكر الحاسم من اهل الردة ، ولشخصية عمر النافذة ، ما حال دون السماح لذوي الاهواء أن يلعبوا دورا خطيرا ، أو أن ينفذوا الى تحقيق ما يطمعون في نفوسهم بقلب الحرص على الاسلام والدفاع عن حقوق المسلمين .

ثم تسنّم عثمان سدة الخلافة في اواخر ٢٣ هـ / اواخر ٦٤٤ م ، وكانت شخصية عمر الفاروق ما تزال ماثلة في اذهان الناس . وهو الذي رشح عثمان ليكون من اهل الشورى الذين توفي عنهم الرسول وهو راض (٢٧) . والامام الجديد لم يكن نكرة بين الصحابة ، فهو من المقدمين فيهم ، وله ايداء بيضاء في نصرة الاسلام وتجهيز عساكره . فقد كان اول من هاجر الى الحبشة (٢٨) ، كما كان من المهاجرين الى المدينة . وعثمان هو الذي اشترى بئر رومة من اليهود في المدينة ، وتصدق به على المسلمين يوم كانوا يشكون الحرمان والظماً (٢٩) . كما انه هو الذي جهز جيش العسرة بزهاء الف بعير وخمسين فرسا (٣٠) . ولا ننسى ايضا ان عثمان كان لصيقا بالرسول ، فقد صاهره باثنتين من بناته ، فلقب بلذي النورين (٣١) ، وانه كان سفيره الى قريش يوم الحديبية (٣٢) . اما عثمان الانسان فقد وصف بالحياء ولين العريكة وكثرة الاحسان وشدة التقوى (٣٣) .

ويكاد يجمع المؤرخون على ان سياسة عثمان الادارية لعبت اخطر دور في تهيئة اجواء الثورة عليه ، اذ لم يعحسن اختيار بعض ولائه وعماله . فبدلا من ان يكونوا عيونا له في الامصار ، فقد حجبوا الرؤية عنه في كثير من الحالات . فساءت الامور وتعمقت . وكان عثمان قد بدأ عهد خلافته باستبدال الولاة ، فعزل المغيرة بن شعبه عن الكوفة وولّى مكانه سعد بن ابي وقاص ، بينما اقر ابا موسى الاشعري على البصرة (٣٤) . فجاء اختياره هذا موضع قبول ورضى . فسعد هو فاتح العراق وبطل القادسية ، وابو موسى كان من المقدمين في الصحابة ، وكان عمر قد ولاه من قبل .

ولكن بعد مرور سنة من الزمن ، عاد عثمان فعزل سعدا عن الكوفة وولاها

-
- ٢٧ - البلاذري : انساب ، ١٦/٥ .
 ٢٨ - ابن هشام : سيرة ، ٢٢٢/١ .
 ٢٩ - ابن قتيبة : المعارف ، ص ١٩٢ . البلاذري : انساب ، ٥/٥ .
 ٣٠ - ابن قتيبة : المعارف ، ص ١٩٢ . البلاذري : انساب ، ٦/٥ .
 ٣١ - الباقلائي : التمديد ، ص ٢٠٢ . والبنتان هما : رقية ، وام كلثوم .
 ٣٢ - ابن هشام : سيرة ، ٣١٥/٢ .
 ٣٣ - ابن حجر : الاصابة ، ٢٢٣/٤ .
 ٣٤ - الطبري : تاريخ ، ٢٨٠١/٥ - ٢٨٠٢ . ابن الاثير : الكامل ، ٧٩/٣ .

الوليد بن عقبة بن ابي مُعَيْط ، وكان اخا عثمان لأمه . وفي ٢٧ هـ / ٦٤٧ م عزل عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل عليه عبد الله بن سعد بن ابي سرح ، وكان اخاه في الرضاة . وبعد مرور سنتين على عزله لعمرو بن العاص ، استبدل ابا موسى الاشعري ، فولّى مكانه على البصرة عبد الله بن عامر بن كرز ، وهو ابن خال عثمان (٢٥) .

لم يرض الكوفيون والبصريون بولاية عثمان الجدد عليهم ، فكانوا يكثرون من التشكي لسوء معاملتهم لهم . ولكن من الصعب تقبل هذه الشكاوى على علائها ، فقد رأى بعض الباحثين ان العراق قبل الفتح الاسلامي وبعده كانت مركزا للفتن ومنطلقا للتمرد والثورة (٢٦) . فهذا عمر بن الخطاب الذي شهر بشدة حرصه وتحريه الزائد في اختيار عماله ومراقبتهم ، لم يستطع ان يرضي اهل العراق او ان يقلل من ماخذهم على ولايتهم . فلم يجد العراقيون عمّار بن ياسر اهلا للامارة ، فكتبوا الى عمر بشأنه ، فقالوا : «انه ليس بأمر ولا يحتمل ما هو فيه» (٢٧) . وها هم يتهمون سعد بن ابي وقاص بأنه لا يحسن الصلاة (٢٨) . ولم يسلم من رشاش اتهامهم ابو موسى الاشعري الذي يزعمون انه تاجر بأقواتهم (٢٩) . وقد تضايق عمر من كثرة تمللمهم ، حتى قال يوما وهو مهموم : «واي نائب أعظم من مائة الف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير» (٤٠) .

اما في مصر ، فان تولية ابن ابي سرح اثارت حفيظة عمرو بن العاص ، فعاد الى عثمان مغضبا (٤١) . وعلى الرغم من ان والي مصر الجديد حقق فتوحات مهمة في افريقية ، فانه بعد مكوثه سنين على خراج مصر جاء بعض اهله الى عثمان يشكون اميرهم ويتظلمون منه (٤٢) .

ولم تكن سياسة الولاة والعمال هي كل ما اخذ على عثمان ، فقد اخذ الناس عليه سماحه لعمه الحكم بن ابي العاص بالعودة الى المدينة ، بعد ان كان طرده الرسول الى الطائف . فعلل ذلك بأنه كان كلّم النبي قبل موته ، فوعده بالسماح له بالعودة ، ثم مات قبل ان يحقق ذلك (٤٣) .

٣٥ - البلاذري : انساب ، ٢٩/٥ . الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٣٩ . ابن الاثير :

الكامل ، ٨٨/٣ ، ٩٩ .

٣٦ - الخربوطي : تاريخ العراق ، ص ٢٤ .

٣٧ - الطبري : تاريخ ، ٢٦٧٦/٥ .

٣٨ - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٨٧ .

٣٩ - الطبري : تاريخ ، ٢٦٧٨/٥ .

٤٠ - الطبري : تاريخ ، ٢٦٧٩/٥ .

٤١ - الطبري : تاريخ ، ٢٨١٧/٥ .

٤٢ - البلاذري : انساب ، ٢٦/٥ .

٤٣ - البلاذري : انساب ، ٢٧/٥ .

ولكن يبدو ان عثمان الذي شهر باللين والحياء ، والذي بلغ من الكبر عتياً ، قد ضعف امام اقرابه من بني أمية ، ولم يستطع مقاومة نفوذهم عليه ، فأخذوا يفرضون عليه تعيين هذا وذلك . فأغضب هذا السلوك عددا من اكابر الصحابة كعبد الله بن مسعود ، وأبي ذر الغفاري ، وعمّار بن ياسر ، وسواهم . ففضبت لفضيهم هذيل ، وبنو زهرة ، وبنو غفار واحلافها ، كما حنقت بنو مخزوم لعمار بن ياسر (٤٤) .

وقد حمل الشهرستاني بني أمية مسؤولية ما وقع من أحداث في اواخر عهد عثمان ، فقال : «وجاروا فجير عليه ، ووقعت في عهده أحداث كلها محالة على بني أمية» (٤٥) . ولم يقتصر دور بعض اقرابه من بني أمية على فرض ارادتهم في أمور الخلافة ، بل زادوا الامر سوءا ، حين لم يسمحوا لعثمان بالاصفاء لنصح الناصحين (٤٦) . وما كان هذا ليقع لولا ضعفه امام اقرابه ، وان سنه التي جاوزت الثمانين عاما لم تعد تمكنه من مواجهتهم وردعهم (٤٧) .

ومهما قيل بشأن الثورة على عثمان وأسبابها ، وما اخذ عليه ، فانه من الصعب ردها لسياسة عثمان الادارية فحسب ، اذ تداخلت فيها عصبية قبلية اقليمية ، وعوامل اقتصادية اجتماعية ، وأمور دينية اجتهادية (٤٨) . هذه الاسباب مجتمعة هيأت أجواء الثورة ، واخصبت التربة لمن كان ينتظر مثل هذه السانحة ، ليعمل على تحقيق ما يصبو اليه من بث روح الشقاق بين المسلمين . في هذه الحقبة الحاسمة من تاريخ الاسلام ، وفي هذه الاجواء المثيرة تبرز السبئية لتلعب دور لها في تاريخ صدر الاسلام . فمن هو صاحبها ؟ وما

٤٤ - البلاذري : انساب ، ٢٦/٥ .

٤٥ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ٢٤/١ .

٤٦ - الصالح : النظم الاسلامية ، ص ٩٢ .

٤٧ - الطبري : تاريخ ، ٢٩٣٩/٦ . ابن الاثير : الكامل ، ١٧٩/٣ .

٤٨ - لمعرفة ماخذ الثائرين على عثمان والمعارضين له والرد عليها راجع : الباقلائي : التمهيد ،

ص ٢٢٠ وما بعدها . وعلى الرغم مما وقع في اواخر عهد عثمان من أحداث جسيمة اثرت على مجرى التاريخ الاسلامي ، فان لهده وجها مشرقا آخر ، حافلا بالاستقرار والانتصار . فقد ذكر البلاذري : «ان عثمان عاش اثنتي عشرة سنة اميرا ، فمكث ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئا ، وانه لاحب الى قريش من عمر ، لشدة عمر ولين عثمان» انساب ، ٢٥/٥ . ويقول الشهرستاني في ذلك : «وانفقوا كلهم على بيعة عثمان رضي الله عنه ، وانتظم الامر ، واستقرت الدعوة في زمانه ، وكثرت الفتوح وامتلا بيت المال ، وعاشر الخلق بأحسن خلق ، وعاملهم بأبسط يد» الملل والنحل ، ٢٤/١ . ويقول الطبري ان عثمان كان قسم ماله وأرضه في بني أمية (تاريخ ، ٢٩٥٤/٦) فاتهمه معارضوه بتوزيع مال المسلمين بين اقرابه . اما الفتوحات في عهده فقد شملت افريقية وفارس ، كما فتحت ارمينية وغيرها (البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٠٥ وما بعدها) .

هي الادوار التي لعبتها هذه الجمعية السرية في تأجيج الخلاف بين المسلمين ؟
وما علاقتها بنشأة الخوارج ؟

السبئية بين الاسطورة والواقع :

يكاد يتفق المؤرخون ورواة الاخبار على الدور الخطير الذي قام به ابن سبأ واتباعه في نشأة الفرق الاسلامية . وعلى الرغم من هذا الاجماع ، فان بعض الباحثين المحدثين الذين تناولوا حكاية ابن سبأ ، كانوا بين منكر لوجوده فيقمصه شخصية عمار بن ياسر كعلي الوردي (٤٩) ، وبين من يجعله اسطورة اقرب الى الخيال منه الى الواقع كمرتضى العسكري (٥٠) ، وعبد الله الفياض (٥١) ، وبين مشكك بدوره او مقلل من شأنه - ان وجد - كطه حسين (٥٢) . اما فلهوزن فقد كان اكثر حيطة ، فلم ينف وجوده ، ولم يقطع المناقشة في الصلة بين السبئية والخوارج .

ويلاحظ ان منكري شخصية ابن سبأ ، انما يرمون الى نسف اخبار السبئية، قطعاً لما زعم عن صلة بينها وبين التشيع ، وردا على المؤرخين الذين يزعمون ان اصل التشيع مأخوذ من اليهودية . وقد ركز هؤلاء المنكرون على تضعيف المصادر التي جاءت بأخبار السبئية . فكان اعتماد العسكري في انكار شخصية ابن سبأ ووجوده ، انطلاقاً من استنتاجه ان الرواة والمؤرخين الذين جاؤوا بأخباره انما كانوا نقله عن الطبري، الذي بدوره اعتمد رواية سيف بن عمر التميمي (ت ١٨٠هـ/ ٧٩٦ م) ، وان هذا التميمي ليس بثقة في نقل الاخبار . كما لوحظ انه بدأ من مسلمات قبلية في ذهنه ، ثم حاول دعمها بالمصادر الكثيرة التي اعتمدها لاثبات وجهة نظره .

وطه حسين الذي يقول : «ان ابن السوداء لم يكن الا وهما ، وان وجد فلم يكن ذا خطر» (٥٣) ، يبدي رأيه هذا بعد ان يلاحظ عدم ظهوره مع اصحابه في حرب صفين (٥٤) ، وبعد ان لاحظ ان بعض المصادر المهمة كابن سعد في طبقاته، والبلاذري في انسابه لم يأتيا على ذكره (٥٥) .

٤٩ - الوردي : وعاظ السلاطين ، ص ١٥١ ، ٢٧٤ .

٥٠ - العسكري : عبد الله بن سبأ ، ص ٢٨ وما بعدها .

٥١ - الفياض : تاريخ الامامية ، ص ٩٥ .

٥٢ - حسين : الفتنة الكبرى ، ١٣٢/١ .

٥٣ - حسين : الفتنة الكبرى ، ٩١/٢ .

٥٤ - حسين : الفتنة الكبرى ، ٩٠/٢ .

٥٥ - حسين : الفتنة الكبرى ، ١٣٢/١ .

اما لجهة ضعف رواية سيف التميمي (ت ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م) التي اعتمدها الطبري ، وانه غير ثقة عند اصحاب الحديث ، فليس كافيا لنسف روايته وجعلها من نسج الخيال واخبار الاساطير . فاذا كان بعض المحدثين قد ضعفوه وجرّحوه واتهموه بالزندقة ، فان آخرين قد امتدحوه (٥٦) . هذا مع العلم ان ابا مخنف (لوط بن يحيى) (ت ١٥٧ هـ / ٧٧٣ م) راوية الطبري الآخر كان موضع اتهام رواية الحديث ايضا ، حتى قيل فيه : «اخباري تالف لا يوثق به ، وهو من الضعفاء» . واتهمه ابن حنبل والشافعي والنسائي بالكذب (٥٧) . ولعل رواية الواقدي (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) كانت اكثر انحرافا عن الصدق في امر الفتنة ، فقد لاحظ الطبري ان الواقدي كان يتعمد التشنيع على عثمان ، فتورع عن نقل كثير من اخباره لبشاعتها (٥٨) . كما اجمع الرواة على انه من الضعفاء الكذابين (٥٩) . وهكذا ترانا مضطرين الى قبول اخبار هؤلاء الضعفاء بعد تمحيصها ، لانهم هم اول من كتب عن الفتنة وافرد لها بالتصنيف (٦٠) .

ويرى يوسف العش ان تهمة سيف التميمي بالزندقة لا تثبت امام موقفه من رجال السلف واحترامه للصحابة وتبرئتهم من فتنة عثمان . ثم يرى ان روايته اقرب الى الصدق من سواها ، ويضمها الى الروايات الصحيحة ، لان المنهج التاريخي يقبلها لكونها لا تخالف ما صح من الاخبار ، وفي الوقت نفسه تكشف الايدي الخفية التي كانت تحرك الفتنة وتخطط لها (٦١) .

كما يلاحظ ان سيفاً قد اخذ عن اشخاص عاشوا في اواخر القرن الهجري الاول / اوائل القرن السابع الميلادي ، الذين كانوا بدورهم على اتصال بأشخاص لهم صلة مباشرة بحوادث الفتنة وابعادها .

يضاف الى ذلك ان قبيلة سيف (بني تميم) وزعيمها الاحنف بن قيس كانوا قد اعتزلوا الفريقين المتنازعين . فكانوا بذلك اكثر تجردا واصدق رواية ، لكونهم لم ينغمسوا بتلك الاحداث ، فتهياً لهم بذلك الاتصال بجميع الاطراف المتخاصمة . ويخلص العش الى القول : «فلا عجب بعد ذلك ان يكون سيف قد اطلع على حوادث الفتنة بالتفصيل والصحة من قبيلته واهله» (٦٢) .

ويمكننا ان نضيف الى ما تقدم ، انه ليس هناك من دليل قاطع على ان

-
- ٥٦ - ابن حجر : تهذيب ، ٢٩٥/٤ - ٢٩٦ .
 - ٥٧ - ابن حجر : لسان الميزان ، ٤٩٢/٤ .
 - ٥٨ - الطبري : تاريخ ، ٣٩١/٣ .
 - ٥٩ - ابن حجر : تهذيبه ، ٣٦٤/٩ .
 - ٦٠ - ابن النديم : الفهرست ، ٩٣ - ٩٤ .
 - ٦١ - العش : الدولة الاموية ، ص ٥٨ - ٥٩ .
 - ٦٢ - العش : الدولة الاموية ، ص ٦٨ - ٦٩ ، ٨٩ - ٩٠ .

سيفا هو الراوية الوحيد لآخبار ابن سبأ والسبئية ، وان من بين من جاؤوا بخبره كانوا من الشيعة انفسهم ، كما سيظهر لنا بعد قليل .
والامر الآخر الذي يجعلنا نميل الى قبول اخبار السبئية ، هو ان العلماء والمؤرخين والزواة القدامى - على اختلاف مذاهبهم وميولهم - لم يبد عليهم أدنى شك بتلك الاخبار . فكيف لنا ان ننكر او نشك ، وليس لنا من دعائم الشك الا الشك ذاته ؟! (٦٢) .

ويبدو ان طه حسين - في حديثه عن الفتنة الكبرى - ظل حائرا في امر السبئية ، فاذا كان قد عد ابن سبأ وهما في بعض مراحل بحثه ، فانه في موقع آخر يخفف من اصراره على انكار دور ابن سبأ ، وذلك حين يقول : «واكبر الظن ان عبد الله بن سبأ هذا - ان كان ما يروى عنه صحيحا - انما قال ما قال ودعا ما دعا اليه بعد ان كانت الفتنة وعظم الخلاف ، فهو قد استغل الفتنة ولم يشرها » (٦٤) .

ثم ان القول بأن الطبري (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) هو اول من جاء على ذكر ابن سبأ زعم تخالفه روايات اخرى لرواة تقدموه قليلا او عاصروه . فقد ذكر النسابة ابن حبيب الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) في كتابه «المحبر» ان عبد الله بن سبأ هو صاحب السبئية (٦٥) . وهذا يخالف اعتقاد جواد علي ان رواية الجاحظ هي اقدم ما وصل الينا عن ابن السوداء (٦٦) .

٦٣ - وطه حسين الذي شكك بأخبار ابن سبأ ، بحجة ان بعض المصادر كابن سعد والبلاذري لم يأتيا على ذكره في امر الفتنة ، هو نفسه نقل عن البلاذري انه اتى على ذكر ابن سبأ والسبئية مع علي في امر ليس بذي خطر ، وذلك حين جاء عليا مع بعض اصحابه ليسألوه عن ابي بكر ، فزجرهم وردهم ولامهم . ولكن يبدو ان البلاذري جاء على ذكر ابن سبأ في امر ذي خطر ، اورده طه حسين ايضا . فقد ذكر ان عليا كتب كتابا حول ما صارت اليه الامور بعد خذلان اهل العراق له ، وطلب الي بعض اصحابه ان يقرأوا هذا الكتاب على الناس لينتفعوا به ، ويضيف طه حسين - نقلا عن البلاذري - قائلا : «وكانت عند ابن سبأ منه نسخة حرّفها» (الفتنة الكبرى ، ٢/٩١) . فكيف يكون تحريف كتاب امير المؤمنين وتزوير ارادته في تلك الظروف العصبية امرا ليس بذي خطر ؟. ثم ان ابن سعد في طبقاته اتى على ذكر السبئية ، وانهم كان في امر عثمان وعلي ، ولكنه صمت عن تفصيل دورهم في تلك الاحداث الجسيمة (الطبقات ، ٦/١٩٢ طه . لبنان) . وروى ابن سعد ايضا ، انه قيل للحسن بن علي : «ان ناسا من شيعة ابي الحسن يزعمون ان عليا يرجع قبل يوم القيامة ، فقال : كذبوا ، ليس اولئك شيعة ، اولئك اعداؤه ، لو علمنا ذلك ما قسمنا ميراثه ولا اتكحنا نساءه» (الطبقات ، ٣/٣٩) .

٦٤ - حسين : الفتنة الكبرى ، ١/١٣٤ .

٦٥ - ابن حبيب : المحبر ، ص ٣٠٨ .

٦٦ - علي : مجلة المجمع العلمي العراقي ، ٦/٥٩ ، ص ٦٧ .

وهناك رواية اخرى جاء بها الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) في كتاب العصا، يذكر فيها ان ابن السوداء هو ابن حرب (٦٧) .
وهذا ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) يأتي بخبره ، ويذكر ان عليا احرق اصحابه بالنار (٦٨) .

وكذلك الناشيء الاكبر (ت ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م) يقول في حديثه عن الفسرق الاسلامية : «فرقة زعموا ان عليا حي لم يموت ، وانه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه . وهؤلاء هم السبئية اصحاب عبد الله بن سبأ . وكان عبد الله بن سبأ يهوديا من اهل صنعاء ، اسلم على يد علي وسكن المدائن (٦٩) . وروي عن عبد الله ابن سبأ انه قال للذي اتى بنمي علي الى المدائن : والله لو اتيتنا بدماعه في سبعين صرة ما صدقتك ، لعلمنا انه حي لم يموت . . . وقالوا : ان الله رفعه كما رفع المسيح » (٧٠) .

ثم نواجه رواية الشيعة ، الذين لا يبدو عليهم ادنى شك بشخصية ابن سبأ ، ولا بما حدثه في الاسلام . فقد ذكر الاشعري القمي الشيعي (ت ٣٠١ هـ / ٩١٣ م) خبر عبد الله بن سبأ ، فقال : «وكان اول من اظهر الطعن على ابي بكر وعمر وعثمان والصحابة ، وتبرأ منهم ، وادعى ان عليا عليه السلام امره بذلك ، وان التقية لا تجوز ، فأخذه علي فسأله عن ذلك فأقر به وأمر بقتله ، فصاح الناس اليه من كل ناحية : يا امير المؤمنين اتقتل رجلا يدعو الى حاكم اهل البيت والى ولايتك والبراءة من اعدائك ، فسيره علي الى المدائن» (٧١) . ويضيف القمي في خبره عن ابن سبأ ، فيقول : «وحكى جماعة من اهل العلم : ان عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا ، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون (٧٢) وصي موسى بهذه المقالة ، فقال في اسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه في علي بمثل ذلك ، وهو اول من شهد بالقول بفرض امامة علي بن ابي طالب ، وأظهر البراءة من اعدائه وكاشف مخالفه واكفرهم ، فمن ها هنا قال من خالف الشيعة ان اصل الرفض مأخوذ من اليهودية» (٧٢) .

ووصف النوبختي الشيعي (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ابن سبأ بأنه اول من بدأ

٦٧ - الجاحظ : البيان ، ٤٦/٣ .

٦٨ - ابن قتيبة : المعارف ، ص ٦٢٢ .

٦٩ - المدائن : مجموعة من المدن المتقاربة بناها اكاسرة الفرس بين دجلة والفرات . فتحها

سعد بن ابي وقاص ١٦ هـ / ٦٢٧ م (ياقوت : معجم البلدان ، ٧٤/٥) .

٧٠ - الناشيء الاكبر : مسائل الامامة ، ص ٢٢ .

٧١ - القمي : المقالات والفرق ، ص ٢٠ .

٧٢ - يوشع بن نون : هو احد النقباء الذين ارسلهم موسى الى فلسطين ، وهو ابن عمه

(القزويني : آثار البلاد ، ص ١٤٣) .

٧٣ - القمي : المقالات والفرق ، ص ٢٠ .

الفلو في الأئمة العلويين (٧٤) .

وقد وقمنا على رواية أخرى تستحق الاهتمام اوردها احد رجال الشيعة ، وهو الكشي (ت ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م) . وأهمية هذه الرواية انه يردّها الى ابي جعفر عليه السلام (الامام محمد الباقر) ويقول فيها : «ان عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ، ويزعم ان امير المؤمنين عليه السلام هو الله تعالى ... فبلغ ذلك امير المؤمنين عليا عليه السلام ، فدعاه وسأله ، فأقر بذلك وقال : نعم أنت هو وقد كان ألقى في روعي انك أنت الله واني نبي ... فاستتابه ثلاثة ايام ، فلم يتب فأحرقه بالنار» (٧٥) .

ولدى التحقق من اسمه ونسبه نكاد نجد اتفاقا عاما على ان ابن سبأ هو «عبد الله بن سبأ» ، وانه كان يلقب «ابن السوداء» . كما جعلوه من يهود اليمن قبل ان يشهر اسلامه . ولم يشذ عن ذلك الا ابن كثير الذي يقول : «ابن السوداء كان أصله روميا» (٧٦) .

٧٤ - التوبختي : فرق الشيعة ، ص ١٩ .

٧٥ - الكشي : رجال الكشي ، ص ٩٨ - ٩٩ .

وبعد ذلك تواترت أخبار ابن سبأ عند الاخباريين والرواة ، فذكره البغدادي (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٢٧ م) الذي يقول في أصحابه : «ولما احرق علي قوما منهم قالوا له : علمنا انه اله ، لان النار لا يذب بها الا الله» . (البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ١٢٣) .
وأورد اسمه الطوسي الشيعي (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) في باب اسماء من روي عن امير المؤمنين على بن ابي طالب ، ثم يخبرنا انه عاد الى الكفر بعد ان اظهر الفلو . (الطوسي : رجال الطوسي ، ص ٥١) .

ويقول نشوان الحميري (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) : «وقالت السبئية ان عليا حي لم يموت ولا يموت حتى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ، ويرد جميع الناس على دين واحد قبل يسوم القيامة» . (الحميري : الحور العين ، ص ١٥٤) .

اما صاحب شرح النهج ابن ابي الحديد (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) فيأتي على ذكره وينقل بعض ما احده في الاسلام ، ثم يخبرنا ان الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية أملى رسالة رد فيها على مزاعم السبئية . (ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٢٠/٨ ، ٥/٧ ، ٧/٥) .

والمقرئبي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) في خطه ، يضيف الى ما تقدم ان ابن سبأ زعم ان عليا في السحاب ، وان الرعد صوته والبرق سوطه . كما يشير الى انه هو الذي اثار فتنة عثمان حتى قتل ، وكان له أتباع في مختلف الامصار الاسلامية . (المقرئبي : خطط ، ص ١٧٥ ، ١٨٢) .
وينقل ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) عن ابن عساكر انه كان يهوديا اظهر الاسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل الشر بينهم . (ابن حجر : لسان الميزان ، ٢٨٩/٢) .

٧٦ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٧٣/٧ .

ويبدو ان «سبأ» ليس اسما لأبيه ، وانما نسب لشعب سبأ اليمني . فقد جعله المقرئزي «عبد الله بن وهب بن سبأ» (٧٧) .

وينقل طه حسين عن البلاذري ان ابن سبأ هو «عبد الله بن وهب الهمداني» (٧٨) . اما الاشعري القمي فقد كان اكثر تفصيلا بشأن نسبه ، فهو عنده «عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني» (٧٩) .

ويستغل عبد الله الفياض خبر القمي هذا ليقول : «فسعد الاشعري ربما كان اول من اثار الشك في يهودية ابن سبأ ، وذلك باثبات اصله العربي» . ويضيف قائلا : «واعتقد ان لشكته المذكور نتائج مهمة ، اذ انه يؤدي الى فقدان هدف من اهداف مروحي قصة ابن سبأ ، وهو زعمهم ان اصل التشيع من اليهودية ، على اعتبار ان اول من قال بوصية النبي لعلي هو عبد الله بن سبأ اليهودي» (٨٠) .

ولعل الفياض نسي ان عروبة ابن سبأ لا تنفي يهوديته ، فبعض القبائل العربية في اليمن كانت قد تهودت قبل ظهور الاسلام . وسبق ان علمنا ان اليهودية قد امتدت الى الحجاز في قلب الجزيرة العربية ، وكان من امرهم مع الرسول ما حدثنا به اصحاب السير ورواة الاخبار (٨١) . يضاف الى ذلك ان الاشعري القمي نفسه الذي نسبته راسيا ، هو الذي نقل عن اهل العلم انه كان يهوديا (٨٢) .

ولدى استعراضنا لآراء الباحثين المحدثين ، نجد الكتاب الغربيين الذين تعرضوا لقضية السبئية لم ينكروها ولم يخامرهم الشك بصحتها. فهذا فان فلوطن Van Vloten يقول ان السبئية هم انصار عبد الله بن سبأ ، الذي كان يرى احقية علي بالخلافة منذ ايام عثمان ، وان اتباعه كانوا يعتقدون ان جزءا إلهيا تجسد في علي ، وانتقل في خلفائه الائمة من بعده (٨٣) .

ويرى نيكلسون Nicholson انه أسس طائفة السبئيين ، وكان يتنقل من مكان الى آخر ليفي المسلمون ويوردهم موارد الضلال والخطأ (٨٤) .

اما رونلدسن Roneldson فيقول : «فقد ظهر منذ زمن خلافة عثمان داعية متنقل اسمه عبد الله بن سبأ ، قطع البلاد الاسلامية طولاً وعرضاً يريد افساد المسلمين» (٨٥) .

-
- ٧٧ - المقرئزي : خطط ، ١٨٢ .
- ٧٨ - حسين : الفتنة الكبرى ، ٩١/٢ .
- ٧٩ - القمي : المقالات والفرق ، ص ٢٠ .
- ٨٠ - الفياض : تاريخ الامامية ، ص ٩٣ .
- ٨١ - علما اننا لسنا بصدد البحث عن المزامم القائلة بوجود صلة بين التشيع واليهودية .
- ٨٢ - القمي : المقالات والفرق ، ص ٢٠ .
- ٨٣ - فان فلوطن : السيادة العربية والشيعية ، ص ٧٩ .
- ٨٤ - نيكلسون : تاريخ الادب العربي ، ص ٢١٥ .
- ٨٥ - رونلدسن : عقيدة الشيعة ، ص ٥٨ .

وميور Muir يشير الى دور ابن سبأ وقوله بالوصية لعلي (٨٦) .
ومن الباحثين العرب الذين لفتوا النظر الى دور هذا اليهودي في تاريخ صدر
الاسلام احمد امين ، الذي يشير الى ان ابن سبأ هو الذي أحدث القول بالرجعة ،
وهي فكرة يهودية (٨٧) . فعندهم ان النبي الياس (إيليا) رفع الى السماء وانسه
سيعود الى الارض فيملأها عدلا بعد ان ملئت جورا (٨٨) . كما يزعمون ان النبي
أخنوخ رفع الى السماء حيا (٨٩) .

وكان من بين الذين تناولوا موضوع السبئية من المحدثين العلامة الشيعي
محسن الامين . فرأى انهم من الغلاة في الامام علي ، وانهم من الخارجين على
الاسلام . ولكنه انكر ان يكون ابن سبأ هو الذي أحدث الوصية بالامامة لعلي (٩٠) .
وتناول هذا الامر ايضا عدد آخر من غير الشيعة من المحدثين ، فأكدوا اللعنة
الخطيرة التي قام بها ابن سبأ وانصاره بين المسلمين (٩١) .

بعد استعراضنا لآراء القدامى والمحدثين من الرواة والباحثين ، يمكننا القول
ان عبد الله بن سبأ لم يكن وهما ولا أسطورة ، بل كان شخصية سياسية قوية ،
وانه كان يتراس جمعية سياسية منظمة تعمل في الخفاء وفي العلق . ونسبت
هذه الجمعية الى شهرة مؤسسها ، فعرفت بالسبئية (٩٢) . كما استوجب امر
تنظيم هذه الجمعية ان يكون لرئيسها مساعدان في بواكير عهدها ، هما عبد الله
بن حرس وابن اسود (٩٣) . وهذا يشير الى مرحلة متقدمة في العمل السياسي .
فكانما هؤلاء الثلاثة يمثلون القيادة السياسية في بعض الاحزاب والجمعيات في

86 — Muir : The Caliphate, p. 229.

- ٨٧ - امين : فجر الاسلام ، ص ٢٥٤ .
- ٨٨ - الكتاب المقدس : سفر الملوك الثاني ، ١/٢ .
- ٨٩ - الكتاب المقدس : سفر التكوين ، ٢٤/٥ .
- ٩٠ - الامين : اعيان الشيعة ، ٤٥/١ ، ٤٧ .
- ٩١ - فقد لاحظ محمد محي الدين عبد الحميد ان ابن سبأ أحدث ثلاثة امور : اولها : القول
بوصية الرسول لعلي . وثانيها : القول برجعة علي الى الدنيا بعد موته . وثالثها : ان عليا لم
يقتل ، وانه لا يزال حيا (مقدمة مقالات الاسلاميين ، ص ١١) . ويشير حسن ابراهيم الى دور ابن
سبأ في مقتل عثمان ، وان أتباعه من السبئية قد اندسوا في جيش علي بعد ذلك (زعماء الاسلام)
ص ٦٣) . ويعتقد عارف تامر «ان اول بادرة وضعت في حقل الامامة كانت البذرة التي غرسها عبد
الله ابن سبأ» (الامامة في الاسلام ، ص ٦٢) . ونجد جواد علي الذي حاول دراسة هذه الجماعة
قد وصل في احدي مراحل بحثه الى القول : «والظاهر انها كانت كتلة من اكثر الكتل السياسية
التي ظهرت في ايام عثمان نظاما» (مجلة المجمع العراقي ، ٥٩/٦ ، ص ٨٤) .
- ٩٢ - ابن الاثير : اللباب ، ص ٥٢٧ .
- ٩٣ - القمي : المقالات والفرق ، ص ٢٠ .

دور السبئية في اثاره الفتن بين المسلمين :

ان المتبع لتطور الاحداث التي وقعت في صدر الاسلام يشعر بأن يدا خفية كانت تمهد لها ، ثم تشعل الفتيل اذا قدح الشرر .

ينقل سيف التميمي أخبار ابن سبأ عن مشايخه ، فيقول ان عبد الله بن سبأ كان يهوديا من اهل صنعاء ، وانه اعتنق الاسلام في زمن عثمان ، واخذ يتنقل في البلاد الاسلامية يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ، ومنها الى الكوفة . ثم ذهب الى الشام ، فلم يقدر على ما يريد من اهلها ، فغادرها ، وأتى مصر ، فأقام هناك ، وطرح امر رجعة محمد الى الدنيا ، كما طرح موضوع الوصية لعلي . فتكلم الناس بمزاعم ابن سبأ ، وقبلها بعضهم (٩٤) .

يبدو ان ابن سبأ قد اختار الوقت المناسب ، وانتهاز الفرصة المؤاتية ، اذ كان الناس يتململون في بعض الاقطار الاسلامية لما أخذ اخذوها على عثمان وحاشيته . فرمى الى يذر افكار يلتف حولها المعارضون . واتخذ لنفسه شعارا جذابا وراية مقدسة فقد اوصى اصحابه فقال : «اظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس» (٩٥) . ولعله اخذ شعاره هذا من قول الرسول (ص) : «مروا بالمعروف وانها عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم» (٩٦) .

ولاقت دعوة ابن سبأ استجابة بعض الناس في بداية الامر ، ثم اخذت تتفاعل وتوسع حتى وجدت من يحملها الى حيز الديوع والعلن . فأخذوا يسيحون في البلاد الاسلامية يبثون دعواهم بين الناس .

ولكن الخليفة عثمان لم يكن في غفلة عما يجري ويحاك في الامصار الاسلامية ، فقد بعث برسالة الى عماله يستدعيهم فيها الى موافاته في كل موسم ليطلعوه على كل ما ينكره الناس عليه . فقد جاء في احدى رسائله الى عماله : «وقد رفع اليّ اهل المدينة ان اقواما يشتمون وآخرون يضربون . فيا من ضرب سرا وشتم سرا ، من ادعى شيئا من ذلك فليواف الموسم ، فليأخذ بحقه حيث كان مني او مسن عمالي» . فلما قرئ هذا الكتاب في الامصار ابكى الناس ودعوا لعثمان ، وقالوا : «ان الامة لتمخض بشر» (٩٧) .

ويستمر سيف التميمي في سرد أخبار السبئية وخروجهم الى الولايات

٩٤ - الطبري : تاريخ ، ٣/٣٧٨ - ٣٧٩ .

٩٥ - الطبري : تاريخ ، ٣/٣٧٨ - ٣٧٩ . ابن الاثير : الكامل ، ٣/١٥٤ .

٩٦ - ابن ماجة : سنن ، حافظ ، ٢/١٢٢٧ .

٩٧ - الطبري : تاريخ ، ٣/٣٧٩ - ٣٨٠ .

الاسلامية لتحريض الناس على عثمان واطهار الحرص على الدين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ثم يتلو ذلك خروج الثوار الى المدينة بعد ان تواعسوا ان يوافوها في موسم الحج ، وذلك ليستروا غايتهم التي جاؤوا من اجلها .

ويقول ابن كثير ان عبد الله بن سبأ هو الذي جهز خوارج المصريين (٩٨) . فخرجوا ومعهم ابن السوداء ، وفيهم كنانة بن بشر الليثي ، وسودان بن حمران المرادي . كما خرج ثوار البصرة وعليهم حرقوص بن زهير السعدي . أما الكوفة - وقد خلت من الرؤساء - فخرج يزيد بن قيس الأرحبي ، ومعه الذين كان ابن السوداء يكتبهم (٩٩) . وكان هوى المصريين في علي ، وثار الكوفة يرغبون في الزبير ، بينما البصريون كانوا يرون تولية طلحة (١٠٠) .

ثم نجد عليا يكشف اهداف الثوار ونواياهم . فعندما خرجوا عن المدينة بعد ان استرضاهم عثمان ، عادوا اليها بحجة الكتاب المزعوم الذي وجدوه مع رسول الخليفة مههورا بخاتمه . ولما قابلهم علي قال لهم : «ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم ، قال اهل مصر : اخذنا مع البريد كتابا موقعا من عثمان يأمر عامله بقتلنا . فقال علي : كيف علمتم يا اهل الكوفة ويا اهل البصرة بخبر الكتاب المرسل الى اهل مصر ، وقد سرتهم مراحل على طريق بلدكم ؟ هذا والله امر ابرم في المدينة !!» (١٠١) . ثم نجد علياً يأمر بانفاذ ولديه الحسن والحسين للدفاع عن عثمان . وقد لاهما حينما علم بقتله ، ظنا منه انهما قصراً (١٠٢) .

ويذكر الباقلائي ان احد الثوار اقتحم بسيفه دار عثمان يريد قتله ، فلما رأى هيئته وسمع قراءته للقرآن أحجم عنه وعاد مذعورا ، فقال له عثمان : «مالك رحمك الله» فقال : «انا جئنا لقتلك ، فان القوم كتبوا لنا انك كفرت وارتدت ، وما اراك الا اماما صالحا قواما» (١٠٢) . فمن هم هؤلاء القوم الذين كانوا يكتبون على لسان أمهات المؤمنين الى الامصار بأن عثمان كفر وارتد عن الاسلام ؟ (١٠٤) . لعل هؤلاء الناس هم اصحاب ابن سبأ الذين بثهم هنا وهناك يكتبون الى الولايات الاسلامية ويشيرون الناس على الخليفة وولاته ، حتى صار يقول اهل كل مصر :

٩٨ - البداية والنهاية ، ٢٥٠/٧ .

٩٩ - الطبري : تاريخ ، ٢٥٨/٢ وما بعدها .

١٠٠ - الطبري : تاريخ ، ٢٨٥/٣ - ٢٨٦ . ويرى يوسف المش ان تفرق أهوائهم هذا كان

بايحاء من ابن السوداء نفسه ، ليقوع الخلاف بينهم بعد تنفيذ الخطة (الدولة الاموية ، ص ٦٣) .

١٠١ - الطبري : تاريخ ، ٢٩٥٨/٦ . ذكر البلاذري انه يقال بأن مروان بن الحكم كتب الكتاب

بغير علم عثمان (الانساب ، ٦٦/٥) .

١٠٢ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٢٢٧/٢ .

١٠٣ - الباقلائي : التمهيد ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

١٠٤ - ابن يوسف : الولاة والقضاة ، ص ١٤ - ١٥ .

«انا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء» (١٠٥) .

ومما يؤكد دور السبئية في مقتل عثمان ما رواه البلاذري وغيره من ان
سودان بن حمران المرادي هو اول من اسال دم الخليفة عثمان (١٠٦) . وما رواه
المسعودي من ان اللذين توليا قتله هما : سعد (سودان) بن حمران المرادي وكنانة
ابن بشر التجيبي ، وكلاهما من ثوار مصر الذين جهزهم ورافقهم ابن
السوداء (١٠٧) .

ومما يستدل به على ان هؤلاء الثائرين الذين تولوا قتل عثمان لم يكونوا من
المؤمنين الصادقين ، وان عملهم لم يكن بهدف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
- كما يزعمون - ما وجدناه من سلوكهم بعد مقتل عثمان . فهذا احد القتلة
يدوس المصحف ويرفسه برجله . وهؤلاء رفاقه ينتهون بيت القتل حتى
تناولوا ما على النساء ، فأخذ احدهم ملاء زوجة الامام القليل (١٠٨) .

ولكن هذا لا يعني ان جميع الثوار كانوا من السبئية والفوغاء ، فقد ذكر
البلاذري ان فريقا منهم انكر قتل عثمان ، وانه كان يكفيهم «ان يعتدل او
يعتزل» (١٠٩) . وهذا الاشتهر الذي قدم في اهل الكوفة نراه يعتزل حصار عثمان
بعد وصولهم الى المدينة (١١٠) .

موقف السبئية من خلافة علي :

لعل الامر كان واضحا بأن اتباع ابن سبأ هم الذين كانوا وراء مقتل الخليفة
عثمان ، فقد ذكر الطبري انه لما اجتمع الى مكة بنو أمية وطلحة والزبير اجمع
امرهم على الطلب بدم عثمان وقتال السبئية (١١١) .
ومنذ اليوم الاول لخلافة علي حاولت السبئية ان تفرض نفسها عليه ، فأخذت
تحذره من سطوتها وقدرتها على نزع الامر منه . فحين بويع له وخطب الناس ،

١٠٥ - ابن الاثير : الكامل ، ١٥٤/٣ .

١٠٦ - البلاذري : انساب ، ٨٢/٥ . يعقوبي : تاريخ ، ١٧٦/٢ . الطبري : تاريخ ،

٣٠٢١/٦ .

١٠٧ - المسعودي : مروج ، ٢٣٣/٢ .

١٠٨ - الطبري : تاريخ ، ٣٠١٨/٦ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٨٥/٧ .

١٠٩ - البلاذري : انساب ، مخطوطة باريس ، ص ٤٠٢ ، ٤٧٣ (نقلا عن مجلة المجمع العلمي

العراقي ، ص ١٨ ، عدد ١٥/١٩٦٧) .

١١٠ - الطبري : تاريخ ، ٢٩٩٩/١٦ .

١١١ - الطبري : تاريخ ، ٣١٠٤/٦ .

اراد الذهاب الى بيته ، فقالت له السبئية (١١٢) :

خذها اليك واحذرن ابا حسن
إنا نمرُّ الامر امرار الرسن
صولة أقوام كأسداد السفين
بمشرَفيات كفدران اللبن
ونطمعن الملك بلين كالشطن
حتى نمررن على غير عنن

ولم يكن علي في غفلة عن خطر هؤلاء الناس ، فقد خرج في اليوم الثالث لتسنمه سدة الخلافة ، فقال : «ايها الناس ، اخرجوا عنكم الأعراب فليلحقوا بمياهم» . فأطاعت الأعراب وأبت السبئية (١١٢) .

هؤلاء السبئية الذين قيل انهم اشاعوا الوصية لعلي وحملوا لواء الدعوة له ، كانوا الدّ الخصام عليه . وهكذا وجدناهم يكشفون عن حقيقة نواياهم ويرفضون تنفيذ امره ، لان مهمتهم لم تنته بعد .

وحين كاتب علي معاوية يدعوهُ الى البيعة ، جاء رسول معاوية وقد أمّنه علي . فلما خرج من مقابلة امير المؤمنين ، صاحت السبئية : «هذا الكلب ، هذا وافد الكلب اقتلوه . . . ومنعته مضر» (١١٤) .

ثم حين عزم علي على الارتحال الى الكوفة ، اجتمع من رؤوس الخوارج جماعة فيهم عبد الله بن سبا ، وشريح بن أوفى ، والاشتر النخعي في الفين وخمسمائة رجل ليس فيهم صحابي واحد ، فتداولوا الامر بينهم (١١٥) .

ولا ينتهي دور السبئية عند حد الاسهام في الثورة على عثمان وإحراج علي وخلق المتاعب له منذ بواكير عهده ، فهم يرمون الى أبعد من ذلك بكثير . وما يهمهم هو استمرار الخلاف بين المسلمين حتى لا يهدأ لهم بال ، ولا يجدوا مجالا للتفاهم والتصالح بعد فتنة عثمان . فعندما طالب طلحة والزبير عليا بالاعتصام من قتلة الامام القتيل ، لم يستطع علي ان يلبي طلبهما ، لانه لم يكن يومها يستطيع تحديد هوية القتالين . فوقع الخلاف بين الطرفين ، وتوجه طلحة والزبير وعائشة الى البصرة واقتصوا من ثوار البصرة بأنفسهم (١١٦) .

١١٢ - الطبري : تاريخ ، ٣٠٧٩/٦ . يروي ان قائل هذه الابيات هو عبد الرحمن بن عديس البلوي (ابن ابي الحديد : الشرح ، ٤/٧) .

١١٣ - الطبري : تاريخ ، ٣٠٨١/٦ . ابن الاثير : الكامل ، ٣/١٩٦ .

١١٤ - الطبري : تاريخ ، ٣٠٩١/٦ .

١١٥ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٧/٢٢٨ .

١١٦ - الطبري : تاريخ ، ٦/٣١٣١ .

ثم تبعهم علي الى العراق خشية ان يفلت زمام الامر منه ، ونزل الكوفة .
 وحينذاك بدأ الحوار والمفاوضات بين الفريقين ، وتم التفاهم بينهما على استئناف
 الاتصالات في اليوم التالي لرأب الصدع وازالة اسباب الخلاف (١١٧) . وبات
 الناس بخير ليلة ، وبات قتلة عثمان بشر ليلة (١١٨) .

ولم يرق للسبئية ان يتم الصلح وتزول اسباب الخلاف ، فقد وجدوا في
 تصالح المسلمين خطرا يهددهم ، فقال بعضهم لبعض : « فان اصطلحوا فسيكون
 على دماننا » . فاقترح بعضهم الحاق علي بعثمان لتعود الفتنة من جديد ، فاعترض
 ابن السوداء وقال : « لو قتلناه قتلنا ، فانا يا معشر قتلة عثمان في الفين
 وخمسائة ، وطلحة والزبير واصحابهما في خمسة آلاف ، ولا طاقة لكم بهم » .
 ثم رأى لهم رأيا اشد مضاء واحكم خطة ، فقال لاصحابه : « يا قوم ، ان عزكم
 في خطة الناس فصانعوهم ، واذا التقى الناس غدا ، فأنشبوا القتال ولا تفرغوه
 للنظر » (١١٩) .

ويستمر سيف في كشف دور هؤلاء القوم في وقعة الجمل ، فيقول : « واتفق
 السبئية على انشاب الحرب بالسر ، ففدوا مع الغلس ، وما يشعر بهم جيرانهم ،
 انسلوا الى ذلك انسلالا ، وعليهم ظلمة . فخرج مضريهم الى مضريهم ، وربيعيهم
 الى ربيعهم ، ويمانيهم الى يمانيهم ، فوضعوا فيهم السلاح . فثار اهـل
 البصرة ، وثار كل قوم في وجوه اصحابهم » (١٢٠) .

ويكاد لا يكون لهؤلاء الجماعة من مهمة الا الاستمرار في تأجيج نار الفتنة
 والتذابح بين الناس . فلما انهزم انصار عائشة وظهر الفوز لعلي واصحابه ، طلبت
 عائشة الاحتكام الى كتاب الله الذي اعطته لاحد عساكرها ، فتوجه به الى جيش
 علي لتقديمه لامير المؤمنين . فاذا بالسبئية يرمونه رشقا من السهام فيقتلونهم ،
 ثم يرمون على ام المؤمنين نفسها وهي في هودجها (١٢١) .

ويخبرنا ابن كثير ان السبئية من اصحاب ابن السوداء استمروا في تقتيل
 الناس بعد استسلام عساكر عائشة ، بينما منادي علي يصيح : الا كفوا ، الا كفوا ،
 فلا يسمع احد » (١٢٢) .

وهكذا وجدنا هؤلاء الناس - الذين كانوا في بدء امرهم - يتسترون بالدعوة
 لعلي من اشد الناس كرها له ، وانهم كانوا يتحينون كل سانحة لاحراجه وخلق

١١٧ - الطبري : تاريخ ، ٢١٨٠/٦ .

١١٨ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٣٩/٧ .

١١٩ - الطبري : تاريخ ، ٥٠٧/٣ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٣٨/٧ .

١٢٠ - الطبري : تاريخ ، ٥١٧/٣ .

١٢١ - الطبري : تاريخ ، ٥٢٢/٣ .

١٢٢ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٣٩/٧ .

السبئية ونشأة الخوارج :

بعد دراستنا لآخبار الخوارج منذ أيام الرسول وحتى ظهورهم كفرقة إسلامية ، يتبدى لنا أن حركة الخوارج لم تكن وليدة صفين ، ولا كانت بنت التحكيم ، بل كانت قائمة - بقلب أو بآخر - قبل هذا التاريخ . وما قضية الحكومة إلا ذريعة ملائمة استغلها قادة هذه الجماعة لإبرازها إلى حيز الوجود العلني ، كدعوة دينية إصلاحية في ظاهرها ، وكحزب سياسي في جوهره وأهدافه .

وإذا كانت بذرة الخوارج الأولى وجدت في عهد الرسول ، وكانت تتمثل بالفلاة المتطرفين ، الذين يجعلون من أنفسهم موازين الحق والباطل ومن عقولهم مقياس للخطل والصواب ، فإن تلك البذرة لم تجد التربة الصالحة لتنمو في عهد النبي أو في خلافة أبي بكر ، إلا أنها لم تمت ، بل استمرت في النمو البطيء الخفي في بعض الزوايا المظلمة .

أما في عهد عمر ، فهناك رواية جاء بها ابن دريد (ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م) ربما توحى بوجود هؤلاء القوم بين الناس . فقد ذكر أن رجلاً اسمه صبيغ أتى عمر بن الخطاب ، فقال : «خبرني عن الذاريات ذروا» (١٢٢) ، فقال له عمر : «افحص عن رأسك!» فإذا له ضفيران ، فلو كان مخلوقاً لادرك أنه من الخوارج ، إذ كانت علامتهم التحليق (١٢٤) .

وذكر الطبري في خبر له عن حرب الجمل ، أن الخوارج لم ترض عن موقف علي ، الذي منعهم من أخذ أموال خصومهم من أنصار عائشة . ويلاحظ في هذه الرواية أن الطبري لا يفرق بين من يسميهم الخوارج وبين السبئية (١٢٥) .

وهناك رواية أخرى نقلها ابن أبي الحديد عن نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م) تقول أن رجلاً خرج من بين الصفين في صفين ، لا يعلم من هو ، فقال : «أيها الناس ، أخرج فيكم المخلِّقون ؟ ، فقليل : لا ، فقال : أنهم سيخرجون ، السننهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمرّ من الصبر» . ثم غاب الرجل فلم يعلم من هو !» (١٢٦) .

١٢٢ - الذاريات ، ١ .

١٢٤ - ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٢٢٨ . وعند ابن أبي الحديد (ضبيغ التميمي) الشرح ،

١٠٢/١٢ .

١٢٥ - الطبري : تاريخ ، ٦/٢٢٢٧ .

١٢٦ - ابن أبي الحديد : الشرح ، ٨/٥٧ .

فاذا صحت هذه الرواية ، فانها تؤكد ان الخوارج السبئية كانوا موجودين بين عساكر علي في صفين ، وانهم كانوا ينتظرون كلمة السر ليخرجوا في ساعة الصفر الحاسمة .

ويلاحظ ايضا ، ان ابن كثير لا يفرق بين اولئك القوم الذين خرجوا على عثمان واولئك الذين شقوا عصا الطاعة على علي عند قبوله بالتحكيم ، فكلهم عنده خوارج (١٢٧) .

ويكفي ان يكون رؤوس الخوارج ايام علي هم من اولئك الثوار الذين خرجوا على عثمان ، حتى ليتمكن القول : ان حركة الخوارج هي امتداد للثورة على الخليفة الراشدي الثالث ، وبخاصة بعد ان ادرك الثائرون ان عليا لن يكون مطية لاهوائهم

ويبدو ان الامر كان واضحا - لا لبس فيه - ان قتلة عثمان ومسببي معركة الجمل من السبئية هم اسلاف حزب الخوارج . فهذا ما عير به ابن الزبير حين قبل الخوارج الذين جاؤوا يحاربون الى جانبه ضد الامويين في مكة . فقد قال قيس بن همام (١٢٨) :

يا بن الزبير اتهوى عصابة قتلوا
ظلما اباك ولما تنزع الشيكك
ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية
ما اعظم الحرمة العظمى التي انتهكوا

وهذا صاحب الازارقة نافع بن الازرق يعترف صراحة بأنه حضر عثمان يوم قتل (١٢٩) .

ولعل هذا يفسر شدة معارضة خوارج السبئية لقضية الحكومة ، اذ ربما كانوا يخشون ان تتم المصالحة بين المسكرين المتنازعين على حسابهم ، فيقتصون منهم (١٣٠) . فقد كانت اصابع الاتهام كلها تشير الى دورهم الخطير في الثورة على عثمان ، وذلك باعتراف بعض قادتهم .

ولعله من الصعب التعرف بهوية الخوارج الحقيقية في تلك المرحلة المبكرة من

١٢٧ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٥٠/٧ .

١٢٨ - المبرد : الكامل ، ١٠٢٩/٣ .

١٢٩ - ابن عبد ربه : العقد ، ٣٩٥/٢ . المبرد : الكامل ، ١٠٣٧/٣ . ويذكر فلهوزن ان الخوارج كانوا يتباهون بأول عمل ثوري قاموا به ، الا وهو قتل الخليفة عثمان (الدولة العربية) ، ص ٥٤ .

١٣٠ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

تاريخ ظهورهم كقوة فاعلة على مسرح الحياة الاسلامية . فلا بد ان تكون هذه الحركة قد جرفت في صفوفها كثيرا من المؤمنين الصادقين من القراء ، الذين ادخل الى روعهم انهم انصار الحق وحفاظ القرآن ، فقد كان فيهم من قسرح جباههم السجود (١٢١) . كما كان فيهم من جرتهم عوامل عصبية ، فكان اكثرهم من اعارب بكر وتميم (١٢٢) .

اما ابرز زعمائهم الذين لم يتخلوا عن قيادتهم في النهروان فهم : حرقوص بن زهير السعدي الذي كان بدء خروجهم بعد اجتماعهم في منزله ، وزيد بن الحصين الطائي الذي بويع خليفة الخوارج ني منزله . كما كان من زعمائهم شريح بن اوفى العبسي ، ويزيد بن قيس ، وعبد الله بن الكواء ، وخليفتهم الاول عبد الله بن وهب الراسبي .

لعل تعرفنا بهؤلاء القادة يلقي ضوءا اكثر على الغموض المحيط بنشأة الخوارج وعلى مدى علاقتهم بالسبئية .

ان حرقوص بن زهير - كما سبق وعلمنا - هو الرجل الذي اعترض على الرسول عند توزيع الغنائم ، وهو رأس ثوار البصرة الذين اسهموا مع السبئية في حصار عثمان ومقتله . وزيد بن الحصين الذي وصف بأنه من اصحاب البرانس ، وكان على رأس العصاة التي جاءت تهدد عليا وتفرض عليه قبول التحكيم ، وتقول له : «اجب القوم الى ما دعوك اليه وإلا نفل بك كما فعلنا بعثمان» (١٢٢) . فهذا اعتراف صريح بأنه كان من تلك العناصر التي شاركت في الثورة على الامام القليل . وقد وصفه ابن كثير بأنه كان من السبئية (١٢٤) .

وكذلك الامر بالنسبة لشريح بن اوفى العبسي ، فقد كان مع ابن السوداء عند مسيره الى عثمان ، ثم كان في شلته قبيل انشاب معركة الجمل (١٢٥) ، وهو متهم بالاسراف على نفسه ، وبأنه كانت فيه فتنة (١٢٦) . ويريد بن قيس الأرحبي كان احد الذين سيرهم عثمان في خلافته من الكوفة الى الشام (١٢٧) . وابن الكواء كان من الذين اثاروا الفتنة على عثمان ، فأمر بابعاده عن المدينة (١٢٨) .

١٢١ - ابن عبد ربه : العقد ، ٢/٣٨٩ .

١٢٢ - الطبري : تاريخ ، ٦/٣٣٥٣ .

١٢٣ - ابن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٧١ ، ٢٥٧ .

١٢٤ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٧/٢٧٣٧ .

١٢٥ - الطبري : تاريخ ، ٦/٣١٦٣ .

١٢٦ - المصدر نفسه : ٦/٣٣٨١ .

١٢٧ - البلاذري : انساب ، ٤٣/٥ - ٤٥ .

١٢٨ - البانلاني : التمهيد ، ص ٢١٤ . ولكن ذكرت بعض المصادر الاخرى ان ابن الكواء عاد

فرجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي (ابن حجر : لسان الميزان ، ٣/٣٢٩) .

اما خليفة الخوارج الاول عبد الله بن وهب الراسبي ، فهو رجل غامض النسب ، تحوم حوله الشبهات (١٢٩) . وعلى الرغم من ان بعض المصادر تجعله من القراء ومن التابعين (١٤٠) ، فان مصادر اخرى تشكك بشخصه وتجرده من لباس التقوى والايمان . فيذكر المسعودي انه كان حافظا لكتاب الله ، بينما لا يقيم حدود الله على نفسه (١٤١) . ومما يزيد الامر اشتباها بشأن هذا الراسبي ما رواه المبرد في اخبار النهروان ، فقد ذكر ان عليا قتل احد الخوارج ، فقال الخارجي قبل ان يلفظ انفاسه : «حبذا الروحة الى الجنة» ، فقال عبد الله بن وهب : «ما ادري الى الجنة ام الى النار» . فقال رجل من بني سعد : «انما حضرت اغترارا بهذا واره قد شك» ، فانخزل بجماعة من اصحابه (١٤٢) . وروى المسعودي مثل هذا حين تحدث عن سبب تفرق الخوارج عن الراسبي ، فقال ان الخوارج تنادوا فيما بينهم عند احاطة اصحاب علي بهم ، فقالوا : «يا اخوتنا ، الروحة ، الروحة الى الجنة» ، فقال عبد الله بن وهب : «فلعلها الى النار» ، فقال من فارقه : «انقاتل مع رجل شاك» ففارقوه (١٤٣) .

وذكر ابن كثير ان عبد الله بن وهب كان شديد البغض لعلي ، ولا يسميه الا الجاحد (١٤٤) .

ولعل الامر المثير حقا هو انطباق كثير من اوصاف هذا الراسبي على ابن سبا اليهودي . فقد عاش الرجلان كلاهما في الحقبة الزمنية نفسها وفي الظروف السياسية ذاتها . وقد حملا الدعوة نفسها ، فشعار ابن سبا كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٤٥) . وهؤلاء اصحاب الراسبي حين نزلوا حروراء جعلوا دعواهم : «الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» (١٤٦) . واذا كان زعيم الخوارج قد شهر بآته من القراء ، فان صاحب الطبقات الكبرى يشير الى ان ابن سبا كان احد القراء الذين صحبوا عليا (١٤٧) .

139 — Jibb & Kramers: Short Encycl. of Islam, p. 246.

- ١٤٠ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ١١١/١ . الجاحظ : الثمانية ، ص ١٧٤ . ولكن يلاحظ ان ابن حجر المسقلاني الذي اورد اسماء من عرفوا بـ «عبد الله بن وهب» من التابعين ، لم يأت على ذكر هذا الراسبي بينهم (الاصابة ، ١٤١/٤) .
- ١٤١ - المسعودي : مروج ، ٣٤٦/٢ .
- ١٤٢ - المبرد : الكامل ، ٩١٧/٣ .
- ١٤٣ - المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .
- ١٤٤ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٨٩/٧ .
- ١٤٥ - الطبري : تاريخ ، ٢٩٤٢/٦ .
- ١٤٦ - المصدر نفسه : ٣٣٤٩/٦ .
- ١٤٧ - رونلدسن : عقدة الشيعة ، ص ٥٩ . لم نثر عليه في طبقات ابن سعد ، فاعتمدنا رونلدسن .

ولا يقف الامر عند حد هذا التوافق فحسب ، بل يتعداه الى التسمية والنسب ، فيلاحظ ان نسبهما لا يختلف الا في الجذ الاعلى لكل منهما . فابن سبا - كما سبق وعلمنا - هو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني ، وخليفة الخوارج هو عبد الله بن وهب الراسبي ، الذي تردّه بعض المصادر أزديا (١٤٨) . وهمدان والأزد قبيلتان من القبائل السبئية اليمنية .

فهل كان الراسبي امير الخوارج الاول هو نفسه ابن سبا اليهودي ، ام انه مجرد اتفاق في التسمية والنسب والاهداف؟! انه لولا ان بعض الروايات ذكرت ان الراسبي قتل يوم النهروان وان ابن سبا عاش بعد مقتل علي ، لداخلنا الشك بأنهما شخصية واحدة ، خصوصا وان المقدسي يروي لنا ان عبد الله بن وهب الراسبي عاد عن النهروان قبل القتال (١٤٩) . واذا لم يكن رأس الخوارج هو نفسه رأس السبئية ، فانه كان احد أركانها ، فقد وصفه الذهبي بأنه كان من السبئية (١٥٠) .

كما ان هناك من القرائن الاخرى ما يشير الى احتمال صلة هؤلاء القادة من خوارج السبئية باليهود . فقد ذكر المسعودي ان رسول الخوارج الى علي يوم النهروان كان من يهود السواد ، وانه حاول تضليل امير المؤمنين علي بن ابي طالب حين اخبره ان الخوارج عبروا نهر طبرستان (١٥١) . فقال له علي : «والله ما عبروا ، ولا يقطعونه حتى نقتلهم بالرميلة (١٥٢) دونه (١٥٣)» . وفيما بعد نجد ابا عبيدة معمر بن المثنى الخارجي (ت ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م) والذي شهر بالظعن على بعض انساب النبي ، وتبع مثالب الناس كان جده يهوديا (١٥٤) . ويلاحظ ايلي سالم Elie Salem ان ثورات الخوارج الاولى كانت في العراق وفارس حيث يوجد عدد كبير من اليهود (١٥٥) .

وهكذا بدا لنا ان رؤوس الخوارج - في بدء امرهم - كانوا من الثائرين على عثمان ومن انصار ابن سبا . فهذا رأس الازارقة نافع بن الازرق لا يكتفي باعلان خروجه في الثورة على عثمان ، بل يمتدح قتلته من الثوار ، وذلك حين يقول

١٤٨ - المبرد : الكامل ، ٨٩٠/٣ . المسعودي : التنبيه ، ص ٢٥٦ .

١٤٩ - المقدسي : البدء والتاريخ ، ١٣٧/٥ .

١٥٠ - الذهبي : العبر ، ٤٤/١ ، المشتبه في اسماء الرجال ، ص ٢٥٠ .

١٥١ - نهر طبرستان : يقع بين خلوان وبغداد ، وعليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان

(المسعودي : مروج ، ٢٨٤/٢) .

١٥٢ - الرميعة : منزل في طريق البصرة الى الكوفة (ياقوت : معجم البلدان) .

١٥٣ - المسعودي : مروج ، ٢٨٤/٢ .

١٥٤ - ابن خلكان : وفيات ، ٢٢٧/٤ ، المرتضى : امالي ، ٨٨/٣ .

متباها : «وقد حضرت عثمان يوم قتل ، وكان قاتلوه من المهتدين» (١٥٦) .
ولعل هذه الشبهات هي التي جعلت اهل السنة يستحلون دماء الخوارج ،
فقال الجاحظ في ذلك : «لا تعرف فقيها من اهل الجماعة لا يستحل قتال
الخوارج ، كما انا لا نعرف احدا منهم لا يستحل قتال اللصوص . وهذا ابن عمر
رئيس الحليّة بزعمهم قد لبس السلاح لقتال نجدة» (١٥٧) .

ان العلائق الوثيقة الخطيرة بين رؤوس الخوارج الاول وبين ابن سبأ وانصاره،
تجعلنا نميل الى ان حركة الخوارج قد نمت وترعرعت في احضان السبئية ، وانها
احدى ولاندها التي كانت تعمل في الظلام حتى تهيأت لها الفرصة المؤاتية ،
فخرجت الى ميدان العمل العلني بعد التحكيم .

اما ما لاحظته فلهوزن Wellhausen من ان الخوارج كانوا يشنعون على
خصومهم من الشيعة ويرمونهم بالسبئية (١٥٨) ، فقد كان ذلك بعد ان تم الطلاق
الحاسم بين الفريقين ، وبخاصة حين رضي شيعة علي بمقاتلة الخوارج تحت
راية الامويين (١٥٩) .

وبذلك ، فان الخوارج بعد انكشاف هويتهم واطهار عداوتهم لعلي ، ثم
اغتيالهم لامير المؤمنين ، لم يعد من سبب ظاهر لايقاع الشبهة عليهم بأنهم من
السبئية . ولكن ستبقى هذه الشبهة تحوم حول الغلاة من الشيعة ، الذين
بلغوا منزلة سياسية عالية في عهد المختار الثقفي ، الذي جعل منهم حرسا خاصا
به (١٦٠) . كما ان الامويين وعمالهم كانوا يشنعون بهذه التهمة على خصومهم
السياسيين . فقد كتب زياد بن ابي سفيان الى معاوية بشأن تحرك المعارضة في
العراق ، فألبسهم ثوب السبئية ايضا (١٦١) .

ومن هنا ، فقد كان من الطبيعي ان تنزع هوية السبئية عن الخوارج لتلصق
بغيرهم من غلاة الشيعة - اي لتعود الى قطب رحاها الذي تسربت به في بدء
دعواها .

الخوارج حزب سياسي :

وفي ختام هذا البحث حول علاقة السبئية بالخوارج يمكن القول - كما لاحظ

-
- ١٥٦ - المبرد : الكامل ، ١٠٢٧/٣ . ابن عبد ربه : العقد ، ٣٩٥/٢ - ٣٩٦ .
١٥٧ - الجاحظ : البيان ، ١٣٠/٣ . الحليّة : من جلس ، قول الرسول في حديث الفتن :
«كونوا احلاس بيوتكم اي الزموها» (اللسان) . ونجدة : هو صاحب النجدة من الخوارج .
١٥٨ - فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ٢٥ .
١٥٩ - الطبري : تاريخ ، ٤٣/٧ .
١٦٠ - فلهوزن : الدولة العربية وسقوطها ، ص ٥٧ .
١٦١ - الطبري : تاريخ ، ١٣٦/٧ .

بعض الباحثين العرب والافرنج (١١٣) - ان نشأة الخوارج كانت لاسباب سياسية . وانهم - في بدء امرهم - شكلوا حزبا سياسيا قادته من زعماء السبئية وبعض العاملين معهم . اما الطابع الديني الذي غلفوا به دعوتهم ، فلم يكن الا ستارا لاختفاء نوايا اولئك القادة ، لانه ما كان لحركة ان تنجح او تجد لها انصارا عصرئذ اذا لم تتخذ الاسلام لبوسا والقرآن شعارا .

ولكننا في الوقت ذاته لا يمكننا تجاهل كثيرين من القراء الذين انضموا الى حزب الخوارج ، وكان انضمامهم بدافع ديني لا سياسي دينوي . ولكن مما يسترعي النظر ويقلل من أهمية الاسباب الدينية التي كانت وراء نشأة الخوارج ، والتي اخذ بها بعض الباحثين الافرنج (١١٣) ، اننا لا نجد صحابيا واحدا مسبب المهاجرين او الانصار ينضم اليهم (١١٤) ، مع انهم اولى الناس بذلك ، كما انهم اجدر الناس لحمل الدعوة للاصلاح الديني والسياسي معا . ولو لم تكن دعوة الخوارج مشبوهة لما اجمع المهاجرون والانصار على قتالهم . فيذكر القضاعي ان الخوارج ظهروا في وقت كان فيه كثير من اهل بدر والحديبية من المهاجرين والانصار في المدينة والشام والعراق ، فما خرج احد منهم حروريا ، بل كانوا يحدثون بعب رسول الله اياهم ونعتهم الذي نعتهم به (١١٥) .

وسنلاحظ فيما بعد ، ان الطابع السياسي والعسكري ظل يغلب على تحركاتهم الحزبية ، الى ان خرج من بينهم علماء وفقهاء مزجوا نظرياتهم السياسية بمعتقدات دينية في مرحلة متقدمة من العصر الاموي . فيبدو انهم بعد ان عجزوا عن تحقيق اهدافهم السياسية بقوة السلاح العسكري ، عكفوا على الاشتغال بالدراسة المذهبية والدينية ، فانتجوا كثيرا من المؤلفات الفقهية والكلامية واستحالوا فرقة دينية خالصة (١١٦) .

١٦٢ - امين : فجر الاسلام ، ص ٢٥٩ .

Islamic Shi'ite Encycl. 2\189. Goldziher Vorlesungen uber den Islam

الترجمة العربية ، ص ١٦٨ .

Macdonald : Muslem Theolgy, p. 24.

Thomson : The Muslem World, Vol. 39, pp. 203 - 210 .

١٦٣ - فلهوزن : الخوارج والشيعية ، ص ٢٩ .

١٦٤ - ابن الجوزي : تلبس ابليس ، ص ٩٢ .

١٦٥ - القضاعي : فرقان القرآن ، ص ٦٤ .

١٦٦ - ابن النديم : الفهرست ، ص ١٨٢ ، ٢٣٦ . جولد تسيهر : العقيدة والشريعة

ص ١٧٢ .

الفصل الخامس

دور المعارضة في التمهيد لظهور الخوارج

بيعة علي والمخالفون لها :

بعد ان اجهز الثوار على عثمان ، اتجهت الانظار الى علي ليكون امام المسلمين . فتوجه اليه اكابر الصحابة من المهاجرين والانصار وعرضوا عليه منصب الخلافة . فتكره اولا وابدى عزوفا عن ذلك ، فأصروا عليه ، فقال : «دعوني والتمسوا غيري ، وان تركتموني فأنا كأحدكم ، ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه امركم ، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني اميراً» (١) . فألحوا عليه ولم يتركوه حتى أذعن لرغبتهم ، وتمت البيعة في المسجد ، وبايعه المهاجرون والانصار الا ثقبيراً يسيراً (٢) . وكان ذلك لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة (٣) ٣٥ هـ / ١٣ حزيران

١ - الطبري : تاريخ ، ٣٠٦٦/٦ . ابن ابي الحديد : الشرح ، ٣٣/٧ .

٢ - الطبري : تاريخ ، ٣٠٧٠/٦ ، ويقول ابن العربي : «لم يتخلف من بيئته احد ، وأما نصرته ، فتخلف عنها قوم لانها كانت مسألة اجتهادية» (العواصم ، ص ١٤٧) .

٣ - ابن عبد ربه : العقد ، ٣١٠/٤ .

حينذاك ظن الناس ان الفتنة قد أخدمت وان الشرور قد انطلقت . غير ان مجرى الحوادث كان يسير في اتجاه آخر . فما ان تسلم علي سدة الامامة حتى اخذت تواجهه المتاعب ، وتقف ني وجهه المصاعب . فبيعته جاءت في اعقاب ثورة دامية ذهبت بإمام المسلمين ، كما ان تخلف عدد من وجهاء صحابة الرسول عن تلك البيعة (٤) ، اضعف موقفه في مواجهة آثار اخطر فتنة عرفها المسلمون في تلك الحقبة من تاريخهم .

علي يهزم المعارضة الاولى يوم الجمل :

لم يطل الامر بزعماء المعارضة لرفع رؤوسهم واعلان موقفهم من علي . فهذه عائشة وطلحة والزبير يرفعون لواء المطالبة بدم عثمان ، ويشترطون على امير المؤمنين اقامة الحدود على الذين شركوا في تلك الثورة لاستمرار تأييدهم له (٥) . وحين يسأل علي ان كان لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم لا ينكر عليهم ذلك ، ومع ذلك يجد العذر لنفسه في تأخير تنفيذ الحكم بأولئك الثائرين (٦) . فهو غير قادر على تحديد مسؤولية القتل ومدى المشاركة فيه ، وذلك بعد ان انضم لهؤلاء الثوار الاعراب والعبيد والخارجون على النظام ، فقال علي مخاطبا طلحة والزبير ومن معهما : «يا اخوتاه ، اني لست اجهل ما تعلمون ، ولكن كيف اصنع بقوم يملكونا ولا نملكهم ؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، وثابت اليهم اعرابكم ، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا» (٧) .

لم يقتنع هؤلاء المطالبون بدم الامام القتيل بحجة امير المؤمنين علي ، فتوجهوا بأنصارهم من اهل الحجاز الى العراق ، ليقتصوا من قاتليه بأنفسهم . ومضوا الى البصرة - وعلى رأسهم عائشة (٨) - ودخلوها ، وثأروا من قتلة عثمان هناك .

٤ - ذكر الطبري ان عددا من اصحاب الرسول تخلفوا عن بيعة علي ، منهم : سعد بن ابي وقاص ، واسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وأبو سعيد الخدري وزيد بن ثابت . كما زعم بعضهم ان طلحة والزبير بايما له كرها (تاريخ ، ٣٠٧/٦ ، ٣٠٧٢) .

٥ - الطبري : تاريخ ، ٣٠٨/٦ .

٦ - المصدر نفسه : ٣١٦٧/٦ .

٧ - المصدر نفسه : ٣٠٨/٦ .

٨ - وقد سئلت عائشة ان كان مسيرها بعهد من الرسول ام باجتهاد منها ؟ فقالت : «بل رأى رأيته حين قتل عثمان ، انا نعمنا عليه ضربة بالسوط ... فغدوم عليه فاستحلتم منه الحريم الثلاث : حرمة البلد ، وحرمة الخلافة ، وحرمة الشهر الحرام . ففضبا لكم من سوط عثمان ، ولا نغضب لعثمان من سيفكم !» (الجاحظ : البيان ، ٣٢٢/٢) .

ولم يفلت من قبضتهم الا حرقوص بن زهير الذي حمته عشيرته من بني سعد .
وشعر هؤلاء المعارضون بنشوة الظفر ، فكتب طلحة والزبير الى اهل الشام والمناطق
الاسلامية الاخرى ، لينهضوا بمثل ما نهضوا به (٩) .

ترك سلوك هؤلاء المعارضين اثرا سيئا في نفس علي ، وشعر ان زمام الامر
سيفلت من بين يديه ان لم يبادر الى عمل سريع وحاسم . فقد رأى ان خروج
هؤلاء القوم الى العراق ، ثم ثأرهم - بأيديهم - من قتلة عثمان ، يشكل تحديا
سافرا لقيادته ومسؤولياته كإمام لجميع المسلمين ، فلقق بهم الى العراق .
وهناك كانت نهاية المطاف بين الفريقين في موقعة الجمل التي هزمت فيها
المعارضة . كما اسفرت عن مقتل زعيمها طلحة والزبير وعودة عائشة - كسيرة
الخاطر - الى عقر دارها . وبذلك تحقق اول نصر عسكري لعلي على خصومه
السياسيين في جمادي الآخرة (١٠) ٣٦ هـ / كانون اول ٦٥٦ م . ولكن هذا
النصر كان مرا في مذاق علي ، فتوجع على قتلى الجمل من معسكر خصومه ، اذ
كان فيهم ناس من اهل العبادة والتقوى (١١) .

ولعل الناظر - بامعان - في امر موقعة الجمل ونتائجها ليجد ان خسارة
علي فيها كانت تفوق ما جناه من ظفر على مناوئيه . فمقتل طلحة والزبير المبشرين
بالجنة (١٢) ، وهزيمة ام المؤمنين سيكون سلاحا جديدا يستغله معاوية للتشهير
بأمير المؤمنين ، كما سيكون ثوبا آخر يندب به اهل الشام والناقمون على علي في
كل مكان (١٣) .

وهكذا يمكن القول ان حرب الجمل لم تكن انتصارا حاسما لعلي على معارضيه،
بل كانت مقدمة وتمهيدا لحرب أشد ضراوة وأخطر نتيجة على امامته وقيادته .

معاوية يتزعم جبهة المطالبين بدم عثمان :

كان معاوية واليا على الشام طوال سبع سنوات في عهد عمر وجميع ولايات
عثمان . فاستطاع خلال سني ولايته الطويلة ان يرسخ نفوذه في اوساط الناس

٩ - الطبري : تاريخ ، ٢١٣١/٦ - ٢١٣٢ .

١٠ - المصدر نفسه : ٢١٣٨/٦ وما بعدها .

١١ - الطبري : تاريخ ، ٢٢٢٣/٦ .

١٢ - ابن ماجة : سنن الحافظ ، ٤٨/١ .

١٣ - تناول الأشعري امر الجمل ، فرأى ان ما جرى بين علي والزبير وطلحة وعائشة انما كان
على تأويل واجتهاد ، اذ انهم من الذين شهد لهم النبي (ص) بالجنة . فاستدل على ذلك بأنهم
- جميعا - كانوا على حق في اجتهادهم (الابانة ، ص ٥١) .

وأن يكسب ثقتهم ، حتى صار امره نافذا فيهم (١٤) .
ولما قتل عثمان ارسلت زوجته نائلة الكلبية (١٥) بقميصه الملوخ بدماء الجريمة الى معاوية ، وأرफقته برسالة مؤثرة تستنجد به للثأر لزوجها من الذين بغوا عليه وقتلوه . وحشته في نهاية الرسالة على القيام بهذا الواجب ، لان لعثمان عليه حق الولاية وحق الاسلام . وقد ألححت في تلك الرسالة الى ان عليا كان ممن المحرضين على زوجها ، اذ لم ينصره ولم يقاتل معه (١٦) . كما ان وريثة عثمان التجأوا الى معاوية طالبين الثأر له من قاتليه (١٧) .

ومما زاد الخرق اتساعا بين علي ومعاوية ، ان امير المؤمنين لم يقبل نصيحة المغيرة بن شعبه حين دخل عليه وقال : «انزع من شئت واترك معاوية ، فان معاوية جراءة ، وهو في اهل الشام يسمع منه» (١٨) . وكان عبد الله بن عباس يرى رأي المغيرة في ذلك ، فقد نصح ابن عمه ان يبقي على معاوية في منصبه ريثما تهدأ الاحوال وتستقر الامور . ولكن عليا أصر على عزله من ولاية الشام ، ورفض الاخذ بتلك النصيحة ، فاتهمه ابن عباس بضعف الرأي حين قال له : «انت رجل شجاع ، ولست صاحب رأي» (١٩) .

ولم ينتظر علي طويلا لمواجهة معاوية ، فبعد فراغه من اهل الجمل وجه اليه رسولا يدعوه الى بيعته ، ويخبره بأمر طلحة والزبير وما كان من نكتهما معه وحربه لهما (٢٠) . ثم اتبع الرسول بوال جديد ، اذ عرض ولاية الشام على عبد الله بن عباس ، فاعتذر عن قبولها خشية ان يضرب معاوية عنقه لعثمان (٢١) . فاستعمل سهل بن حنيف ، ولكن ما ان انتهى هذا العامل الى تبوك حتى ردت له خيل معاوية ، فعاد الى علي . فعلم علي حينذاك ان معاوية شق عصا الطاعة ورفض البيعة له (٢٢) .

١٤ - الطبري : تاريخ ، ٢٠٨٥/٦ - ٢٠٨٦ .
١٥ - هي نائلة بنت الفرافصة الكلبية ، وكانت نصرانية ، فأسلمت قبل ان يدخل بها عثمان في سنة ٢٨ هـ / ٦٤٨ م (الطبري : تاريخ ، ٢٨٢٧/٥) .
١٦ - الاصفهاني : الاغانى ، ٢٥١/١٦ - ٢٥٢ . ولكن عليا انكر اشد الانكار ان يكون حرّض او شارك في دم خليفة المسلمين ، وعرض ان يحلف خمسين يمينا بين الركن والمقام على انه لم يقتل ولم يماليء على قتله ، اذا كان ذلك يذهب بما في نفوس بني أمية (البلاذري : انساب ، ٨١/٥) .

- ١٧ - ابن ابى الحديد : الشرح ، ٢٩٣/٩ .
١٨ - الطبري : تاريخ ، ٢٠٨٥/٦ .
١٩ - ابو الفداء : المختصر ، ١٧٢/١ . الطبري : تاريخ ، ٢٠٨٦/٦ .
٢٠ - الطبري : تاريخ ، ٣٢٥٤/٦ .
٢١ - المصدر نفسه : ٣٠٨٤/٦ .
٢٢ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٤١ .

اما زعيم المعارضة الجديد معاوية بن ابي سفيان ، فانه حين جاءه نعي عثمان واستخلاف علي ، ادرك ان الامام الجديد لن يبقي عليه في ولايته . فلما سمع بخروج عائشة ونقض طلحة والزبير ، ازداد قوة وجرأة ، وكتب الي الزبير : «اني بايعتك ولطلحة من بعدك ، فلا يفوتكما العراق» (٢٢) . ثم ما ان جاءت اخبار الجمل ، حتى حمل لواء المطالبة بدم الامام القتيل ، متابعا الحملة التي بدأتها المعارضة الاولى . ويبدو ان موقفه من هذا الطلب كان اكثر قوة من موقف طلحة والزبير ، فهو ابن عم عثمان وولي دمه ، كما انه في منعة من اهل الشام الذين وثقوا به ، فتحصن بهم . ثم انتقل اليه من كان من العثمانية في البصرة والكوفة ، ونزلوا في الجزيرة من سلطانه (٢٤) .

ولم يقف معاوية عند حد تزعم المطالبين بدم الامام القتيل ، بل بدأ حملة اعلامية لتصديق جبهة علي وتآليب الناس عليه . فاستطاع - بدهائه - ان يقنع اهل الشام بوجوب الانضمام اليه ، سعيا وراء اقامة حدود الله ، وتنفيذا لاحكام كتابه . فبايعه اهل الشام على الطلب بدم عثمان اميرا لا يطعم في الخلافة (٢٥) ، واقسموا على الثأر لأمير المؤمنين المقتول ظلما وعدوانا . قال رسول معاوية الي علي يصف حال الشاميين بعد ان علّق قميص عثمان الملطخ بالدماء فوق منبر مسجدهم : «تركت ستين الف شيخي يبكي تحت قميص عثمان ، وهو منصوب لهم قد البسوه منبر دمشق» (٢٦) . وتجاوز في حملته الاعلامية حدود ولايته ، فكتب الي اهل مكة والمدينة شارحا لهم موقفه ، وبأنه لا يبغي من علي شيئا سوى ان يدفع اليه قتلة عثمان ليقتلهم بكتاب الله ، وأن يكون الامر شورى بين المسلمين ، كما فعل عمر بن الخطاب (٢٧) . ووصل به الامر في بعض مراحل المفاوضات بين الفريقين ، ان يقول لرسول علي : «أقاتله على دم عثمان وانه آوى قتلته . فسلوه ان يسلم الينا قتلته وأنا اول من يبايعه من اهل الشام» (٢٨) .

رأى علي في موقف معاوية من امامته تمردا خطيرا على رأس الدولة الاسلامية، وخروجا على احكام البيعة التي عقدت له باجماع اهل الحل والعقد من المهاجرين والانصار ، والتي توجب الرضا والتسليم على جميع المسلمين (٢٩) . فجرت المكاتبات والمراسلات بين الفريقين ، ورد علي على مزاعم معاوية ، وفنّدها واحدة

٢٣ - ابن العبري : تاريخ ، ص ١٨١ .

٢٤ - ابن مزاحم : صفين ، ص ١٢ .

٢٥ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٣٢ ، ٦٣ .

٢٦ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ٧٧/١ . الطبري : تاريخ ، ٣٠٩/٦ .

٢٧ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٦٣ .

٢٨ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٧٠ .

٢٩ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٤٦ .

بعد اخرى . فأخبره بأن الذين باثروا قتل عثمان قتلوا يوم قتله ، وأما الآخرون من الثائرين فلا يستحقون القتل ، فقد تأولوا عليه القرآن ، ووقعت الفرقة ، ولا يجب عليهم القود (٢٠) . واحتج معاوية بأنه لم يستشر في أمر الامامة . فرد عليه علي ردا قاسيا ، وكتب اليه قائلا : «واعلم انك ممن الطلقاء (٢١) الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى» (٢٢) . ويزعم ابن ابي الحديد ان معاوية سأل عليا ان يبقيه في ولاية الشام على ان يعطيه طاعته ويبيعه ، فأبى علي ذلك (٢٣) .

واستمر تنقل الوفود بين الكوفة ودمشق ، الا ان جميع المحاولات باءت بالفشل ، وظل شبح الانقسام قائما . وأصبح المسلمون معسكريين متعاضدين يسعى كل منهما الى تذويب الآخر فيه . وبذلك سارت الاحداث نحو التصعيد بانتظار الصدام الذي صار لا بد من وقوعه للفصل بينهما .

ولكن ما تجدر الاشارة اليه ، ان الصراع بين علي ومعاوية لم يكن صراعاً شخصياً على زعامة المسلمين فحسب ، بل كان يمثل وجهاً جديداً من وجوه التنافس القديم الجديد بين بيتين من بيوتات قريش - بيت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وبيت أمية بن عبد شمس بن عبد مناف - فقد ظفر كل منهما بقسط وافر من الشرف في الجاهلية . وجاء الاسلام وسقاية الحج في بني هاشم ، بينما اللواء في أمية . وفي حين شهر الامويون بالحلم والتدبير ، فان الهاشميين عرفوا بالشجاعة والسخاء (٢٤) . ثم اتفق ان علياً قتل كثيراً من بني عبد شمس في حروب الرسول لهم ، فتأكدت عداوة بني أمية له (٢٥) . ويرى بعض الباحثين المحدثين ان الصراع بين علي ومعاوية تطور الى صراع اقليمي بين سوريا والعراق ، وان العصبية القبلية تطورت لتصبح عصبية اقليمية (٢٦) .

ربما كان ما يقوله حتي وصاحبه مقبولاً حين نعود قليلاً عبر التاريخ الماضي . فالصراع كان قائماً بين الاقليمين منذ كانت مناذرة العراق تخضع لتوجيه معسكر الفرس ، ومنذ كانت غساسنة الشام تسير في فلك معسكر الروم . ولكن - في الوقت نفسه - لا نستطيع تجاهل ما جد على مفاهيم الناس من عقائد بدلت السلوك ، ومن افكار غيرت الاتجاهات . فالعصبية العشائرية كان لها دورها ،

٢٠ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٦/٤ . القود : القصاص وقتل القاتل بدل القاتل .

٢١ - الطلقاء : اي الذين اطلق سراحهم النبي وم فتح مكة (ابن هشام : سيرة ، ٤١٢/٢) .

٢٢ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٢٩ . الطبري : تاريخ ، ٢٢٧٨/٦ .

٢٣ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٢٣/١٥ .

٢٤ - الطبري : تاريخ ، ٢٠٨/٧ .

٢٥ - ابن ابي الحديد : للشرح ، ٢٥/٩ .

٢٦ - حتي : تاريخ العرب ، ٢٢/٢ .

والعصبية الاقليمية ربما كان لها دورها ايضا ، ولكن الدور الاكبر يظل يدور في فلك من هو صاحب الحق ، علي ام معاوية؟! فاذا كان علي قد استطاع ان يقنع اهل العراق وغيرهم بأنه هو الممثل الشرعي الوحيد لجميع المسلمين ، وان طاعته واجبة بعد ان تمت له بيعة المهاجرين والانصار ، فان معاوية بدوره تمكن من اقناع اهل الشام بأن الحق يدور حيث يدور معاوية ، لانه يحمل راية الثأر لإمام المسلمين الذي اغتيل ظلما وعدوانا .

ومهما يكن من امر دوافع هذا الصراع ، فان عليا ادرك استحالة فض النزاع بينه وبين ذلك الوالي المتمرد في الشام ، دون مواجهة عسكرية فاصلة ، فأخذ يتأهب لغزو معاوية في عقر داره . فبدأ بتحريض الناس على الجهاد والحرب ، فاستجابت له القبائل وانضم اليه قراء البصرة والكوفة وكثير من المهاجرين والانصار . غير ان الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود في اربعمائة من اصحابه اعتذروا لعلي ، وأخبروه بأن الشك يساورهم في امر هذا القتال ، فاعتزلوا الحرب ولم يشاركوا عليا في المسير الي الشام لاختضاع معاوية (٢٧) . ومن هنا بدأ الوهن في معسكر علي ، اذ ان عددا - غير قليل - من اصحاب الرسول(ص) كانوا لا يرون قتال معاوية امرا واجبا يفرضه الدين .

بعد ان استجابت القبائل لنداء امير المؤمنين ، عقد الوية القبائل وجعل عليهم امراءهم ورؤساءهم ، فاذا عماد عسكريه ربيعة ومضر (٢٨) . ولكن جيشه لم يخل من اليمنية الذين نزحوا قبل الفتح وبعده ، فقد انضمت اليه قبائل كِنْدَةَ ومدحج وهمدان وطيء وغيرهم (٢٩) . ثم امر القادة ، فكان علي مقدمة جيشه الاشر بن مدحج النخعي ، وعلى ميمنته الاشعث بن قيس الكندي ، وعلى مسيرته عبد الله بن عباس . كما استعمل عمّار بن ياسر على الخيل ، وعلى الرجالة عبد الله بن بندل الخزاعي . أما قراء البصرة والكوفة فساروا الي مسعر بن فدكي (٤٠) .

أما معاوية ، فانه منذ شعر بانحراف مضر عنه وانضمامها الي علي ، اخذ يتقرب من اليمنية ، وبخاصة ان زوجة عثمان كانت منهم ، وانه كان أصهـر اليهم وتزوج منهم ميسون الكلبية التي ولدت له يزيد . وبهذا فقد كان اكثر جنده من القبائل اليمنية . وعلى الرغم من ذلك ، فان معاوية لم يابه ان يكون قادة جيشه منهم ، حتى عاتبه احد رجال كِنْدَةَ حين امر عليهم بسر بن أرطاة

٢٧ - ابن مزاحم : صفين ، ص ١١٥ .

٢٨ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٥٠٢/١ (ط . الحلبي) . ابن مزاحم : صفين ، ص ٢٠٥ .

٢٩ - المبرد : الكامل ، ٩٠٩/٢ .

٤٠ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٢٠٥ .

معاويَ أحييتَ فينا الإحْسَنَ
وأحدثتَ بالشامَ ما لم يكن
عقدتَ لبسرٍ وأصحابه
وما الناسَ حولك إلا اليمَنَ

ولكن هذا لا يعني ان جيش معاوية قد خلا من القبائل العدنانية ، فبعضها كان يقيم في بلاد الشام فانضم اليه (٤٢) .

وعلى الرغم من ان اكثر جند علي كانوا من عرب الشمال ، وان اكثر عسكر معاوية كانوا من عرب الجنوب ، فلا يمكننا القول ان الانقسام بينهما كان انقساما قريبا حاسما ، اذ انقسمت بعض القبائل على نفسها ، فحاربت بعضها بعضا . فهذه ازد العراق تقاتل ازد الشام ، وهذه خثعم الشام تنازل خثعم العراق (٤٣) . كما نجد آخرين التحقوا بهذا العسكر او بذلك اعتقادا منهم ان صاحبهم على الحق وان نصره واجب يحتمه الدين ، لكونه يدافع عن حدود الله ويعمل على صيانة حرمت الاسلام . فان ابا نوح الحميري الذي كان في جيش علي ينكر قرابته لابن عمه ذي الكلاع الحميري ، الذي جاء يسأله عن حديث عمّار بن ياسر ، ثم لا يعترف له برابطة الدم التي كانت تجمع بينهما من قبل ، حين يقول له : «ان الله قطع بالاسلام ارحاما قريبة ووصل به ارحاما متباعدة ، واني قاتلك وأصحابك لانا على الحق وانتم على الباطل» (٤٤) .

ومما هو جدير بالملاحظة ان شعار اهل العراق كان شعارا دينيا ، لا اثر للعصبية فيه ، فقد جعلوا رايتهم تقول : «يا الله ، يا احد ، يا صمد ، يا محمد ، يا رحمن ، يا رحيم» (٤٥) . ولم يكن انصار معاوية بأقل تمسكا من جند علي بما يرونه حقا ودينا ، فقد كان شعار اهل الشام : «نحن عباد الله - حقا

٤١ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٦٧/٨ . كان من ابرز قادة معاوية : عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وحبيب بن مسلمة الفهري ، ومسلم بن عقبة المرّي ، وأبو الاعور السلمي (ابن مزاحم : صفين ، ص ٢٠٦) .

٤٢ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٢٨/٤ . اما قبائل تغلب النصرانية فيبدو انهم وقفوا على الحياد ، فلم يناصروا فريقا على آخر . فقد ارسلوا وفدا الى علي حين نزل بأرض الجزيرة ، فصالحوه على ان يقرهم على دينهم (ابن مزاحم : صفين ، ص ١٤٦) .

٤٣ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٨١ .

٤٤ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٧/٨ .

٤٥ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٣٢٢ .

حقاً - يا لثارات عثمان (٤٦) . وهذا فتى من جيش معاوية يدين بدين عثمان بعد ان يرمي عليا بدمه فيقول :

انا ابن ارباب الملوك غسان
والدائن اليوم بدين عثمان
إني اتاني خير فأشجان
أن علياً قتل ابن عفان

ولكن هذا الفتى سرعان ما يتراجع عن دعواه ويعود الى رشده ، وذلك حين يخبره احد العراقيين بحقيقة موقف علي من عثمان وقاتليه (٤٧) .

عناصر المعارضة في معسكر علي وانثراها في اضعاف موقفه :

لعبت المعارضة المكشوفة والخفية داخل معسكر علي ادوارا خطيرة في مواقف عديدة ، ترتب عليها وهن امير المؤمنين امام اصحابه ، حتى صار يأمر فلا يستجيبون وينهى فلا ينتهون . فكان اول الامر مع هؤلاء القوم حين جعل علي رياسة كندة وربيعة للاشعث بن قيس الكندي ، ففضبت ربيعة لذلك ، فعزله وولّى مكانه حسّان بن مخدوج . فتكلم في ذلك اهل اليمن ، فاسترضاهم علي وولّى الاشعث على ميمنة اهل العراق (٤٨) . ثم ان عليا كان لا يعدل بربيعة احداً ، فشق ذلك على مضر ، فأسأؤوا لصاحبهم (٤٩) . ووقف كثير منهم على الحياد ، حتى قال علي : «اليس من العجب ان ينصرني الأزدي وتخذلني مضر؟» (٥٠) . ومن مظاهر الفساد في معسكر علي كثرة تدخل الجند في شؤون قائدهم ، فكانوا يلاحقون كل رسول يروح ويجيء ، ويظنون بأميرهم الظنون . بينما كانت رسل معاوية تروح وتجيء ، فلا يسأل اصحابه عن سبب ذهابهم واخبار عودتهم (٥١) .

وقد ادرك علي عوامل الانقسام واختلاف الاهواء بين اتباعه ، فشكا امره الى

٤٦ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٣٢٢ .

٤٧ - الطبري : تاريخ ، ٦/٣٢٢٣ .

٤٨ - ابن مزاحم : صفين ، ص ١٣٧ ، ١٤٠ .

٤٩ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٣٠٨ .

٥٠ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٤/٤٦ .

٥١ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٥٤٢٦ .

الله قائلا : «نشكو اليه غيبة نبينا وكثرة عدونا وتشتت أهوائنا» (٥٢) . وأدرك معاوية مواطن الضعف في جند علي وطواعية عسكره ، حين قال : «وكان في أخبث جند وأشدهم خلافا ، وكنت في أطوع جند وأقلهم خلافا» (٥٣) . ولم يكن حظ علي بقادته خيرا من حظه بجنده . فهذا الاشتهر النخعي وصف بالخفة وسوء الرأي ، وإنه كان متبعا بدم عثمان (٥٤) ، لقدومه على رأس ثوار الكوفة يوم الفتنة (٥٥) . ومما يشير الى عدم انضباطيته لأميره موقفه في صفين ، يوم حاول معاوية ازاحة جيش العراق عن مواقعه التي تحصن بها . فبعث بعدد من العمال يحفرون بحيال عسكر العراقيين ، حتى بدا للناس انه يريد تفجير النهر عليهم واغراقهم ، فاذا بأصحاب علي يأتونه طالبين الانتقال والرحيل عن مواقعهم . فأخبرهم الامام علي بأن ما يقوم به اصحاب معاوية لا يستقيم لهم وان عملهم لا يعدوان ان يكون خدعة حربية . فرفضوا طاعة اميرهم واصروا على مطلبهم ، وقال قادتهم لعلي : «والله لنترحلن ، فان شئت فارتحل ، وان شئت فأقسم» فاضطر علي الى النزول عند ارادتهم . ثم يصح ما توقعه علي ، فتنزل عساكر الشام مكان جيشه بعد رحيله عنه . وهنا يستدعي علي الاشتهر ، ويعاتبه قائلا : «ألم تغلبنني على رأيي انت والاشعث ؟» (٥٦) . وفي مناسبة اخرى نجد الاشتهر اكثر جراءة على علي ، وذلك حين ولئى امير المؤمنين ابناء عمومتسه على البصرة ومكة واليمن ، فجاءه الاشتهر معرّضا به ، متهما له بممالأته لدويبه كما كان يفعل عثمان من قبل . فتقاولا وأغلظ كل منهما لصاحبه (٥٧) . وكان قائده الآخر الاشعث بن قيس قد لعب أدوارا خطيرة في مواقف مختلفة، جعلت الكثيرين يتساءلون عن حقيقة علاقته بعلي وبحركة الخوارج . ولعل من المفيد التعرف بتلك الشخصية المذبذبة قبل بروزها على مسرح تلك الاحداث الجسيمة بنتائجها .

يذكر صاحب الطبقات ان الاشعث أسلم في عهد الرسول ، وارتد بعد وفاته مع بعض كيندة ومنعوا الزكاة ، ثم استسلم وأسر . وقد عفا عنه ابو بكر وزوجه اخته ام فروة (٥٨) . ولكن البلاذري والسعودي ينقلان عن ابي بكر قوله : «ثلاث تركتهن وددت اني لم أفعل - وددت اني يوم اتيت بالاشعث بن قيس اسيرا ضربت

٥٢ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٢٣١ .

٥٣ - البيهقي : المحاسن والمساويء ، ص ٢٧٦ .

٥٤ - الطبري : تاريخ ، ٢٢٦٣/٦ .

٥٥ - ابن سعد : الطبقات ، ٧١/٣ .

٥٦ - ابن مزاحم : صفين ، ص ١٩١ . ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٨/٤ - ١٩ .

٥٧ - ابن حبيب الهاشمي : المتالين ، ص ١٩ .

٥٨ - ابن سعد : الطبقات ، ٢٢/٦ .

عنه . فاني يخيل اليّ انه لا يرى شرا الا سعي فيه واعان عليه» (٥٩) . ويقال انه شهد القادسية مع سعد بن ابي وقاص في العراق (٦٠) . كما ان عثمان وواه على اذربيجان (٦١) . فلما تولى علي الخلافة عزاه . فغضب الاشعث واستشار اصحابه للمحاق بمعاوية . فردوه عن رايه (٦٢) . ثم ان عليا عاد فاسترضاه - ربما لمكانته في قومه - فقد وجدناه من قاداته يوم صفين . ولكن يبدو ان الود ظل مفقودا بينهما . فقد خطب الي علي ابنته ، فزجره وردّه ، فازداد بغضه لأمير المؤمنين (٦٣) . كما يروي لنا صاحب الشرح ان عليا كان يخطب مرة على منبر الكوفة . فاعترضه الاشعث قائلا : «هذه عليك لا لك» ، فرد عليه علي بحدّة بالغة وقال له : «وما يدريك ما عليّ مما لي؟! عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين ، منافق ابن كافر . والله لقد أسرك الكفر مرة والاسلام اخرى ، فما فذاك من واحدة منهما مالك ولا حسبك» (٦٤) .

وقد بدأت متاعب علي مع الاشعث في مرحلة مبكرة من حرب صفين ، اذ كان في عداد الذين أصروا على الانتقال من المعسكر الذي نزلوا فيه ، رغم نصيحة أمير المؤمنين على البقاء هناك (٦٥) . وتزداد خطورة الاشعث في مواقف أكثر حرجا لعلي فيما بعد .

وأما مسعر بن قنكزي القائد الآخر الذي كان على قراء البصرة والكوفة ، فلم يكن بأقل خطرا من صاحبيه ، وسيكون له شأن خطير عند قبول علي بالتحكيم . وهكذا نلاحظ ان بعض العناصر القيادية في معسكر علي كانت تعمل على خلق المتاعب له ، والخروج على أوامره في المواقف الحاسمة ، حتى صار علي يردد (٦٦) :

مُنيتُ بخلفِ آراءِ الطغام

ولكنني متى أبرمتُ أمراً

وقد حملَ ميور Muir عليا مسؤولية وجود تلك العناصر الهدامة بين أتباعه حين قال : «ان عليا ما دام قد سمح لنفسه ان يضم الى جيشه الخونسة

-
- ٥٩ - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١١٠ . المسعودي : مروج ، ١٩٥/٢ .
 ٦٠ - المقدسي : البدء والتاريخ ، ١٥٦/٥ .
 ٦١ - أذربيجان : احدى مقاطعات بلاد فارس ، فتحت في عهد عمر بن الخطاب . ومن اشهر مدنها تبريز (باقوت : معجم البلدان) .
 ٦٢ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ٨٣/١ - ٨٤ .
 ٦٣ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٧٤/٤ - ٧٥ .
 ٦٤ - المصدر نفسه : ٢٩١/١ .
 ٦٥ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٨/٤ - ١٩ .
 ٦٦ - المصدر نفسه : ١٨/٤ - ١٩ .

والقتلة ، فكان عليه ان يجني الثمار المرّة في الوقت الذي كان فيه معاوية هو الراجح الوحيد» (٦٧) . ولكن يبدو ان ميور Muir قد حملّ عليا ما هو فوق طاقته ، فأمر المؤمنين لم يكن بقادر على تحديد هوية اولئك المخادعين ليفرز الخونة منهم جانبا ، خصوصا وانهم من زعماء القبائل التي تسانده وتحارب الى جانبه ، والتي لا يستطيع اغضابها او الاستغناء عن مساندها له . كما ان زعم ماكدونالد Macdonald بأن عليا لم يكن رجل سياسة (٦٨) ، فيه جهل بشخصية الامام الذي كان رجل عقيدة يعمل بموجبها ويلتزم بأحكام اجتهاداته من خلالها .

التحكيم وظهور الخوارج :

نسبت الحرب في صفين بين العراقيين والشاميين ، فكانت سجلا بين الفريقين . واستمر القتال شديدا حتى أكلت الحرب العسكريين ومسلّ الناس القتال (٦٩) . وأخيرا تحولت رياح المعركة لصالح اهل العراق ، وأصبح النصر قاب قوسين او ادنى من جيش علي وكادت الدائرة تدور على معاوية وجنوده . فاستشار معاوية أركان حربه ، فأشار عليه عمرو بن العاص برفع المصاحف ليوقع البلبة في معسكر خصومهم ، ويظهر امير اهل الشام بمظهر الحريص على وحدة المسلمين وحقق دمائهم (٧٠) . وقد كان لعمر بن الخطاب ما اراد ، فما ان رفعت المصاحف على أسنة القنا حتى دب الانقسام في معسكر علي ، وبدا للعيان ان كثيرين منهم كانوا ينتظرون مثل هذه السانحة ، ليكشفوا عن خبيثة نواياهم تجاه امير المؤمنين . اذ سرعان ما جاء الاشعث يستأذن عليا بالذهاب الى معاوية ليبحث معه شروط وقف القتال . فأذن له ، ثم ما لبث ان عاد بخبر التحكيم (٧١) .

وحينذاك لا يكتفي الاشعث باعلان موافقته على مطلب اهل الشام ، بل يصبح من أشد الناس الداعين الى اطفاء نار الحرب والركون الى السلام (٧٢) . ومالت اليمانية مع الاشعث ، ووقع التنازع بينه وبين الاشعث الذي يبدو انه كان يعارض

67 — Muir : The Caliphate, p. 280.

68 — Macdonald : Muslem Theolgy, p. 20.

٦٩ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٤٧٣ .

٧٠ - ابن سعد : الطبقات ، ٣/٢٢ . اليعقوبي : تاريخ ، ٢/١٨٩ . الطبري : تاريخ ،

٦/٢٢٢٩ .

٧١ - الطبري : تاريخ ، ٦/٢٢٢٢ - ٢٢٢٣ .

٧٢ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٤٨٤ .

وقف القتال قبل تحقيق النصر الحاسم (٧٣) .

ولقد كانت مواقف الأشعث موضوع أخذ ورد عند الرواة القدامى وعند الباحثين المحدثين . فالدينوري يروي لنا ان الأشعث خطب قومه ليلة الهيرير (٧٤)، فقال : « اتنا والله ان التقينا غدا انه لبوار العرب وضيعة الحرمات !! اما والله ما اقول هذه المقالة جزعا من الحرب ، ولكني رجل مسنّ أخاف على النساء والذراري غدا اذا فنينا ...» (٧٥) . فنقلت العيون هذه المقالة الى معاوية ، فرفعت المصاحف في اليوم التالي (٧٦) .

ويزعم اليعقوبي ان معاوية كان قد استمال الأشعث اليه قبل حكاية رفع المصاحف (٧٧) .

ولعل هذه الاخبار هي التي جعلت فيل Weil ودوزي Dozy وبرنوف Brunnow ومُلر Muller يلقون عبء التهمة على الأشعث بالتواطؤ مع اهل الشام (٧٨) .

وقد استبعد فلهوزن Wellhausen وطه حسين ان يكون رفع المصاحف مؤامرة بين الأشعث وعمرو بن العاص ، او ان يكون الأشعث قد خان عليا لصالح معاوية (٧٩) .

ونحن - بدورنا - نميل للاخذ بهذا الرأي ، لانه ليس لاعتقاد اليعقوبي ما يدعمه . فقد ذكر ابن مزاحم ان معاوية حاول استمالة الأشعث الى رايه ، فلم يفلح بذلك . ثم اتنا لم نلاحظ الأشعث يقبض ثمن خيانتته المزعومة ، فلم ينتقل الى معسكر معاوية ، لا في حياة علي ، ولا بعد انفراد معاوية بالجاه والسلطان . كما ان الحسن بن علي تزوج ابنة الأشعث فيما بعد ، وصلى عليه عند مماته (٨٠) . ثم ظهر للعيان ان اهل العراق قد ملوا الحرب وكرهوا استمرار التذابح بين المسلمين ، فتنادوا من كل جانب يطلبون المودة ، وقام اليه ناس ، فقالوا :

٧٣ - اليعقوبي : تاريخ ، ١٨٩/٢ .

٧٤ - ليلة الهيرير : هي تلك الليلة التي سبقها اشد يوم في القتال في صفين ، والتي كان

يسمع فيها هيرير الفرسان كما تهر السباع ، وهو صوت دون النباح .

٧٥ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٨٨ .

٧٦ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٣٦٢ .

٧٧ - اليعقوبي : تاريخ ، ١٨٩/٢ .

٧٨ - فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ٩ .

٧٩ - فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ١٢ - ١٣ . حسين : الفتنة الكبرى ، ٨١/٢ .

٨٠ - ابن سعد : الطبقات ، ٢٢/٦ . ابن ابي الحديد : الشرح ، ٦٣/٨ .

«يا علي ، اجب القوم الى ما دعوك اليه ، فانا قد فنيانا» (٨١) . وتكلم رؤساء القبائل - فمنهم من أيد وقف القتال ، ومنهم من ترك الامر لعلي (٨٢) . وكان من أشد الناس تأييدا لقبول عرض اهل الشام عصابة من القراء ، يتقدمهم مسعر بن فدكي ، وزيد بن الحُصين الطائي جاؤوا عليا ، فخاطبوه باسمه - لا بامرة المؤمنين - وهددوه ان يلحقوه بعثمان او بتسليمه الى عدوه ان لم يستجب لمطلب اهل الشام ويقبل الاحتكام للقرآن (٨٣) .

وعلى الرغم من اجماع الرواة على وقوع حكاية رفع المصاحف ، فان بروكلمان Brockelman يشكك بحدوثها ويرى ان هذه المسألة قد تكون وهمية ، دون ان يعطي دليلا كافيا يجعل هذا الوهم امرا مقبولا (٨٤) .

ولعل من الصعب قبول هذا التشكيك بعد ان اجمعت المصادر التاريخية على وقوع هذه الحادثة . كما انه ليس غريبا ان يلجأ المتخاصمون لمثل هذه الوسيلة الفعالة . فالاحتكام الى القرآن يلقي استجابة الناس في ذلك الحين . وسبق ان لجأ المسلمون اليه يوم الجمل . فقبيل نشوب تلك الحرب قام كعب الازدي ومعه المصحف ، فنشره بين العسكريين ، ونشدهم الله والاسلام في دمائهم (٨٥) . كما لجأت اليه عائشة بعد هزيمة أنصارها في تلك الموقعة ايضا (٨٦) . وقد سجل بعض الشعراء واقعة رفع المصاحف في صفين ، فقال (النجاشي) بن الحارث (٨٧) :

فأصبح اهل الشام قد رفعوا القنا
عليها كتاب الله خير قران
ونادوا علياً ، يا بن عم محمد
أما تتقي أن يهلك الثقلان

لم تنطل مكيدة رفع المصاحف على علي ، وأدرك نوايا القوم من وراء ذلك . فحذّر أصحابه من الوقوع في حبال معاوية وشرارك ابن العاص ، ولكنه لم يفلح في اقناعهم ، بعد ان بدا عليهم الخور والفشل في الحرب (٨٨) .

-
- ٨١ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٤٨٣ .
٨٢ - المصدر نفسه : ص ٤٨٤ - ٤٨٥ .
٨٣ - ابن مزاحم : ص ٤٨٩ . الطبري : تاريخ ، ٦/٣٣٣ . الشهرستاني : الملل والنحل ، ١/١١٤ .
٨٤ - بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١١٨ .
٨٥ - ابن عساکر : تهذيب ، ٧/٨٤ .
٨٦ - الطبري : تاريخ ، ٣/٥٢٢ .
٨٧ - السعودي : مروج ، ٢/٢٧١ . المصامي : السمع ، ٢/٤٥٠ .
٨٨ - الطبري : تاريخ ، ٦/٢٢٢٩ - ٢٢٣٠ . ابن ابي الحديد : الشرح ، ١/١٩٣ (ط. الحلبي) .

وتذكر بعض الروايات الاخرى ان عليا نفسه مال الى قبول التحكيم ، اذ لم يكن في مقدوره ان يرفض مثل هذه الدعوة . فقد تكلم بعد رفع المصاحف ، فقال: «لقد رفعوها وما رأيهم العمل بما فيها ، وليس يسعني مع ذلك ان ادعى الى كتاب الله فأبى ، وكيف وانما قاتلناهم ليدينوا بحكمه» (٨٩) . وينسب المقدسي الى علي قوله (٩٠) : «فخشيت ان يتأولوا عليّ قوله تعالى : ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم من معرضون» (٩١) .

ولعل أسبابا ثانوية أخرى دفعت عليا الى قبول عرض اهل الشام . فقد ذكر الطبري ان عليا كان يحدث نفسه فيما بعد ، بأنه نظر الى ولديه وهما في خضم المعركة ، فعزّ عليه ان يهلكا وينقطع بهلاكهما نسل محمد (ص) من الارض . فكان ذلك من جملة الاسباب التي جعلته يميل الى وقف الحرب (٩٢) . كما يلاحظ طه حسين ان المطالبين باستمرار القتال كانوا قلة من عسكره ، فاشفق عليهم ، لان استمرار الحرب معناه ان يلقي بهؤلاء الناس بين عدوهم من اهل الشام وبين اصحابهم المنادين بوقف القتال من اهل العراق (٩٣) .

ومهما قيل بشأن موقف علي من مطالب اهل الشام ، فان ما لا شك فيه ، ان عليا وقع بين أمرين أحلاهما مرّ . ومع ادراكه التام ان مجرد اختياره لاحدهما كان كافيا لاثارة فريق من أتباعه عليه ، فقد اجتهد واختار طريق السلام ، لان السواد الاعظم من عسكره كان يريد ذلك ، وربما لاعتقاده ايضا ان اي احتكام لكتاب الله سيكون في مصلحته (٩٤) . وهكذا لم يجد مفرا من الاستجابة لمبدأ التحكيم ، فأرسل الى الاشرع يأمره بوقف القتال والعودة اليه ، وذلك بعد ان تأكد له وقوع الفتنة والانقسام بين أتباعه (٩٥) .

ثم تلا وقف القتال اجتماع قراء اهل العراق وقراء اهل الشام ، حيث قعدوا بين العسكرين واخذوا يتدارسون القرآن . واتفقوا في نهاية الامر على تحكيم حكمين في موضوع النزاع - احدهما يمثل عليا والآخر يمثل معاوية (٩٦) . اختار معاوية عمرو بن العاص ممثلا له في اللجنة التحكيمية دون صعوبة او

-
- ٨٩ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٩٠ .
 ٩٠ - المقدسي : البدء والتاريخ ، ٢٢٢/٥ .
 ٩١ - آل عمران ٢٣ .
 ٩٢ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٤٦/٦ - ٢٣٤٧ .
 ٩٣ - حسين : الفتنة الكبرى ، ٨٨/٢ .
 ٩٤ - المبرد : الكامل ، ٩١٠/٣ - ٩١١ .
 ٩٥ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٢١/٦ .
 ٩٦ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٩٢ .

عناء ، بينما وقع علي في مأزق جديد يكاد يكون أشد خطرا من قبول الحكومة ذاتها . اذ كان الاجدر بأصحابه ان يفسحوا له مجال اختيار ممثله بعد مشاورتهم في الامر . غير ان الرياح جرت على غير ما يشتهيها امير المؤمنين . فان القوم الذين قيل انهم اجبروه على قبول عرض اهل الشام - وفي مقدمتهم الاشعث بن قيس ومسر بن فدكي وزيد بن الحصين الطائي وفريق مسن القراء - جاؤوا يفرضون عليه ابا موسى الاشعري ممثلا له . فاحتج على هذا الاختيار وقدم الاشتر بدلا عنه ، فرفضوه . فاقترح ابن عباس ، فقال الاشعث الكندي : «لا والله ، لا يحكم فيها مضرين حتى تقوم الساعة» (٩٧) ، فقال لهم علي : «انكم قد عصيتموني في اول الامر ، فلا تعصوني الان . اني لا اري ان اولي ابا موسى ، فانه ليس بثقة ، وقد فارقتني وخذلت الناس عني . ثم هرب حتى آمنت به بعد اشهر» . فأصروا على ابي موسى بحجة انه كان حذرهم ما وقعوا فيه . ولما لم يجد علي وسيلة لاقتناعهم ، رضخ لرغبتهم وسلم الامر لهم (٩٨) . وشكا حاله بين امسه ويومه فقال : «الا اني كنت امس امير المؤمنين ، فأصبحت اليوم مأمورا ، وكنت ناهيا فأصبحت منها ، وليس لي ان احملكم على ما تكرهون» (٩٩) . وهكذا بدا ان عليا قد فقد السيطرة على قادة جيشه ، فصاروا يأمرون وينهون . ثم لا يجد مفرا من الرضوخ لرغباتهم .

اتم المكلفون بصياغة وثيقة التحكيم عملهم ، وكتب كتاب القضية بين علي ومعاوية في اليوم الثالث عشر من شهر صفر ٣٧ هـ / ٣١ تموز ٦٥٧ م على ان يوافي الفريقان موضع الحكومة بدومة الجندل في شهر رمضان من العام ذاته . وكان اهم ما جاء في هذا الكتاب قوله : «هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وشيعتهما . انا ننزل عند حكم الله عز وجل وكتابه نحبي ما احيا ونميت ما ا مات . فما وجد الحكمان في كتاب الله عز وجل عملا به ، وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة الجامعة . واخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندل من اليهود والميثاق والثقة من الناس انهما آمنان على انفسهما وأهلها ، والامة انصار على الذي يتقاضيان عليه» (١٠٠) .

وقد لاحظ طه حسين ان هذه الوثيقة لم تأت على ذكر الموضوع الذي اختلفا فيه ، اذ كان معاوية يطالب بتسليمه قتلة عثمان ليقتلهم به . فيرد علي بأنه لا يستطيع تحديد هوية المشتركين بجريمة القتل ، وان علي معاوية ان يبايعه كما

٩٧ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٥٠٠ . الطبري : تاريخ ، ٢/٣٣٣٣ . اليعقوبي : تاريخ ،

١٨٩/٢ .

٩٨ - الطبري : تاريخ ، ٢/٣٣٣٣ - ٣٣٣٤ .

٩٩ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٤٨٤ . ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ١/١٠٤ . المسعودي :

مروج ، ٢/٢٧١ .

١٠٠ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٥٠٤ . الطبري : تاريخ ، ٢/٣٣٣٦ .

بايعه جمهرة المهاجرين والانصار . ويعتقد طه حسين ان عدم الايمان على ذكر موضوع الخلاف هذا ، انما يعود الى عدم احتفال الذين كتبوا الوثيقة بهذه الامور ، وان ما كان يهم الناس من كلا الطرفين هو عودة الوثام والسلام . كما يظن ان صياغة الوثيقة بهذا الشكل الغامض كانت من عمل اناس تعمدوا النفع معاوية والاضرار بعلي (١٠١) .

ولكن اذا سلمنا بهاتين الحجتين ، فمعنى ذلك اننا نقلل من شأن شهود الكتاب من اصحاب علي ، وبينهم ابن عباس الذي شهر برجاحة عقله وسعة افقه ، وعبد الله بن خبّاب بن الأرت ، وعبد الله بن جعفر بن ابي طالب وغيرهم (١٠٢) . والارجح عندنا ان اغفال ذكر موضوع الخلاف كان متعمدا ومتفقا عليه من كلا الجانبين . وذلك تجنباً لاثارة أمور يصعب الاتفاق بشأنها في تلك المرحلة المبكرة من اتفاق السلام ، فأثروا تركها للحكومة المقبلة . ومما يؤكد ذلك ما كان من احتجاج معاوية على تسمية علي بأمر المؤمنين ، ورضي علي - امام اصرار ممثل معاوية - بمحو لقبه من وثيقة التقاضي (١٠٢) .

ولعل أهم ما نلاحظه في كتاب التحكيم ، انه ساوى بين علي الخليفة وبين معاوية الوالي المتمرد على امر المؤمنين ، اذ جعلهما في موقع واحد من امر الخلاف . وهذا فيه تراجع خطير من علي ، يقابله طموح زائد من معاوية (١٠٤) . وحمل الأشعث الكندي كتاب التحكيم - بعد توقيعه من شهود الطرفين - وأخذ يقرأه على الناس . فلما مر برايات عنزة ، قال فتیان منهم : « لا حكم الا لله » ثم حملا على اهل الشام ، وقاتلا حتى قتلا . وقيل انهما اول من حكم ، ويقال لهما : معدان وجعد ، وهما اخوان . ثم مر به على رايات مراد ، فقال صالح بن شفيق (١٠٥) :

ما لعليّ في الدماء قد حكم لو قاتل الاحزاب يوماً ما ظلم

ومر به على رايات بني راسب ، فقرأه عليهم فقالوا : « لا حكم الا لله ، لا نرضى ولا نحكم الرجال في دين الله » . ولما مر برايات بني تميم قال رجل منهم « لا حكم الا لله » ، وخرج عنزة بن اديّة فقال : « اتحكمون الرجال في امر الله ،

١٠١ - حسين : الفتنة الكبرى ، ٨٥/٢ .

١٠٢ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٩٥ .

١٠٣ - الطبري : تاريخ ، ٢٢٢٤/٦ - ٢٢٢٥ .

١٠٤ - يرى جولدتسهر Goldziher ان مجرد قبول علي للحل السلمي عرضة

للخسران ، فرجحت كفة خصمه عليه (المقيدة والشريعة ، ص ١٩٠) .

١٠٥ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٥١٢ .

لا حكم الا لله» (١٠٦) . ثم ضرب الاشعث بسيفه فأخطاه ، واصاب عجز دابته ، فانصرف الاشعث الى قومه ، فجاءه سادات تميم فاعتذروا اليه ، فقبل وصفه (١٠٧) .

وعاد الاشعث بكتاب التقاضي الى علي بعد ان عرض على القبائل ، واخبره بموافقها ، موهما اياه بأن اهل الشام واهل العراق قد رضوا جميعا (١٠٨) . فما راعه بعدئذ الا ونداء من كل جانب يقول : «لا حكم الا لله ، الحكم لله لا لك يا علي ، لا نرضى بأن تحكم الرجال في دين الله» . ثم تجتمع هؤلاء المحكمة حول علي وقالوا له : «قد كانت منا زلة حين رضينا بالحكمين ، فرجعنا وتبنا ، فارجع وتب يا علي كما تبنا ، والا برئنا منك» . فلم يرض علي ان يخل بعهدة وميثاقه ، وذكرهم بقوله تعالى : «أوفوا بالعقود» (١٠٩) . وقوله ايضا : «وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم» (١١٠) .

وهكذا فان عليا ابى ان يرجع عن عهده ، وابت المحكمة الا الطعن عليه ، فبرئت منه وبريء منهم (١١١) .

وقد اختلف فيمن كان اول المحكمة ، فقيل اول من حكم عروة بن ادية احد بني ربيعة بن حنظلة (١١٢) . وقال آخرون : اول من حكم رجل يقال له سعيد من بني محارب من غيلان مضر (١١٣) . وقال غيرهم : اول من لفظ بالحكومة ولم يشد بها الحجاج بن عبد الله الضريمي ، ويعرف بالبرك ، وهو الذي ضرب معاوية على آليته يوم حاول اغتياله (١١٤) .

١٠٦ - المصدر نفسه : ص ٥١٣ .

١٠٧ - المبرد : الكامل ، ٩٠٩/٣ . الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٩٧ . يسدو ان عبد الرحمن بدوي اخطأ حين حاول تصحيح ما ظنه خطأ (فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ٥) . فهاتان الروايتان وغيرهما تخالفان اعتقاد بدوي ، الذي فهم من رواية الطبري (تاريخ ، ٢٣٢٩/٦) ان عروة بن ادية ضرب عجز الدابة التي كان يمتطيها ، وان الضربة لم تكن موجهة للاشعث فأصابت عجز دابته . وهناك روايات اخرى تؤكد ما ذهبنا اليه . فقد قال السمودي : «وشد عروة بسيفه على الاشعث ، فوقعت في عجز الفرس ونجا الاشعث» (مروج ، ٢٧٢/٢) . وقال ابن الاثير : «ثم شد بسيفه فضرب به عجز دابة الاشعث» (الكامل ، ٣٢١/٣) .

١٠٨ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٢٣٨/٢ .

١٠٩ - المائة ١ .

١١٠ - النحل ٩١ .

١١١ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٥١٧ . الطبري : تاريخ ، ٣٣٥٣/٦ .

١١٢ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٩٦ .

١١٣ - المبرد : الكامل ، ٩٠٩/٣ .

١١٤ - المصدر نفسه : ٩١٧/٣ .

وكان اول من حَكَّم بين الصفيين رجل من بني يَشْكُر بن بكر وائل ، فانه كان في اصحاب علي ، فحمل على رجل منهم فاغتاله . ثم مرق بين الصفيين فحكم ، وحمل على اصحاب معاوية فكثروه ، فرجع الى ناحية علي ، فقتله رجل من همدان (١١٥) . وتزعم الخوارج ان اول من حَكَّم عبد الله بن وهب الراسبي ، الذي اصبح اول امام لهم (١١٦) .

بعد توقيع كتاب التحكيم امر علي بالرحيل من صفين ، فنفر الناس ، وقد فشا بين اتباعه الخلاف . فلما انصرف من ارض المعركة ، خالفت الحرورية وخرجت ، وكان ذلك اول ما ظهرت (١١٧) . فبينما دخل علي الكوفة لم يدخل الخوارج معه ، ونزلوا حروراء . وقيل انه نزل بها اثنا عشر الفا في رواية الكثيرين ، وستة آلاف في رواية القليلين (١١٨) . ونادى مناديتهم : ان امير القتال شيث بن ربيعي التميمي وامير الصلاة عبد الله بن الكواء الشكري ، والامر شورى بعد الفتح ، والبيعة لله عز وجل (١١٩) . وقد شبهوا هجرتهم من الكوفة الى حروراء بهجرة الرسول من مكة الى المدينة (١٢٠) .

وكان من نتائج ظهور حزب الخوارج وتحديدهم لعلي ورميهم له بالكفر ، ان ظهرت كتلة مضادة لهم من اتباع علي نفسه . فتبادلوا التهم مع الحروريين ، ثم جاؤوا عليا فقالوا : «نحن اولياء من واليت وأعداء من عاديت» (١٢١) . ولكن هذا لا يعني ان هؤلاء القوم هم الذين شكلوا حزب الشيعة فيما بعد ، بل هم اولئك الجماعة الذين ظلوا على ولائهم لعلي ، لانهم كانوا يرون فيه الامام الحق الذي تجب طاعته ، وينبغي ان يستظل بلوائه . اذ لم تكن كلمة شيعة - حتى ذلك التاريخ - تعني اكثر من الاعوان والاتباع ، فقد وردت بهذا المعنى في وثيقة التحكيم ذاتها .

وهكذا ، فان قبول علي لمبدأ الحكومة كان الباعث المباشر لظهور الخوارج كحزب سياسي يعمل على نطاق مكشوف .

ويزعم مؤرخو الخوارج المتأخرون ان اصحابهم كانوا قد حذروا عليا من قبول التحكيم ، وانه قبله رغم نصيحتهم له برفضه (١٢٢) . فلعل هؤلاء المؤرخين يقصدون ما رواه ابن قتيبة من ان جماعة من القراء جاؤوا عليا ، وهم يحملون

١١٥ - المبرد : الكامل ، ٩١٧/٣ - ٩١٨ .

١١٦ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٧٨/٧ .

١١٧ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٤١/٦ .

١١٨ - المقدسي : البدء والتاريخ : ١٣٦/٥ .

١١٩ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٤٩/٦ .

١٢٠ - فلهوزن : الدولة العربية ، ص ٥٥ .

١٢١ - الطبري : تاريخ ، ٣٣٥٠/٦ .

١٢٢ - السماخي : السير ، ص ٣٢٩ .

سيوفهم على عواتقهم ، فذكروه بالمعهد الذي قطعه على نفسه ، وذلك بأن لا تضع الحرب أوزارها حتى يتحقق النصر الحاسم لهم . كما حذروه من ان قبوله حكومة الناس سيؤدي الى الفرقة والانقسام (١٢٣) .

فاذا صح زعم هؤلاء المؤرخين ، فمعنى ذلك ان الخوارج كانوا موجودين كجماعة عاملة وكتلة منظمة قبل بروز قضية التحكيم ، وانهم كانوا يعارضون الحل السلمي خشية ان يكون على حسابهم ، فهم المشبهون بأمر عثمان . وهذا يفسره سرعة انتشار شعار المعارضة للحكومة وتوزع هذه المعارضة بين القبائل المختلفة في معسكر علي . وحينذاك يصح ما زعمناه من ان خوارج السبئية كانوا يعملون وفق تخطيط دقيق هادف ، وانهم كانوا ينتظرون الوقت المناسب لظهور دعوتهم .

وربما كان ابن مزاحم هو اسبق من رد الامور الى نصابها بشأن هذا الفريق من القراء ، الذين جاؤوا عليا وحذروه . فقد ذكر ان هؤلاء القوم قد جاؤوا عليا - حسب زعمهم - ولكن ذلك كان بعد قبول علي لبدا الحكومة . فلم يستطع العودة عن عهد قطعه على نفسه ، فردّ على دعوتهم لاستئناف القتال قائلا : «قد جعلنا حكم القرآن بيننا وبينهم ، ولا يحلّ قتالهم حتى ننظر بما يحكم القرآن» (١٢٤) .

ولكن لم يكن هذا الفريق من القراء هم الذين خالفوا عليا في قضية التحكيم فحسب . فان بعض أنصار علي المخلصين له ، كانوا يخالفونه في اجتهاده هذا ، فأقبلوا عليه يعاتبونه ويتمنون عليه نقض الهدنة واستئناف القتال . فهذا سليمان بن صرد زعيم شيعة العراق ، والذي كانت حياته سلسلة من التضحيات في سبيل التشيع لعلّي يقول له : «يا امير المؤمنين ، أما لو وجدت أعوانا ما كتبت هذه الصحيفة» . ثم يتلوه محرز بن خنيس بن ضليح فيقول : «يا امير المؤمنين ، أما الى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل ؟ فوالله اني اخائف ان يورثك ذلًا» . فأجابه علي : «أبعد أن كتبتاه ننقضه ؟ هذا لا يجوز» (١٢٥) .

انه ليس من السهل على رجل كأمر المؤمنين علي بن ابي طالب ان ينقض عهدا قطعه ، او يرجع عن امر ابرمه .

كما ان بعض علماء اهل الجماعة كانوا يخالفون عليا في اجتهاده . فكان الحسن البصري اذا تصدر ندوته يقول : «لم يزل امير المؤمنين علي - رحمه الله - يتعرفه النصر ويساعده الظفر حتى حكم . فلم تحكم والحق معك ؟ الا تمضي قدما لا ابا لك ، وانت على الحق ؟» (١٢٦) .

-
- ١٢٣ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ١١١/١ .
 - ١٢٤ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٤٩٧ .
 - ١٢٥ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٩٧ .
 - ١٢٦ - البرد : الكامل ، ٩٥١/٢ .

ولكن ليس من السهل على من كان بعيدا عن اجواء صفّين وأهوالها ان يحكم على احكام اربابها . فسواء كان علي قد اجبر على قبول الحكومة ام قبلها راضيا مرضيا ، فان الانشقاق الذي وقع في معسكره كان كافيا لجعله يستجيب لمطالب خصومه . وقد عبّر علي عن خطر الموقف بين أتباعه في الامر الذي أصدره للاشتر ، حين قال : «أقبل اليّ ، فان الفتنة قد وقعت» (١٢٧) .

الحكومة ونتائجها :

كتب كتاب القضية بين علي ومعاوية في شهر صفر ٣٧ هـ / تموز ٦٥٧ م ، على ان يجتمع الحكمان في شهر رمضان من العام ذاته (١٢٨) . وكان الغرض الظاهر من اجتماعهما تحكيم القرآن بين المسلمين ، بدلا من تحكيم السيف فسي رقاب بعضهم بعضا . وربما كان العراقيون يرون ان الاجتماع ليس الا مسألة شكلية ، وان الحكم سيكون في صالح امامهم . غير ان تشكيل الوفدين بالشكل الذي عهدناه كان يحمل في طياته عناصر المفاجآت .

ولما حان موعد الاجتماع ، حضر فريق علي برئاسة ابي موسى الاشعري ، كما حضر اصحاب معاوية يترأسهم عمرو بن العاص . وفي بعض الاخبار ان معاوية حضر الحكومة ، بينما لم يحضرها علي (١٢٩) . ثم كان اللقاء بدومة الجندل او بأذرح (١٣٠) . وقد عمل عمرو على اكتساب ثقة ابي موسى منذ لقائه الاول معه ،

١٢٧ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٧٣/٧ .

١٢٨ - كان مكان وزمان اجتماع الحكومة موضع خلاف شديد عند الرواة والمؤرخين القدامى . فرواية ابي مخنف تقول ان الاجتماع تم بدومة الجندل بأذرح ٣٧ هـ / ٦٥٧ م (الطبري : تاريخ ، ٦/٣٣٥٤) . بينما ينقل الطبري عن الواقدي ان الحكومة كانت في شعبان ٣٨ هـ / كانون ثاني ٦٥٩ م، ويهمل مكان انعقادها (تاريخ ، ٦/٣٣٦٠) . كما يأتي الطبري برواية ثالثة عن الزهري ، فيذكر ان الاتفاق كان يقول بأن يجتمع بدومة الجندل ٣٧ هـ / ٦٥٧ م ، فان لم يجتمعا لذلك ، اجتمعا في العام القبل بأذرح ، ثم يؤكد ان الاجتماع جرى بأذرح (تاريخ ، ٦/٣٣٤١) . ويحدد اليعقوبي مكان الاجتماع بدومة الجندل (تاريخ ، ٢/١٩٠) . اما المسعودي فيخبرنا ان اللقاء كان بأرض البلقاء من بلاد الشام في ٣٨ هـ / ٦٥٨ م ، ولكنه يضيف الى ذلك قوله «وقيل بدومة الجندل» (مروج ، ٢/٢٢٨) . ودومة الجندل موضع يقع في نصف المسافة بين الكوفة ودمشق (ياقوت : معجم البلدان) . اما اذرح فاسم بلد في أطراف الشام من اعمال الشراة ، ثم من نواحي البلقاء قبلي فلسطين (ياقوت : معجم البلدان) .

١٢٩ - ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٧٦ . ابن خياط : تاريخ ، ١/١٧٤ .

١٣٠ - الطبري : تاريخ ، ٦/٣٣٤١ .

فامتدحه وقدمه على نفسه . وحين بدأت المفاوضات لم يجد صعوبة في اقناعه بأن عثمان قتل مظلوما ، وان معاوية هو وليه ، وان القرآن اعطاه حق المطالبة بدمه ، انفاذا لقوله تعالى : «وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورا» (١٢١) . واستمر الحوار بين الرجلين ، وتقول الرواية الشائعة ان عمرا اخذ يعدد مناقب معاوية وشرفه في قريش ، فلم يصر ابو موسى ان ذلك يؤهله للتقدم على المهاجرين والانصار ، حين قال : «مع اني لو كنت معطيه افضل قريش شرفا اعطيته علي بن ابي طالب» (١٢٢) . وهذا يشير - ان صحت الرواية - ان ابا موسى كان يرى تجريد الاثنين من منصب الامامة واعادتها شورى بين المسلمين .

وتقول الروايات المختلفة ان عمرو بن العاص حاول استمالة ابي موسى بالجاه والسلطان ، فلم يابه لتلك الاغراءات وقال له : «واما تعريضك لسي بالسلطان ، فوالله لو خرج معاوية لي من سلطانه كله لما وليته ، وما كنت لارتشي في حكم الله» . وطالت المحاورات بين الحكيمين - اراده عمرو على معاوية ، فأبى لان عليا يفضله ، واراده على ابنه عبد الله ، فأبى ابو موسى لان اباه قد غمسه بالفتنة . واراده ابو موسى على الحسن بن علي ، فرفض عمرو لانه ابن ابيه ، وقدم عبد الله بن عمر ، فاحتج ابن العاص بأن ورع ابن عمر يمنعه من ان يدخل في شيء من هذا . واخيرا اقترح ابو موسى خلع الاثنين معا وترك الامر شورى بين المسلمين ، فوافق عمرو على ذلك (١٢٣) . وحينما اجتمع الناس لسماع قرار الحكم ، تقدم ابو موسى اولا فخلع صاحبه كما اتفقا ، ثم صعد عمرو المنبر ، فاكد خلعه لعلي وثبت صاحبه قائلا : «انه وليّ ابن عقّان والطالب بدمه بمقامه» (١٢٤) . هذه هي الرواية الشائعة عن قضية الحكومة واصدار الحكم عن اللجنّة التحكيمية ، التي كان من نتائجها زيادة الانقسام في معسكر علي وخروج معاوية اكثر قوة من ذي قبل (١٢٥) .

ان الباحث وراء هذا الحدث الجلل في تاريخ الاسلام والمسلمين ليقف متسائلا عما جرى حقيقة في ذلك الاجتماع المفلق ، كما يتساءل عن الدوافع الكامنة وراء تلك المواقف .

١٢١ - الاسراء ٢٢ .

١٢٢ - الطبري : تاريخ ، ٢٢٥٥/٦ - ٢٢٥٦ . ابن الاثير : الكامل ، ٢٣١/٣ .

١٢٣ - يقول المقدسي ان عمرو هو الذي قدم هذا الاقتراح (البدء والتاريخ ، ٢٢٧/٥ - ٢٢٨) .

١٢٤ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٥٤٦ . الطبري : تاريخ ، ٢٣٥٥/٦ . المقدسي : البلد

والتاريخ ، ٢٢٧/٥ - ٢٢٨) .

١٢٥ - يرى احد كتاب الاباضية المحدثين انه بهذه الخطوة اصبحت الامة الاسلامية منقسمة الى

ثلاث دول : احداها دولة الخوارج التي يرأسها عبد الله بن وهب الراسبي (معمّر . الاباضية ،

٢٤/١) .

ان المفاوضات والمساومات التي جرت بين الرجلين لتقديم هذا وتأخير ذلك ، هي امور عادية تقع في كل زمان ومكان . فالتنازع على السلطة امر تفرضه الطبيعة البشرية وتوجهه الانظمة الحية ، وقد سبق وشاهدنا فضلا من وجوه هذا التنازع يوم السقيفة . ولكن ما يدعو للنظر بهذه القضية هو موقف ابي موسى الفاتر من قضية الامام علي ، مع انه جاء لتمثيله في هذا المؤتمر . والامر الآخر الذي يثير التساؤل هو اتفاق الحكيم على «خلع الاثنيين معا» . فكأنما الاثنان في منصب واحد ، مع ان معاوية لم يكن اكثر من وال ينصبه الامام ويخلعه متى شاء ذلك ، فالولاية ليست منصبا ترفعه اليه الامة . ولعل هذين الامرين يجعلاننا نلتفت بجديّة اكثر الى بعض الروايات التي تشير الى ان اهل الشام كانوا قد بايعوا معاوية بالخلافة ، لا في الامارة المؤقتة فحسب . فقد ذكر ابن قتيبة ان امير حمص وأهلها رفضوا البيعة لمعاوية بالامارة فحسب ، بل اصروا على بيعته بالخلافة للمطالبة بدم الخليفة المقتول ظلما ، وان معاوية سرّ بذلك ، فصعد منبر الشام وأخبرهم بما قاله امير حمص ، ودعاهم الى بيعته ، فأجابوه ولم يتخلف احد منهم (١٢٦) . وذكر ابن قتيبة والدينوري على لسان علي ما يشير الى ذلك ايضا (١٢٧) . وفي رواية اخرى للمسعودي ان عليا عامل الشاميين من اهل صفين بشكل يختلف عن خصومه من اهل الجمل ، فلما سئل عن ذلك قال : «اهل الشام كانوا يرجعون الى امام منتصب يجمع لهم السلاح . . . وهم الى امامته منقادون» (١٢٨) . كما ان ابن ابي الحديد ينقل عن المدائني ان ابن عباس قال في وصيته لابي موسى عند توجهه لمؤتمر التحكيم : «ان معاوية ادعى الخلافة من غير مشورة ولا بيعة» (١٢٩) .

فاذا صحت هذه الاخبار ، فانها تفسر سلوك معاوية الذي لم يكن يتصرف كوال على الشام فحسب ، بل كإمام للمسلمين هناك . وبذلك تكون الدولة الاسلامية قد اصبحت برأسيين اثنين - احدهما في العراق والآخر في الشام . ولعل هذا يفسر لنا فتور ابي موسى من قضية علي (١٤٠) ، اذ ربما كان يرى ان في خلع الاثنيين معا وترك امر الخلافة شورى بين المسلمين فرصة لاعادة الوحدة بين شطري العالم الاسلامي ، وذلك باختيار امام جديد ترضى عنه جميع الاطراف المتحاربة ، خصوصا بعد ان تعذر الاتفاق على احد الرجلين المتنازعين . ولا

-
- ١٢٦ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ٧٤/١ . وهذا يخالف اعتقاد حتي وصاحبه ، ان معاوية لم يجاهر بطلب الخلافة الا بعد ان قضى علي نجه (حتي : تاريخ سوريا ولبنان ، ٣٣/٢) .
- ١٢٧ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ٩٣/١ . الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٤١ .
- ١٢٨ - المسعودي : مروج ، ٢٨٨/٢ .
- ١٢٩ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٢٤٦/٢ .
- ١٤٠ - الطبري : تاريخ ، ٣٣٥٦/٦ .

يستبعد ان يكون ابو موسى قد رمى الى تهئية الجو لاجماع الناس على عبد الله بن عمر بن الخطاب ، اذ نقل عنه انه قال : «والله ، ان استطعت لأحين سنة عمر» (١٤١) .

اما الرواية المشهورة عن خدعة عمرو لابي موسى بتقديمه في الكلام ، ليتسنى له اتمام خطته ، فرواية تفقد بعض حلقاتها ، ولا تستقيم للمنطق السليم . فقد يبدو مقبولا ما قيل بشأن اتفاق الحكمين على خلع الاثنيين والرجوع الى حكم الشورى ، وهذا الحكم قد يكون مقبولا لدى جماهير الناس من كلا المعسكرين ، على امل الخروج من فتنة طال أمدها ، فشقت المسلمين الى فريقين متخاصمين . ولكن ما لا يستسيغه المنطق العاقل ان تحل قضية بهذا القدر من الخطورة بخدعة مكشوفة وأسلوب ساذج ، وان تكون على حساب ابي موسى المغفل !! الذي لا يبدو مغفلا في مساومته لعمرو ، بل كان يبدو حذرا واعيا . وقد استبعد ابن العربي ان يكون ابو موسى ضعيف الرأي ، ووصف تلك الرواية التي تنسب له ذلك بالركاكة ، وأضاف الى ذلك قوله : «وكان ابو موسى رجلا تقياً فقيها عالماً ، أرسله النبي (ص) الى اليمن مع معاذ ، وقدمه عمر واثنى عليه بالفهم» (١٤٢) . ولاحظ طه حسين انه لو كان ابو موسى مغفلا لما اختاره عمر لولاية الامصار ، ولما طالب به اهل الكوفة واليا عليهم حين اشتدت الفتنة ايام عثمان (١٤٢) . كما لا ننسى ان شهود الحكومة من كلا الطرفين كانوا من اكابر اقوامهم . فليس من السهولة بمكان ان يستسيقوا مثل هذا الخداع الفاضح . يضاف الى ما تقدم ان ابن مزاحم والطبري وسواهما ذكروا ان ابن عباس حذر ابا موسى قبيل اعلان قرار الحكومة ، فقال له قي ذلك المؤتمر : «ويحك ! اني لأظنه قد خدعك ، ان كنتما قد اتفقتما على امر فقدمه ، فيتكلم بذلك الامر قبلك ، ثم تكلم انت بعده ، فان عمرا رجل غدار» (١٤٤) . فهل بعد كل هذا يجوز ان تنظلي حيلة عمرو على ابي موسى !؟ .

ولاحظت سهير القلماوي ان الحكمين لو اتفقا على حل لكتباه في صحيفة التحكيم او في صحيفة اخرى ، لا ان يعلن شفاها بتقديم هذا وتأخير ذلك (١٤٥) . والواقع ان عمرا ما كان ليفعل امر الكتابة لتوثيق خطته واحكامها . فالمقدسي يذكر ان عمرا قال لابي موسى : «يجب الا نقول شيئا الا كتبناه حتى لا نرجع عنه» ، فكأنما اراد ان يستجوبه ويسجل محضرا بأقواله ، وقد اتخذنا كاتبنا

١٤١ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٢٤٥/٢ .

١٤٢ - ابن العربي : العواصم ، ص ١٧٤ .

١٤٣ - حسين : الفتنة الكبرى ، ١٠١/٢ - ١٠٢ .

١٤٤ - ابن مزاحم : صفين ، ص ٥٤٥ . الطبري : تاريخ ، ٣٣٥٨/٦ . ابن الاثير : الكامل ،

٣٣٢/٣ .

١٤٥ - القلماوي : ادب الخوارج ، ص ٢٧ .

لتسجيل ما يتفقان بشأنه في صحيفة خاصة بالمؤتمر (١٤٦) . ولكن يبدو انهما لم يكتبوا في هذه الصحيفة غير ما اتفقا عليه في بدء المفاوضات ، وهو ان عثمان قتل مظلوما وان لوليه سلطانا وطاعة للطلب بهذا الدم . ولما لم يستطع عمرو ان ينتزع من ابي موسى اكثر من هذا ، فقد استغل ما اتفق عليه بشأن حق معاوية في المطالبة بدم الخليفة القتيل ، وزعم ان فيه استخلافا لمعاوية . ولكن ابا موسى انكر ذلك وقال : «كذب عمرو ولم نستخلف معاوية ، ولكننا خلعنا معاوية وعلينا معا » (١٤٧) .

اما رواية المقدسي التي تتفق مع الروايات الاخرى بشأن المحاورات والمساومات ، فانه لا يأتي على اعلان خلع علي وتثبيت معاوية في ندوة علنية ، بل يخبرنا ان ابا موسى حين رأى عمرا يرشح معاوية اولاً ، ويقدم ابنه ثانياً ، ثم يرفض كل اقتراح يقدمه ، ادرك ان عمرا يتلعب به ، فقال له : «افعلتها !!» وخرج الى راحلته وركب الى مكة (١٤٨) .

وهكذا ، فان مؤتمر التحكيم انتهى من حيث بدا ، ولم يتوصل الحكمان الى نتيجة حاسمة بشأن موضوع الخلاف . فهذا ما اشار اليه الذهبي حين قال : «فاجتمع الحكمان ولم يبرم امر ، ورجع الشاميون فبايعوا معاوية» (١٤٩) . ولعلمهم جددوا البيعة له .

ثم ان مجرى الحوادث - بعدئذ - يرجح ما ذهبنا اليه . فالامور بعد الحكومة عادت كما كانت عليه من قبل . معاوية في الشام يزداد قوة على قوة ، وعلي يتأهب ثانية لغزو الشام واخضاع ذلك الوالي العنيد المتمرد على امام المسلمين .

ولكن جماعة الخوارج الذين تحدوا ارادة امير المؤمنين في جواره ، ونبذوا امامته وكفروه ، وجدوا في نتيجة الحكومة ما شجعهم على التشدد في موقفهم من علي . ثم لم يفسحوا له مجال العمل لتحقيق ما يصبو اليه من اعادة الكرة على معاوية ، واضطروه في نهاية الامر لمحاربتهم في النهروان .

وتخاذل اصحاب علي بعد يوم النهر ، فأدرك في نهاية الامر صعوبة غزو الشام ثانية ، فعقد مع معاوية هدنة يكون بموجبها لعلي العراق ولعواوية الشام ، وتضع الحرب اوزارها بينهما (١٥٠) .

وهكذا انتهى آخر فصل من فصول مأساة علي ومعاوية ، لا بل مأساة المسلمين عبر اجيالهم المتلاحقة .

١٤٦ - المقدسي : البدء والتاريخ ، ٢٢٧/٥ .

١٤٧ - المسعودي : مروج ، ٢٧٨/٢ . العسامي : السبط ، ٤٥٨/٢ - ٤٥٩ .

١٤٨ - المقدسي : البدء والتاريخ ، ٢٢٧/٥ - ٢٢٨ .

١٤٩ - الذهبي : دول الاسلام ، ١٦/١ .

١٥٠ - الطبري : تاريخ ، ٣٤٥٢/٦ - ٣٤٥٣ .

الفصل السادس

علي والخوارج

علي والخوارج :

لم يقطع علي الامل من هؤلاء القوم الذين خرجوا عليه ونزلوا حروراء ، اذ بدا له انهم خدعوا بظاهر القول ، وبالتالي لا بد من اقامة الحجّة عليهم وتوضيح الامر لهم . فوجه اليهم ابن عمه عبد الله بن عباس ليسألهم ما نقموه على امير المؤمنين ، فجاءهم ابن عباس في حلّة جميلة ، فرأى فيهم جباها قرّحها السجود وايديا كثفنت الابل (١) . فأنكروا عليه لباسه وحلّته ، فقال : «وما تنكرون في ذلك ! فوالله لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حلّة من أحسن الحلل» (٢) . ثم تلا عليهم قوله تعالى : «قل من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم

١ - المبرد : الكامل ، ٩٤٣/٣ . ابن عبد ربه : العقد ، ٣٨٩/٢ .

٢ - العصامي : السبط ، ٤٥٤/٢ - ٤٥٥ .

القيامة . كذلك نَفَصَلُ الآيات لقوم يعلمون» (٢) .

ولما سأله عن سبب مجيئه اليهم قال : «جئتم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيته ، ومن عند المهاجرين والانصار» (٤) . واذاف قائلا : «وعليهم نزل القرآن وليس فيكم منهم احد» (٥) . فرغب فريق منهم الاستماع اليه ، بينما حاول آخرون منعهم من ذلك . واخيرا عرضوا عليه ما تقومه على علي فقالوا : «قد كان للمؤمنين امير ، فلما حكم في دين الله خرج من الايمان ، فليتب بعد اقراره بالكفر نعد اليه» . وهكذا اخرجوا عليا من دائرة الايمان لشكه بأمره وقبوله بالتحكيم . فرد عليهم ابن عباس بأن الله قد أمر بالتحكيم في قتل صيد ، فقال عز وجل : «يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حريم . ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم . . .» (٦) . كما أمر بالتحكيم في شقاق رجل وامراته حيث يقول : «وان خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا» (٧) .

لم يقبل الخوارج بهذا القياس ، ورفضوا ان يكون الحكم في الصيد وفي الشقاق بين الرجل وزوجته كالحكم في دماء المسلمين ، اذ القرآن لم يقل التحكيم في الحرب (٨) . ثم اخذوا عليه انه محا اسمه من امرة المؤمنين في كتاب التقاضي ، وهذا جعله في كفة الميزان مع معاوية . فذكرهم ابن عباس بأن النبي نفسه محا اسمه من النبوة قبل الهدنة يوم الحديبية (٩) ، وكان وما يزال نبيا . وقد اخذ امير المؤمنين على الحكمين ان لا يجورا ، فان جارا فلا طاعة لهما ولا قبول لحكمهما (١٠) .

واخيرا اخذوا على علي انه قتل ولم يغنم ولم يسب يوم الجمل . فرد عليهم بقوله تعالى : «النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم . وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض (١١) . . .» ، ثم اضاف قائلا : «فهل تسبون أمكم وتستحلون

٣ - الاعراف ٣٢ .

٤ - ابن عبد ربه : العقد ، ٢٨٩/٢ .

٥ - ابن الجوزي : تلبس ابليس ، ص ٩٢ .

٦ - المائدة ٩٥ .

٧ - النساء ٣٥ .

٨ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٢٧/٣ .

٩ - الحديبية : فرية على مرحلة من مكة . فيها شجرة جمع محمد اصحابه تحتها وطلب اليهم

مبايعته قبل مفاوضاته مع قريش لزيارة الكعبة ، وتلا ذلك هدنة بين محمد وقريش (باقوت : معجم

البلدان ، ٢٢٩/٢) .

١٠ - المبرد : الكامل ، ٩١٠/٣ ، ٩٤٤ .

١١ - الاحزاب ٦ .

منها ما تستحلون من غيرها؟!» فأخروستهم حجة ابن عباس ، ووضعوا أصابعهم في آذانهم ، وعاد كثير منهم الى الكوفة (١٢) .

ولما عاد ابن عباس من مناقشته لهم ، سأله علي أن كان رأيهم من المنافقين ، فقال : «والله ما سيماهم بسيماء المنافقين ، ان بين أعينهم لأثر السجود ، وهم يتأولون القرآن» (١٣) .

حينذاك طمع علي بردّ هؤلاء الحروريين الى جادة الحق والصواب ، وخرج اليهم بنفسه . فبدأ معهم الحوار بتذكيرهم بموقفه يوم كشف لهم مكيدة رفع المصاحف ، وكيف انهم استكروهه على قبول التحكيم ، وانه اشترط حكم القرآن في ذلك (١٤) . فأقر الخوارج بمواقفهم السابقة ، وقالوا : «أما نحن فلا ريب اننا رضينا بالتحكيم في اول الامر ، لكننا ندمننا عليه ، وعلمنا اننا كنا مخطئين» (١٥) . ثم اعلنوا عن توبتهم ، وطلبوا اليه ان يعلن توبته ، فقال ارضاء لهم وتورية منه : «اني استغفر الله من كل ذنب» ، فعادوا معه الى الكوفة . وهناك اشاعوا ان عليا رجع عن الحكومة وانه رآها ضلالا (١٦) . فجاءه الاشعث بن قيس فقال : «يا امير المؤمنين ! ان الناس قد تحدثوا انك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفرا !» . فخطب علي الناس فقال : «من زعم اني رجعت عن الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضلالا فهو أضل» . فخرجت عليه الخوارج ثانية وعادوا سيرتهم الاولى وأخذوا يحكمون في جوانب المسجد (١٧) . فلما سمع علي نداءهم قال : «كلمة حق أريد بها باطل» (١٨) .

وعلى الرغم من تكفير الخوارج لعلي ومضايقاتهم المستمرة له ، فانه استمر بسياسة المهادة معهم واعتمد الروية والحجة في مواجهته لهم ، فقال لهم اخيرا : «اما ان لكم عندي ثلاثا ما صحبتنونا : لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم الفياء ما دامت ايديكم مع ايدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدأونا» (١٩) . ولكن الخوارج لم يتخلوا عن ازعاجهم لعلي ، فقد صعد يوما منبر الكوفة ليخطب الناس ، فجعلت الحرورية تقول له : «جزعت من البليئة ، ورضيت

١٢ - المبرد : الكامل ، ٩٧٦/٣ . الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٥٠ . المقدسي : البداء والتاريخ ، ٢٢٣/٥ - ٢٢٤ .

١٣ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٣١٠/٢ .

١٤ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ١٢٧/١ . ابن عبد ربه : العقد ، ٣٥١/٤ .

١٥ - ابن الطقطقي : الفخري ، ص ٨٥ (ط . مصر ١٣١٧) .

١٦ - المبرد : الكامل ، ٩٤٣/٣ .

١٧ - المبرد : الكامل ، ٩٤٣/٣ .

١٨ - ابن عبد ربه : العقد ، ٣٨٨/٢ . المبرد : الكامل ، ٩٤٣/٣ .

١٩ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٣٥/٣ .

بالقضية ، وقبلت الدنيّة ، لا حكم الا لله» . فرد عليهم : «حكم الله انتظر فيكم» (٢٠) ، فقالوا : «ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليجننّ عملك ، ولتكوننّ من الخاسرين» (٢١) .

وهكذا استمرت المحاورات العنيفة بين علي والخوارج ، فتبادلوا التهديد والوعيد . وزيادة في احراجه ، فقد كان بعض الخوارج يأتون طالبين اليه التوبة الى الله ونقض الهدنة مع معاوية واستئناف الحرب . ولعل أشد ما كان يضايقه من مطالبهم ، طلبهم اليه ان يعود عن الكفر الذي وقع فيه ، فكان يردد وعلائم الاستهجان في كلامه : «أبعد ايماني برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر ! لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين» (٢٢) .

وقبل ان يحين موعد الحكومة ، جاءه رجلا من الخوارج ، هما : زرعة ابن البرج الطائي وحر قوص بن زهير السعدي ، فخاطبه حر قوص وطالبه بالرجوع عن التحكيم والعودة للقتال بعد ان يعلن توبته من خطيئته . فلم يستجب عليّ لهما وأصر على التمسك بالعهد والميثاق ، عملا بقوله تعالى : «وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا . . .» (٢٣) . ثم ذكرهم بأنهم هم الذين أجبروه على قبول الحكومة . ولكنه في الوقت نفسه اعترف لهما بأن عمله كان عجزا في الراي (٢٤) ، وجعل يتمثل قائلا (٢٥) :

لسي زلة اليكم فأعتر
سوف اكيس بعدها وانشمر
واجمع الامر الشتيت المنتشر

ولما بعث علي ابا موسى لانفاذ الحكومة ، لقيت الخوارج بعضها بعضا ، فعرضوا الخلافة على يزيد بن الحصين - وكان من رؤوسهم - فأبى ان يقبلها ، كما ان شريح بن اوفى العبسي رفضها . فعرضوها على حر قوص بن زهير وحمزة بن سنان الاسدي فأبيا ايضا . فقال عبد الله بن وهب الراسبي : «هاتوها ، فوالله ما أقبلها رغبة في الدنيا ، ولا فرارا من الموت ، ولكني أقبلها لما أرجو

٢٠ - السمودي : مروج ، ٢٧٥/٢ .

٢١ - الزمر ٦٥ .

٢٢ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٤٤/٣ .

٢٣ - النحل ٩١ .

٢٤ - الطبري : تاريخ ، ٣٢٦٠/٦ - ٣٢٦١ .

٢٥ - ابن عبد ربه : العقد ، ٣٤٩/٤ .

فيها من عظيم الاجر» . فبايعوه لعشر خلون من شوال ٣٧ هـ / ٢١ آذار ٦٥٧ م (٢٦) .

ثم اقترح شريح العبسي ان يخرجوا الى المدائن ويرسلوا في طلب اخوانهم من البصرة ، فاعترض يزيد الطائي بحجة ان في المدائن من يمنع منها . فاتفقوا اخيرا على النزول في النهروان . وكتبوا الى اصحابهم لموافاتهم هناك ، وقد ارسلوا كتابهم على لسان قادتهم ، وهم : عبد الله بن وهب ، ويزيد بن الحصين ، وحرقوق بن زهير ، وشريح بن اوفى (٢٧) العبسي .

اما علي بن ابي طالب ، فانه بعد صدور قرار الحكومة - الذي جاء مغايرا لما كان يتوقعه ، اخذ يتأهب للمسير ثانية الى الشام لاختراع معاوية في عقر داره . وحاول ان يسترضي الخوارج قبل ذلك ، فكتب اليهم يدعوهم للاقبال اليه ، فقال في كتابه : «سلام عليكم ، فان الرجلين اللذين ارتضيناها للحكومة خالفا كتاب الله واتبعوا هواهما بغير هدى من الله . فلما لم يعملوا بالسنة ولم يحكما بالقرآن تبرأنا من حكمهما . ونحن علي امرنا الاول ، فأقبلوا الي رحمكم الله ، فانا سائرون الى عدونا وعدوكم لنعود لمحاربتة حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، وهو خير الحاكمين » (٢٨) .

ولكن الخوارج لم يرحبوا بكتابه هذا ، ولم يستجيبوا لدعوته ، واشترطوا عليه التوبة من الكفر والضلال الذي وقع فيهما لينظروا الامر فيما بينهم . فقد جاء في ردهم عليه : «اما بعد ، فانك لم تفضب لربك ، ولكن غضبت لنفسك ، فان شهدت على نفسك انك كفرت فيما كان من تحكيمك الحكمين ، واستأنفت التوبة والايمان ، نظرنا فيما سألتنا من الرجوع اليك . وان تكن الاخرى ، فاننا ننابدك على سواء ، ان الله لا يهدي كيد الخائنين» (٢٩) .

فلما قرأ علي ردهم عليه ، ايس من ارجاعهم الى حظيرته ، فرأى ان يدعهم وشأنهم ويمضي بعسكره الى اهل الشام (٣٠) .

-
- ٢٦ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ١٢١/١ . الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٠٢ .
الطبري : تاريخ ، ٣٢٦٥/٦ .
٢٧ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٠٤ .
٢٨ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٠٦ . الطبري : تاريخ ، ٣٣٦٩/٦ .
٢٩ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٠٦ . الطبري : تاريخ ، ٣٣٦٩/٦ .
٣٠ - الطبري : تاريخ ، ٣٣٦٩/٦ .

الخوارج يقتلون ابن خَبَّاب (٣١) :

في الوقت الذي كان فيه علي على أهبة الاستعداد للتوجه الى الشام ، كان بعض اصحابه يرون المسير الى الحرورية اولا . فخطبهم علي و اظهر لهم ان قتال معاوية اولى من قتال هذه الخارجة فبايعوه على ذلك «٢٢٢» .

وفي تلك الاثناء مرت الخوارج في المدائن ، فالتقوا واليها صاحب رسول الله عبد الله بن خَبَّاب ، فأسروه مع زوجته الحامل . ووجدوا في عنقه مصحفا فقالوا له : «ان هذا الذي في عنقك ليأمرنا ان نقتلك» ، فكان رده عليهم ان يحيوا ما احيا القرآن ، وان يميتوا ما امات «٢٢٣» .

ثم مروا - ومعهم ابن خَبَّاب - تحت نخل ، فسقطت منه رطبة ، فأخذها احدهم ليأكلها ، فقال رفيق له : «بغير حلها وبغير ثمن !» ، فلفظها ذلك الرجل من فمه . ومروا بخنزير لاهل الذمة ، فضربه احدهم بسيفه فقتله ، فقال له اصحابه : «هذا فساد في الارض» . وحين جاءهم صاحب الخنزير استرضوه . فلما رأى منهم ذلك ابن خَبَّاب قال : «لئن كنتم صادقين فيما ارى ، فما علي منكم بأس . اتي مسلم ما احدثت في الاسلام حدثا ، ولقد امنتهموني» «٢٢٤» .

بعد ذلك سألوه ان يخبرهم بحديث سمعه عن ابيه عن النبي محمد (ص) ، فقال : «سمعت ابي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي» . فاستوضحوه رايه بأبي بكر وعمر ، فذكرهما بكل خير ، وسألوه عن عثمان في اول خلافته وآخرها ، فجعله محقا في اولها وآخرها ، اما عن علي قبل التحكيم وبعده ، فانه قال لهم : «انه اعلم بالله منكم واشد توقيا على دينه وانفذ بصيرة» . فأخذوا عليه انه لا يتبع الهدى ، بل الرجال على اسمائها لا على افعالها ، كما تأولوا عليه انه يدين بتخطيتهم في الخروج . فجأؤا به الى حافة النهر وذبحوه ، وبقرؤا بطن امراته بجنينها . ثم قتلوا بعض النسوة ، وفيهن ام سنان الصيداوية «٢٢٥» ، وأخذوا يعترضون الناس ويقتلون الاطفال «٢٢٦» .

٣١ - هو عبد الله بن خَبَّاب ، وابوه كان من اوائل الناس الذين آمنوا بالرسول (ص) . (ابن هشام : سيرة ، ٢٢٤/٢) .

٣٢ - الطبري : تاريخ ، ٢٢٧٢/٦ .

٣٣ - المبرد : الكامل ، ٩٤٦/٣ .

٣٤ - الطبري : تاريخ ، ٢٢٧٤/٦ - ٢٢٧٥ .

٣٥ - مع ان الرسول (ص) نهى عن قتل نساء المشركين (المبرد : الكامل ، ٩٨٥/٣) . يقول ابن قتيبة ان ام سنان هذه كانت قد صحبت النبي محمد (ص) (الامامة والسياسة ، ١٢٧/١) . ويذكر الشماخي الخارجي ان الذي قتل الصحابي المشهور ابن خَبَّاب ، هو مسعر بن فدكي ، وانه اتي اصحابه في النهروان ، فانكروا عليه فعلته ، وبرئوا منه (كتاب السير ، ص ٥١) .

٣٦ - الطبري : تاريخ ، ٢٢٧٢/٦ - ٢٢٧٤ . المقدسي : البدء والتاريخ ، ١٣٦/٥ .

فلما بلغ عليا قتلهم ابن خباب واعتراضهم السابلة ، بعث اليهم الحارث ابن مرة العبدي ليأتيه بخبرهم ، فقتلوه ايضا . حينذاك لم يجد علي بدا من الاستجابة لطلب أتباعه ، الذين رأوا المسير الى الخوارج ليفرغوا منهم قبل التوجه الى الشام (٢٧) .

وقام اليه الاشعث بن قيس الكندي ، فكلمه بالمسير الى الحرورية اولا . وكان الناس من قبل يرون ان الاشعث يرى رأيهم ، فلما سمعوا مقالته علموا انه لم يكن منهم (٢٨) .

يوم النهروان :

بعد اغتيال الخوارج لرسوله ، صمم علي على مواجهة هؤلاء الثائرين قبل ان يستفحل خطرهم ويستطير شرهم ، فأزمع على المسير اليهم . ولكنه لم يشأ مقاتلتهم قبل محاورتهم واقامة الحجّة عليهم . فسار بعسكره حتى نزل بالقرب منهم ، ثم أرسل اليهم قيس بن سعد بن عبادة وأبا أيوب الأنصاري ، فقالا لهم : «عباد الله ، انكم قد ارتكبتم امرا عظيما باستعراضكم الناس تقتلونهم . وشهادتكم عليهم بالشرك ، والشرك ظلم عظيم» . فلم يجد الرسولان منهم الا ردا وصيدا ومزيدا من القذف على علي . فجاءهم امير المؤمنين بنفسه ، فوقف عليهم بحيث يسمعون وقال : «ايتها العصابة التي اخرجتها للحاجة وصدّها عن الحق الهوى ، فأصبحت في لبس وخطا . اني نذير اليكم ان تتمادوا في ضلالكم فتلفوا مصرعين من غير بينة من ربكم ولا برهان» (٢٩) .

وناظرهم علي وحاجتهم بأقوالهم . فسالوه عن سبب تأخيره التحاكم واعطاء الهدنة ، فقال : «ليعلم الجاهل ويتثبت العالم . ولعل الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة هذه الامة» (٤٠) . وأخذوا عليه انه حكم عليه فلم يرض ، فرد عليهم بأن الحكومة كالامامة ، فمتى فسق الامام وجبت معصيته . وكذلك الحكمان لما خالفا احكام القرآن نذت احكامهما (٤١) . ومن طريف ماأخذهم عليه . انه لم يضربهم بالسيف ليفيئوا الى امر الله يوم خرجوا عليه في صفين . فاحتج بأنهم كانوا في عدد جمّ ، وكان في عدة يسيرة من اهل بيته (٤٢) .

٢٧ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٠٧ .

٢٨ - الطبري : تاريخ ، ٢٢٧٥/٦ .

٢٩ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

٤٠ - الطبري : تاريخ ، ٢٢٥٣/٦ . ابن الاثير : الكامل ، ٢٢٨/٢ .

٤١ - ابن أبي الحديد : الشرح ، ٢٧٣/٢ .

٤٢ - اليمقوبي : تاريخ ، ١٩٢/٢ .

ولما أفرغوا ما في جمعيتهم من المزامع والتهم ، قال لهم علي : « فان أبيتم الا ان تزعموا اني اخطأت وضللت ، فلم تضللون عامة امة محمد بضلالي ، وتأخذونهم بخطئي ، وتكفرونهم بذنوبي ! » . ثم حذرهم من الهلاك في الدنيا والآخرة حين قال لهم : « سيهلك فيّ صنفان : محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق » (٤٢) .

واستمر الحوار بينه وبينهم طويلا ، فأجابهم على كل ما أخذهم عليه وافحمهم ، حتى قال له ابن الكواء اخيرا : « انت صادق في جميع ما تقول ، غير انك كفرت حين حكمت الحكمين » (٤٤) .

وهكذا ، لم يستطع علي اقناعهم وارجاعهم عن رأيهم ، واصروا على موقفهم وابوا الا تكفيره . وعلى الرغم من ذلك فان عليا حاول ارجاء المعركة معهم ، فطلب اليهم تسليمه قتلة ابن خباب وغيره من المسلمين ليقتلهم بمن قتلوهم ، ثم يتركهم وشأنهم حتى ينتهي من اهل الشام ، فلعل الله يقلب قلوبهم ويردهم عن غيئهم . فلم يستجيبوا له وقالوا : « كلنا قتله وشرك في دمه ، وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم » (٤٥) . وبذلك فشلت جميع المحاولات التي بذلها علي لتجنب الصدام معهم .

حينذاك أمر علي عساكره بالتأهب للقتال لازالة هؤلاء القوم الذين تحدوا امير المؤمنين في سلطانه . فولئى ميمنته حجر بن عدّي ، وجعل على الميسرة شبث بن ربعي ، وولى الخيل ابا ايوب الانصاري ، وعلى الرجالة ولئى ابا قتادة . كما ان زعماء الخوارج اخذوا العدة لمواجهة علي وعساكره ، فجعلوا على ميمنتهم يزيد بن الحصين الطائي ، وعلى ميسرتهم شريح بن اوفي العبسي ، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي ، وعلى الخيل كلها عبد الله بن وهب (٤٦) . ولكن ما يلفت النظر ان الطبري وابن الاثير لا يأتیان على ذكر الراسبي في هذه التعبئة ، ويجعلان على الخيل حمزة بن سنان الاسدي (٤٧) .

وقبل ان يلتحم الجيشان رفع علي راية ضم اليها الفي رجل ، وجعل عليها ابا ايوب الانصاري (خالد بن زيد الانصاري) الذي اخذ ينادي : « من التجأ الى هذه الراية فهو آمن » . فانسحب من بين الخوارج قروة بن نوفل الاشجعي فسي خمسمائة من رجاله واخذ يخاطبهم قائلا : « يا قوم ، والله ما ادري علام نقاتل

٤٢ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١١٢/٨ .

٤٤ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٠٩ .

٤٥ - البرد : الكامل ، ٩١٦/٣ . الطبري : تاريخ ، ٣٣٧٦/٦ . المقدسي : البدء والتاريخ ،

١٣٧/٥ .

٤٦ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢١٠ .

٤٧ - الطبري : تاريخ ، ٣٣٨٠/٦ . ابن الاثير : الكامل ، ٩٤٥/٣ .

عليًا وليست لنا في قتله حجة ولا بيان . يا قوم ، انصرفوا بنا حتى تنفذ لنا البصرة في قتاله أو اتباعه» . وخرجت طائفة أخرى التحقوا بالكوفة ، واستأمن إلى الراية الف رجل من الخوارج (٤٨) . ومن زعمائهم الآخرين الذين قيل انهم تراجعوا في جمع من أصحابهم مسعر بن فدكي ، وعبد الله الطائي ، وأبو مريم السعدي ، وأشرس بن عوف ، وسالم بن ربيعة (٤٩) . وبذلك لم يبق مع ابن وهب الراسبي الا أقل من أربعة آلاف يصفهم القلقشندي بأنهم من الفوغاء الذين لا رأس لهم (٥٠) . ويذكر الطبري ان خوارج النهر كانوا أربعة آلاف ، فلما تراجع منهم من تراجع ، بقي مع ابن وهب الفان وثمانمائة (٥١) ، في حين ينخفض بهم ابن الاثير إلى الف وثمانمائة (٥٢) .

ولم يشأ علي ان ييادهم بالقتال وأوصى أصحابه بالألا يفعلوا ذلك . فأخذ الخوارج أنفسهم يرمون معسكر علي ، وهو يأمر جنده بالكف عن القتال ، حتى جاء برجل قتيل من أتباعه . حينذاك صاح علي : «الله أكبر الآن حل قتالهم ، احملوا على القوم» (٥٣) . فالتقى الجمعان وتنادت الخوارج : «الرواح ، الرواح إلى الجنة» وشدوا على جيش علي . فحمل رجل منهم على أصحاب علي وهو يقول (٥٤) :

أضربهم ولو أرى عليًا
الستنه أبيض مشرفيًا

فخرج إليه علي وهو يقول (٥٥) :

يا أيهذا المتغي عليًا
انني أراك جاهلا شقيًا
وقد كنت عن كفاحه غنيًا
هلسم فابرزها هنا اليًا

وقاتلت الخوارج في تلك الموقعة ببسالة نادرة ، ولكنهم في النهاية لاقوا

٤٨ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢١٠ . الطبري : تاريخ ، ٢٣٨٠/٦ .

٤٩ - الأشعري : مقالات ، ٢١٠/١ .

٥٠ - القلقشندي : صحح الاعشى ، ٢٢٢/١٣ . الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢١٠ .

٥١ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٨١/٦ .

٥٢ - ابن الاثير : الكامل ، ٢٤٦/٣ .

٥٣ - المسعودي : مروج ، ٢٨٤/٢ .

٥٤ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٨١/٦ - ٢٣٨٢ .

٥٥ - المسعودي : مروج ، ٢٨٤/٢ .

مصريهم المحتوم ، وقتلوا فلم ينج منهم الا نفيير يسير فرّوا من ارض المعركة(٥٦).
اما جرحى النهر فقد امر علي بمداواتهم ودفعهم الى عشائرهم . واخذ الاسلاب
من السلاح والدواب وما شهدوا عليه الحرب ، فقسّمها بين عساكره ، ورد
المتاع والعبيد والاماء الى اصحابها (٥٧) .

وعلى الرغم من قتال علي الخوارج ، فقد كان يرى بأهل حروراء جماعة
ضللت فضلت سبيل الحق ، يحسبون انهم يحسنون صنعا وهم الأخرسون
اعمالا . فلدى سؤاله عنهم ان كانوا من المشركين يقول : «من الشرك فرّوا» .
ويزعم ابن ابي الحديد ان عليا قال : «لا تقاتلوا الخوارج من بعدي ، فليس من
طلب الحق فأخطاه كمن طلب الباطل فأدرکه» (٥٨) . الا انه في رواية اخرى يذكر
ان عليا اوصى بقتل من يدعو بدعوتهم (٥٩) .

ولعل هذه الوصية من نسج خيال بعض الرواة ، فالمسلمون على اختلاف
فرقهم اجتمعوا على حربهم . وكيف لعل ان ينهي عن مقاتلة قوم يكفرون عامة
المسلمين ولا يستثنون الا انفسهم؟! ولو تركهم المسلمون وشأنهم لما تركوا
المسلمين وشأنهم .

وعلى الرغم من ان وقعة النهروان كانت نصرا عسكريا حاسما لعل علي
خوارج النهر ، الا انها لم تستأصل شأفتهم ، بل اذكت روح التضحية والفداء
منذ بقاياهم .

ويرى نيكلسون Nicholson ان النهروان بالنسبة للخوارج اصبحت فيما
بعد مثل كربلاء عند الشيعة (١٠) . ولكن لا ننسى ان بطل كربلاء كان حفيد رسول
الله (ص) ، فبقيت كربلاء عند سائر المسلمين تمثل الاستشهاد في سبيل الحق
والعقيدة ، بينما كانت الخوارج في النهروان تمثل التطرف والعناد . وبخاصة
ان عليا عاد فدعاهم الى استئناف القتال ضد معاوية بعد فشل الحكومة ، فأصروا
على تكفيره وتوبته دون ان يأتوا بدليل كاف يؤيد مزاعمهم .

اما بشأن تاريخ زمن النهروان ، فاننا لا نتفق مع الذين يجعلونها قبل صدور
قرار التحكيم (١١) . صحيح ان هناك خلافا بين رواية ابي مخنف وبعض الرواة
الأخرين حول تحديد سنة الحكومة والنهر ، الا اننا لم نلاحظ تناقضا في ترتيبه

٥٦ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢١٠ . الطبري : تاريخ ، ٢٢٨٢/٦ .

٥٧ - الطبري : تاريخ ، ٢٢٨٢/٦ .

٥٨ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٧٨/٥ .

٥٩ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٢٢/٨ .

60 — Nicholson: A Lit. Hist. of the Arabs, p. 208.

61 — Wellhausen, Lammens, Caetani: Shorter Encycl. of Islam ,
p. 247 .

الزمني كما ظن فلهوزن (٦٢) Wellhausen . فأبو مخنف يرى ان الامور جرت حسب شروط الاتفاق ، فقد كان الكتاب في صفر والاجل في رمضان ٣٧ هـ / حزيران ٦٥٧ م (٦٣) . ثم يخبرنا بأن الخوارج بذلوا محاولة اخيرة لجعل علي يتراجع عن انفاذ الحكومة ، فلم يأخذ إبراهيم (٦٤) ، والتقى الوفدان بدومة الجندل بأذرح في الوقت المحدد لذلك (٦٥) .

حينذاك قطعت الخوارج الامل من رجوع علي عن التحكيم ، فاجتمعوا بمنزل عبد الله بن وهب الراسبي ، وبايعوا له لعشر خلون من شهر شوال ٣٧ هـ / ٢١ آذار ٦٥٨ م ، وانفقوا على الخروج من الكوفة ، فساروا حتى نزلوا جسر النهروان (٦٦) .

وهكذا فان خروجهم - برواية ابي مخنف - كان بعد قرار علي بتوجه وفده الى مؤتمر التحكيم . ثم ترد اخبار الحكومة الى علي ، فيرى ان قرارها جاء مخالفا لشروط كتاب التراضي ، الذي اوجب الالتزام بحكم القرآن ، ويأمر بالاستعداد لفزو معاوية مرة ثانية. وتحتشد جيوش علي في معسكر النخيلة (٦٧)، ويتجمع لديه اكثر من ثمانية وستين الف رجل (٦٨) . وهنا ايضا لا نتفق مع فلهوزن Wellhausen الذي يرى ان جمع هذه القطع الحربية انما كان يقصد به الخوارج لا اهل الشام (٦٩) . فلو كان يقصدهم فعلا لما كان الامر يستدعي مثل هذا الجيش اللجب وهذا الاعداد الواسع . وهذا علي نفسه لا يرى مواجهة الخوارج قبل القضاء على خصمه اللدود معاوية . فحين ذكر له امر الخوارج قال: «ان غير هذه الخارجة اهم لنا ، فدعوا امرهم وسيروا... الى اهل الشام» (٧٠) . وقد كتب الى ابن عباس وغيره يعلمهم بذلك فقال : «اما بعد ، فانا قد خرجنا الى

٦٢ - فلهوزن : الدولة العربية ، ص ٧٣ .

٦٣ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٤٤/٦ .

٦٤ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٦٠/٦ - ٢٣٦١ .

٦٥ - المصدر نفسه : ٢٣٥٤/٦ . ولعل الالتباس الذي وقع في رواية ابي مخنف انه جعل

دومة الجندل موضعا في اذرح ، وهذا امر يخالفه فيه الرواة الآخرون .

٦٦ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٦٢/٦ - ٢٣٦٥ . الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٠٢ . ابن

قتيبة : الامامة والسياسة ، ١٢١/١ .

٦٧ - النخيلة : موضع قرب الكوفة على طريق الشام ، وبه قتلت الخوارج لما ورد معاوية

الى الكوفة (باتوت : معجم البلدان) .

٦٨ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٧٢/٦ .

٦٩ - فلهوزن : الدولة العربية ، ص ٧٣ .

٧٠ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٧٢/٦ .

مسكرنا بالنخيلة وقد اجمعنا على المسير الى عدونا من اهل المغرب» (٧١) .
 ويستمر ابو مخنف في روايته فيذكر ان عليا كتب الى خوارج النهر يدعوهم
 الى العودة لاستئناف القتال ضد معاوية ، فلم يستجيبوا لدعوته . فلما ايس
 منهم رأى ان يدعمه وشأنهم ويمضي بعساكره الى الشام (٧٢) .
 وفي هذه الاثناء تلتقي الخوارج ابن خناب فيقتلونه مع زوجته ، ويأخذون
 باستعراض الناس . حينذاك يصرّ اصحاب علي على التخلص من الخوارج اولا ،
 وتقع النهروان في اواخر ٣٧ هـ / ٦٥٧ م (٧٣) . وبعد وقعة النهر يتقاعس جند
 علي ، وينكسر رأيه بالمسير الى الشام ، فيضطر للعودة الى الكوفة (٧٤) .
 وهكذا لدى ملاحقة رواية ابي مخنف نجدها متصلة الحلقات ، خالية من
 التناقض . وقد تبناها ابن خلدون بأكملها (٧٥)، وتابعه الذهبي في موعدها الحكومة
 ايضا (٧٦) . ولكن ما ينقص رواية ابي مخنف انه لا يحدد ايام هذه الاحداث
 الخطيرة . فلعله لم يتأكد منها ، فجعلها في اواخر ٣٧ هـ / اواسط ٦٥٨ م انسجاما
 مع مقدمات تلك الوقائع .

ان تسلسل رواية ابي مخنف وترتيبها الزمني وتبينها من قبل بعض
 المؤرخين ، لا يفرينا بقبولها لتحديد سنة الحكومة والنهر ، وذلك استنادا الى
 الطبري نفسه الذي تجمعت لديه مختلف الروايات المتصلة بهذين الحدثين
 الخطيرين . فقد نقل عن الواقدي ان اجتماع الحكمين كان في شعبان ٣٨ هـ /
 كانون ثاني ٦٥٨ م (٧٧) . ومما يرجح ان الحكومة مدت الى ما بعد الموعد المضروب
 لها اصلا ، ما رواه الطبري عن الزهري من ان الوقت الذي حدد اولا كان
 رمضان ٣٧ هـ / حزيران ٦٥٧ م ، على ان يجتمعا بدومة الجندل ، واذا حصل
 عائق حال دون ذلك الموعد فيجتمعان بأذرح في السنة التي بعدها ، وقد التقى
 الوفدان بأذرح (٧٨) .

اما وقعة النهر فقد كان الطبري اكثر صراحة بشأنها ، فقد ذكر ان اكثر اهل
 السير يقولون بوقوعها - بخلاف ابي مخنف - ٣٨ هـ / ٦٥٨ م (٧٩) . وفي موقع

-
- ٧١ - الطبري : تاريخ ، ٢٢٧٠/٦ . فقد كان اهل الشام يعرفون بالفاربية ، في حين عرف
 سكان ما وراء الفرات بالشارقة (ابن ابي الحديد : الشرح ، ١١٣٩/١٦) .
- ٧٢ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٣٨/٦ - ٢٣٦٩ .
- ٧٣ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٧٢/٦ وما بعدها .
- ٧٤ - الطبري : تاريخ ، ٢٢٨٥/٦ - ٢٢٨٦ .
- ٧٥ - ابن خلدون : تاريخ ، ١١١٢/٢ وما بعدها .
- ٧٦ - الذهبي : العبر ، ٤٣/١ .
- ٧٧ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٦٠/٦ .
- ٧٨ - المصدر نفسه : ٢٢٤١/٦ .
- ٧٩ - المصدر نفسه : ٢٢٨٧/٦ .

آخر يقول ان الحرب التي كانت بين علي والخوارج كانت في السنة التي بعد السنة التي كان فيها انكار اهل حروراء على علي بالتحكيم ، وكان ابتداء ذلك ٣٧ هـ / ٦٥٧ م (٨٠) .

ومما يجعلنا اكثر قبولا لوقوع النهروان ٣٨ هـ / ٦٥٨ م روايات المؤرخين الآخرين . فقد نقل فلهوزن Wellhausen عن البلاذري انها كانت لتسع خلون من صفر ٣٨ هـ / ١٧ تموز ٦٥٨ م (٨١) . ثم تواترت الروايات لتؤكد وقوعها في هذا العام ، دون التقييد بالتحديد الزمني الذي ضربه البلاذري (٨٢) . بيد ان اليعقوبي يقذف بها الى ٣٩ هـ / ٦٥٩ م ، ويشاركة في ذلك ابن عساکر (٨٣) . ثم لا يرى الذهبي هذا العام مستبعدا ، حين يقول : « ويقال انها كانت ٣٩ هـ / ٦٥٩ م » (٨٤) .

وهكذا نلاحظ اضطراب الروايات حول زمن الحكومة والنهر . فالواقدي جعل الحكومة في شعبان ٣٨ هـ / كانون ثاني ٦٥٨ م (٨٥) . واذا صحّت رواية الواقدي هذه ، فان وقعة النهر تلت هذا الموعد . فقد ذكر الذهبي وغيره ان الخوارج قتلت ابن خبّاب في شعبان ٣٨ هـ / كانون ثاني ٦٥٨ م (٨٦) . وقد سبق وعلمنا ان عليا حارب الخوارج بعد قتلهم الصحابي ابن خباب . واذا كنا نتفق مع فلهوزن Wellhausen على ان ٣٨ هـ / ٦٥٨ م هي سنة النهر ، فاننا لا نتفق معه ومن تابعه على رايه بأن وقعة النهروان كانت قبل صدور قرار التحكيم (٨٧) .

يبدو ان فلهوزن بنى رايه هذا بعد ان لاحظ ان الخريّت الناجي قد تقم على علي بعد اجتماع الحكمين ، وان الخريّت حارب الى جانب علي في النهروان (٨٨) . ويتساءل يوسف العشي كيف يمكن ان يكون الخريّت قد خرج على علي للتحكيم وحارب الى جانبه في موقعة بعد التحكيم ؟. ويضيف الى ذلك ، انه لو كانت

٨٠ - المصدر نفسه : ٢٣٨٩/٦ .

٨١ - فلهوزن : الدولة العربية ، ص ٧٣ . الخوارج والشيعة ، ص ٤١ .

٨٢ - الاشعري : مقالات ، ٢١١/١ . ابن الاثير : الكامل ، ٣٤٨/٣ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ٣١٦/٧ . الذهبي : العبر ، ٤٤/١ .

٨٣ - اليعقوبي : تاريخ ، ١٩٣/٢ . ابن عساکر : تهذيب ، ٣٠٣/٦ .

٨٤ - الذهبي : العبر ، ٤٤/١ . ويقول ابن كثير ان الحكومة كانت في شعبان ٣٧ هـ / كانون ثاني ٦٥٧ م (ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٨١/٧) .

٨٥ - الطبري : تاريخ ، ٣٣٦٠/٦ .

٨٦ - الذهبي : العبر ، ٤٤/١ . ابن العماد : شذرات الذهب ، ٤٧/١ .

٨٧ - فلهوزن : الدولة العربية ، ص ٧٣ . العشي : الدولة الاموية ، ص ١٠٧ .

٨٨ - فلهوزن : الدولة العربية ، ص ٧٣ .

موقعة النهروان بعد التحكيم لما كان هناك من موجب للتشاحن بين علي والخوارج وقد رفضه علي (٨٩) .

ان قول العش بأنه لا داعي للخلاف بين علي والخوارج بعد رفض علي نتيجة الحكومة لا يستقيم مع مبدأ الخلاف بينهما . فالخوارج اخذوا على علي مبدأ قبول التحكيم وكفروه بذلك . وقد أصروا على توبته قبل ان يفكروا بالعودة اليه . وبذلك فلا علاقة لقرار الحكومة بهذا الشأن ، الا انه يمكن القول ان نتيجة التحكيم كانت حافزا لهم الى مزيد من التشنيع والتحدي لعلي ولسلطانه بعد ان تزعزع مركز امير المؤمنين بما أسفر عنه مؤتمر التحكيم . يضاف الى ما تقدم ان عليا كتب الى خوارج النهر يدعوهم لاستئناف الحرب ضد معاوية ، ووجه كتابه باسم زعيميهما عبد الله بن وهب الراسبي ويزيد بن الحصين الطائي ، اللذين قيل انهما قتلوا يوم النهر (٩٠) . فكيف تكون النهروان قبل صدور قرار الحكومة ، وعلي لا يستطيع ان يفكر بفزو الشام ثانية الا بعد صدور ذلك القرار كما ذكر فلهوزن Wellhausen نفسه (٩١) !!

بقي امر هام اعتمده فلهوزن Wellhausen والعش لتقديم النهروان على قرار التحكيم ، ذلك هو خروج الخريّت الناجي . فقد ذكر فلهوزن Wellhausen ان الخريّت حارب مع علي في النهروان وان الخريّت انما تقم على علي بعد اجتماع الحكمين (٩٢) .

يبدو ان فلهوزن Wellhausen بنى رأيه هذا بناء على نص ورد عند الطبري يقول فيه : «جاء الخريّت بن راشد الى علي ، وكان مع الخريّت ثلاثمائة رجل من بني ناجية مقيمين مع علي بالكوفة قدموا معه من البصرة ، وكانوا قد خرجوا اليه يوم الجمل وشهدوا معه صفين والنهروان» (٩٣) .

انه لدى استيعابنا لهذا النص لا نستطيع التثبت في ان الخريّت الناجي نفسه قد حارب الى جانب علي في النهروان ، فلعل الرواية تقصد بني ناجية فحسب . ثم ان ابن الاثير في روايته لهذا الخبر أسقط النهروان ، وذكر انهم

٨٩ - العش : الدولة الاموية ، ص ١٠٧ .

٩٠ - الطبري : تاريخ ، ٢٣٦٨/٦ . الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٠٦ . ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ١٢٣/١ .

٩١ - فلهوزن : الدولة العربية ، ص ٧٢ .

٩٢ - فلهوزن : الدولة العربية ، ص ٧٣ .

٩٣ - الطبري : تاريخ ، ٢٤١٨/٦ . ويسمونهم بني ناجية نسبة الى امهم . وانما سميت ناجية لانها سارت مع زوجها لؤي بن غالب في صحراء ، فأصابها الظمأ ، فقال لها : الماء بين يديك ، وهو يريها السراب ، حتى اتت الى الماء فشربت ، فسميت ناجية (ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٢٢/٣) .

شهدوا مع علي الجمل وصفين ليس غير (٩٤) . وهناك رواية اخرى جاء بها ابن ابي الحديد نقلا عن ابن هلال الثقفي تذكر ان الخريت قد شهد مع علي صفين ، وانه خالفه بعد انقضاء صفين وتحكيم الحكيم (٩٥) .

ثم لو عدنا الى رواية الطبري نستقرئها لرأينا ان الخريت جاء عليا فقال له : «اني غدا لمفارقك وذلك بعد تحكيم الحكيم» ، ويوضح له سبب خروجه على طاعته حين يقول له : «لانك حكمت في الكتاب» (٩٦) . وهذا يخالف ظن فلهوزن Wellhausen ان الخريت انما نقم على علي بعد اجتماع الحكومة . فلدى استيعابنا لقوله نراه قد نقم على امير المؤمنين مبدا قبول الحكومة . فاذا كان الامر كذلك ، فانه من المستبعد ان يحارب الى جانب علي في النهروان قوما يرون رايه . وهذا يجعلنا نميل الى ان الخريت كان معتزلا يوم النهروان ولم يشترك بتلك الحرب . فها هو يقول لرسول علي حين سأل عما نقمه على امير المؤمنين : «لم ارض صاحبكم اماما ، ولم ارض بسيرتكم سيرة ، فرأيت ان اعتزل واكون مع من يدعو الى الشورى بين الناس . فاذا اجتمع الناس على رجل هو لجميع الامة رضى ، كنت مع الناس» (٩٧) . ان من كان هذا رايه في امر الامامة لا يعقل ان يحارب الى جانب علي في موقعة النهر ، وعلى الأرجح انه كان يتربص الفرصة المؤاتية لاعلان امره . فلما رفض علي ان يدعن لحكم ابي موسى في ترك امر الامامة للشورى لاه الخريت على ذلك (٩٨) . ويبدو انه لم ينضم الى خوارج النهر ايضا ، ولكن بعد هزيمة الخوارج وتخاذل انصار علي عن المسير الى معاوية ، اعلن الخريت خروجه على علي ، وكان من امره ما سنعرفه فيما بعد ، حين نجده رجلا لا مبدا له ولا ذمام ، ولا يمكن الركون لاقواله ومواقفه لتحديد زمن الاحداث .

خروج الخريت الناجي :

جاء الخريت بن راشد الناجي الى علي فقال له ، وقد جرده من امارة المؤمنين : «يا علي ، والله لا اطيع امرك ، ولا اصلي خلفك ، واني غدا مفارق لك ، وذلك بعد تحكيم الحكيم» (٩٩) . فناظره علي وحاول اقناعه ، فلم يرتدع . وسار بجمع من اصحابه فالتقى في طريقه رجلا مسلما ، فسأله عما يقوله في

٩٤ - ابن الاثير : الكامل ، ٣/ ٣٦٤ .

٩٥ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٣/ ١٢٨ .

٩٦ - الطبري : تاريخ ، ٦/ ٢٤١٨ - ٢٤١٩ .

٩٧ - الطبري : تاريخ ، ٦/ ٣٤٢٧ .

٩٨ - الطبري : تاريخ ، ٦/ ٢٤٣٤ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ٧/ ٣٠٨ .

٩٩ - الطبري : تاريخ ، ٦/ ٢٤١٨ .

علي ، فائنى عليه وقدمه . فحملت عليه عصابة من اصحاب الخريّت فقطموه
باسيافهم ، بينما التقوا يهوديا فخلوا سبيله (١٠٠) .

ارسل علي في اثرهم زياد بن خصّفة البكري في عدد قليل من المساكر ،
فادركهم في ارض المذار (١٠١) . فدعا زياد صاحبهم الخريّت ، فسأله عما نغمه
من امير المؤمنين ، فاخبره بأنه لا يرضى بعلي اماما ، فطلب اليه تسليمه قتلة
الرجل المسلم ، فأبى عليه ذلك . فاقتتلوا قتالا شديدا دون ان يتمكن احدهما
من الآخر ، حتى جاء الليل فحجز بينهما (١٠٢) . وتحت جنح الظلام تنكر الخريّت
وأصحابه واتجهوا صوب الاهواز ، وكتب زياد الى علي بما جرى بينهما . فانتدب
علي معقل بن قيس الرياحي في جيش قوامه اربعة آلاف رجل ، وبعث به في
طلب الخريّت الذي كان قد اجتمع عليه كثير من قطع الطرق والخارجين على
النظام ممن كسروا الخراج . كما انضمت اليه طائفة من الأعراب كانت ترى رايه ،
وتمكنوا من بعض مناطق فارس وأخرجوا عاملها لعلي سهل بن حنيف . ثم كان
اللقاء بين الفريقين قرب جبل من جبال رامهرمز (١٠٣) ، فخرج الخريّت من
المعركة منهزما حتى لحق بساحل بحر فارس (١٠٤) .

ولكن الخريّت لم يلق سلاحه ، بل استمر يجمع الناس حوله ، فكان يأتي
من يرى راي الخوارج فيسر اليهم : «اني ارى رايكم ، وان عليا ما كان ينبغي
له ان يحكم الرجال في دين الله» . ثم يأتي لمن يرى راي عثمان واصحابه ، فيقول
لهم : «انا على رايكم ، وان عثمان قتل مظلوما معقولا» . كما كان يجيء مانسي
الصدقة فيقول : «شدوا على صدقاتكم ، ثم صلوا بها أرحامكم ، وعودوا ان
سئتم على فقرائكم» . وهكذا كان يعمل على ارضاء كل طائفة من الناس بضرب من
القول يتفق وهوام . وبذلك استطاع ان يستهوي كثيرا من الاقوام من مختلف
الميول والاتجاهات (١٠٥) .

ولما علم معقل بموقعه بساحل البحر بفارس ، عبأ جنده وزحف نحو الخريّت
واصحابه ، وهزمهم هزيمة منكرة قتل فيها الخريّت ، وتفرق من بقي من
اتباعه هنا وهناك (١٠٦) .

وهكذا ، انتهت حياة الخريّت الناجي الذي لم تعرف هويته الفكرية على
حقيقتها ، اذ وجدناه تارة يحارب الى جانب علي ، وطورا يخرج على امامته

١٠٠ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٣١/٣ - ١٢٢ .

١٠١ - المذار : بلدة بين واسط والبصرة (ياقوت : معجم البلدان ، ٨٨/٥) .

١٠٢ - الطبري : تاريخ ، ٣٤٢٧/٦ . ابن الاثير : الكامل ، ٣٦٦/٣ .

١٠٣ - رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي الاهواز من ارض فارس (ياقوت : معجم البلدان) .

١٠٤ - الطبري : تاريخ ، ٣٤٣٠/٦ - ٣٤٣٢ . ابن الاثير : الكامل ، ٣٦٧/٣ .

١٠٥ - الطبري : تاريخ ، ٣٤٣٢/٦ - ٣٤٣٤ . ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٤٠/٣ - ١٤١ .

١٠٦ - الطبري : تاريخ ، ٣٤٣٧/٦ . ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٤٢/٣ .

ويشدد النكير عليه . ومرة يزعم انه من الخوارج ، واخرى يتأمر على حياة زعمائهم ، فيستعدي عليا على عبد الله بن وهب الراسبي وزبيد بن حصين ليقتلها (١٠٧) . ويقول المسعودي ان الخريّت ارتد مع اصحابه الى النصرانية (١٠٨) . ولعل الخريّت لم يكن الا رجلا نفعيا متلونا ، لا مبدأ له فينصره ، ولا عقيدة عنده فيلتزم بها .

خارجون آخرون على علي :

لم يكن اصحاب النهر والخريّت الناجي هم الذين خرجوا على علي فحسب ، بل ان مجموعات اخرى شقّت عصا الطاعة عليه ، وأعلنت الخروج على امامته . فقد خرج أشرس بن عوف الشيباني بالأسكرة (١٠٩) في مائتين من أتباعه ، ثم نزل الأنبار (١١٠) . فوجه اليهم علي احد قادته فقتله وشتت اصحابه في ربيع الثاني ٣٨ هـ / ايلول ٦٥٨ م (١١١) .

وخرج هلال بن علفّة من تيم الرباب في اكثر من مائتين في ماسيدان (١١٢) . فقهرهم معقل بن قيس الرياحي في جمادى الاولى ٣٨ هـ / تشرين اول ٦٥٨ م (١١٣) . وتتالي خروج القوم على علي . فجاء دور الاشهب (الاشعث) بن بشر البجلي ، حيث خرج في قرابة ثلاثمائة رجل في جرجرايا (١١٤) من ارض جوخي (١١٥) . فبعث اليه علي قدامة السعدي او حجر بن عدي ، فقتله واصحابه في جمادى الثانية ٣٨ هـ / تشرين ثاني ٦٥٨ م (١١٦) .

ثم خرج سعيد بن قفل التيمي في المدائن ومعه مائتا رجل . فخرج اليه

-
- ١٠٧ - الطبري : تاريخ ، ٣٤٤٣/٦ . ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٤٨/٣ .
- ١٠٨ - المسعودي : مروج ، ٢٨٦/٢ .
- ١٠٩ - الأسكرة : قرية كبيرة غربي بغداد (ياقوت : معجم البلدان ، ٤٥٥/٢) .
- ١١٠ - الأنبار : مدينة على الفرات في غربي بغداد (ياقوت : معجم البلدان) .
- ١١١ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٧٢/٣ .
- ١١٢ ماسيدان : مدينة بفارس (ياقوت : معجم البلدان ، ٤١/٥) .
- ١١٣ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٧٢/٣ .
- ١١٤ - جرجرايا : بلد من أعمال النهروان الاسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي ، وقد خرج منها جماعة من العلماء والشعراء (ياقوت : معجم البلدان ، ١٢٢/٢) .
- ١١٥ - جوخي (جوخا) : اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد (ياقوت : معجم البلدان ، ١٧٩/٢) .
- ١١٦ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٧٢/٣ - ٣٧٣ .

سعد بن مسعود ، فقتلهم في رجب ٣٨ هـ / كانون اول ٦٥٨ م (١١٧) .
 وكان ابو مريم السعدي التميمي اخطر من خرج على علي بعد النهروان ، فقد
 اتى شَهْرَزُور (١١٨) بعد ان اجتمع معه مائتان ، وقيل اربعمائة اكثرهم مسن
 الموالي . فتوجه بهم صوب العراق ونزل بالقرب من الكوفة . فأرسل اليه علي
 ودعاه الى بيعته ، فأبى الا الحرب . فبعث اليه امير المؤمنين شَرِيح بن هانيء
 في سبعمائة رجل ، فهزمهم ابو مريم . فاضطر علي للخروج اليه بنفسه ، فقتلهم
 اصحاب علي بعد ان استامن منهم خمسون رجلا ، فأمنهم امير المؤمنين . وكان
 قتل اصحاب ابي مريم في رمضان ٣٨ هـ / شباط ٦٥٩ م . وقد وصفهم ابن الاثير
 بانهم أشجع من قاتل من الخوارج (١١٩) .

الخوارج يقتالون امير المؤمنين علي بن ابي طالب :

تكاد الاخبار تتفق بشأن مقتل علي ، فتذكر تلك الروايات ان ابن ملجَم
 المرادي والبنزلي بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي - وهسم من الخوارج -
 اجتمعوا فذكروا قتل اصحابهم من اهل النهر ، فثارت شجونهم لذكراهم وانفقوا
 على الثأر لهم بقتل علي وعمرو بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان . فتعهد ابن ملجم
 ان يكفيهم عليا ، فجاء الكوفة وكتب الامر على اصحابه (١٢٠) . وهناك لقي بعض
 معارفه من تيمم الرباب الذين قتل علي منهم عشرة رجال يوم النهروان ، فتذكروا
 معه قتلاهم . ثم التقى امرأة من تيمم الرباب يقال لها قطام (١٢١) ، فأعجب بجمالها
 وخطبها لنفسه ، فاشترطت عليه قتل علي لتقبل به . حينذاك كشف ابن ملجم
 لقطام عن سر مجيئه الى الكوفة . وقد استعان ابن ملجم برجل اسمه شبيب
 بن بجرة الاشجعي ، فكمننا له في المسجد ، وضربه الاشجعي فلم يبلغ منه
 وطره . وضربه ابن ملجم فأصاب منه مقتلا ، وكان ذلك في شهر رمضان ٤٠ هـ /
 كانون ثاني ٦٦١ م (١٢٢) . فاعتقل هذا القاتل وجيء به الى علي وهو ينزف دما،

١١٧ - المصدر نفسه .

١١٨ - شَهْرَزُور : كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمدان من ارض فارس ، واهل هذه
 النواحي كلهم اكراد (ياقوت : معجم البلدان ، ٣/٣٧٥)

١١٩ - ابن الاثير : الكامل ، ٣/٣٧٣ .

١٢٠ - ابن خلدون : تاريخ ، ٢/١١٣٢ .

١٢١ - هي قطام بنت علقمة التميمية (ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ١٣٧/١) . ويقول ابن

ابي الحديد انها قطام بنت الاخضر من بني تيمم الرباب (الشرح ، ٦/١١٥) .

١٢٢ - البرد : الكامل ، ٣/٩٢٩ . الطبري : تاريخ ، ٦/٣٤٥٦ وما بعده . ابن الطقطقي

الفخري ، ص ١٤١ .

فقال لابنه : «النفس بالنفس ، ان هلكت فاقتلوه كما قتلني ، وان بقيت رأيت فيه رأيي . يا حسن ، ان متّ من ضربتي هذه فاضربه بضربة ، ولا تمثّل بالرجل ، فاني سمعت رسول الله يقول : اياكم والمثلى ولو بالكلب العقور» . ولما سئل ابن ملجم عن فعلته التنيعة لم يندم على ما اقترفت يده ، بل قال : «شحذته اربعين صباحا وسألت الله ان يقتل به شر خلقه» (١٢٣) .

ويروي المبرد ان عليا كان يخطب مرة اصحابه وابن ملجم بجانب المنبر ، فسمع وهو يقول : «والله لأريحنهم منه» ، فاعتقله بعض الناس وجيء به الى علي ، وخبثوا امير المؤمنين بما سمعوا ، فقال : «ما قتلني بعد ! فخلّثوا عنه» . ويضيف المبرد قائلا : وكان علي يتمثل ببيت عمرو بن معدي كرب المرادي اذا رأى ابن ملجم ، فيقول :

أريد حياؤه ويريد قتلي عذيرك من خليك من مراد

فيقال له : «كانك عرفته ما يريد ، افلا تقتله ؟» فيقول : «وكيف أقتل قاتلي ؟» (١٢٤) .

ومات علي متأثرا بجراحه في آخر اليوم الثالث لضربته . اما مصير ابن ملجم فقد اصبح بيد الحسن بن علي ، الذي أمر بجلب هذا القاتل الى مجلسه . فلما احضروه ، قال ابن ملجم للحسن : «ان لك عندي سرا» ، فأدرك الحسن انه يريد به شرا اذا اقترب منه . وقد اختلف الرواة كيف انتهت حياة ابن ملجم . فمن قائل انه عذب حتى الموت ، ومن قائل انه مثل به ، فأعميت عيناه أولا ، ثم قطعت اطرافه وهو لا يجزع ، ولما عمدوا الى قطع لسانه ، جزع . فسئل عن ذلك ، فقال : «احببت ان لا يزال فمي بذكر الله رطبا» (١٢٥) . ويبدو لنا من المستبعد ان يمثل به كما ذكر ، لان في ذلك مخالفة صريحة لوصيّة علي ، وبالتالي خروج على امر الرسول الذي نهى عن المثلى ، وليس مقبولا لدينا ان يخالف الحسن وصية ابيه وأمر جده . فقد روى لنا ابو حاتم السجستاني ، ان الحسن ضربه ضربة تلقاها بخنصره فقطعها ، ثم اثنى عليه بضربة اخرى فسي الموضوع الذي اصاب فيه اباه ، فقتله (١٢٦) .

ان الباحث في امر اغتيال علي ، يظهر له ان هذا العمل لم يكن عملا فرديا وثارا لا قارب قطام الذين قتلوا يوم النهر ، بل كان عملا مدروسا ومدبرا من قادة

١٢٣ - ابن الاثير : الكامل ، ٣/٢٩٠ - ٣٩١ .

١٢٤ - المبرد : الكامل ، ٢/٩٢٨ - ٩٢٩ .

١٢٥ - المبرد : الكامل ، ٣/٩٣١ .

١٢٦ - السجستاني : العمرون والوصايا ، ص ١٥٣ (ط. البابي الحلبي ، ١٩٦١) .

الخوارج ، الذين ارادوا بذلك ان يهدموا امامة علي بقتله (١٢٧) . اما ما ذكر عن دور الاشعث بن قيس في التآمر على حياة علي ، فلا يثبت امام ما ذكره ابن سعد من ان الحسن تزوج ابنة الاشعث وصلّى عليه عند مماته (١٢٨) .
ولعل هناك من القرائن الكثيرة التي تشير الى ان الخوارج هم الذين خططوا ودبروا اغتيال علي ، وان ابن ملجم كان اداة تنفيذ الجريمة ليس غير ، فقد اشار الى ذلك ابن سعد وابن قتيبة والمبرد (١٢٩) . كما عبّر عن ذلك بعض شعرائهم ، فقال ابن ابي ميثاس المرادي (١٣٠) :

ونحن ضربنا يا لك الخير حيدرا
ابا حسن مامومة فتفتطّسرا
ونحن حللنا ملكه من نظامه
بضربة سيفٍ اذ علا وتجتبرا

وهذا خارجي آخر يعلن صراحة ان الخوارج هم الذين دبّروا دسيسة التآمر على حياة امير المؤمنين ، وذلك حين يقول (١٣١) :

دَسَسْنَا لَهُ تَحْتَ الظَّلَامِ ابْنَ مَلْجَمٍ
جَزَاءَ اِذَا مَا جَاءَ نَفْسًا كِتَابُهَا

وهذا رجل آخر من الخوارج يقول بأن معشره هم الذين قتلوه ، فيقول (١٣٢) :

١٢٧ - ينقل صاحب الخزائن عن ابن حزم ، انه قال : «ان ابن ملجم عند الخوارج افضل اهل الارض ، لانه خلص روح الالهوت من ظلمة الجسد» (البغدادي : خزائن ، ٤٣٦/٢) ، بينما يذكر المسعودي ان كثيرا من الخوارج لا يتولون ابن ملجم ، وذلك لقتله عليا غيلة (التنبيه ، ص ٢٥٧) .

١٢٨ - ذكر الاصفهاني ان الاشعث بن قيس دخل على علي فاغلف له علي ، فاستشاط الاشعث غضبا وهدده بالقتل ، فقال له علي : «ابالموت تهددني ، فوالله ما ابالي وقعت على الموت ام وقع الموت علي» (مقاتل الطالبيين ، ص ٣٤) . وزعم المبرد ان الاشعث سهّل لابن ملجم تنفيذ خطته وانزله في بيته ليلة الاغتيال ، فاتهمه حجر بن عدي بالاشترار في قتل علي (الكامل ، ٩٨٣/٣) ، الا ان المبرد نفسه يزعم في موضع آخر ان الاشعث حذر عليا من ابن ملجم ، كما اظهر له الاخلاص في كثير من المواقف . (الكامل ، ٩٢٨/٣) .

١٢٩ - ابن سعد : الطبقات ، ٣٥/٢ . ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ١٣٧/١ . المبرد : الكامل ، ٩٢٦/٣ .

١٣٠ - الطبري : تاريخ ، ٢٤٦٦/٦ .

١٣١ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٢٤١/١٣ .

١٣٢ - ق/٢٤٤ ، ب/٢ (الديوان) .

وانا معشر قتلوا عليا
وعبياد بن اخضر في الضلال

وربما لم تكن خطة اغتيال علي الا حلقة في سبيل مطامح سياسية كانت الخوارج تحلم بتحقيقها . فبرى سايكس Sykes ان الخوارج عملوا على ازاحة علي من طريقهم ، لانه كان يشكل عقبة كأداء امام طموحهم في السيطرة على الدولة الاسلامية (١٣٢) .

ولعل في هذا الراي كثيرا من الصحة ، اذ ان الخوارج بعد ان كفروا عليا ومعاوية ، اصبحوا - حسب اعتقادهم - يمثلون الفئة المؤمنة الوحيدة المؤهلة لقيادة العالم الاسلامي . وهذا الطموح السياسي والديني معا سيتجلى - فيما بعد - بحروبهم المتواصلة طوال العصر الاموي . ومما يلفت النظر ويثير الاستطلاع ان مؤامرتهم لم تكن تستهدف عليا فحسب ، وانما ابرز قادة المسلمين من قريش - اي كانوا يستهدفون ازالة المرشحين لخلافة المسلمين ليخلو لهم الجو بالانقضاء عليها . ومن هنا فلم يدخلوا ابا موسى الاشعري ضمن اهدافهم ، رغم تكفيرهم له وتحميله وزر الحكومة وما نجم عنها .

الباب الثاني

تاريخ الخوارج وحروبهم في العصر الأموي

- الفصل الاول : الخوارج في ايام معاوية .
- الفصل الثاني : الخوارج في العهد الزبيري .
- الفصل الثالث : الخوارج في خلافة عبد الملك بن مروان .
- الفصل الرابع : الخوارج بعد عبد الملك بن مروان .

ان الناظر فيما خلفه لنا الخوارج من آثار أدبية وفكرية ، يصاب بخيبة الامل لقلة ما وصل الينا من هذا النتاج . فيتبادر الى ذهنه ان اللعنة التي انصبّت على الخوارج عامة قد حالت بيننا وبين تلك الآثار . ولكن حين يطالع الباحث تاريخ الخوارج ويقرأ عن بطولاتهم العسكرية ، فيجد ان قلّتهم القليلة تهزم الكثرة الكاثرة من المسلمين ، يعود ليبحث عن عوامل اخرى قد تكون وراء ضياع ذلك النتاج .

ثم ان اجماع الرواة على شجاعة الخوارج في ميادين الحرب وجرأتهم في القتال ، يمكن ان يؤخذ كدليل على انهم استحققوا تلك الشهادة قولا وعملا ، خصوصا وان هؤلاء المؤرخين كانوا من خصومهم الألداء .
وتاريخ الخوارج في العصر الاموي - بشكل عام - سلسلة من الثورات المسلحة والحروب المتواصلة ، التي لا يختلف بعضها عن بعض الا باختلاف العناصر البشرية المتجاربة ، وتبدل مواقع القتال الجغرافية . فهو أشبه ما يكون بمسلسل حربي تعددت حلقاته ، وتمائلت صورته ، وكثر أبطاله .

الفصل الاول

الخوارج في ايام معاوية

استقالة الحسن وانفراد معاوية بالسلطان :

لما اغتال ابن ملجم الخارجي عليا ، وتحقق اصحابه من دنو اجله سألوه ان يستخلف عليهم ، فقال : «ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستخلف ، ولكن ان يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم» (١) . ويروي السعدي وغيره ان بعض الناس دخلوا على علي وهو على فراش الموت فسألوه عن البيعة للحسن من بعده ، فقال لهم : «لا آمركم ولا انهاكم ، انتم ابصر» (٢) . وبعد وفاة علي بويع الحسن خليفة بعد ابيه . وكان اول من بايعه قيس بن

١ - السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٥٥ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤/٨ .

٢ - السعدي : مروج ، ٢٩١/٢ . ابن الاثير : الكامل ، ٣٩١/٣ .

سعد الانصاري الذي قال له : «ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه
وقتال المحلّين» . فرد عليه الحسن : «على كتاب الله وسنة رسوله ، فانهما
يأتيان على كل شرط» (٢) . وتمت البيعة في رمضان ٤٠ هـ / ٦٦١ م (٤) .

وفي الوقت نفسه الذي بويح للحسن في الكوفة ، بويح ايضا معاوية في
بيت المقدس (٥) . ولعل بيعة معاوية هذه كانت من اهل فلسطين ونواحيها ، اذ
سبق وعلمنا ان اهل الشام بايعوا له مباشرة بعد صدور قرار التحكيم ، او قبل
ذلك كما ورد في بعض الاخبار .

ويرى بروكلمان Brockelman ان الحسن لم يكن ذلك القائد الذي تنتظره
الدولة حينذاك (٦) ، اذ لم يكن ميّالا لاستئناف الحرب ضد معاوية (٧) . ووصفه
الذهبي ، فاذا هو سيد يميل الى الوداعة لا يرى سفك الدماء (٨) . ومما هو جدير
بالملاحظة انه كان يشترط على مبايعيه ، فيقول : «انكم مطيعون تسالمون من سالمت ،
وتحاربون من حاربت» (٩) . وهكذا فانه كان يقدم السلام على الحرب ، متجاهلا
خصم ابيه الرايض في بلاد الشام .

ولكن يبدو ان اصرار بعض قاداته كابن عباس ، وقيس بن سعد الانصاري ،
جعله يتجه اتجاها مغايرا لما كان يضره في نفسه . فاستجاب لرغبتهما ، وأخذ
يعبئ العساكر استعدادا للمسير الى معاوية (١٠) .

اما معاوية ، فكان - كما عهدناه - يستبق الزمن في سلوكه السياسي
والعسكري ، فما ان علم بمقتل علي حتى جهز جيشه وقدم امامه عبد الله بن
عامر بن كرزب ، الذي حث الخطي ، فنزل الأنبار . ثم سار يريد المدائن . فلما
علم الحسن بالامر توجه على رأس عساكره للاقاة ابن عامر . ولكن ما ان انتهى
الى ساباط (١١) حتى رأى من أصحابه تواكلا جعله يعدل خط سيره ، فنزل هناك
وقام خطيبا ، فدعا جنده الى الجماعة وحشّهم على نبد الفرقة (١٢) . فارتاب بعض
أتباعه بأمره وشكوا بنواياه ، وقالوا فيما بينهم : ما هذا لكم بصاحب ، وما يريد

-
- ٢ - الطبري : تاريخ ، ١/٧ . ابن الاثير : الكامل ، ٤٠٢/٣ .
 - ٤ - المسعودي : التنبيه ص ٢٦٠ .
 - ٥ - الطبري : تاريخ ، ٤/٧ . ابن خلدون : تاريخ ، ١١٢٤/١ .
 - ٦ - بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٢١ .
 - ٧ - الطبري : تاريخ ، ١/٧ .
 - ٨ - الذهبي : العبر ، ٤٧/١ .
 - ٩ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٠٢/٣ .
 - ١٠ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤/٨ .
 - ١١ - ساباط : موضع معروف بالمداين (ياقوت : معجم البلدان) .
 - ١٢ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

هذا القتال» (١٣) . اما من كان منهم يرى رأي الخوارج ، فقد قالوا : «كفر الحسن كما كفر ابوه من قبله» ، وشدوا عليه فنهبوا متاعه . ثم لم يكتفوا بذلك ، بل ارادوا ان يكون مصيره كمصير ابيه ، فكمن له الجراح بن سينان الأسدي الخارجي ، وطعنه بخنجر مسموم في فخذه ، ولكنه لم يصب منه مقتلا ، ونجا الحسن من مؤامرة خارجية لاغتياله (١٤) .

فلما رأى الحسن تخاذل اصحابه عن نصرته وتآمر بعضهم على حياته ، ادرك ان في عساكره أناسا لا يوثق بهم ولا يؤتمن لهم ، وانهم يتحينون به السوانح ليفعلوا به كما فعلوا مع ابيه من قبله . حينذاك كتب الى معاوية يعرض الصلح لقاء شروط يشترطها عليه . وسرعان ما استجاب معاوية له ، وأبدى استعداداه لتلبية جميع مطالبه . وتدليلا على صدق نواياه ، فقد ارسل اليه صحيفة بيضاء مذيثة بخاتمه ليسطر فيها الحسن جميع شروطه (١٥) .

ولما تيقن الحسن من وقوع الصلح الذي يستعد له ، وقف في اهل العراق مبررا ما اقدم عليه ، فقال : يا اهل العراق ، انه سخى بنفسي عنكم ثلاث : قتلكم ابي ، وطعنكم اياي ، وانتهابكم متاعي» (١٦) .

ان خروج الحسن عن الامر لمعاوية اسخط شيعة ابيه عليه ، فكتبوا الى اخيه الحسين ليتولى امرهم . فامتنع عليهم ايضا ، ولكنه - في الوقت نفسه - وعدهم بتحقيق مطلبهم بعد موت معاوية (١٧) . فلما يسوا منهما ، جرت المكاتبات بين معاوية وقادة الحسن ، وبايع له قيس بن سعد وعبيد الله بن عباس (١٨) . وكان عبد الله بن عباس قد كتب الى معاوية يسأله الامان لنفسه وماله من قبل (١٩) .

وهكذا ، لم تمض بضعة اشهر على تسلم الحسن سدة الامامة ، حتى سلم مقاليد الحكم لمعاوية ، وذلك صونا لحياته وحققنا لدماء المسلمين (٢٠) . ثم أعقب ذلك التصالح اتفاقية سلام في شهر ربيع الاول ٤١ هـ / تموز ٦٦١ م (٢١) . وسمي ذلك العام بعام الجماعة ، تيمنا بعودة الالفه والوئام بين المسلمين (٢٢) .

١٣ - الطبري : تاريخ ، ٥/٧ .

١٤ - الاصبهاني : مقال الطالبين ، ص ٦٤ . الذهبي : العبر ، ٤٧/١ .

١٥ - الطبري : تاريخ ، ٥/٧ . ابن الاثير : الكامل ، ٤٠٥/٣ .

١٦ - الطبري : تاريخ ، ٣/٧ .

١٧ - ابن خلدون : تاريخ ، ٣٦٦/٣ .

١٨ - الطبري : تاريخ ، ٨/٧ . ابو الفداء : المختصر ، ١٨٢/١ .

١٩ - الطبري : تاريخ ، ٢/٧ .

٢٠ - اليعقوبي : تاريخ ، ٢١٥/٢ .

٢١ - المسعودي : التنبيه ، ص ٢٦٠ .

٢٢ - العصامي : السمع ، ٦/٣ .

وبذلك تمكن معاوية من دخول الكوفة ظافرا لخمس بقين من ربيع الاول ٤١ هـ / تموز ٦٦١ م (٢٢) ، وأصبحت دمشق الشام حاضرة الخلافة الاسلامية .

وهكذا ، فقد اعطى الحسن المثل الاول والبادرة التي لم يسبق اليها في الاستقالة من منصبه وتسليم الامر الى غيره (٢٤) . في حين - كما لاحظ فلهوزن Wellhausen - اصر عثمان على الاحتفاظ بحقه في الامامة حتى الموت (٢٥) .

وقد تناول الباحثون - قديما وحديثا - مسألة تنازل الحسن ، فآكثروا في التأويل والاجتهاد ، وحاولوا ايجاد المبررات الموجبة لتلك الخطوة الخطيرة فسي تلك المرحلة المبكرة من عهد ولايته . فاتفق الاقدمون على ان تخاذل العراقيين وعدم اطمئنانه لنواياهم ، كانا من العوامل الحاسمة التي دفعته للاقدام على تسليم الامر لمعاوية ، ثم الركون الى حياة المسالمة والهدوء (٢٦) . وتابعهم على ذلك بعض المحدثين ، فرأى السيد امير علي ان عدم استقرار العراقيين وتقلب أهوائهم كان العامل الذي خيَّب آمال علي أولا ، وحمل ابنه الحسن على الاستقالة من الخلافة فيما بعد (٢٧) .

كما ذكر ميور Muir ان الحسن لم يأسف لفراق اهل العراق ، لانهم لا يستقرون على رأي واحد (٢٨) .

ولعل اسبابا خفية اخرى هي التي دفعت بالحسن الى هجر الخلافة ، وذلك عملا بتوجيه جده الرسول ، وأخذا بنصيحة ابيه الامام . فقد روي عن النبي انه قال للحسن : «ابني هذا سيد ، ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» (٢٩) . ويرى ابن العربي ان هذا الحديث حسن له خلع نفسه ، لاصلاح أمر المسلمين (٣٠) . كما نقل ابن قتيبة وغيره ان عليا قال لاصحابه : «لا تكرهوا امرأة معاوية ، فان امرته سلم وعافية ، فلو قد مات رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل» (٣١) .

ومهما تكن الدوافع وراء تلك الاستقالة ، فان الحسن والحسين كانا مخلصين

٢٣ - المسعودي : مروج ، ٢/٣٠٢ . وفي رواية اخرى من جمادى الاولى او ربيع الاخر - (الطبري : تاريخ ، ٧/٧) .

٢٤ - المسعودي : التنبيه ، ص ٢٦٠ .

٢٥ - فلهوزن : الدولة العربية ، ص ٤٤ .

٢٦ - الاصبهاني : مقاتل الطالبين ، ص ٦١ . ابن الاثير : الكامل ، ٣/٤٠٧ .

٢٧ - السيد امير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ٦١ .

28 — Muir : The Caliphate, p. 307.

٢٩ - ابن حجر : شرح البخاري ، ١٦/١٧٢ . البيهقي : المحاسن والمساوي ، ص ٥٥ .

٣٠ - ابن العربي : العواصم ، ص ١٧٠ .

٣١ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ١/١٢١ . السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٣٠ .

لعهدهما . فقد ذكر الدينوري ان حُجر بن عدّي ندّم بالحسن على ما فعل ، ثم جاء الى اخيه الحسين يحثه على الحرب والقتال ، فأبى الاخذ بتحريضه له ، وقال : «انا قد بايعنا وعاهدنا ، ولا سبيل الى نقض بيعتنا» (٢٢) . كما ان معاوية - من جهته - كان وفيًا لعهدِهِ ايضا ، فقد أحسن سيرته معهما ، فلم يريا منه سوءا ولا مكروها ، ولا اخلف عهدا مما كان شرط لهما (٢٣) .

معاوية والخوارج :

قبل الانتقال الى الحديث عن الخوارج في عهد معاوية ، يجدر بنا التعرف بهذا الامير الذي تربّع على سدة الخلافة ، بعد ان شهدت الامة الاسلامية أشد ويلاتها وأخطر انقساماتها .

كان معاوية قد أسلم مع ابيه ابي سفيان عام فتح مكة (٢٤) ، ثم حسن اسلامه، فاستكتبه الرسول (٢٥) ، وولاه عمر وعثمان زهاء عشرين سنة . فاكسب خلال تمرسه بولاية الشام خبرة واسعة وفهما واعيا لما يحيط به ، حتى اصبح اماما في صناعته (٢٦) . وهذا لا يعني انه اصبح يداني عليا بالفضل في الاسلام ، فقد كان البون شاسعا بينهما . فعلي من اكابر الصحابة ومن المقدمين فيهم ، في حين كان معاوية من الطلقاء المؤلفة قلوبهم (٢٧) . ولكنه وصف بأنه كان رجلا حكيما وسياسيا بارعا ، فمعاوية هو القائل : «لا اضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو ان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت . قيل : وكيف ، يا امير المؤمنين ؟ قال : كانوا اذا مدوها خلتها ، واذا خلوها مددتها» (٢٨) . وقد وصل الامر بابن خلدون ان يلحقه بالخلفاء الراشدين ، وذلك ردا على من يتهمه بالعصبية وحب الجاه والملوكية (٢٩) . وقد رآه ماكدونالسد Macdonald رجلا سياسيا بارعا في جيلته (٤٠) .

- ٣٢ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٢٠ .
 ٣٣ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٢٥ .
 ٣٤ - ابو الفداء : المختصر ، ١٨٨/١ .
 ٣٥ - ابن قتيبة : المعارف ، ص ٢٤٢ . السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٣٠ .
 ٣٦ - كرد علي : الادارة الاسلامية ، ص ٦٥ .
 ٣٧ - ابن قتيبة : المعارف ، ص ٢٤٢ . الطلقاء : هم الدين اطلق النبي محمد (ص) سراهم يوم دخل مكة ظافرا .
 ٣٨ - اليعقوبي : تاريخ ، ٢٣٨/٢ .
 ٣٩ - ابن خلدون : تاريخ ، ١١٤١/٢ .

بعد ان خلا الجو لمعاوية وانفرد بالسلطان ، واصبح - لاول مرة - بلا منازع يشاطره السلطان في بلاد الرافدين ، استطاع ان يفرض نفوذه على جميع البلاد الاسلامية . فوجه عمرو بن العاص الى مصر ، وفاء لما قدمه له يوم صفين وبعده (٤١) . ثم كان عليه ان يتهيأ لمواجهة حشود الروم ، الذين كانوا يتربصون به الدوائر على حدود دولته المترامية الاطراف .

وهكذا ، استطاع معاوية - بما اوتي من دهاء وطول اناة - ان يخضع العراق لحكمه ، تارة باللين والعتاء ، وتارة اخرى بالعنف والشدة . كما استطاع ان يكسب خصومه من الهاشميين (٤٢) .

ويرى ميور Muir ان معاوية نجح نجاحا باهرا ، اذ استطاع ان يرد خطر أعدائه وان يوجه لهم الفزوات في عقر ديارهم . فازدهر الاسلام في زمانه وانتشر في كل الاتجاهات (٤٣) .

خروج الخوارج في اول عهد معاوية :

ان مبايعة اهل العراق لمعاوية لا تعني بحال من الاحوال ان جميع العراقيين سلموا قيادهم عن قناعة ورضى . اذ كان كثيرون منهم قد سكتوا على مضض ، لان الموقف يستوجب السكوت ، وبخاصة بعد ان تخلى قادتهم عن ادوارهم . كما ان كثيرين آخرين منهم كانوا قد ملثوا الحروب وشروها ، فوجدوا في السلام موقفا للحياة الاستقرار والهدوء التي حرموا منها ايام الصراع بين علي ومعاوية . ومهما تكن مشاعر العراقيين نحو بني امية ، فقد وجدوا ان خلافة معاوية اصبحت امرا واقعا ، فهو خليفة المسلمين باجماع الامة ، وبخاصة ان الحسن والحسين بايما له (٤٤) .

اما الخوارج فلم يكونوا راضين عن معاهدة الصلح التي أبرمت بين الحسن ومعاوية . فنيران الثورة التي كانت تتأجج في صدورهم لم تطفئها هذه المصالحة ، بل وجدوا فيها تحطيما لطموحهم الذي كان يرمي لاخذ الحكم من كلا الفريقين (٤٥) . وربما شعروا ان هذه المعاهدة تشكل خطرا على كيانهم ووجودهم ،

٤١ - البعقوبي : تاريخ ، ٢/٢٢١ .

٤٢ - بروكلمن : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٢٢ .

43 — Muir : The Caliphate, p. 309.

٤٤ - ابن العربي : العواصم ، ص ١٩٩ .

٤٥ - كان خليفة الخوارج الاول عبد الله بن وهب الراسبي صريحا في طموح الخوارج هذا ، حين قال لرسول علي :

ونضربكم حتى يكون لنا الحكم

نقاتلكم كي تلتزموا الحق وحده

(ق / ١٠٦ - الديوان) .

فقد يكون تصالح الفريقين على حساب تصفيتهم . ثم ان معاوية في نظرهم اشد انحرافا عن مطالبهم من الحسن واخيه (٤٦) .

هؤلاء الخوارج لم يستكينوا في ظل العهد الجديد ، بل حملوا سيوفهم على عواتقهم ، ولم ينتظروا طويلا ليعلموا سخطهم على نظام معاوية . وهكذا ، وقبل ان يستمتع بنشوة الظفر بعد تنازل الحسن له ، اخذت الخارجية التي اعتزلت قتال علي يوم النهر ترفع رأسها وتعلن تمردا عليه . فقد خرج فروة بن نوفل الاشجعي من شهرزور (٤٧) في خمسمائة من اصحابه ، فحرضهم على الجهاد ضد معاوية ، وهاجم بهم الكوفة ودخلها (٤٨) . وكان الحسن - اذ ذلك - ما زال في طريق ذهابه الى المدينة بعد استقالته . وقبل ان يتجاوز في طريقه ، ارسل اليه معاوية يدعوه لان يكون المتولي حرب الخوارج . وعلى الرغم من كون الحسن لا يتائم من قتل الحرورية المستعرضة (٤٩) ، فقد رد عليه قائلا : «والله ، لقد كفت عنك لحقن دماء المسلمين ، وما احسب ذلك يسعني ، افاقاتل عنك قوما انت والله اولى بالقتال منهم ؟» (٥٠) .

فلما رفض الحسن الاستجابة لدعوة معاوية ، بعث الى الخوارج جمعا من اهل الشام ، ولكنهم هزموا امام الخوارج (٥١) . فاستعان معاوية بأهل الكوفة انفسهم بعد ان هددهم بقوله : «لا امان لكم والله عندي حتى تكفوا بوائقكم» (٥٢) . فاستجاب له الكوفيون ولبثوا نداءه ، ثم خرجوا لمقاتلة تلك الخارجية . فلما رأوهم قالت لهم الخوارج : «ويلكم ما تبغون منا اليس معاوية عدونا وعدوكم ؟ دعونا حتى نقاتله ، وان اصابنا كنا قد كفيناكم عدوكم ، وان اصابنا كنتم قد كفيتمونا» (٥٣) . ولكن الكوفيين لم يقبلوا حجتهم ، وشدوا عليهم وقاتلوهم . وكانت قبيلة اشجع قد استعادت صاحبهم فروة - وكان من اكابرهم - فوعظوه ، فلم يرجع عن رأيه ، فأخذوه قهرا (٥٤) . فاستعمل الخوارج عندهم عبد الله بن ابي الحوساء الطائي ، واستأنفوا القتال حتى قتلوا عن آخرهم ، وذلك في ربيع اول ٤١ هـ / تموز

-
- ٤٦ - السمودي : مروج ، ٧٨/٢ . القلقشندي : صبح الاعشى ، ٢٢٣/١٣ .
٤٧ - شهرزور : كودة واسعة بين اربل وهمدان من ارض فارس (بافوت : معجم البلدان) .
٤٨ - الطبري : تاريخ ، ١٠/٧ .
٤٩ - ابن منظور : اللسان ، ١٧٧/٧ . المستعرضة : اي الذين يستعرضون الناس ولا يباليون بمن يقتلون .

- ٥٠ - المبرد : الكامل ، ٩٧٨/٢ . ابن عبد ربه : العقد ، ٢٥٣/١ .
٥١ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٠٩/٣ .
٥٢ - الطبري : تاريخ ، ١٠/٧ .
٥٣ - الطبري : تاريخ ، ١٠/٧ .
٥٤ - الطبري : تاريخ ، ١٠/٧ .

وبعد مقتل ابن ابي الحوساء ولّى الخوارج امرهم الى حوثة بن وداع بن مسعود الاسدي ، الذي اخذ على فررة الاشجعي انه لم يقاتل عنيا يوم النهروان . فدعا اصحابه الى الخروج ، وسار من بَرّاز الرّوز (٥٦) حتى قدم النخيلة ومعه مائة وخمسون رجلا ، كما لحق به من نجا من بقايا ابن ابي الحوساء . فحاول معاوية ان يردّه باللين ، وارسل اليه ولده عسى ان يلين لرؤيته . واكن ذلك لم يزدّه الا جفاء وقساوة ، وقال لرسول معاوية : «انا الى طعنة من يد كافر برمح اتقلب فيه ساعة اشوق مني الى ابني» (٥٧) .

حينذاك بعث اليه معاوية عبد الله بن عوف الاحمر في الفين - فيهم ابن حوثة ، فدعا ابنه للبراز ، فقال : «يا ابا لك في غيري سعة» . واقتتل ابن عوف مع حوثة ، فظمنه ابن عوف فقتله ، وتفرق اصحابه ، وذلك في جمادى الثانية ٤١ هـ / تشرين اول ٦٦١ م (٥٨) . بينما يقول المبرد ان رجلا من طيء هو الذي حمل عليه وقتله ، ثم ندم على ذلك ، حين رأى اثر السجود قد لوح جبهته (٥٩) . ويذكر ابن ابي الحديد ان معاوية ارسل لهم جيشا من اهل الكوفة ، فلما رآهم حوثة قال لهم : «يا اعداء الله ، انتم بالامس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه ، وانتم اليوم تقاتلون معه لتشدوا سلطانه !» (٦٠) .

وكان ممن خرج على معاوية في اوائل عهده شبيب بن بجرّة الاشجعي ، الذي كان مع ابن ملجم حين اغتال عليا ، فقد حاول ان يتقرب من معاوية حين جاء الكوفة ، فقد قال متباهيا في حضرة معاوية : «انا وابن ملجم قتلنا عليا» . فوثب معاوية من مجلسه مذعورا حتى دخل منزله ، وبعث الى أشجع ، وقال : «لئن رايت شيبا او بلفني انه ببابي لاهلكنكم . اخرجوه عن بلدكم» . فخرج شبيب واخذ يستعرض الناس ويقتلهم . فلما ولّى المغيرة بن شعبة الكوفة ، خرج عليه في مكان قريب منها ، فبعث اليه بجند فقتل شبيب واصحابه (٦١) .

٥٥ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٠٩/٣ - ٤١٠ . يلاحظ ان فلهوزن Wellhausen

قد اكتفى برواية الطبري ، ولم ينظر الى ما قاله ابن الاثير بهذا الخصوص ، فترك الخوارج يقاتلون الكوفيين ولا رأس لهم (فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ٤٤) اذ كان اقرباء فررة الاشجعي قد اخلدوا قبل نشوب القتال . كما انه يهمل ما اورده المبرد وابن الاثير من خبر خروج حوثة الاسدي .

٥٦ - بَرّاز الرّوز : موضع في سواد بغداد من الجانب الشرقي (باقوت : معجم البلدان) .

٥٧ - ابن الاثير : الكامل ، ٤١٠/٣ .

٥٨ - ابن الاثير : الكامل ، ٤١٠/٣ - ٤١١ .

٥٩ - المبرد : الكامل ، ٦٨٠/٣ . وقد جعله اول من خرج في عهد معاوية (الكامل ، ٩٧٨/٣) .

٦٠ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٣٤/٤ - ١٣٥ .

٦١ - اليعقوبي : تاريخ ، ٢٢٠/٢ . ابن الاثير : الكامل ، ٤١١/٣ - ٤١٢ .

الخوارج في ولاية المغيرة بن شعبه :

لما استعمل معاوية عمرو بن العاص على مصر ، واستعمل ابنه عبد الله على الكوفة ، جاءه المغيرة وحذره ان يصبح اميرا بين نابي الاسد . فأخذ معاوية برأي المغيرة وعزل ابن عمرو عن الكوفة واستعمل المغيرة عليها (٦٢) . ومنذ اوائل عهده بهذه الولاية اخذت الخوارج بالخروج والثورة . ولكن خروجهم - في بادئ الامر - لم يكن بذئ خطر ، اذ كان يقتصر على مجموعات صغيرة لم تكلفه الا قليلا من الجهد للقضاء عليها . فكان من هؤلاء الخارجين معين بن عبد الله ، الذي قبض عليه المغيرة وأودعه السجن ، ولما استتابه وأمره في الاقرار بخلافه معاوية رفض ذلك ، فأمر بقتله . وخرج بعد معين الخارجي ابو مريم ، الذي أخرج معه امرأتين ، هما قطام وكنحيلة ، فعابه ابو بلال مرداس بن أدية على اشراكه النساء في الخروج ، فاحتج عليه بأن النساء قاتلت مع الرسول . وقد وجّه اليه المغيرة جابرا البجلي ، فقتله (٦٣) . كما خرج ابو ليلي الخارجي ، حيث جاء مسجد الكوفة ، فحكّم بأعلى صوته ، فتبعه ثلاثون من الوالي . فبعث اليه المغيرة معقل بن قيس الرياحي ، فقتله بسواد الكوفة ٤٢ هـ / ٦٦٢ م (٦٤) .

لم يكن اولئك الناس الذين خرجوا فرادى او زرافات صغيرة بذئ شأن وخطر ، ولكن امر الخوارج في الكوفة ، استفحل لما تحرك اولئك الذين كانوا قد اعتزلوا القتال يوم النهر . وكان اول امرهم ان حيّان بن ظبيان السلمي ، الذي كان قد أصيب في موقعة النهروان ، شفي من جروح أصابته ، فخرج في بضعة عشر رجلا من اصحابه ولحق بالري (٦٥) . وظلوا هناك الى ان جاءهم نعي علي على يد احد اخوانهم ، فدعا حيان اصحابه الى الخروج للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الاحزاب . فجاؤوا الكوفة وأقاموا فيها . ولما استعمل معاوية المغيرة على الكوفة ، ولم يفتش الوالي الجديد على اصحاب الاهواء ، طمعا في تأليفهم وتجنباً لاثارتهم ، وجدت الخوارج في هذا الجو متنفسا لها ، فأخذوا يجتمعون ويتذكرون اخوانهم الذين قتلوا يوم النهر . وفي نهاية الامر اتفقوا على ان في الاقامة عن الجهاد الاثم والهلاك ، وان في الخروج الاجر والثواب (٦٦) . واجتمعوا اخيرا على ثلاثة نفر منهم ، هم : المستورد بن علفة التميمي - من تيم الرياب ،

٦٢ - ابن الاثير : الكامل ، ٤١٣/٣ .

٦٣ - ابن الاثير : الكامل ، ٤١٢/٣ - ٤١٣ .

٦٤ - ابن الاثير : الكامل ، ٤١٣/٣ .

٦٥ - الري : مدينة مشهورة من امهات البلاد وأعلام المدن في فارس (ياقوت : معجم البلدان) .

٦٦ - الطبري : تاريخ ، ١٧/٧ - ٢٠ . ابن الاثير : الكامل ، ٤٢١/٣ .

ومعاذ بن جوين الطائي السنبسي (١٧) وحيّان بن ظبيان السلمي . ثم بايعوا
المستورد اميرا للمؤمنين ، لانه اسنّ الثلاثة ، واستعدوا للخروج في غرّة
شعبان ٤٣ هـ / ٦٦٣ م (١٨) .

اخذ عدد من هؤلاء الخوارج يجتمعون في بيت حيان بن ظبيان ، فيقرأون
القرآن ويتداولون امورهم فيما بينهم . فلما علم المغيرة بعزمهم على الخروج ،
ارسل اليهم صاحب شرطته ، فاعتقلهم والقى بهم في السجن ، فقضوا فيه زهاء
عام من الزمن (١٩) .

اما المستورد ، فانه نزل دارا في الحيرة (٧٠) بعيدا عن عين الحراس . ولكن
لما اخذت الخوارج تفد عليه وانكشف أمره ، امر اصحابه بالرحيل عنها ، فتحولوا
الى دار سلّيم بن مخدوج العبدي ، في بني سلمة من عبد القيس ، وكان صحرا
للمستورد لا يرى رايه في الخروج . ولما شاع خبر تحرك الخوارج ، ادرك المغيرة
خطورة الامر ، فجمع رؤساء القبائل وخطبهم ، فقال : «فليكني كل امرئ من
الرؤساء قومه ، والا فوالذي لا اله غيره لأتحولنّ عما كنتم تعرفون الى ما تنكرون،
وعما تحبون الى ما تكرهون ، فلا يلم لائم الا نفسه ، وقد أعذر من أنذر» (٧١) .
اخذ زعماء القبائل انذار المغيرة موضع جد واهتمام ، فعادوا الى قبائلهم
وبادروا في البحث عن مثيري الفتنة في صفوفهم . وجاء صعصعة بن صوحان
الى عبد القيس ، فحذرهم من ايواء هؤلاء المارقة ، فتراجع كثيرون عن اللحاق
بالخوارج (٧٢) .

ولما علم المستورد بتهديد المغيرة لرؤساء القبائل ، وتجنبيا لاجراج اصهاره ،
امر اصحابه بالرحيل ، فخرجوا عن ديار عبد القيس ، وساروا الى الصّراة (٧٣)
ومنها الى بهرّسير (٧٤) . وعزموا على دخول المدينة العتيقة التي كانت بها منازل
كسرى ، فردّهم عنها عاملها سيماك بن عبّيد الأزدي العبسي . ثم حاول ان
يردهم عن خروجهم ، ويأخذ لهم الامان ، فأبى المستورد ، وعبر جراجرايسا

٦٧ - هو ابن عم زيد بن الحصين الطائي ، احد زعماء الخوارج ، والذي قتل يوم النهروان
(الطبري : تاريخ ، ٢٠/٧) .

٦٨ - الطبري : تاريخ ، ٢٠/٧ - ٢١ . ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٣٤/٤ .

٦٩ - الطبري : تاريخ ، ٢٨/٧ - ٢٩ .

٧٠ - الحيرة : مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، كان يسكنها كثير من النصارى (ياقوت :

معجم البلدان) .

٧١ - الطبري : تاريخ ، ٢٨/٧ - ٣٣ .

٧٢ - الطبري : تاريخ ، ٢٣/٧ .

٧٣ - الصّراة : هما نهران ببغداد - الصراة الكبرى والصراة الصغرى (ياقوت : معجم

البلدان) .

٧٤ - بهرّسير : من نواحي سواد بغداد قرب المدائن (ياقوت : معجم البلدان) .

ومضى بأصحابه الى ارض جُوخى (٧٥) ، حتى بلغ المذار (٧٦) ، ونزلوا هناك . فبعث اليهم المغيرة جيشا قوامه ثلاثة آلاف رجل من نقاوة الشيعة ، على رأسهم معقل بن قيس الرياحي التميمي الشيعي . فأرسل معقل في اثرهم ابا الرواغ الشاكري في ثلاثمائة من الفرسان ، فلحقهم حتى ادركهم فسي ارض المذار . وحينذاك استشار اصحابه في قتالهم او انتظار قدوم معقل عليه ، فاختلف اصحابه بين مؤيد ومعارض ، واخيرا تنحى جانبا . ثم تقدم معقل في سبعمائة من فرسانه ، والتقى الخوارج ، فانهزم كثيرون من اصحابه ، ولم يثبت سوى معقل وابي الرواغ في نحو مائتين من الفرسان . ووصلت مؤخره الجيش وتوافقوا للقتال . وفي تلك الاثناء جاءت الخوارج الاخبار بأن شريك بن الاعور قد أقبل في ثلاثة آلاف من اهل البصرة ، فاقترح المستورد على اصحابه ان ينحازوا ثانية عن ارض البصرة وأن يعودوا الى ارض الكوفة ، لان البصريين لا يحاربون خارج دائرتهم ، فانسحبوا من مواقعهم وتسللوا الى ارض الكوفة حتى بلغوا جرجرايا . وقد اصاب حدسهم ، فان البصريين رفضوا للحاق بهم ، فمضى الخوارج في طريقهم وعبروا دجلة ونزلوا في ارض بهرسير . وهناك بالقرب من ساباط كان اللقاء الحاسم ، فاشتد القتال بين الفريقين ، وكادت الدائرة تدور على اهل الكوفة لولا ثبات معقل في عدد من فرسانه ، ونجدة ابي الرواغ الذي كان قد أبعدته المستورد عن ساحة المعركة بحيلة حربية . اما المستورد ، فانه نادى معقلا ودعاه للمبارزة ، فحاول اصحابه منعه من ذلك ، فأبى وخرج اليه معقل ، فاختلفا ضربتين ، فقتل كل واحد منهما صاحبه . وكان قد اوصى بالامارة من بعده الى عمرو بن محرز بن شهاب التميمي ، الذي اخذ الراية بعد مقتله ، وحمل على الخوارج ، فقتلوه ، ولم ينج منهم الا بضعة رجال فروا من ارض المعركة (٧٧) .

ويذكر اليعقوبي ان عصابة من الموالي عليهم ابو علي ، وهو مولى لبني الحارث بن كعب ، خرجوا في الكوفة ، فبعث اليهم المغيرة رجلا من بجيلة ، فقاتلهم وقضى عليهم . ويرى اليعقوبي انها اول خراجة خرج فيها الموالي (٧٨) . اما اولئك القوم من الخوارج الذين كانوا في سجون المغيرة وأفرج عنهم بعد موته ، فانهم عادوا للخروج في عهد ولاية عبد الرحمن بن عثمان بن ربيعة (ابن ام

٧٥ - جُوخى (جوخا) : كورة واسعة في سواد بفساد بالجانب الشرقي منه (ياقوت : معجم

البلدان) .

٧٦ - المذار : مدينة بين واسط والبصرة (ياقوت : معجم البلدان) .

٧٧ - الطبري : تاريخ ، ٤٥/٧ وما بعدها . ابن الاثير : الكامل ، ٤٢٧/٣ وما بعدها .

٧٨ - اليعقوبي : تاريخ ، ٢٢١/٢ .

الحكم اخت معاوية بن ابي سفيان) على الكوفة (٧٩) . وذلك ان حيان بن ظبيان السلمي جمع اصحابه وخطبهم ، فحثهم على الجهاد ، فاستجابوا له وبايعوه ، وفي مقدمتهم معاذ بن جوين الطائي . ولما استشارهم عن وجهة الخروج ، اشار عليه معاذ بالمسير الى حلوان (٨٠) ، فيتحصنون بها بانتظار لحوق اصحابهم بهم . فخالفه حيان لان اعداءهم لن يفسحوا لهم مجال تجميع صفوفهم ، وراى الخروج الى جانب الكوفة او زرارة (٨١) والحيرة ، وذلك سعيا وراء طلب الشهادة . فردوا عليه بان في ذلك هلاكهم الذي تقر به عين عدوهم . فأصر على رايه ، ولم يشأ اصحابه مخالفة امره في الخروج ، فخرجوا الى بانقيا (٨٢) . ولكنهم ما لبثوا الا قليلا حتى جاءهم جيش ، فقتلهم عن آخرهم ، وذلك في ربيع الاول ٥٩ هـ / كانون اول ٦٧٨ م (٨٣) . ويرى فلهوزن Welhausen انه بمقتل هذه الخارجة كانت نهاية الخوارج في الكوفة (٨٤) .

وقد تناول الباحثون سياسة المغيرة مع الخوارج في الكوفة وتوابعها ، فأكثروا القول في سلوكه معهم . فعلى الرغم من قضائه على ثورات الخوارج ، الواحدة تلو الاخرى ، بدهاء وحكمة ، فانه لم يكن عنيفا في اخذه لهم ، حتى يبدو وكأنه كان يطمع بعودتهم عن غيهم ليعفو عنهم جميعا . فقد جاءه عبد الله بن عقبة الغنوي الخارجي ، الذي كان رسول المستورد بن علفه الى سيماك بن عبيد الازدي ، فعفا عنه (٨٥) . ووصل الامر بفلهوزن Welhausen ان يقول فسي ذلك : «ولو جاء الخوارج كلهم الى المغيرة لكان قد عفا عنهم ايضا» (٨٦) . ويصف الطبري سلوك المغيرة مع اهل العراق فيقول : «فأحب العافية ، وأحسن في الناس السيرة ، ولم يفتش اهل الاهواء عن أهوائهم ، وكان يؤتى فيقال له : «ان فلانا يرى رأي الشيعة ، وان فلانا يرى رأي الخوارج» ، فكان يرد عليهم قائلا : «قضى الله الا تزالون مختلفين ، وسيحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون» . فأمنه الناس (٨٧) .

-
- ٧٩ - ولّى ابن ام الحكم ولاية الكوفة ٥٨ هـ / ٦٧٧ م .
 ٨٠ - حلوان : موضع في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد (ياقوت : معجم البلدان) .
 ٨١ - زرارة : محلة بالكوفة (ياقوت : معجم البلدان) .
 ٨٢ - بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة (ياقوت : معجم البلدان) . وكان اكثر ساكنيها مسن اليهود (ابن ابي الحديد : شرح ، ٢٩/١٤) .
 ٨٣ - الطبري : تاريخ ، ١٨١/٧ - ١٨٤ .
 ٨٤ - فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ٥٩ .
 ٨٥ - الطبري : تاريخ ، ٦١/٧ .
 ٨٦ - فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ٥٧ .
 ٨٧ - الطبري : تاريخ ، ١٩/٧ - ٢٠ .

ويراه فلهوزن Welhausen رجلا متساهلا ، لم يقتلع الشر من جذوره ، ويرد ذلك الى تقدمه في السن ، اذ لم يكن يعتقد بأنه سيعيش الى الوقت الذي يستفحل فيه الخطر ، فكان يكفي ان يعيش في دعة وهدوء (٨٨) .

اما بروكلمن Brockelman فقد كان اشد نكيرا على المغيرة ، فراه رجلا انتهازيا ، لا ذمة له ولا ذمام (٨٩) . ولكن ميور Muir لا يتفق مع صاحبيه من الباحثين الغربيين ، بل يراه رجلا ذكيا ، وحكيما عاقلا (٩٠) .

ولعل الناظر في سياسة المغيرة مع رعيته من اهل الكوفة ليجد انها كانت تمثل نظرة اميره معاوية للحكم - فللحلم موضع ، وللسيف آخر . فقد استطاع ان يشغل الكوفيين عن معارضة الامويين معارضة فعالة ، كما تمكن من اخماد ثورات الخوارج دون كبير عناء وبأقل التكاليف . وعمل بمنتهى الدهاء حين جعل خصوم بني أمية من الشيعة يحاربون خصوم الفريقين من الخوارج ، فقد قال لصاحب شرطته : «الصق بمعقل شيعة علي ، فانه كان من رؤساء اصحابه ، فاذا اجتمعوا استأنس بعضهم ببعض ، وهم اشد استحلالا للدماء هذه المارقة وأجرا عليهم من غيرهم ، فقد قاتلوه قبل هذه المرة» (٩١) . ويمكن القول ان دم الشيخوخة جعل المغيرة اقل عنفا وأكثر ميلا الى اللين والتسامح . فهذا ما صرح به لمعاوية ، حين اراده امير المؤمنين أكثر حزما وأصلب عودا ، فقد كتب اليه يقول : «أما بعد ، فقد كبرت سني ، ورقق عظمي ، واقترب أجلي ...» (٩٢) . ومهما قيل بشأن سيرة المغيرة في العراق ، فانه نجح نجاحا تاما في اسكات الخوارج وتقليل خطرهم طوال مدة ولايته ، وكان في سلوكه - كما وصفه السيوطي - واسع الدهاء ، شديد الذكاء (٩٢) .

الخوارج في البصرة :

لم تكن الكوفة وحدها مسرحا لتحركات الخوارج في اوائل عهد معاوية ، اذ كانت البصرة ايضا مجالا خصبا لنشاطهم وخروجهم . فما ان تصالح الحسن ابن علي مع معاوية في عام الجماعة ، وعاد ابن أبي سفيان مطمئن البال الى

٨٨ - فلهوزن : الدولة العربية ، ص ٩٨ .

٨٩ - بروكلمن : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٢١ .

90 - Muir : The Caliphate, p. 310.

٩١ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٢٩/٣ .

٩٢ - ابن عبد ربه : العقد ، ٩٧/١ .

٩٣ - السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٣٦ .

الشام ، حتى وثب خمران بن ابان على البصرة واستولى عليها . فبعث معاوية بسر بن ارطاة ، الذي استطاع ان يخمد التمرد وان يعيد النظام الى نصابه في البصرة (٩٤) . ولكن الوالي الجديد لم يحسن السيرة ، فقد تشدد في ملاحقة شيعة علي هناك ، فعاد معاوية وعزله عن البصرة ، واستعمل مكانه عبد الله بن عامر في اواخر ٤١ هـ / اواخر نيسان ٦٦٢ م ، ثم ضم اليه خراسان (٩٥) وسجستان (٩٦) .

كان علي ابن عامر ان يواجه الخوارج منذ بداية عهده ، فقد خرج عليه سَهْم بن غالب الهَجِيمِي في سبعين رجلا ، فيهم الخطيم الباهلي (٩٧) ، الذين مضوا في خروجهم فنزلوا بين الجسرين والبصرة ، ثم اخذوا يستعرضون الناس ، فقتلوا رجلا وابنه وابن اخيه ، فخرج اليه ابن عامر نفسه ، ففرق شمل اصحابه ، وضيق عليه الخناق حتى اضطره الى طلب الامان ، فمنحه اياه . ولما علم معاوية بالامر ، كتب الى واليه يأمره بقتله وقتل اصحابه . فلم يستجب لامره ، ورد عليه متذعرا : «اني قد جعلت لهم ذمتك» (٩٨) .

وهكذا ، نجد ابن عامر رجلا يميل الى اللين والتسامح ، ولا يرى اللجوء الى الشدة والعنف ، فقد كان كما وصفه الطبري حين يقول : «كان ابن عامر ليناً سهلاً ، سهل الولاية ، لا يعاقب في سلطانه ، ولا يقطع لصاً» . فلما عوتب في ذلك ، احتج بمحاولته تأليف الناس ، وزاد في دفاعه عن سلوكه : «كيف انظر الى رجل قد قطعت اباه واخاه؟» . فادت سياسته المتراخية الى فساد البصرة في ايام عمله لمعاوية بها . ولما لم ترض سياسته العاجزة هذه امير المؤمنين في دمشق ، فقد عزله عنها في اوائل ٤٥ هـ / آذار ٦٦٥ م (٩٩) . ولعل ذلك كان تمهيدا لتولية اخيه زياد الذي استلحقه بنسبه (١٠٠) .

٩٤ - الطبري : تاريخ ، ١١/٧ - ١٢ .

٩٥ - خراسان : بلاد واسعة اول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند . وسجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة من بلاد فارس (باقوت : معجم البلدان) .

٩٦ - الطبري : تاريخ ، ١٤/٧ - ١٥ .

٩٧ - الخطيم للباهلي : هو يزيد بن مالك . وانما قيل له الخطيم لضربة اصيب بها فسي وجهه (ابن الاثير : الكامل ، ٤١٧/٣) .

٩٨ - ابن الاثير : الكامل ، ٤١٧/٣ - ٤١٨ .

٩٩ - الطبري : تاريخ ، ٦٧/٧ .

١٠٠ - كان لاستلحاق زياد حكاية ذكرها ابن الاثير ، فقال : «كانت سمية أم زياد مولاة للحارث بن كلدة الثقفى الطبيب . ثم ان ابا سفيان قد ذهب الى الطائف في بعض حاجاته ، واصاب سمية ببعض انكحة الجاهلية ، فولدت زيادا ، ونسبته الى ابي سفيان ، وأقر لها به ، الا انه كان يخفيه . وظل الامر كذلك حتى استلحقه معاوية ، فصار زياد بن ابي سفيان ، بعد ان كان يعرف بزياد بن ابيه» (اسد الغابة ، ٢١٥/٢) .

ولدى المقارنة نجد ان ابن عامر كان اكثر تساهلا مع الخوارج في البصرة ، مما كان عليه المغيرة في الكوفة . وربما كان مرد ذلك الى ان ابن عامر كان حريصا على حياته وسلطانه اكثر من حرصه على نظام الحكم الذي يمثله . فقد شكوا سوء حال اهل البصرة الى زياد بن ابي سفيان ، فقال له زياد : «جرّد فيهم السيف» ، فقال : «اني اكره ان اصلحهم بفساد نفسي» (١٠١) .

زياد والخوارج :

كان زياد بن ابيه عاملا لعلي بن ابي طالب على فارس منذ ٣٩ هـ / ٦٥٩ م ، وظل على ولائه لامير المؤمنين حتى اغتالته الخوارج (١٠٢) . ويبدو ان معاوية كان يعرف قدر زياد لشهرته بالفصاحة والرأي ، فأراد ان يربحه الى جانبه (١٠٢) . فعمل على استمالاته عن طريق المغيرة بن شعبه الذي كان يكنّ ازياد المودة ، فما زال عليه حتى أقنعه بالحضور الى معاوية ومبايعته (١٠٤) . ولكي يجعله معاوية اكثر اخلاصا لبني أمية ، استلحقه بنسبه ، فأصبح زياد بن ابي سفيان (١٠٥) . ثم ولّى معاوية زيادا على البصرة في سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م . فجاء اولا الى الكوفة وعليها المغيرة بن شعبه . فظن المغيرة انه انما جاء واليا على الكوفة ، ولكن سرعان ما جاءه رسول معاوية يأمره بالمسير الى البصرة . فتوجه زياد الى ولايته الجديدة ، فوصلها في آخر شهر ربيع الآخر من العام نفسه ، فوجدها تعج بالفساد (١٠٦) .

وفي السنة التالية لوصول زياد البصرة ، خرج عليه الخطيم الباهلي وسهم بن غالب الهجيمي اللذين كانا - فيما مضى - استأمننا ابن عامر عند خروجهما عليه ، فأمتهما . وقد خرج سهم الى الاهواز فحكم فيها ، وقتل مسلما أعلن ايمانه ، بينما خلى سبيل يهود صرحوا بيهوديتهم . ثم تراجع واختفى ، وطلب الامان ، فلم يؤمنه زياد ، وظل يطلبه حتى أدركه وقتله . اما الخطيم فقد سيّره زياد الى البحرين ، وفرض عليه الإقامة الجبرية في احد بيوت اقاربسه . فلما أخلّ بما أمره به زياد ، جيء به اليه فقتله ، وألقى به في عشيرته (١٠٧) .

١٠١ - الطبري : تاريخ ، ٦٧/٧ .

١٠٢ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٣٢٠/٧ .

١٠٣ - ابن الاثير : اسد الغابة ، ٢١٥/٢ . ابن الطقطقي : الفخري ، ص ١٥٢ .

١٠٤ - اليعقوبي : تاريخ ، ٢١٨/٢ . ابو الفداء : المختصر ، ١٨٥/١ .

١٠٥ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢١٩ .

١٠٦ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٤٧/٣ .

١٠٧ - الطبري : تاريخ ، ٨٣/٧ .

ولما توفي المغيرة بن شعبه في سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ، لم يجد معاوية خيرا من زياد ، فاستعمله على الكوفة والبصرة معا ، فكان اول من جمعنا له (١٠٨) . فأخذ يقيم في الكوفة ستة اشهر ، وفي البصرة مثلها بعد ان يستخلف عليها سمرة بن جندب (١٠٩) .

ورث زياد الكوفة كما سبق وورث البصرة ، الا ان الامن كان فيها اكثر استقرارا . وكانت الشيعة هناك اكثر عددا واعظم قوة ، كما كانت خوارج الكوفة اقوى شيعة واشد مراسا (١١٠) .

كان من أوائل الذين خرجوا على زياد في البصرة قريب بن مرة الأزدي ، وزحف الطائي . فقد كانا مجتهدين وابني خالة ، انتهزا فرصة غياب زياد في الكوفة ، فخرجا في سبعين رجلا ، وأتوا بني ضبيعة من ربيعة بن نزار ، فقتلوا رؤبة الضبيعي . ثم اخذوا يستعرضون الناس ، فلا يمر من بميلة الا قتلوا من وجدوا في طريقهم منها (١١١) . ويذكر اليعقوبي ان قريبا وزحافا وأعوانهما جاءوا البصرة ، واغتالوا عددا كبيرا من شرطتها ، ومضوا الى الجامع الكبير فقتلوا خلقا كثيرا هناك . وعندما عجز عامل زياد على البصرة عن صدهم ، استنجد بزياد من الكوفة . فجاء زياد غاضبا ، وأشرك القبائل في مسؤولية خروج الخوارج ، حين قال لهم مخاطبا : «يا اهل البصرة ، ما هذا الذي قد اشتملتم عليه ؟ اني اعطي الله عهدا لا يخرج عليّ خارجي بعدها فأدع من حيّه وقبيلته احدا ، فاكفوني بوائقكم» . فقام خطباء البصرة فتكلموا واعتذروا له (١١٢) . وخصّ زياد الأزدي بوعيده ، حين قال لهم : «يا معشر الأزدي ! لولا انكم اطفأتم هذه النار لقلت انكم ارتثموها» . ويبدو ان تلك القبائل اخذت قول زياد على محمل الجد ، فهابوه ، وصاروا اذا علموا بخارجي فيما بينهم ، شدوا وثاقه ، وجاءوا به اليه (١١٣) .

لم يطل امر قريب وزحف وأصحابهما ، فقد خرج اليهم بعض القبائل ، فقتلوه عن آخرهم (١١٤) . كما قتلوا قريبا وزحافا ايضا (١١٥) . وقد استنكر زعيم الخوارج ابو بلال مرداس بن اديّة خروج صاحبيه ، فقال : «قريب لا قرّبه الله من الخير ، وزحف لا عفا الله عنه ، ركبها عشواء» ، اذ كان يستنكر

١٠٨ - ابن قتيبة : المعارف ، ص ٣٤٩ . ابن الاثير : الكامل ، ٤٦١/٣ .

١٠٩ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٦١/٣ .

١١٠ - الخربوطي : تاريخ العراق ، ص ٩٢ .

١١١ - المبرد : الكامل ، ٩٨٤/٣ . ابن الاثير : الكامل ، ٤٦٣/٣ .

١١٢ - اليعقوبي : تاريخ ، ٢٣٢/٢ .

١١٣ - المبرد : الكامل ، ٩٨٤/٣ .

١١٤ - المبرد : الكامل ، ٩٨٥/٣ .

١١٥ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٣٥/٤ .

استعراضهما الناس وقتلها للبرياء (١١٦) .

يبدو ان خروج قريب وزحّاف كان نذير شؤم على الخوارج ، فقد اخذ زياد يتشدد في ملاحظتهم ، وأمر عامله على البصرة ان يقتلهم أتى ظفر بهم . ولم يكتف بذلك ، بل الزم اهل البصرة بمطاردتهم وقتلهم ، وهددهم بقطع عطائهم ان افلت خارجي من بين ايديهم . فثار بهم البصريون وقضوا عليهم (١١٧) .

وكان ممن خرج على زياد في اواخر عهده زياد بن خراش العجلي . فقد خرج في ثلاثمائة من الفرسان في سنة ٥٢ هـ / ٦٧٢ م ، فجاء ارض مسكن مسن السواد . فأنفذ اليه زياد خيلا عليها احد قادته ، فقتلوه . كما كان مسن الخارجين عليه في هذا العام معاذ الطائي ، الذي خرج في ثلاثين رجلا من اصحابه ، فأرسل اليه من قتله وقتل اصحابه (١١٨) .

ولم يقتصر تشدد زياد على رجال الخوارج فحسب ، بل تعداه الى نسائهم . فقد اخرجوا معهم امرأة ، فلما ظفر بها قتلها وعراها . فلم تخرج النساء بعد ذلك على زياد ، وكنّ اذا دعين الى ذلك قلن : «لولا التعرية لسارعنا» (١١٩) .

لم يكن زياد يبقي الشدة مع الخوارج لذاتها ، ولكن لردعهم عن غيهم . فقد جيء بعروة بن أديّة الخارجي ، فأمر بضرب عنقه حين أصر على اعتقاده وسبّه وسبّ اميره معاوية سبّا قبيحا (١٢٠) . بينما لما نمي اليه ان رجلا من اهل البأس والنجدة يدعى ابا الخير يرى رأي الخوارج ، استدعاه فأكرم وفادته ، ثم ولاّه على جندي سابور وما يليها (١٢١) ، وجعله يقول في نهاية الامر : «ما رأيت شيئا خيرا من لزوم الطاعة والتقلب بين اظهر الجماعة» (١٢٢) . فكان زياد كما وصفه المبرد : «يقتل المعلن ويستصلح المسر ، ولا يجرد السيف حتى تزول التهمة» (١٢٣) .

وهكذا ، فقد استطاع زياد - بدهائه حيناً وبشدته حيناً آخر - في سني ولايته ان ينشر الامن والاستقرار في طول البلاد وعرضها ، ووصل به الامر ان يتباهى بفضله على معاوية ، حين كتب اليه يقول : «يا امير المؤمنين ، دوّخت لك العراق ، وجبيت لك برها وبحرها ، وغثها وسمينها ، وحملت اليك لهسا

١١٦ - المبرد : الكامل ، ٩٨٤/٣ . الطبري : تاريخ ، ٩٠/٧ - ٩١ .

١١٧ - الطبري : تاريخ ، ٩١/٧ .

١١٨ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٩١/٣ .

١١٩ - المبرد : الكامل ، ٩٨٥/٣ .

١٢٠ - المبرد : الكامل ، ٩٠٩/٣ . بينما يقول ابن الاثير : ان ابن زياد هو الذي قتله «الكامل» .

(٥١٨/٣) .

١٢١ - جندي سابور (جنديسابور) : مدينة بالاهاوز من بلاد فارس ، افتتحها المسلمون سنة

١٩ هـ . (ياقوت : معجم البلدان) .

١٢٢ - المبرد : الكامل ، ١٠٠٦/٣ .

١٢٣ - المبرد : الكامل ، ١٠٠٤/٣ .

وقشورها» (١٢٤) . كما تمكن من اخماد تحركات الخوارج في مهدها ، حتى وجد لديه من الفراغ ما دعاه ان يخاطب معاوية قائلا : «اني قد ضبطت العراق بشمالي ، ويميني فارغة ، فأشغلها بالحجاز» . فبعث اليه بعهدة على الحجاز ، ولكن المنية وافته قبل ان يدرك مناه ، فمات في شهر رمضان ٥٥٣ / ٦٧٣ م (١٢٥) . يبدو ان سياسة زياد في العراق كانت موضع رضى عند المؤرخين . فقد ذكر اليعقوبي ان زيادا اولى الحياة الاقتصادية اهتماما زائدا ، فحفر الانهار واستصلح الاراضي وراقب الاسعار في الاسواق . فبسط الرزق وزاد الخراج ، حتى بلغ خراج السواد مائة وعشرين مليون درهما (١٢٦) . وتحدث الطبري عن نشره الامن والاستقرار ، فقال : «وكان زياد اول من شد امر السلطان وأكد الملك لمعاوية . ولزم الناس الطاعة . . . حتى كان الشيء يسقط عن الرجل او المرأة فلا يعرض له احد حتى ياتيه صاحبه ، وتبيت المرأة فلا تطلق عليها بابها . وساس الناس سياسة لم ير مثلها ، وهابه الناس هيبة لم يهابوها احدا قبله» (١٢٧) .

اما سياسة زياد مع الخوارج ، فلعل خير وصف لها ما نقله المبرد عن عمر بن عبد العزيز ، حين قال فيه : «قاتل الله زيادا ، جمع لهم كما تجمع الذرة ، وحاطهم كما تحوط الام البرة ، وأصلح العراق بأهل العراق ، وترك اهل الشام في شامهم» (١٢٨) .

كما امتدح المؤرخون الافرنج سياسة زياد في العراق . فرآه ميور Muir المع شخصية في عصره ، واقدر رجل عرفه العراق في تلك الحقبة من الزمن (١٢٩) . وبشأن سلوكه مع الخوارج ، فلا يرى فلهوزن Wellhausen محلا للكلام عن قسوة زياد وشدته معهم ، فهو انما كان يقوم بما يتطلبه منصبه ، وبما تفرضه تعاليم القرآن (١٣٠) . ويعتقد خودا بخش Khuda Buksh ان شدة زياد مع الخوارج جعلتهم يترددون في القيام بالثورة وتعكير صفو الامن (١٣١) .

واذا كان زياد قد تشدد في امر الخوارج ، فانه انما كان ينفذ ارادة اسياده

١٢٤ - الجهشياري : كتاب الوزراء ، ص ٢٧ .

١٢٥ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٩٣/٣ .

١٢٦ - اليعقوبي : تاريخ ، ٢٢٢/٢ .

١٢٧ - الطبري : تاريخ ، ٧٧/٧ .

١٢٨ - المبرد : الكامل ، ١٠٠٥/٣ .

١٢٩ - Muir : The Caliphate, p. 312. وامتدحه ابن الططقي ، فقال : «وكان زياد

احد الدهاة ، عظيم الساسة ، قوي الهيبة ، صحيح العقل ، سديدا ، شهما ، فطنا ، بليفا» (الفخري : ص ٨٢ ط. الرحمانية - مصر) .

١٣٠ - فلهوزن : الخوارج والشيعه ، ص ٦٢ .

من بني أمية . وذلك بعد ان فشلت سياسة اللين التي درج عليها أسلافه مع الخوارج ، فنجح حيث اخفق سواه .

الخوارج في أواخر عهد معاوية :

بعد وفاة زياد ، اقر معاوية سَمْرَةَ بن جندب على البصرة ، فلبث فيها بضعة اشهر . ثم عاد فعزله ، وولّى مكانه عبد الله بن عمرو بن غيلان الذي عاد فعزله ايضا بعد مرور نصف عام من الزمن ، اذ وجد معاوية ان خير من يخلف زيادا ابنه عبيد الله . فاستعمله في سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤ م ، وظل عاملا له على البصرة طوال خلافته (١٣٢) .

حاول ابن زياد استمالة الخوارج وتأليفهم في بداية عهده بالبصرة ، فأطلق سراح المسجونين منهم في سجن ابيه (١٣٣) .

ولكن هؤلاء القوم لم يحفظوا له هذا الجميل طويلا . فبعد أقل من ثلاث سنوات عادوا الى مزاولة نشاطهم ، فأخذوا يجتمعون في بيت رجل منهم اسمه جدار ، وشرعوا بالتهجم على بني أمية وسلطانهم ، فاعتقلهم ابن زياد وألقى بهم في السجن . ثم عرض عليهم ان يقتل بعضهم بعضا ، على ان يخلي سبيل القاتلين منهم . ونجحت خطته ، حين تولى بعضهم قتل اخوانهم . فأطلق سراح هؤلاء القاتلين ، وكان فيهم طواف بن غلاق . وقد تبادلت الخوارج بعد ذلك اللوم ، وندم طواف وأصحابه على فعلتهم باخوانهم ، ولكنهم قالوا لمن لامهم : «قد اكرهنا، وقد يكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالايمان» (١٣٤) .

تركت هذه الحادثة اثرا سيئا في نفوس الخوارج ، فأخذوا يبكون على ما فعلوه بأصحابهم . ثم عرضوا الدية والقود على اولياء المقتولين ، فأبوا قبولها . فاستفتوا احد مجتهديهم عن كيفية التكفير عما جنته أيديهم . فوجد لهم مخرجا في قوله تعالى : «ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لففور رحيم» (١٣٥) . فخرج طواف بأصحابه بعد ان بايعوه ، وكان في سبعين من بني عبد القيس ، وأخذوا يستعرضون الناس . فلما بلغ ابن زياد خبرهم ، أرسل في اثرهم الشرط ، فقتلوهم بعد ان كثرهم ، وذلك في عيد الفطر من سنة ٥٨ هـ / ٢٧ تموز ٦٧٨ م (١٣٦) .

١٣٢ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٩٨/٣ ، ٥٠١ .

١٣٣ - المبرد : الكامل ، ١٠٠٤/٣ .

١٣٤ - ابن الاثير : الكامل ، ٥١٦/٣ .

١٣٥ - النحل ، ١١٠ .

١٣٦ - ابن الاثير : الكامل ، ٥١٧/٣ .

تشدد ابن زياد على الخوارج بعد خروجهم هذا ، فقتل عددا كبيرا منهم ، وحبس آخرين ، حتى اصبحوا بين مقتول ونزير في سجون البصرة . وقد فاق ابن زياد اباة في تشدده عليهم ، فقد كان زياد يقتل المعلن ويستصلح المسرّ ، أما عبيد الله ، فقتلهم على الشبهة والظنّة (١٢٧) . ولعل ابن زياد صب جام غضبه على الخوارج بعد ان تحدّوه ولجأوا الى اغتيال جلاديهم . فقد عبر عبيد الله نفسه عن تضايقه منهم ، حين قال حائرا : «ما أدري ما أصنع بهؤلاء الخوارج ؟ كلما أمرت بقتل رجل منهم اغتالوا قاتله فلم يعلم مكانه» (١٢٨) .

خروج ابي بلال مرداس بن أدية التميمي :

كان ابن زياد قد خرج في رهان له ، فاجتمع اليه الناس وهو في انتظار الخيل ، وكان فيهم عروة بن أدية . فجاء عروة الى ابن زياد يعظه ، وقرأ عليه : «أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . واذا بطشتم بطشتم جبارين» (١٢٩) . فوقع في خاطر ابن زياد انه لم يقل ذلك الا ومعه جماعة من اصحابه ، فترك الرهان ، وبعث في طلبه . فهرب عروة الى الكوفة ، وهناك اعتقل فجيء به الى عبيد الله ، فقتله وقتل ابنته معه (١٤٠) .

اما اخوه مرداس بن أدية ، فانه كان من مجتهدى الخوارج ، وكانت له منزلة عظيمة عندهم . وكان ابو بلال ينكر الاستعراض ، ويحرّم خروج النساء . ولما تشدد ابن زياد في طلب الخوارج ، وسجن الكثيرين منهم ، كان من بين سجنائه مرداس بن أدية . وحينما عزم ابن زياد على قتل هؤلاء السجناء ، شفع السجنان لابي بلال ، لما رآه من حسن عبادته وحلاوة حديثه ، فاستجاب له ابن زياد وختّى سبيله (١٤١) .

وتختلف الروايات عن سبب خروج ابي بلال . فيذكر المبرد انه بعد ان أعفي من عقوبة السجن ، لم يستطع تحمل نقمة ابن زياد وتشدده في طلب الشراة وقتله البلاء الخارجية . فجاء اصحابه ، فقال : «انه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم ، مجانين للعدل ، مفارقين للفصل ، والله ان الصبر على هذا لعظيم ، وان تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم ، ولكننا ننتبذ عنهم ، ولا نجرد سيفا ، ولا نقاتل الا من قاتلنا» . ومضى بأصحابه حتى

١٢٧ - الدينوري : الإخبار الطوال ، ص ٢٧٠ . المبرد : الكامل ، ٩٩٤/٣ ، ١٠٠٤ .

١٢٨ - المبرد : الكامل ، ١٠٢٠/٣ .

١٢٩ - الشعراء : ١٢٨ - ١٣٠ .

١٤٠ - الطبري : تاريخ ، ١٨٦/٧ .

١٤١ - المبرد : الكامل ، ٩٨٨/٣ - ٩٩١ .

نزل آسك (١٤٢) .

اما الطبري فيخبرنا انه بعد ان شفع له السجن وخلي سبيله ابن زياد ،
خاف ان يطلبه عبيد الله ثانية ، فخرج في اربعين من رجاله الى الاهواز . فأنفذ
اليه ابن زياد جيشا في الفين من العساكر ، فهزمهم ابو بلال عند آسك (١٤٢) .
ويظن لاوست Laoust ان هذه الحملة على الخوارج قد فشلت لان قائد
الحملة كان يحمل العطف على ابي بلال واصحابه (١٤٤) .

وعلى الرغم من خروج ابي بلال ، الا انه كان يلتزم بحدود المبادئ التي يؤمن
بها ، فلم يكن يستعرض الناس او يعتدي على حقوق الآخرين . فقد مر به مال
لابن زياد ، فلم يأخذ منه الا اعطيته واعطيات اصحابه ، ورد الباقي على الرسل .
فلما عاتبه بعض اصحابه ، لم يخرج الامويين من دائرة الاسلام الى الكفر ، بل
قال : «انهم يقسمون هذا الفيء ، كما يقيمون الصلاة ، فلا نقاتلهم» (١٤٥) .

ولكن سلوك ابي بلال هذا ، لم يمنع ابن زياد من ملاحقته . فندب اليهم
عباد بن علقمة المازني في اربعة آلاف ، فلاحق ابا بلال واصحابه . فأدركوهم
بتوَّج (١٤٦) ، فقتلوه جميعا . وجيء برأس ابي بلال ، وكان ذلك في سنة
٦١ هـ / ٦٨٠ م (١٤٧) . ولكن عبادا هذا لم ينج منهم فيما بعد ، فقد أثمر به
جماعة من الخوارج فقتلوه في الكوفة (١٤٨) .

وقد كثر القول بشأن ابي بلال وعظمته واجتهاده ، حتى ادعته الشيعة وبعض
الفرق الاسلامية الاخرى (١٤٩) .

وهكذا ، وجدنا ابن زياد يقتفي خطى ابيه في سياسته مع الخوارج ، فكان
يلاحقهم في كل مكان ، يقتل هذا ويسجن ذاك . وربما فاق اباياه في تشدده

١٤٢ - المبرد : الكامل ، ٩٩٠/٣ - ٩٩٢ . آسك : قرية من أعمال الاهواز مما يلي فارس ،
كان فيها وقعة بين الخوارج والجيش الذي ارسله عبيد الله بن زياد (الدينوري : الاخبار الطوال،
ص ٢٦٩) .

١٤٣ - الطبري : تاريخ ، ١٨٦/٧ - ١٨٧ . يذكر الطبري ان القائد الذي انفذه ابن زياد
لمحاربة ابي بلال في اسك هو ابن حصن التميمي . بينما يذكر المبرد ان القائد الذي وجهه اليهم
هو أسام بن زرعة الكلابي (الكامل ، ٩٩٤/٣) . ولعله الصواب ، اذ يعود الطبري فيؤكد روايته
المبرد (تاريخ ، ٣٩٠/٧) .

144 — Laoust : Les Shismesdans L'Islam, p. 37.

١٤٥ - المبرد : الكامل ، ٩٩٢/٣ .

١٤٦ - توَّج : مدينة صغيرة بفارس ، شديدة الحر لانها في غور الارض ، وقد فتحت فسي
ايام عمر بن الخطاب (ياقوت : معجم البلدان) .

١٤٧ - المبرد : الكامل ، ٩٩٦/٣ - ٩٩٧ . ابن الاثير : الكامل ، ٩٤/٤ .

١٤٨ - المبرد : الكامل ، ٩٩٩/٣ .

١٤٩ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٣٦/٤ .

معهم ، فقد لجح في قتلهم بلا هوادة او رحمة . ولما كلف في بعضهم ، ابي باصرار وقال : « اقمع النفاق قبل ان ينجم ، لكلام هؤلاء أسرع الى القلوب من النار الى اليراع » (١٥٠) .

ويمكننا القول : ان ابن زياد نجح ، كما نجح ابوه - من قبل - في تقليل شأن الخوارج ، فلم يشكوا خطرا يذكر في عهد ولايته للبصرة في ايام معاوية . ان الناظر في سلوك الخوارج زمن معاوية يجد ان خروجهم في ذلك العهد كان يستهدف ازعاج نظام حكم بني أمية واضعافه ، دون ان يكون لهم أمل في القضاء عليه . فقد كانوا يخرجون في جماعات قليلة ، لا تلبث ان تلقى مصيرها المحتوم حين تلتقي جيوشا لا قبل لهم بها - عددا وعدة . ولكن رغم الهزائم المتلاحقة التي كانت تنزل بهم ، فقد استمروا في الخروج . فهم أناس نذروا نفوسهم للموت في سبيل قضية ملكت مشاعرهم ، وأقفلت عليهم منافذ تفكيرهم الا من خلالها . كما كانوا حريصين في هذه المرحلة على البقاء كتلة واحدة ، تجمعهم راية واحدة . فما ان يقتل اميرهم حتى يبادروا الى اختيار امير جديد لهم ، دلالة على استمرار كيانهم ، ومتابعة لحربهم وجهادهم . ويبدو ان ذكرى مقتلة اصحابهم في النهروان ، التي كانت ما تزال آثارها ماثلة امام عيونهم ، ظلت عاملا فاعلا في تحريك عواطفهم للتضحية والفداء ، خصوصا عند اولئك القوم الذين تخلوا عن اهل النهر عند نشوب تلك الحرب . فكانما ارادوا التكفير عن تلك الخطيئة الكبرى بحمل رسالة الخروج التي مات اصحابهم من اجلها .

ومما ساعد الخليفة الاموي الاول على التقليل من خطر الخوارج وتقليص نفوذهم ، ذلك الاستقرار الذي نعمت به الدولة الاموية بعد تنازل الحسن عن الخلافة ، ثم حماس شيعة العراق في مقاتلة الخوارج . كما لا ننسى دور ولاية العراق ، الذين استطاعوا بالشدة والعنف حيناً ، والحكمة والحزم حيناً آخر ، ان يحولوا دون تصاعد امر هؤلاء الجماعة طوال عهد معاوية .

الفصل الثاني

الخوارج في العهد الزبيري

ابن الزبير يتحدى سلطان الامويين :

ذكر ابن الاثير وغيره ان المغيرة بن شعبة دخل على معاوية ، فأشار عليه بأخذ البيعة لابنه يزيد في حياته ، متذرعاً بما وقع من الفتن بعد مقتل عثمان ، ومما قاله له : «فاعقد له ، فان حدث بك حادث كان كهفا للناس وخلفاً منك ، ولا تسفك دماء ، ولا تكون فتنة» (١) .

وسواء صحت هذه الرواية ام لم تصح ، فان مثل هذه الفكرة تلاميذ قبولا حسناً لدى معاوية ، خصوصاً وان احوال ولده يزيد من اليمينية تؤيده فسي ذلك (٢) .

ولم يدع معاوية الفرصة تفلت من يده ، فسرعان ما كتب الى ولاته فسي الامصار ، الذين سارعوا بدورهم ، فأخذوا البيعة لابنه يزيد من بعده . وقد تم

١ - ابن الاثير : الكامل ، ٥٠٤/٣ . ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ١٤٢/١ .

٢ - المسعودي : التنبيه ، ص ٢٦٢ .

له ذلك في سنة ٥٦ هـ / ٦٧٥ م (٣) . بيد ان اهل الحجاز رفضوا هذه البيعة ، مما اضطر معاوية للذهاب بنفسه الى هناك . وبالترغيب حينسبا ، وبالترهيب احيانا ، استطاع اقناعهم ، ما عدا اربعة نفر تخلفوا وامتنعوا (٤) .

وهكذا ، فان معاوية بعمله هذا خرق تقليدا متبعا في اختيار الخلفاء عند المسلمين ، والذي كان يعتمد مبدأ الشورى عند خلو منصب الامامة . ولكن ذلك لا يعني ان الخلافة اصبحت ملكا وراثيا كما تراهى لبعض الباحثين (٥) . اذ لو كان الامر كذلك لما كان هناك من موجب لاخذ البيعة من ممثلي الامة في حياة معاوية ، فالملك ينتقل لولي العهد دون الرجوع لرأي الناس في ذلك ، بينما الامامة فسي الاسلام لا تنعقد - شرعا - الا بالبيعة من المسلمين او من ممثليهم . ويزيد لم يصبح خليفة شرعيا الا بعد ان استؤنفت البيعة له بعد موت ابيه . ولو أحجم المسلمون عن تجديد البيعة له لما اصبح اماما لهم (٦) .

اما معاوية ، فانه حين شعر بدنو أجله في مرضه الاخير ، استدعى ولسده يزيد ، فحذره وأوصاه - أوصاه بأهل الحجاز خيرا وبأهل الشام بظانة . وبشأن اهل العراق قال له فيهم : «وانظر اهل العراق ، فان سألوك ان تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل ، فان عزل عامل أيسر من ان يشهر عليك مائة الف سيف» . كما لم ينس ان يحذره من سادة قريش الذين ابوا البيعة له ، وقد خص منهم عبد الله بن الزبير ، فوصفه بالاسد الجائم في ارض الحجاز والذي يتحفـسز للوثوب حين يجد المطية الصالحة لذلك (٧) .

ولم يخطئ ظن معاوية ، وتحقق ما كان يخشاه على ولده من بعده . فقد تمنع ابن الزبير عن مبايعة يزيد بعد وفاة ابيه . وحين خرج الحسين عن مكة سائرا الى الكوفة ، خرج عبد الله بن الزبير الى مكة وتحصن في البيت الحرام واستجار به (٨) .

٣ - اليعقوبي : تاريخ ، ٢٢٨/٢ .

٤ - ابن الاثير : الكامل ، ٥٠٨/٣ . اما الدين تخلفوا عن البيعة بولاية العهد ليزيد فهم : عبد الله بن الزبير ، والحسين بن علي ، وعبيد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن ابي بكر (اليعقوبي: تاريخ ، ٢٢٨/٢) . بينما يقول ابن كثير : والصحيح ان عبد الرحمن بن ابي بكر كان قد توفي قبل موت معاوية (البداية والنهاية ، ١١٥/٨) .

٥ - حتي : تاريخ العرب (مطول) ، ٢٤٤/١ . لعل هؤلاء الباحثين وغيرهم استندوا في رأيهم الى حديث منسوب للرسل (ص) يقول فيه : «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم يعود ملكا عضوضا» (ابو الفداء ، المختصر ، ١٨٢/١ . ابن الوردي : تاريخ ، ٢٢٣/١) . بينما يقول ابن خلدون : «ان هذا الحديث لم يصح» (تاريخ ، ١١٤٠/٢) .

٦ - الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ١٠ .

٧ - ابن الاثير : الكامل ، ٦/٤ .

٨ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٦٢ .

وكان اول الخارجين على خلافة يزيد الحسين بن علي ، اذ ان اهل الكوفة لما بلغهم نعي معاوية ، اجتمع جماعة من شيعة علي فيها ، وكتبوا الى الحسين يستقدمونه اليها ليسلموا الامر له (٩) . فنصح له ابن عباس بالاثق بهم وبدعوتهم ، وقال له : «يا بن عم لا تقرب اهل الكوفة فانهم قوم غدرة» (١٠) . ولكن رغم نصيحة ابن عمه له ، فقد توجه الحسين الى الكوفة ، وتبع ذلك فاجعة كربلاء التي استشهد فيها حفيد رسول الله (ص) (١١) .

ولما قتل الحسين ، رأى ابن الزبير في مقتله امرا فظيما ، فصب اللوم على اهل الكوفة خاصة ، وعلى اهل العراق عامة ، لانهم خذلوه وقصروا في نصرته . ويبدو ان ابن الزبير وجد في استشهاد الحسين فرصة مؤاتية لتحقيق طموحه . فامام تشجيع اصحابه له اعلن خلع يزيد بن معاوية ، واظهر البيعة لنفسه من داخل البيت الحرام (١٢) .

ولدى تعرفنا بسيرة ابن الزبير نرى انه من ابناء المهاجرين الاوائل ومن المقدمين فيهم . فابوه الزبير حواري رسول الله (ص) واحد المبشرين بالجنة ، واهمه اسماء بنت ابي بكر الصديق ، وخالته عائشة ام المؤمنين ، وجدته لابييه صفية بنت عبد المطلب عممة النبي ، وعممة ابيه خديجة بنت خويلد ، كما عرف بالشجاعة والجرأة منذ صغره (١٢) .

وهكذا ، فقد كان مؤهلا للوصول الى سدة الخلافة . فلما قتل الحسين ابن علي ، جمع وجوه تهامة والحجاز ، ودعاهم الى بيعته خليفسة للمسلمين ، فبايعوه . وامتنع عليه ابن عباس ومحمد بن الحنفية ، اللذان آثرا اعتزال الفتنة (١٤) . كما ان عبد الله بن عمر بن الخطاب رفض ان يدخل نفسه فيها ، فلم يبايع لابن الزبير (١٥) . ويمكن القول ان مبايعة الحجازيين له كانت صادقة ومخلصة ، خصوصا حين راوه احق بها من يزيد . فقد كان قواما صواما ،

٩ - ابن الاثير ، الكامل ، اسد الغابة ، ٢٠/٢ .

١٠ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٤٤ . المسعودي : مروج ، ٤/٣ .

١١ - يرى ارنولد Arnold ان استشهاد الحسين في كربلاء أدى الى انتشار التشيع بين الفرس اصهار الحسين ، الذي كان قد تزوج بنت يزجرد آخر ملوك الاسرة الساسانية «الدعوة الى الاسلام ، ص ١٨١» .

١٢ - الطبري : تاريخ ، ٢٩٥/٧ - ٢٩٦ .

١٣ - ذكر ان عمر بن الخطاب مر بصبية يلعبون في الطريق وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففر الصبية ووقف هو ، فقال له عمر : «مالك لم تفر معهم؟» فقال : «لم اجرم فأخافك ، ولم تكن الطريق نسيقة فأوسع لك» (ابن الاثير : الكامل ، ٣٦٠/٤) .

١٤ - اليعقوبي : تاريخ ، ٢٦١/٢ . الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٦٤ .

١٥ - ابن سعد : الطبقات ، ١٧١/٤ .

كريم الخالات والعمّات ، بينما يزيد لا يدانيه الفضل في الاسلام (١٦) .
 وكان اول عمل اقدم عليه ابن الزبير بعد مبايعة الحجازيين له ، ان طرد عمال
 يزيد من ارض الحجاز ، واعانه في ذلك اهل مكة والمدينة ، الذين اثارهم
 مقتل الحسين (١٧) .

ولكن يزيد لم يقف مكتوف اليدين امام تحدي ابن الزبير له ، فسرعان ما
 ارسل جيشا امويا بقيادة مسلم بن عقبة لاختضاع خليفة الحجاز الذي تحصن في
 الكعبة . فمر مسلم على المدينة اولا ، فأخضعها واذلتها (١٨) . ثم توجه الى مكة
 ليفزوا ابن الزبير في عقر داره ، فلم يصلها حيا . فقد مات بعد ايام قليلة وهو في
 طريقه الى البلد الحرام (١٩) . فتولى القيادة من بعده الحصين بن نمير السكوني ،
 الذي شخص الى مكة وحاصرها حصارا شديدا . وفي تلك الاثناء ورد نعي يزيد
 في ربيع الآخر من ٦٤ هـ / كانون اول ٦٨٣ م (٢٠) ، فاضطر الحصين الى فك
 الحصار عن مكة والعودة بجيشه الى الشام (٢١) .

وبعد وفاة يزيد بن معاوية ، بوع لمعاوية بن يزيد الذي كان رجلا سقيما
 الجسم ، زاهدا في الحكم والسلطان . ولكن سرعان ما اقعده المرض واماته الله
 قبل ان يمر عليه اربعون يوما في منصب الامامة (٢٢) . فتوفي دون ان يعهد لاحد
 من بعده ، لانه ارادها شورى بين المسلمين كما فعل ابن الخطاب ، فلم يجد بين
 الناس ستة كاهل الشورى ، فتركهم وشأنهم (٢٣) .

ولما كان خالد بن يزيد ما يزال صغير السن ، فقد دب النزاع فسي البيت
 الاموي حول منصب الخلافة . فاستغل القيسيون هذا النزاع وبايعوا لعبد الله بن
 الزبير في الحجاز . وتعصب الكلبيون لخالد لانهم اخواله وأخوال ابيه ، وتكتل
 معهم مروان بن الحكم واتصاره ، املا في استئثاره بالحكم فيما بعد (٢٤) . وتطور
 النزاع في البيت الاموي حتى كاد يؤدي الى زوال حكم بني امية ، ووصل الامر
 الى حد ان مروان بن الحكم نفسه كان على وشك المبايعة لابن الزبير ، لولا حث
 عبيد الله بن زياد له بالألا يفعل ذلك (٢٥) .

-
- ١٦ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٥٩/٤ - ٣٦٠ . اسد الغابة ، ١٦٢/٣ .
 ١٧ - المسعودي : التنبيه ، ٢٦٣ .
 ١٨ - ابن الاثير : الكامل ، ١٢٣/٤ .
 ١٩ - المصدر نفسه .
 ٢٠ - المصدر نفسه : ١٢٤/٤ .
 ٢١ - اليعقوبي : تاريخ ، ٢٩٩/٢ .
 ٢٢ - الطبري : تاريخ ، ٤٢٩/٧ . ابن الاثير : الكامل ، ١٣٠/٤ .
 ٢٣ - ابن الاثير : الكامل ، ١٣٠/٤ .
 ٢٤ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ١٢/٢ - ١٣ .
 ٢٥ - الطبري : تاريخ ، ٤٦٧/٧ .

ثم أدرك الامويون خطورة هذا الانقسام على مستقبلهم السياسي ، فعادوا وسوّوا خلافاتهم الداخلية ، وأجمعوا على البيعة لمرّوان بن الحكم ، وذلك بعد ان مالت اليمينية اليه . وهكذا ، فقد انتقل الحكم من البيت السفيناني السّي البيت المرواني في سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م (٢٦) .

وبانتفاء النزاع في البيت الاموي وتسوية خلافاتهم فيما بينهم ، بدأ الصراع بين الامويين في الشام وبين الزبيريين في الحجاز على بلاد الرافدين .

لدى الموازنة بين خليفة الشام وخليفة الحجاز ، وجد العراقيون ان ابن الزبير يفضل مروان بن الحكم ، وانه أحق بالخلافة منه . ثم أن خلافة مروان جاءت متأخرة ، وأسبقهما هو الامام الحق في نظر الاسلام (٢٧) . كما لا ننسى ما كان يضمّره العراقيون من حقد على الامويين . ولعل هذه الاسباب مجتمعة جعلتهم يميلون لابن الزبير ، فبايعوه .

اما كيف تم ذلك ؟ فانه بعد موت يزيد بن معاوية ضعف مركز عبيد الله بن زياد في البصرة ، حين لم يجد سلطانا يدعمه من الشام . فهان أمره ، وصار يأمر فلا يطاع ، وييدي الرأي فيردّ ، ويأمر بحبس المذنب فلا يقضى له امر (٢٨) . وحرصا على حياته فقد تحول عن دار الامارة الى الأزد ، وكان ذلك سببا لوقوع الحرب بين الأزد وربيعة وبين بني تميم (٢٩) . ثم ادى هذا التنازع الى ضياع هيبة الحكم الاموي ، حتى اضطر عاملهم ابن زياد اخيرا للهرب الى الشام (٣٠) . وكان دعاة ابن الزبير قد نشطوا في العراق ، ومهدوا بذلك الرأي العام لقبول امامته . وفي آخر الامر لم يجد البصريون خيرا من الاسراع في مبايعة ابن الزبير ، وذلك تخلصا من النزاع بين القبائل ، ودفعوا لخطر الخوارج الدايم . فاصطلحت الأزد ومضر ، وتراضوا على ابن الزبير وبايعوا له (٣١) . ثم أجمع البصريون على ذلك ، وكتب اليه اهلها بالبيعة (٣٢) .

ولم تكن البصرة وحدها هي التي بايعت لخليفة الحجاز ، فان الكوفة ايضا رغبت بفك ارتباطها ببني امية في الشام ، وذلك لتثأر لدم الحسين ، فبايع

٢٦ - الطبري : تاريخ ، ٤٦٧/٧ . ابن الطقطقي : الفخري ، ص ١٦٤ .

٢٧ - الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٧ .

٢٨ - ابن الاثير : الكامل ، ١٢٢/٤ .

٢٩ - المبرد : الكامل ، ١٠٣٠/٣ .

٣٠ - ابن الاثير : الكامل ، ١٣٦/٤ - ١٣٧ .

Khuda Buksh

٣١ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ١٨/٢ . و يذكر خودا بخش

ان تميم ارتاحت لبيعة ابن الزبير لكونها قبيلته وعشيرته .

٣٢ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

الكوفيون لأمير مكة الجديد (٢٣) .

واشتد أمر ابن الزبير بعد ذلك ، فلم يقتصر سلطانه على الحجاز والعراق فحسب ، بل امتد ليشمل جنوب الجزيرة ومصر وبعض انحاء الشام (٢٤) . وهكذا أصبحت العراق تابعة للحجاز كما كانت في عهد الراشدين الاوائل ، وستبقى على ولائها لابن الزبير حتى يعود الامويون لفتحها مرة اخرى في عهد عبد الملك بن مروان .

الخوارج وابن الزبير :

علمنا - فيما سبق - ان ابن زياد كان يتشدد في ملاحقة الخوارج ، وأنه صمم على استئصال شأفتهم بعد مقتل كبيرهم ابي بلال مرداس بن اديّة . فأخذ يقتلهم لاقل الاسباب ، كما ألقى عددا كبيرا منهم في غياهب السجون . حينذاك اجتمعت خوارج العراق ، فتذكروا امرهم ، فأشار عليهم نافع ابن (٢٥) الازرق بالخروج الى ابن الزبير في مكة ، فان رأوه على رأيهم جاهدوا معه ، وان لم يكن يرى رأيهم ، فانهم يدافعون عن بيت الله الحرام (٢٦) . ويذكر المبرد والشهرستاني ان نجدة بن عامر الحنفي واصحابه من الخوارج مضوا ايضا من اليمامة الى مكة ليمنعوا مسلم بن عقبة من استباحتها ، ولكني يمتحنوا ابن الزبير ويبايعوه ان وجدوه على رأيهم (٢٧) . وفي رواية اخرى للمبرد ان رجاء النميري هو الذي جمع الخوارج للمدافعة عن البيت الحرام (٢٨) .

وهناك في رحاب مكة ، انضمت الخوارج الى ابن الزبير الذي سرّ بمقدمهم ورحب بهم (٢٩) ، وأظهر لهم انه على رأيهم (٤٠) . ولم يكن ترحيب ابن الزبير هذا الا عملا سياسيا وطمعا بمعونتهم له ضد الامويين ، لا جبا بمبادئهم . فقد عوتب

٣٣ - المسعودي : مروج ، ٣١/٣ .

٣٤ - ابو الفداء : المختصر ، ١٩٣/١ .

٣٥ - يقول البلاذري : «نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق من اهل الطائف ، منهم الازرق الذي نسبت اليه الازارقة ، كان عبدا روميا . ويقال : ان نافع بن الازرق الخارجي من بني حنيفة ، وان الازرق الذي نزل الطائف غيره» . (فتوح البلدان ، ص ٦٢) .

٣٦ - الطبري : تاريخ ، ٥١٤/٧ . المبرد : الكامل ، ١٠٢٣/٣ .

٣٧ - المبرد : الكامل ، ١٠٢١/٣ . الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٦٥/١ .

٣٨ - المبرد : الكامل ، ١٠٣٠/٣ .

٣٩ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٥/٤ .

٤٠ - المبرد : الكامل ، ١٠٢٣/٣ . الطبري : تاريخ ، ٥١٤/٧ .

على استعانتة بالخوارج ، فقال مبررا : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعين في حربه بالمنافقين واليهود» (٤١) ، واذاف قائلا : «لو شايعتني الترك والديلم على قتال اهل الشام لشايعتها» (٤٢) .

وحاربت الخوارج الى جانب ابن الزبير الى ان جاء نعي يزيد بن معاوية ، وانصرف اهل الشام عن مكة . ثم انهم اجتمعوا الى بعضهم ، واخذوا يتساءلون كيف يقاتلون مع رجل لم يتأكدوا من نواياه . فاستقر رأيهم ان يمتحنوه قبل الاستمرار في تأييده والمحاربة الى جانبه (٤٣) .

ويبدو ان ابن الزبير نفسه لم يكن راضيا عن استمرار وجودهم بين عساكره ، خصوصا بعد ان تأكد له عدم اخلاصهم له ، وانهم انما يقاتلون الى جانبه نكاية بأهل الشام ليس غير . وازداد حنقه عليهم ، حين بلغه ما يقولون بعثمان ، فقال لاصحابه : «والله ما احب ان استظهر على عدوي بمن يبغض عثمان ، ولا بأن القى الله الا ناصرا له» (٤٤) . فاخذ يماكرهم ، وينتظر الفرصة المؤاتية للتخلص منهم (٤٥) .

وعلا بما اتفقت عليه الخوارج من امتحان ابن الزبير ، فقد دخل عليه قادتهم ، فقالوا له : «ابها الانسان ، انا قد قاتلنا معك ولم نفتشك عن رايك حتى نعلم امتنا انت ام من عدونا ، خبرنا عن مقاتلتك في عثمان؟» . ولما لم يكن حوله من الرجال ما يكفيه لمواجهة فانهم لم يعطهم جوابا حاسما واستمهلهم الى عشية ذلك اليوم (٤٦) .

وفي الموعد الذي ضربه لهم جاءهم - وقد لبس سلاحه - ومعه عدد من عساكره . ولكن ذلك لم يمنعه من عرض امرهم عليه ، فقالوا : «انا جئنا لتخبرنا رايك ، فان كنت على الصواب بايعناك ، وان كنت على غيره دعوناك الى الحق» . فسأله عن ابي بكر وعمر ، فقال بهما خيرا . ثم سأله عن عثمان وماآخذهم عليه ، وعن علي الذي حكّم الرجال في دين الله . ثم تناولوا اباه الزبير وصاحبه طلحة وعائشة ام المؤمنين ، وختموا حديثهم اليه قائلين : «فان انت قلت كما نقول فلك الزلقة عند الله والنصر بأيدينا ، ونسأل الله لك التوفيق ، وان ابيت الا نصر رايك الاول ، وتصويب ابيك وصاحبه ، والتحقيق بعثمان ، والتولي في السنين الست التي احلّت دمه ونقضت عهده ، وفسدت امامته ، خذلك الله وانتصر منك

٤١ - البلاذري : انساب ، ٣٦١/٥ .

٤٢ - المبرد : الكامل ، ١٠٢٩/٣ .

٤٣ - الطبري : تاريخ ، ٥١٤/٧ .

٤٤ - البلاذري : انساب ، ٣٦١/٥ .

٤٥ - البلاذري : انساب ، ٣٦١/٥ .

٤٦ - الطبري : تاريخ ، ٥١٤/٧ - ٥١٥ .

بأيدينا (٤٧) !! » .

حينذاك تقدم اليهم ابن الزبير ، فأنبهم على خشونة لهجتهم وذكرهم بأن الله تعالى أمر ان يخاطب فرعون باللين وبأرأف من قولهم ، فقال لموسى ولاخيه : «فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر او يخشى» (٤٨) . وبشأن تعرضهم للاموات مسن الصحابة أعلمهم ان الرسول قال : «لا تؤذوا الاحياء بسبب الموتى» . وعن طلبهم اليه التبرؤ من ابيه ، أخبرهم ان الله تعالى أوصى بالابوين خيراً ، وان أمراً بغير الحق ، فقد قال عز وجل : «وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا (٤٩)» . واستمر في حديثه اليهم ، ورد جميع مآخذهم التي اثاروها ، ولم يستجب لأي من مطالبهم . اما عن ابن عفان ، فقد رد عنه جميع التهم التي رموه بها، وخلص الى القول فيه : «فعثمان امير المؤمنين كصاحبيه ، وهو لكل خير اهل وانا أشهدكم ومن حضر اتي وليّ لابن عفان في الدنيا والآخرة ، وولي اوليائه وعدو اعدائه» فقالت له الخوارج : «فبرئ الله منك يا عدو الله» ، فأجابهم : «برئ الله منكم يا اعداء الله» (٥٠) . وبذلك تم الانفصال بين الفريقين .

ارتحل الخوارج عن مكة بعد اختلافهم مع ابن الزبير . فمضى ابن الازرق الحنظلي ، ومعه عبد الله بن صفار السعدي ، وعبد الله بن ايباض الصريمي ، وحنظلة بن بيهس ، وبنو الماحوز التميمي (عبد الله ، وعبيد الله ، والزبير) ، فأتوا البصرة وهم مجمعون على رأي ابي بلال ، وعليهم حسان بن بحزج (٥١) . ولما نظروا في امورهم ، أمروا عليهم نافع بن الازرق (٥٢) . كما انطلق ابو طالوت (٥٣) ، وعبد الله بن ثور (ابو فديك) وعطية بن الاسود الشكري ، الى اليمامة ، ثم تخلوا عن ابي طالوت وتحولوا الى نجدة بن عامر الحنفي ، وأجمعوا عليه (٥٤) .

خروج الازارقة وحروبهم في العهد الزبيري :

ان ضعف نفوذ عبيد الله بن زياد في العراق بعد موت يزيد بن معاوية ، شجع

٤٧ - المبرد : الكامل ، ١٠٢٣/٣ - ١٠٢٤ .

٤٨ - طه ٤٤ .

٤٩ - لقمان ١٥ .

٥٠ - المبرد : الكامل ، ١٠٢٦/٣ - ١٠٢٨ . الطبري : تاريخ ، ٥١٧/٧ .

٥١ - الطبري : تاريخ ، ٥١٧/٧ . المبرد : الكامل ، ١٠٣٠/٣ .

٥٢ - المبرد : الكامل ، ١٠٣٠/٣ .

٥٣ - ابو طالوت : هو سالم بن مطر . قيل : هو مولى لبني مازن ، وقال آخرون : هو حنفي

(المصنف المجهول ، ص ٨١) .

٥٤ - الطبري : تاريخ ، ٥١٧/٧ .

الكثيرين من اهل البصرة على الانضمام الى الخوارج (٥٥) . ولما اجبر ابن زياد على الفرار من العراق والالتجاء الى الشام ، وجد هؤلاء الخوارج متنفسا للنظر في امورهم الدينية وتحديد برامج دعوتهم للناس (٥٦) .

ثم ان الخوارج الذين كانوا في سجون عبيد الله استغلوا وثوب الناس به بعد موت يزيد ، فكسروا ابواب السجون وخرجوا منها ، وتهيأوا لاستعراض الناس (٥٧) .

فلما شعر البصريون بخطر الخوارج المائل امامهم ، تناسوا خلافاتهم القبلية، وتراضوا فيما بينهم ، واصطلحوا على محاربتهم ، فطاردهم واخافوهم . فلحق بعضهم بابن الازرق ، بينما آخرون منهم انضموا الى عبد الله بن صفار وعبد الله بن اباض واصحابهما الذين لم يكونوا يريدون الخروج يومذاك (٥٨) .

اما عن سبب خروج نافع بن الازرق ، فقد ذكر انه كان يميل لآراء ابي بلال، فلا يرى استعراض الناس او اهاجتهم . وبقي كذلك الى ان جاءه ابو الوازع الراسبي ، فحسّن له الخروج على جور السلطان . ولكي يكون كلامه اكثر فاعلية في نفوس سامعيه ، فقد خرج بنفسه امامهم ، فحكّم وقاتل حتى قتل (٥٩) .

ويبدو ان هذا المشهد ترك اثرا مباشرا في نفس نافع ، الذي سرعان ما خرج بثلاثمائة رجل من اتباعه الى الاهواز في آخر شهر شوال من سنة ٦٤ هـ / حزيران ٦٨٤ م ، وكان في رفقته بنو الماحوز التميميون . واقام هناك بعد ان طرد عمال السلطان عن تلك الديار (٦٠) .

ثم اشتدت شوكة ابن الازرق بعد انشغال اهل البصرة بنزاعاتهم القبلية ، واستغل نافع هذا الخلاف ، وتوجه بجمع من اصحابه نحو البصرة . وشعر البصريون بخطرته حين اقترب من الجسر (٦١) ، فسوّوا خلافاتهم الداخلية واصطلحوا على تولية عبد الله بن الحارث القرشي . فبعث الوالي الجديد السي

٥٥ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٧٠ .

٥٦ - الطبري : تاريخ ، ٥١٧/٧ .

٥٧ - الطبري : تاريخ ، ٥١٨/٧ . بينما تقول رواية اخرى ان اوليائهم من بني تميم هم

الذين اخرجوهم (ابن حبيب : المغتالين ، ص ٢٢) .

٥٨ - الطبري : تاريخ ، ٥١٨/٧ .

٥٩ - المبرد : الكامل ، ١٠٢١/٣ - ١٠٢٢ .

٦٠ - المصنف المجهول ، ص ٧٩ .

٦١ - الجسر : يراد به الجسر الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة في

عهد عمر بن الخطاب ، ويقال بل كان الجسر قديما هناك لاهل الحيرة يعبرون عليه الى ضياعهم

(باقوت : معجم البلدان) .

الازارقة مسلم بن عبيس على جيش من اهل البصرة ، فطاردهم حتى دولاب (٦٢) من ارض الأهواز . وهناك خرج اليه نافع ، فجعل على ميمته عبيدة بن هلال الشكري . وعلى ميسرته الزبير بن الماحوز التميمي . اما ابن عبيس ، فقد جعل على ميمته الحجاج بن باب الحميري ، وعلى ميسرته حارثة بن بدر الغداني التميمي . وعلى الجانب الشرقي من نهر دجيل (٦٣) دارت رحى معركة عنيفة ، اقتتلوا فيها حتى تكسرت الرماح في ايديهم ، وكثرت الجراح في العساكر . ثم انجلت الموقعة عن مقتل امير اهل البصرة ابن عبيس ، وامير الخوارج نافع بن الازرق ، وذلك في حمادى الثانية من سنة ٦٥ هـ / كانون الثاني ٦٨٥ م (٦٤) . ولم تنته الحرب بين الفريقين بمقتل قائديهما ، فقد أمر اهسل البصرة الحجاج بن باب الحميري ، وأمّرت الخوارج عبيد الله بن الماحوز التميمي ، واستأنفوا القتال ثانية ، فقتل الاميران الجديدان . ويذكر المبرد وغيره ان الحجاج ابن باب كان قد التقى بعمران بن الحارث الراسبي الخارجي ، فاختلفا ضربتين وسقطا ميتين ، وكان ذلك بعد ان اقتتل الفريقان زهاء شهر من الزمن (٦٥) . فاختار البصريون ربيعة (٦٦) الاجذم التميمي ، بينما اختار الخوارج عبيد الله بن الماحوز التميمي (٦٧) . وتلا هذا الاختيار قتال ضار ، ملّت العساكر منه . وفي تلك الاثناء اقبل جمع من الشراة لنصرة اخوانهم ، فهزموا البصريين ، وقتل قائدهم ربيعة الاجذم (٦٨) . وبلغت انباء الهزيمة اهل البصرة ، فهاهم الامر وافرعهم ، وبخاصة حينما علموا ان الخوارج الازارقة في طريقهم اليهم (٦٩) . بعد مقتل امير البصريين ربيعة التميمي ، اخذ الراية حارثة بن بدر الغداني

٦٢ - دولاب : قرية بينها وبين الاهواز اربعة فراسخ . (ياقوت : معجم البلدان) .

٦٣ - دجيل : اسم نهر بالاهواز (ياقوت : معجم البلدان) .

٦٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٩٤/٤ - ١٩٥ . المبرد : الكامل ، ١٠٤٢/٣ - ١٠٤٣ . الاصفهاني : الاغانى ، ١٣٥/٦ . يلاحظ تناقض الاخبار بشأن زمن ومكان مقتل ابن الازرق . فبينما نجد بعض المصادر - كما اشرنا اعلاه - تقول بمقتله في موقعة دولاب ، نجد مصادر اخرى لا تؤيد ذلك . فالدينوري يخبرنا بأنه قتل في موقعة سئلئ (الاخبار الطوال ، ص ٢٧٢) واليعقوبي يجعله يعيش الى ايام عبد الملك بن مروان الذي سيقر المهلب على محاربة الازارقة بكرمان ، ويقتل رئيسهم نافع هناك (تاريخ ، ٢٧٢/٢) . ولعل الصواب ما اخذنا به اولاً ، اذ لم نعد نسمع بابن الازرق بعد الموقعة التي قيل انه قتل فيها .

٦٥ - الاصفهاني : الاغانى ، ١٣٦/٦ - ١٣٧ . المبرد : الكامل ، ١٠٤٤/٣ .

٦٦ - سمي بالاجذم لانه كانت قد جذمت يده (المصنف المجهول ، ص ٨٦) .

٦٧ - وهكذا فقد كان اميراً الفريقين من بني يربوع من بني تميم . رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع ، ورئيس الخوارج من بني سليط بن يربوع (المبرد : الكامل ، ١٠٤٣/٣) .

٦٨ - الاصفهاني : الاغانى ، ١٣٧/٦ . الطبري : تاريخ ، ٥٨٢/٧ .

٦٩ - الطبري : تاريخ ، ٥٨٢/٧ .

على غير ولاية . فأقام بازاء الخوارج ، وأخذ يناوشهم ليمنعهم من الاتجاه صوب البصرة ، ولكن كثيرا من الناس تفرقوا عنه . فظل مع من بقي معه من قومه وسواهم عند نهري تيري . ولم تمهله الخوارج ، فقد عبروا اليه ، فهرب مع اصحابه في سفينة عبر النهر . وجنحت بهم السفينة ، ففرق هو واصحابه . وقال في ذلك احد الخوارج (٧٠) .

يرى من جاء ينظر في دجيل . شيوخ الأزدي طافية لحاها

المهلب يحارب الخوارج في العهد الزبيري :

كان ابن الزبير قد أقر البصريين على عبد الله بن الحارث الذي اختاروه لانفسهم . ولكن حين فشل هذا الوالي في ازالة خطر الخوارج عنهم ، سأل البصريون ابن الزبير ان يستبدله بوال آخر . فاستعمل عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر ، الذي سرعان ما ولئى أخاه عثمان أمر محاربة الخوارج . فخرج اليهم عثمان وقد استهان بأمرهم ، فلما التقاهم بسوق الاهواز هزموا عساكره وقتلوه (٧١) . حينذاك عزل ابن الزبير واليه من البصرة ، واستعمل مكانه الحارث بن عبد الله بن ابي ربيعة القرشي (القباع) (٧٢) .

أما الخوارج ، فان طموحهم لم يقف عند حدود الاهواز التي سيطروا عليها مدة ثلاثة اشهر ، بل أرسل عبيد الله بن الماحوز عساكره بقيادة الزبير بن علي نحو البصرة . فوصل الفرات (٧٣) ، وعقد الجسر ليعبر اليها (٧٤) . ولما جاءت أخبار توجه الازارقة نحو البصرة ، اصاب اهلها الفزع ، وترحل

٧٠ - المبرد : الكامل ، ١٠٤٨/٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٧ .

٧١ - الطبري : تاريخ ، ٥٨٠/٧ . المبرد : الكامل ، ١٠٥٤/٣ .

٧٢ - المبرد : الكامل ، ١٠٥٤/٣ . وفي موضع آخر يقول المبرد : «انما سمي الحارث بن عبد الله بن ابي ربيعة «القباع» ، لانه ولي البصرة ، فمير على الناس مكابيلهم ، فنظر الى مكيال صغير في مرآة العين وقد أحاط بدقيق استكثره ، فقال : ان مكياكم هذا قباع . والقباع : الذي يخفي او يخفى ما فيه» . (الكامل ، ١٠٩٢/٣) .

٧٣ - الفرات : ليس نهر الفرات (برثوف ص ٧٢) ، بل البلاد الواقعة على الشاطئ الايسر من نهر دجلة في مواجهة البصرة . وكان في وسط النهر جزيرة عليها يمر جسر السفن . والفرع الاكبر يسمى الجسر الاكبر ، والاصفر الجسر الاصفر ، وكذلك حينما ينقطع الجسران في بعض الاحيان (فلهوزن ، الخوارج والشيعا ، حاشية ص ٩٠) .

٧٤ - المبرد : الكامل ، ١٠٥٨/٣ .

اكثرهم عنها (٧٥) . بينما فزع آخرون الى الاحنف بن قيس لتدبر الامر . فجاء الاحنف الى الحارث بن عبد الله عامل البصرة لابن الزبير ، فشكا اليه حالة الناس وقلقهم . فتداولوا فيمن يولون لحرب الازارقة ، فوقع اختيارهم على المهلب بن ابي صفرة الذي كان في طريقه الى خراسان كوال عليها من قبل خليفة الحجاز . فجاءه القباع ووجهاء أهل البصرة ، وحثوه على قبول عرضهم ، فوافق على طلبهم بعد ان اشترط عليهم شروطا اقروها له (٧٦) . فكتبوا الى ابن الزبير ، الذي لم يتردد في الموافقة ايضا - فالمهلب ابن البصرة ، وبها قبيلته الأزدي - وكتب ابن الزبير عهدا للمهلب ، جاء فيه : «ان الحارث بن عبد الله كتب الي ان الازارقة المارقة اصابوا جندا للمسلمين كان عددهم كثيرا ، وأشرفهم كثيرا . وذكر أنهم اقبلوا نحو البصرة ، وقد كنت وجهتك الى خراسان وكتبت لك عهدا ، وقد رايت حيث ذكر امر هذه الخارجة ان تكون انت تلي قتالهم ...» (٧٧) .

انتخب المهلب جيشا من أهل البصرة قوامه اثنا عشر الفا ، او عشرون الفا فيما ذكره الدينوري ، فيهم من الأزدي ثمانية آلاف رجل ، وبقيتهم من سائر العرب ، وأمّر عليهم ابنه المغيرة . عبر المغيرة بجيشه الفرات ، ولما صار بقرب الشاطيء فزعت اليه الخوارج ، فواقفهم وهزمهم (٧٨) . وفرّ من بقي منهم الى فارس ، ومشوا الى نهر تيري ، حيث انضموا الى عبيد الله بن بشير الماحوز (٧٩) . اقام المهلب اربعين يوما بالجسر يجبي خراج كور دجلة بعد هزيمة الخوارج (٨٠) . ثم نهض الى الخوارج وتبعهم الى نهر تيري ، فتنحوا من مواقعهم الى الاهواز . فاستخلف اخاه المعارك على نهر تيري ولاحقهم ، فارتحلوا عن الاهواز ، ودخل المغيرة بن المهلب سوق الاهواز . وكتب المهلب بخبر انتصاره الى والي البصرة (٨١) .

لم يستطع الخوارج الصمود امام عساكر المهلب وجها لوجه ، فلجأوا الى اساليب حربية جديدة تستهدف قادتهم . فقد اخذوا ينصبون الكمانن لاغتيال المهلب ، فلم يتمكنوا منه (٨٢) . فسير اميرهم ابن الماحوز رجلا يقال له واقسد (مولي لال ابي صفرة من سبي الجاهلية) في خمسين رجلا الى نهر تيري ، فاغتالوا

-
- ٧٥ - المبرد : الكامل ، ٩١٤/٣ .
 ٧٦ - المصنف المجهول ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .
 ٧٧ - الطبري : تاريخ ، ٥٨٣/٧ - ٥٨٤ .
 ٧٨ - المبرد : الكامل ، ١٠٦١/٣ . الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٧٢ .
 ٧٩ - المصنف المجهول ، ص ١٠٣ .
 ٨٠ - المبرد : الكامل ، ١٠٦٢/٣ .
 ٨١ - ابن الاثير : الكامل ، ١٩٧/٤ .
 ٨٢ - المبرد : الكامل ، ١٠٨٢/٣ .

المعارك شقيق المهلب وصلبوه (٨٢) .

فلما نمي الخبر الى المهلب ارسل ابنه المغيرة الى نهر تيري ، حيث دفن عمه وسكن روع الناس هناك . ثم استخلف جماعة ولحق بأبيه ، الذي كان قد نزل سولاف من منازل الصغرى التي سار اليها الخوارج (٨٤) .

كان المهلب قائدا حكيما ، شديد الحرص على عساكره ، فقد كان يستجمع أخبار عدوه قبل الانقضاء عليه ، وذلك بغية كشف مواطن القوة والضعف عنده . فقد دس بعض عيونه في صفوف الخوارج ليأتوه بخبرهم وأصناف رجالهم ، فاذا هم كما يصفهم المبرد : «حشوة ما بين قصار وصبأغ وداعسر وحداد» (٨٥) . فخطب المهلب جنده ، فقال لهم يحدد هوية اعدائهم : «فانما هم مهنتكم وعبيدكم» (٨٦) . ولكن وصف المهلب هذا لا يؤخذ على اطلاقه ، فلعله اراد ان يقلل من شأن خصومه ، ويقوي من عزائم اصحابه . فهو الذي لم يكن يتورع عن وضع الاحاديث لاضعاف الخوارج وشد أزر المسلمين بها . وقد جوز لنفسه ذلك لجواز الكذب في الحرب ، ولقول الرسول : «الحرب خدعة» (٨٧) .

وهناك في سولاف دارت رحى معركة شديدة ، حملت فيها الخوارج حملة صادقة . فانهمزمت عساكر المهلب ، وصمد هو ببعض فرسانه ، وأبلى يومذاك - ابنه المغيرة البلاء الحسن (٨٨) . وبدت بارقة النصر الاولى للازارقة بعد هزائمهم المتلاحقة ، فقال شاعرهم (٨٩) :

وكائن تركنا يوم سولاف منهم

أسارى وقتلى في الجحيم مصيرها

ولكن المهلب ثبت في ارض المعركة ، وثبت معه ابنه المغيرة ، واخذ المهلب ينادي اصحابه ، فعاد اليه جمع غفير يقدرون بأربعة آلاف من الفرسان . ثم ترك المهلب القتال وقطع دجيل ونزل بالعاقول طوال ثلاثة ايام . فلما استجمع قواه ارتحل من مكانه ونزل بسلى وسلبرى حيث كان ينزل الخوارج ، فخنسفق بجوارهم (٩٠) . والتقى المهلب بالخوارج في اليوم التالي لنزوله هناك . وكان

٨٢ - المبرد : الكامل ، ١٠٦٥/٣ .

٨٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١٩٧/٤ .

٨٥ - المبرد : الكامل ، ١٠٦٢/٣ .

٨٦ - المبرد : الكامل ، ١٠٦٥/٣ .

٨٧ - المبرد : الكامل ، ١٠٦٧/٣ - ١٠٦٨ .

٨٨ - ابن الاثير : الكامل ، ١٩٧/٤ .

٨٩ - المبرد : الكامل ، ١٠٧١/٣ .

٩٠ - ابن الاثير : الكامل ، ١٩٨/٤ .

قتالا مريرا لم ير مثله من قبل ، وقتل الكثيرون من الجانبين . ثم حملت الخوارج صفا واحدا كما صنعوا يوم سولاف ، وفقد المهلب ، وأشاعت الخوارج انه قتل ، لينالوا من عزيمة جنده . ولكن ما لبثت تلك الشائعة ان تبددت ، وذلك حين برز مع فرسانه ، وهو يصيح «انا المهلب» . فتجدد حماس اصحابه لعودته اليهم ، واستمر القتال شديدا الى ان قتل قائد الخوارج ابن الماحوز وانصرف أتباعه منهزمين ، وذلك في شوال ٦٦ هـ / ايار ٦٨٦ م (٩١) .

وكان اهل البصرة قد هموا بالرحيل لما وصل اليهم نبأ اصابة المهلب ، ولم يمنعهم من ذلك الا ورود كتاب بظفره بعد ذلك . حينذاك قال الاحنف بن قيس: «البصرة بصره المهلب» (٩٢) . وقال شاعر الأزد (٩٣) :

ان العراق وأهله لم يخبروا مثل المهلب في الحروب فسلّموا

استخلفت الخوارج بعد مقتل عبيد الله بن الماحوز الزبير بن علي بسن الماحوز (٩٤) . وتحملت الخوارج شرقا باتجاه المناطق الجبلية ، ونزلوا في تخوم أصبهان . ثم تركوها ومضوا الى السوس ، فقاتلهم المهلب هناك ، فارتحلوا الى أَرَجَان من ارض فارس (٩٥) . ويذكر الطبري انهم حين ساروا الى اصبهان وكرمان كانوا ثلاثة آلاف رجل ، وانه كان قتل منهم سبعة آلاف في موقعة سلى وسلّبري (٩٦) .

وظل المهلب يقاتل الخوارج طوال ولاية الحارث القباع . فلما تولى مصعب بن الزبير امر العراق في بداية ٦٧ هـ / تموز ٦٨٦ م ، أرسل الى المهلب يأمره بتولية ابنه المغيرة امر مطاردة الخوارج ، والعودة اليه . وكان مصعب يرمي من وراء استدعائه المهلب توليته بلاد الموصل والجزيرة وأرمينية ، ليكون حاجزا

-
- ٩١ - المصنف المجهول ، ص ١٠٥ . المبرد : الكامل ، ١٠٧٤/٣ - ١٠٧٧ .
 ٩٢ - المبرد : الكامل ، ١٠٨٤/٣ .
 ٩٣ - المبرد : الكامل ، ١٠٦١/٣ .
 ٩٤ - المبرد : الكامل ، ١٠٨١/٣ .
 ٩٥ - المصنف المجهول ، ص ١١٠ .

السوس : بلدة بخوزستان (الاهواز) فتحها ابو موسى الاشعري في عهد عمر بن الخطاب (ياقوت: معجم البلدان) . أَرَجَان : مدينة كبيرة كثيرة الخير ، وهي بَرِيَّة وبحرية ، سهلية وجبلية ، بينها وبين سوق الاهواز ستون فرسخا . (ياقوت : معجم البلدان) .

٩٦ - الطبري : تاريخ ، ٥٩١/٧ .

اصبهان : مدينة عظيمة مشهورة من بلاد فارس (ياقوت : معجم البلدان) . كَرْمَان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس وسجستان وخراسان (ياقوت: معجم البلدان) . سِلّى وسلبري : موضع من نواحي خوزستان (الاهواز) قرب جنديسابور كانت بها وقعة بين الخوارج والمهلب (ياقوت : معجم البلدان) .

بينه وبين خليفة الشام عبد الملك بن مروان . ثم ظهر ان مصعبا كان يرمي لأبعد من ذلك ، اذ سرعان ما عزل المفيرة ايضا ، واستعمل مكانه عمر بن عبيد الله بن معمر (٩٧) . ولربما كان مصعب يضم الحسد للمهلب من جراء انتصاراته الباهرة ، او انه كان يعمل على زرع الثقة بالنصر في نفوس العساكر ، سواء كان الامر بقيادة المهلب وابنه او سواهما .

وحين تم عزل المفيرة وتولية خلفه كانت الخوارج - اذ ذلك - في اصطخر (٩٨) . فأرسل اليهم القائد الجديد ابنه عبيد الله ، فقتلوه . فخرج اليهم عمر بن عبيد الله بنفسه وهزمهم . فساروا الى سابور ، ومنها الى أرجان حتى اتوا الاهواز . فلحق عمر بن عبيد الله مسرعا ليدركهم قبل دخولهم العراق ، كما ان مصعباً عسكري بجنده عند الجسر الاكبر . ونصح الزبير بن الماحوز اصحابه من الخوارج الا يقفوا بين الشوكتين ، وسار بهم الى ارض جوحى ، واتى المدائن من ارض العراق . وهناك اخذ الخوارج يقتلون الرجال والاطفال ويقترون بطون الحوامل من النساء . وأقبلوا بعدها الى ساباط ، وعاثوا في الارض فسادا . ثم ان الزبير بن الماحوز أقبل بأصحابه يريدون الكوفة (٩٩) .

وشعر الكوفيون بالخطر يداهمهم ، فجاؤوا اميرهم القباع ، الذي خرج اليهم متشاقلا وطاردهم حتى أوصلهم المدائن . ثم اتبعهم بابن مخنف في ستة آلاف رجل ليخرجهم من ارض الكوفة . فلاحقهم ابن مخنف حتى اخرجهم عنها ووقعوا في ارض اصبهان ، فرجع عنهم . فقصدا الري ، فقاتلهم واليها يزيد ابن الحارث الشيباني حتى قتل ، وهرب ابن حوشب . فلما فرغ الخوارج من الري ، اتجهوا الى اصبهان ثانية ، فأطبقوا عليها ، وبها عتّاب بن ورقاء التميمي ، واستمروا في ضرب حصارهم عليها اشهرا ، حتى تضايق الناس . فبعث عتّاب الى الزبير بن علي الماحوز التميمي يستثير عاطفة القرابة عنده ، فلم يستجب له ، ورد عليه قائلاً : «ان أدنى الفاسقين وأبعدهم من الحق سواء» . فلم يجد عتّاب بدا من الخروج لابن عمه ، فحث الناس على الجهاد ، فاستجابوا له ، وخرج بهم . فجاؤوا الخوارج على حين غرة ، وهزموهم ، وقتلوا قائدهم الزبير بن الماحوز . حينذاك عزم زعماء الخوارج على تولية عبيدة بن هلال اليشكري ، فقَالَ لهم : «أدلكم على من هو خير مني» ، ونصحهم بالمبايعة لقطري بن الفجاءة التميمي ، فاتحازت الخوارج اليه ، وبايعوه في ٧١ هـ / ٦٩٠ م (١٠٠) .

اقترحت الخوارج على قطري المسير الى فارس ، فلم ير رأيهم ، وارتحل

٩٧ - المصنف المجهول ، ص ١١٠ - ١١١ . الطبري : تاريخ ، ٧٥٥/٨ .

٩٨ - إصطخر : كانت من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها (ياقوت : معجم البلدان) .

٩٩ - المصنف المجهول ، ص ١١١ وما بعدها . الطبري : تاريخ ، ٧٥٥/٨ .

١٠٠ - الطبري : تاريخ ، ٧٥٨/٨ وما بعدها . المبرد : الكامل ، ١٠٩٢/٣ وما بعدها . المصنف

المجهول ، ص ١٢٣ وما بعدها .

بعساكره ناحية كرمان ، فأقاموا بها . ثم اتت الجموع الى قطري ، وقويت شوكته ، فعاد بأصحابه الى اصبهان ، ومنها اتى ارض الاهواز ، فأقام بها . وكان يومها الحارث بن ابي ربيعة عامل مصعب على البصرة ، فكتب الى مصعب بخبر الخوارج واقترح عليه ان يوجه اليهم المهلب ثانية . فاستدعى مصعب المهلب من ولايته وولئى مكانه ابراهيم بن الاشر . وهكذا عاد المهلب فانتقى عساكره وتوجه بهم لقتال الخوارج ، فالتقى بهم بسولاف (١٠١) ، ودارت معركة شديدة تلاها قتال استمر ثمانية اشهر . وفي نهاية الامر استطاع المهلب ان ينحي قطريا عن الاهواز كلها (١٠٢) .

ثم تلا ذلك مقتل مصعب بن الزبير واستيلاء عبد الملك بن مروان على العراق في سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م (١٠٢) ، وكانت الخوارج - حينذاك - برامهرمز والمهلب بازائهم (١٠٤) .

النجدة :

كان نجدة بن عامر الحنفي مع نافع بن الازرق الى ان دب الخلاف بينهما لاسباب مذهبية اجتهادية . ففارقه نجدة وتوجه الى اليمامة ، ونزل بأباض (١٠٥) . ثم التحق بأبي (١٠٦) طالوت الذي كانت الخوارج قد بايعته ، شريطة ان يعزلوه حين يجدون من هو أفضل منه . وكان اول عمل عسكري قام به ابو طالوت ، ان مضى بأصحابه الى الحضارم (١٠٧) فنهبا ، وذلك في سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م . ثم ان نجدة خرج بعدد من الخوارج ، فاعترض سبيل غير تحمل مالا لابن الزبير ، فغنمها وعاد بها الى ابي طالوت ، فوزعوا تلك الاموال على اصحابهم . حينذاك

-
- ١٠١ - سولاف : قرية في غربي دجيل من ارض الاهواز ، كانت بها وقعة بين اهل البصرة والخوارج والازارقة . (ياقوت : معجم البلدان) .
 - ١٠٢ - الطبري : تاريخ ، ٧٦٤/٨ - ٧٦٥ .
 - ١٠٣ - البلاذري : انساب ، ٣٥١/٥ . الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٣١٣ . الطبري : تاريخ ، ٨١٣/٨ .
 - ١٠٤ - المصنف المجهول ، ص ١٢٤ .
 - ١٠٥ - أباض : اسم قرية باليمامة ، وعندها كانت وقعة خالد بن الوليد مع مسيلمة الكذاب (ياقوت : معجم البلدان) .
 - ١٠٦ - ابو طالوت : هو سالم بن مطر مولى بني زئان بن مالك بن صعيب بن علي بن بكر وائل (المصنف المجهول ، ص ١٢٦) .
 - ١٠٧ - الحضارم : اسم بلاد حضرموت (ياقوت : معجم البلدان) .

قالت الخوارج : «نجدة خير لنا من ابي طالوت» ، فتخلوا عنه وبايعوا لنجدة وسموه امير المؤمنين ، كما ان ابا طالوت نفسه بايع له ، وكان ذلك في سنة ٦٦ هـ / ٦٨٥ م . ونجدة يوم ذلك في الثلاثين من عمره (١٠٨) .

وخرج نجدة في جمع من اتباعه الى بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فالتقاهم بذي (١٠٩) المجاز . ولم يجد كبير عناء في هزيمتهم والقضاء عليهم . وعاد الى اليمامة فكثر اتباعه وصاروا ثلاثة آلاف رجل (١١٠) .

ولكي يأمن هجوما مباغتاً عليه ، فقد وجد نجدة ان خير وسائل الدفاع الهجوم ، فاستخلف باليمامة عمارة الطويل ، وسار الى البحرين في سنة ٢٧ هـ / ٦٨٦ م . فرضيت به الازد ، وقالوا : «نجدة احب الينا من ولاتنا ، لانه منكر للجور ، وولاتنا يجوزونه» . بينما حاربتة عبد القيس والقبائل الاخرى ، اذ قالوا : «اندع نجدة وهو حروري مارق تجري احكامه علينا !؟» . فالتقوا به في القطيف (١١١) ، فكانت موقعة انهزمت فيها عبد القيس . واقام نجدة فسي القطيف ، وبعث ابنه المطرح لمطاردة فلول المنهزمين من عبد القيس ، فقاتلوه بالثوير (١١٢) ، فقتل المطرح وعدد من اصحابه (١١٣) .

وظل نجدة في البحرين الى ان عزل عبد الله بن الزبير اخاه مصعبا عن البصرة ، وولاه ابنه حمزة في سنة ٦٧ هـ / ٦٨٦ م (١١٤) . فعقد الوالي الجديد لعبد الله بن عمير الليثي على جيش كبير قوامه اربعة عشر الفا او اكثر ، ووجهه لمقاتلة النجدية في البحرين . فباغتتهم نجدة وهزمهم . وبعد هزيمته لابن عمير بعث نجدة عطية بن الاسود الحنفي الى عمان ، فاستولى عليها ، واقام اشهرها فيها ، ثم خرج منها بعد ان استخلف عليها رجلا يكنى ابا القاسم ، فقتله العمانيون .

١٠٨ - ابن الاثير : الكامل ، ٢٠١/٤ . المصنف المجهول ، ص ١٢٦ وما بعدها . الشهرستاني :

الملل والنحل ، ١٢٣/١ .

١٠٩ - ذو المجاز : موضع قرب عرفة (ياقوت : معجم البلدان) .

١١٠ - ابن الاثير : الكامل ، ٢٠١/٤ .

١١١ - القطيف : قرية في البحرين لجديمة عبد القيس (ياقوت : معجم البلدان) .

١١٢ - الثوير : قيل انه ماء بالجزيرة من منازل تغلب ، كما قيل انه موضع لبني كلاب .

(ياقوت : معجم البلدان) .

١١٣ - ابن الاثير : الكامل ، ٢٠٢/٤ .

١١٤ - الطبري : تاريخ ، ٧٥٠/٨ . بينما يقول صاحب المصنف المجهول (ص ١٢٣) ، وابن

الاثير (تاريخ ، ٢٠٢/٤) ، ان ذلك كان في سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ م حين كان مصعب واليا على البصرة . ويرى عبد الرحمن بدوي ان ذلك لا يتفق مع التسلسل التاريخي ، ويؤكد رواية الطبري (فلهوون :

الخوارج والشيعا ، حاشية ص ٧٨) .

ولما حاول عطية العودة الى عمان (١١٥) منع منها ، فأقام بكرمان . فبعث اليه المهلب جيشا ، فهرب الى سجستان ، ومنها الى السند ، فلقيته خيل للمهلب فقتلته . ويقال ان الخوارج هم الذين تأولوا عليه وقتلوه (١١٦) .

ويقول ابن الاثير ان نجدة كان يجمع الصدقة من البوادي بعد هزيمة ايسن عمير ، فوقع صدام بين اصحابه وبين بني تميم بكازمة (١١٧) . واعان اهل طويلع (١١٨) بني تميم وقتلوا رجلا من الخوارج ، فأرسل نجدة اليهم من ثار له ، وقتلوا نيفا وثلاثين رجلا (١١٩) .

وينقل صاحب المصنف المجهول عن المدائني ان نجدة خرج الى صنعاء بعدد قليل من عساكره . فبايعه اهل اليمن ، ظنا منهم ان جيشا كبيرا في اثره ، ثم ندموا على بيعتهم له حين تبين لهم خطأ ظنهم ، اذ لم يكن في اثره احد . فلما علم بخبرهم هذا ، جاءهم فقال : «ان شئتم اقلتكم بيمتكم وجعلتكم في حل منها وقاتلتكم» ، فظلوا على بيعتهم له . ثم بسط نفوذه الى حضرموت ، فجبي الصدقات منها (١٢٠) .

وهكذا بدا ضعف ابن الزبير امام قوة نجدة المتصاعدة ومغامراته الجريئة في ارض الجزيرة العربية .

وقيل ان نجدة حج الى مكة ، وصالحه ابن الزبير على ان يصلي كل واحد منهما باصحابه ، وان يكفوا عن القتال طوال ايام الحج (١٢١) . وبعد انتهاء موسم الحج ، عزم نجدة على المسير الى المدينة ، فتأهب اهلها لقتاله ، ولبس عبد الله بن عمر السلاح للاقاته . فلما أخبر نجدة باستعداد ابن عمر ، عدل عن المدينة ، وتوجه الى الطائف . فسار اليه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي ، فبايعه نيابة عن قومه ، فعاد عن الطائف ولم يدخلها (١٢٢) .

وبذلك استطاع نجدة ان يبسط سلطانه على عدد من المناطق والبوادي من

١١٥ - عمان : اسم كورة على ساحل بحر اليمن والهند ، وأكثر اهلها في ايام ياقوت خوارج اباضية (معجم البلدان) .

١١٦ - المصنف المجهول ، ص ١٣٣ - ١٣٥ .

١١٧ - كازمة : على ساحل البحرين في طريق البحرين من البصرة . (ياقوت : معجم البلدان) .

١١٨ - طويلع : واد في طريق البصرة الى اليمامة (ياقوت : معجم البلدان) .

١١٩ - ابن الاثير : الكامل ، ٢٠٣/٤ .

١٢٠ - المصنف المجهول ، ص ١٣٦ - ١٣٧ . ابن الاثير : الكامل ، ٢٠٣/٤ .

١٢١ - اختلف في السنة التي حج فيها نجدة ، فبينما يقول الطبري انه كان في سنة ٦٨ هـ /

٦٨٧ م ، فان ابن الاثير يضيف الى ذلك وقيل في سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ م (الكامل ، ٢٠٣/٤) . اما صاحب المصنف المجهول فيضيف ، ويقال : «في سنة ٧٠ هـ / ٦٨٩ م ، وهو الثبت» (المصنف المجهول ، ص ١٣٧) .

١٢٢ - المصنف المجهول ، ص ١٣٩ . ابن الاثير : الكامل ، ٢٠٤/٤ .

الطائف حتى نجران (١٢٢) ، واستعمل عليها ولاته ، ثم عاد الى البحرين ، فقطع
الضرائب عن اهل الحرمين من اليمامة والبحرين ، ولكنه ما لبث ان اعادها حين
كتب اليه ابن عباس مستنكرا عمله (١٢٤) .

وظل امر نجدة يتصاعد الى ان دب الخلاف بينه وبين اصحابه لآخذ اخذوها
عليه ، ولعل اشدها كان حين رموه بالخيانة والتواطؤ مع عبد الملك بن مروان
الذي كتب اليه يدعو الى طاعته ، على ان يعفو عنه ويوليه على اليمامة وما
حولها ، فقال عطية بن الاسود : «ما كاتبه عبد الملك حتى علم منه دهانا فسي
الدين» . ففارقه ، ومضى بأصحابه الى عمان (١٢٥) . ثم اشتدت النقمة على
نجدة ، فانحاز اتباعه عنه وتحولوا الى ابي فديك عبد الله بن ثور . فلما شعر
نجدة بالخطر يحدق به ، هرب واستخفى . فألح ابو فديك في طلبه حتى أدركه
في قرية من قرى حجر (١٢٦) ، حيث اتاه بعض انصار ابي فديك ، فقتلوه في
سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م (١٢٧) .

بعد مقتل نجدة وقع اختيار الخوارج على ثابت التمار ، وهو من الموالي .
ولكن سرعان ما خلعوه ، حين ادركوا انه لا يقوم بأمرهم الا رجل من العرب ،
فسألوا ثابتا نفسه ان يختار لهم اميرا من العرب ، فاختر لهم ابا فديك (١٢٨) .
ثم ان ابا فديك كتب الى عطية بن الاسود يدعو الى البيعة له بالخلافة الا ان
عطية لم يستجب له ودعاه الى المبايعة له ، فلم يقبل به ابو فديك ، فبرىء كل
واحد منهما من الآخر (١٢٩) .

وفي الوقت الذي كان فيه العراقيون يطاردون الخوارج في ارض فارس ،
خرج ابو فديك في البحرين ، والذي يسرى فلهوزن
Wellhausen انه ربما كان يعمل بالتفاهم مع قطري بن الفجاءة (١٣٠) . فاجتمع على والي البصرة
خالد بن عبد الله نزول قطري الاهواز وأمر ابي فديك في البحرين . فأرسل
اخاه أمية بن عبد الله الى ابي فديك ، ولكنه ما لبث ان عاد خاسرا (١٣١) .
ولم يستطع عبد الملك بن مروان تحمل هزيمة عساكره امام ابي فديك ، فأمر

١٢٢ - نجران : موضع بين اليمن والحجاز في اتجاه مكة (ياقوت : معجم البلدان) .

١٢٤ - المصنف المجهول ، ص ١٣٩ . ابن الاثير : الكامل ، ٢٠٤/٤ .

١٢٥ - المصنف المجهول ، ص ١٤٣ .

١٢٦ - حجر : مدينة باليمامة وام قراها (ياقوت : معجم البلدان) .

١٢٧ - الطبري : تاريخ ، ٨٢٩/٨ .

١٢٨ - المصنف المجهول ، ص ١٤٣ .

١٢٩ - الاشعري : مقالات ، ١٧٩/١ .

١٣٠ - فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ١٠٠ .

١٣١ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٤٥/٤ . الطبري : تاريخ ، ٨٢٩/٨ .

عمر بن عبید الله بن معمر ان یجمع جنده من البصرة والکوفة ویسیر لقتال ذلك التمرد فی البحرین . فسار ابن عبید الله علی رأس جيش قوامه عشرة آلاف رجل - فیهم المغيرة بن المهلب . فلما التقى العسکران کادت الدائرة تدور علی العراقيین ، لولا ثبات ابن المهلب وفرسان من الناس عادوا فکرتوا علی عساکر الخوارج ، وهزموهم شر هزيمة . كما قتلوا ابا فدیك وعددا کبیرا من اصحابه ، واسروا منهم ثمانمائة رجل ، وكان ذلك فی سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ م (١٢٢) .

وبمقتل ابي فدیك بدأ انهيار دولة النجدات فی الیمامة والبحرین بعد ان حاولت بسط سلطانها علی شبه الجزيرة العربية بأكملها .

وهكذا ، بدأ لنا ان الخوارج فی العهد الزبیری قد غيروا من اسالیب حربهم واستراتيجية اهدافهم . فبعد ان كانوا یحاربون كعصابات انتحارية لا أمل لها فی الغلبة والانتصار ، صاروا یخوضون المارك الكبيرة وجها لوجه . فیصمدون فی میادین القتال ، ویهزمون ویهزمون . وبعد ان كانوا یکتفون بخلق المتاعب لنظام الحكم هنا او هناك ، صاروا یعملون علی اسقاط هذا النظام فی هذه المنطقة او تلك ، سعیا وراء اقامة دولتهم ورفع رایتهم . وما كان ذلك الا بعد ان اصبحوا قوة لا یتهان بها . فالازارقة استولوا علی منطقة الاهواز وأرض فارس وکرمان ، وشكلوا - فی بعض الاحیان - خطرا مباشرا علی البصرة .

والنجدية من جهة اخرى تمکنوا من السيطرة علی مناطق عديدة من الجزيرة العربية والیمین . ولكن ما يدعو للاستغراب ان کل جبهة منهما كانت تعمل بمعزل عن الاخرى . ولو عملتا وفق خطة مشتركة لشكلتا خطرا جديا علی اشد المناطق الاسلامية حساسة (١٢٢) . وبذلك یمکن القول ان الانقسام المبكر فی صفوف الخوارج ، كان عاملا هاما وراء فشل مخططاتهم السياسية والعسکرية فی تلك المرحلة الحاسمة من تاریخ وجودهم . واذا كان الانقسام فی صفوفهم قد شتت قواهم ، فان التنازع علی الخلافة بین الزبیریین والامویین كان عاملا قوة للخوارج فی الوقت ذاته .

١٢٢ - الطبري : تاریخ ، ٨/ ٨٥٢ - ٨٥٣ . ابن الاثير : الكامل ، ٤/ ٣٦٢ .

١٢٣ - اما التعاطف بین الازارقة والنجدية الذي نلحق طرفا منه فی موقعة سلبری ، فلم یکن بمستوى الاحداث الجسيمة التي كانت تعترض لها حركة الخوارج عامة . انظر : (البلاذري : انساب ، ١١/ ٨٧ - ٩٣ . الطبري : تاریخ ، ٥/ ٦١٩ ط . دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠) .

الفصل الثالث

الخوارج في خلافة عبد الملك بن مروان

الخوارج في عهد عبد الملك بن مروان :

تسلم عبد الملك خلافة الامويين بعد موت ابيه مروان بن الحكم في سنة ٦٦٥ هـ / ٦٨٤ م (١) . فأخذ يترقب الفرصة المؤاتية لاسترداد العراق ولاية أموية ، وذلك لما كان لهذا القطر من تأثير على كيان الدولة الاسلامية بأسرها ، وخشية ان يفزوه ابن الزبير الذي دانت له الاقطار الاسلامية ما عدا بلاد الشام (٢) .

ويبدو ان العراقيين انفسهم اخذوا يتململون من حكم مصعب بن الزبير ، خصوصا بعد سحقه لحركة المختار الثقفي وعنفه في الاقتصاص من أنصاره (٣) . كما ان زعماء العراق الذين يئسوا من ابن الزبير ، بسبب عدم تلبية رغباتهم في العطاء ، اخذوا يكتبون - سرا - عبد الملك ، ويبدون له ترحيبهم بقدمه (٤) .

-
- ١ - المصنف المجهول ، ص ١٥١ .
 - ٢ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٣١٠ .
 - ٣ - ابن سعد : الطبقات ، ١٨٣/٥ .
 - ٤ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ٢٠/٢ .

وقد كشف المهلب هذه الاتصالات السرية ، حين نصح لمصعب ابن الزبير قائلاً : «اعلم ان اهل العراق كاتبوا عبد الملك وكاتبهم ، فلا تبعدني عنك» (٥) . ومما يزيد الامر اشتباها بموقف اهل العراق من الحكم الزبيري ، ان البصريين رفضوا السير مع مصعب لمقاتلة عبد الملك ، الا اذا سير المهلب لقتال الخوارج . فكانما ارادوا بذلك ابعاد المهلب عن ساحة المعركة (٦) .

ويرى فلهوزن Welhausen ان تقلب اهل العراق وميلهم الى التغيير وعدم رغبتهم في القتال ، جعلهم لا يخلصون في نصرة ابن الزبير (٧) . اما عبد الملك ، فانه كان يراقب ما يجري في ارض الرافدين بعين يقظة . فما ان شعر ان الفرصة قد لاحت ، حتى قاد جيشا كثيفا وتوجه به بنفسه لقتال مصعب في العراق (٨) . واستعمل على مقدمة جيشه اخاه محمد بن مروان - الذي كان من أشد اخوته وأشجعهم (٩) - وخالد بن عبد الله بن اسيد . ووقع اختياره على الحجاج بن يوسف ليسوق مؤخرة الجيش من الكسالى والمتخلفين (١٠) . وقد وفق الحجاج في اثارة حماس الجند ، واخلص لعبد الملك ايما اخلاص ، حتى شهر بكلمته له : «انما يدي يدك وسوطي سوطك» (١١) . ولجأ عبد الملك الى مختلف الاساليب التي تضمن له النصر في حربه لمصعب . فقد عمد الى الحرب النفسية والاغراء بالمال لتحويل زعماء العراق عن ابن الزبير (١٢) . وقبل ان يلتحم الجيشان عرض عبد الملك الامان على مصعب ، فأبى الاستجابة له واصر على ان يكون السيف هو الفيصل بينهما (١٣) . حينذاك التقى العسكران ، وغدر العراقيون بمصعب ، فانحازوا عنه ولحقوا بعبد الملك (١٤) . وصمد مصعب في نفر من اصحابه ، ورفض الفرار الى اخيه في الحجاز ، واستمات في القتال حتى قتل ، وذلك في جمادى الاولى او الآخرة من سنة ٧٢ هـ / تشرين اول او تشرين ثاني من سنة ٦٩١ م (١٥) .

-
- ٥ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٢٤/٤ .
 ٦ - المصدر نفسه .
 ٧ - فلهوزن : الدولة العربية ، ص ١٦٠ .
 ٨ - السعدي : مروج ، ٤٩/٣ .
 ٩ - البلاذري : انساب ، ١٨٥/٥ . ابن الاثير ، ٣٢٤/٤ .
 ١٠ - ابن خلدون : تاريخ ، ٤٨٢/١ .
 ١١ - ابن عبد ربه : المقدم ، ١٤/٥ .
 ١٢ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٣١١ - ٣١٢ .
 ١٣ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٢٦/٤ .
 ١٤ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٣١٣ .
 ١٥ - الطبري : تاريخ ، ٨١٣/٨ . البلاذري : انساب ، ٣٥١/٥ . ابن قتيبة : المعارف ، ص ٥٨٩ .

وهكذا استطاع عبد الملك ان يهزم مصعبا ، وان يدخل العراق دخول الفاتحين . وبإيعة الناس بعد ان خطبهم ، ووعد المحسن وتهدد المسيء (١٦) . وبذلك تم له ما اراد ، وأعاد العراق ولاية أموية ، وبعث خالد بن عبد الله ابن خالد بن أسيد واليا على البصرة (١٧) ، كما ترك اخاه بشر بن مروان عاملا له على الكوفة (١٨) .

بعد ان تم لعبد الملك القضاء على سلطان ابن الزبير في العراق ، وجئته الحجاج بن يوسف على رأس جيش كبير للقضاء على خليفة الحجاز في معقله هناك . وبعد حرب طويلة استمرت ستة شهور ونيف ، استطاع الحجاج ان يقهر عساكر ابن الزبير ، وان يدخل عرينه في مكة (١٩) . حينذاك ادرك ابن الزبير مصيره المحتوم . ورغم خذلان الناس له ، فقد اخذ بنصيحة أمه اسماء بنت أبي بكر ، وقاتل حتى قتل ، وذلك في سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ م (٢٠) .

استئناف الحرب ضد الخوارج :

خلا الجو ثانية لبني أمية واعادوا سيطرتهم على الاقطار الاسلامية ، ولم يبق من يتحدى سلطانهم الا الخوارج . فأمر عبد الملك باستئناف الحرب ضدهم . كان المهلب لا يزال يحارب الازارقة بسولاف حين دخل خليفة الشام العراق وقتل مصعبا . فوصل خبر مصرعه الى الخوارج قبل وصوله الى المهلب وأصحابه، فأراد الخوارج ان يمتحنوا خصومهم . فسألوهم عن رأيهم بمصعب فأجابوهم بأنه امام صدق وهداية ، وانهم اولياؤه في الدنيا والآخرة ، ويتبرأون من عبد الملك . وفي اليوم التالي علم المهلب وعسكره بمقتل مصعب ومبايعة اهل العراق للخليفة الأموي الجديد ، فبايعوه ايضا . فأنكرت الخوارج عليهم ما قالوه بين الامس واليوم ، فردوا عليهم قائلين : «يا اعداء الله ، رضينا بذلك اذ كان ولي أمورنا ، ونرضى بهذا كما رضينا بذلك» . ولكن الازارقة لم يقبلوا هذا التعليل ورموهم بعبودية الدنيا وطاعة الظالمين (٢١) . وكان اول عمل أقدم عليه والي البصرة الجديد خالد بن عبد الله ان جعل

١٦ - ابن الاثير : الكامل ، ٢٢٩/٤ .

١٧ - الطبري : تاريخ ، ٨١٨/٨ .

١٨ - البلاذري : انساب ، ١٦٦/٥ وما بعدها .

١٩ - ابن سعد : الطبقات ، ٢٢٨/٥ - ٢٢٩ .

٢٠ - الطبري : تاريخ ، ٨٤٤/٨ ، ٨٤٦ .

٢١ - الطبري : تاريخ ، ٨٢١/٨ - ٨٢٢ .

المهلب على خراج الاهواز ، وبعث اخاه عبد العزيز لقتال الازارقة ، بعد ان سير معه مقاتل بن مسمع . ولكن الخوارج التي جاءت من كرمان والفوارس الذين ارسلهم قطري بن الفجاءة مع صالح بن مخرق وسعد الطلائع ، استطاعوا ان يهزموا عبد العزيز وأن يقتلوا ابن مسمع ، كما وقعت زوجة عبد العزيز فسي الاسر بعد ان فر عنها زوجها (٢٢) . وقد اخذت الخوارج في هذه الواقعة اسرى كثيرة ، حبسوهم في غار حتى ماتوا (٢٣) .

وكان احد الناس قد قام الى خالد بن عبد الله ، فنصح به برسالة المهلب لمحاربة الازارقة ، وعدم الاستهانة بأمرهم . ولكن خالدا لم يأخذ بتلك النصيحة ، وأصر على استعمال اخيه . وهكذا كان عليه ان يتجرع مرارة الهزيمة ونتائجها (٢٤) . ولما وصلت انباء الهزيمة الى عبد الملك ، انكر على واليه سوء تقديره وبعث اليه كتابا يوبخه فيه على تولية اخيه وترك المهلب على الخراج . كما امره بالخروج الى الازارقة بنفسه ، وأن يستشير المهلب بكل صغيرة وكبيرة الذي امتدحه قائلا : «فهو الميمون النقيبة ، الحسن السياسة ، البصير بالحرب ، المقاسي لها ، ابنها وابن ابنائها» (٢٥) .

وفي الوقت نفسه كتب عبد الملك الى اخيه بشر يأمره ان يمد خالدا بخمسة آلاف رجل . خرج خالد بأهل البصرة ، ثم جاءه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على رأس الكوفيين ، والتقى الجيشان بالاهواز . وعسكرت الخوارج فسي جوارهم ، زيادة في الاثارة والتحدي . فجعل خالد المهلب على ميمنته ، وداود بن قحذم على ميسرته ، وتهايوا للقتال ، ولما التقى الجمعان لم تستطع الخوارج الصمود امام تلك الجموع الحاشدة ، فانهمزوا . فاتبعهم خالد بداود بن قحذم ، وانصرف عائدا الى البصرة ، وكتب الى عبد الملك بخبر انتصاره (٢٦) .

ادرك عبد الملك ان أمر الخوارج لن يقف عند ذلك الحد ، وانهم لن يسلموا بتلك الهزيمة ، فكتب الى اخيه بشر ان يمد داود بأربعة آلاف فارس من اهل الكوفة . فبعث اليه عتّاب بن ورقاء على رأس فوارسه ، فأدركه في ارض فارس ، فطاردوا الازارقة حتى انهكت خيولهم وعادوا مشاة الى الاهواز (٢٧) . يبدو ان بشرا - شأنه شأن والي البصرة خالد بن عبد الله - كان يضمّر الحسد للمهلب ، ولم يكن يرى توليته حرب الازارقة ، وهمّ باستعمال عمر بن عبيد الله ، غير ان أمر الخليفة من الشام جاء معاكسا لرغبته ، وذلك حين أمره

٢٢ - الطبري : تاريخ ، ٨/ ٨٢٢ - ٨٢٣ .

٢٣ - المبرد : الكامل ، ٣/ ١١٠٨ .

٢٤ - القالي : ذيل الامالي ، ص ٣٢ .

٢٥ - الطبري : تاريخ ، ٨/ ٨٢٥ .

٢٦ - الطبري : تاريخ ، ٨/ ٨٢٦ - ٨٢٧ .

٢٧ - ابن الاثير : الكامل ، ٤/ ٢٤٣ - ٢٤٤ . الطبري : تاريخ ، ٨/ ٨٢٨ .

اخوه عبد الملك بتولية المهلب وبامداده بثمانية آلاف رجل من اهل الكوفة (٢٨) . فلم يجد بدا من تنفيذ ارادة امير المؤمنين ، فولّى المهلب رغم ارادته ، وانفذ اليه عبد الرحمن بن مخنف من اهل الكوفة . ولكنه لم ينس ان يوصيه بالآ يقبلسن مشورة من المهلب ، وان يفسد عليه رايه . وسخر ابن مخنف من هذه الوصية في نفسه ولم يعمل بها ، وقال بعدئذ : «فترك ان يوصيني بالجيش وقاتل العدو والنظر لاهل الاسلام ، واقبل يفريني بابن عمي كاني من السفهاء» (٢٩) .

خرج المهلب بأهل البصرة حتى قارب مواقع الخوارج ، فلما احسوا باقترابه منهم انكشفوا عن الفرات ، فلاحقهم الى سوق الاهواز ونفاهم عنها . واخيرا تمكن من اجلائهم عن منطقة الاهواز بأسرها ، ثم كلف ابنه المغيرة بمطاردتهم في فارس (٣٠) .

وقد اقبل ابن مخنف بأهل الكوفة على المهلب وهو برامهرمز . ولكن لسم يمض على اقامتهم شهر هناك حتى جاءهم نعي بشر بن مروان (٣١) . فاضطرب الامر بين العساكر ، وتسلسل كثير من جند البصرة والكوفة وتجمعوا بسوق الاهواز . وعبثا حاول خالد بن عبد الله الذي استخلفه بشر - قبل موته - على البصرة ، وعمرو بن حريث خليفته على الكوفة ، ان يردا الناس الهاربين الى المهلب . واصبح العراق في محنة جديدة واضطرب الامر هناك (٣٢) .

بقي المهلب - ومعه ابن مخنف - في عدد قليل من العساكر (٣٣) ، وتطور الوضع من سيء الى اسوأ ، عبّر عنه المهلب في كتابه الى الخليفة عبد الملك الذي يقول فيه : «اني ليس عندي رجال اقاتل بهم ، فامّا بعثت الي بالرجال ، وإما خلّيت بينهم وبين البصرة» (٣٤) .

وكان لا بد للعراق من رجل حازم يلمّ شعث ابنائه ، ويرد عنه خطر الخوارج الدايم ، فوقع اختيار عبد الملك على الحجاج بن يوسف الثقفي ، فولاه على العراق في اوائل سنة ٧٥ هـ / اول ايار ٦٩٤ م (٣٥) .

-
- ٢٨ - المبرد : الكامل ، ١١١٥/٣ - ١١١٦ .
 ٢٩ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٦٦/٤ . الطبري : تاريخ ، ٨٥٦/٨ .
 ٣٠ - المبرد : الكامل ، ١١١٨/٣ .
 ٣١ - المبرد : الكامل ، ١١١٩/٣ . وكان عبد الملك قد عزل خالد بن عبد الله عن البصرة في اواخر ٧٣ هـ / ٦٩٢ م ، وولاه اخاه بشرا ، فاجتمع له المصران (البصرة والكوفة) . (الطبري : تاريخ ، ٨٥٣/٨) .
 ٣٢ - المبرد : الكامل ، ١١١٩/٣ . ابن الاثير : الكامل ، ٣٦٦/٤ .
 ٣٣ - المبرد : الكامل ، ١١٩/٣ .
 ٣٤ - المسعودي : مروج ، ٦٨/٣ .
 ٣٥ - المبرد : الكامل ، ١١٢٠/٣ . الطبري : تاريخ ، ٨٦٣/٨ .

الحجاج والخوارج :

كان الحجاج قائد عبد الملك الذي قتل ابن الزبير وأعاد الحجاز الى سلطة الامويين ، فكافاه عبد الملك بأن ولاه على مكة والمدينة واليمن واليمامة ثلاث سنين (٢٦) . فضب الامور في هذه الحقبة ، وشهر خلال تمرسه في الحكم بشدته ورجولته (٢٧) . فكان ذلك حافزا لعبد الملك ان يوليه العراق ، فقد وجده رجل الساعة ، كما كان سلفه زياد بن ابي سفيان يد بني أمية الصلبة في عهد معاوية .

أدرك الحجاج في قرارة نفسه انه قادم على بلد له ماضيه في الخلافات السياسية والانقسامات القبلية والمذهبية ، فلم يجد خيرا من الشدة أسلوبا ، ومن الحزم سلوكا ، لضبط الامور وقطع دابر الفوضى والانفلات . فدخل الكوفة اولا ، وخطب خطبته المشهورة (٢٨) ، وأخذهم بالتهديد والوعيد . فاذا هو لا يرى الرحمة ولا التهاون مع العصاة ، واذا كانت الولاة قبله تضرب وتحبس ، فانه قد اختار العنف سبيلا ، فهو يقول : «ولكن ليس لهم عندي الا السيف» (٢٩) . وأراد الحجاج ان يعمل بأقصى سرعة ، وان يضرب بأقصى درجة من الشدة . فأعلن ما يشبه حالة الطوارئ في البلاد ، وذلك ليتمكن من القضاء على الفتن الداخلية ، ويتفرغ للملاحقة الخوارج الذين اصبحوا يهددون ارض السواد (٤٠) . ثم انتقل الحجاج من الكوفة الى البصرة ، فخطبهم بمثل خطبته في الكوفة ، وحثهم على محاربة الازارقة . وكان الناس - من قبل - يتشاقلون عن الخروج لمواجهة الخوارج ، فتوعد من رآه منهم بعد ثلاثة ايام من النفي . فجاءه رجل من اهل البصرة يعتذر عن الخروج لفتق فيه ، فقال له الحجاج : «انك عندي لصادق» ، ثم أمر فضربت عنقه . فلم يبق احد من عسكر المهلب الا لحق

٣٦ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٣/٩ . المسعودي : مروج ، ١٢٢/٣ (ط السعادة) ١٠

٣٧ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٧/٩ . ويرى ابن كثير ايضا ان عبد الملك ولي الحجاج «لسطوته وفهرة وشهامته» البداية والنهاية ، ٧/٩ . وفي موضع آخر يمتدحه فيقول : «كان الحجاج حافظا للقرآن ، ويقرأ القرآن كل ليلة ، وكان عقله يرجح على عقول الناس» البدايسة والنهاية ، ١١٩/٩ . غير ان فلهوزن Wellhausen يرى ان الحجاج ليراد ان يتشبه بزياد ، فأخطأ مرتين : أخطأ اولا لان زيادا أحسن الى الموالي وتزوج منهم ، في حين ان الحجاج حط من شأنهم . وأخطأ ثانيا ، اذا ان زيادا أحسن سياسة القبائل هناك ، وعرف كيف يمسك زمامها ، بينما الحجاج اعتمد جند الشام لاضعاع العراق وتأكيد سلطة الامويين (الدولة العربية ، ص٢٠٧) .

٣٨ - ابن عبد ربه : العقد ، ١٧/٥ وما بعدها . الطبري : تاريخ ، ٨٦٤/٨ .

٣٩ - المبرد : الكامل ، ١١٢٠/٣ .

٤٠ - المسعودي : مروج ، ٧٠/٣ .

به (٤١) . فلما رأى المهلب كثرة الناس عليه ، قال : «اليوم قوتل هذا العدو» (٤٢) . وبذلك استطاع الحجاج ان يشد ازر المهلب ويقوي من عزيمته عساكره . ثم انه جاء مكانا قريبا من المهلب ، فوقف يخاطب اهل الكوفة والبصرة ، فقال : «يا اهل المصريين ! هذا المكان والله مكانكم ، شهرا بعد شهر ، وسنة بعد سنة ، حتى يهلك عدوكم هؤلاء الخوارج المطلبين عليكم» (٤٣) .

وبعد ان امد الحجاج المهلب بما يلزمه من العساكر ، كتب اليه والى ابن مخنف يأمرهما بمناهضة الخوارج ، فلاحقوهم ، وانهزمت الخوارج الى كازرون (٤٤) في نواحي سابور (٤٥) ، فتبعضهم الى هناك . فبايئت الخوارج المهلب فوجدوه حذرا متأهبا ، وباغتوا ابن مخنف واصحابه ، فكانت موقعة قتل فيها ابن مخنف . غير ان الكوفيين يخالفون رواية اهل البصرة ، ويقولون ان ابن مخنف امد المهلب بالخيال والرجال حين مالت الخوارج اليه واضطرته ان يعود الى عسكره ، فأشغل بعض الخوارج المهلب وانصرفوا بجندهم الى ابن مخنف ، فقاتلهم حتى قتل (٤٦) . وقتل معه سبعون من القراء ، فيهم نفر من اصحاب علي وآخرون من اصحاب ابن مسعود (٤٧) ، وذلك في العشرين من شهر رمضان ٧٥ هـ / كانون ثاني ٦٩٥ م (٤٨) .

بعد مقتل ابن مخنف كتب الحجاج الى عتّاب بن ورقاء الرياحي عامله على أصبهان كتابا ، أمره فيه بالتوجه الى المهلب وان يسمع له على ما بينهما من جفاء (٤٩) ، وأن يضم الى عسكره جند عبد الرحمن بن مخنف (٥٠) . لم يجد عتّاب بدا من الخضوع لامر الحجاج ، فمضى بجيشه الى المهلب ، فقدم عليه وهو يقاتل الخوارج بسابور في جمادى الاولى من سنة ٧٦ هـ / ٦٩٥ م (٥١) . ولكن لم يطل أمره مع المهلب ، فقد استدعاه الحجاج ثانية بعد انقضاء ثمانية اشهر ، وذلك حين ظهر شبيب الخارجي في العراق (٥٢) .

-
- ٤١ - المبرد : الكامل ، ١١٢١/٣ وما بعدها .
 - ٤٢ - المبرد : الكامل ، ١١٢٣/٣ .
 - ٤٣ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٨١/٤ .
 - ٤٤ - كازرون : مدينة بفارس بين البحر وشيراز (ياقوت : معجم البلدان) .
 - ٤٥ - سابور : كورة مشهورة بأرض فارس (ياقوت : معجم البلدان) .
 - ٤٦ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٨٨/٤ - ٣٨٩ .
 - ٤٧ - المبرد : الكامل ، ١١٢٧/٣ .
 - ٤٨ - الطبري : تاريخ ، ٨٧٦/٨ .
 - ٤٩ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٩٠/٤ .
 - ٥٠ - المبرد : الكامل ، ١١٣٥/٣ .
 - ٥١ - المبرد : الكامل ، ١١٣٥/٣ .
 - ٥٢ - المبرد : الكامل ، ١١٣٧/٣ ، ١١٣٩ .

واقام المهلب يقاتل الخوارج زهاء ثمانية عشر شهرا (٥٣) ، حتى تمكن اخيرا من اخراجهم من ارض فارس ، واضطروا الى الانسحاب نحو كرمان التي يبدو انها كانت بأيديهم منذ زمن طويل (٥٤) .

اختلاف الازارقة :

ما كان الحجاج ليرضى في الابقاء على الخوارج في اية بقعة من البلاد الاسلامية ، فوجه رسولا الى المهلب يستحثه على مناجرتهم ، وكتب اليه يقول : «انك لتحب بقاءهم لتأكل بهم» (٥٥) . فأراد المهلب ان يعطي رسول الحجاج شاهدا حسيا عن بأس الخوارج وشدتهم ، فأمر بتحريكهم ، فاقتتلوا الى الليل حتى ملّ الفريقان القتال . فرجع الرسول الى الحجاج فقال له : «رايت قوما لا يعين عليهم الا الله» (٥٦) . ولعل المهلب كان يلجأ الى سياسة النفس الطويل في عراكه معهم ، وانه كان ينتظر تفجيرهم من داخلهم ، فقد كتب الى الحجاج كتابا جاء فيه : «أني منتظر بهم احدى ثلاث ، موت ذريع ، او جوع مضر ، او اختلاف مسن أهوائهم» (٥٧) .

ولم يخطيء ظن المهلب بهم ، اذ سرعان ما دب الشقاق في صفوف الازارقة . فقد ذكر ان عاملا لقطري على احدى نواحي كرمان قتل رجلا من الخوارج ، فهبت الخوارج ليثأروا منه ، فمنعهم قطري بحجة «انه تأول فأخطأ التأويل» . فكان هذا اول الوهن بينهم (٥٨) .

انتهاز المهلب هذه الفرصة وعمل على تصعيد الخلاف في صفوف اعدائه . فعمد الى حيلة ناجحة ، وذلك انه كان في صفوف الخوارج رجل يصنع السهام المسمومة ليرموا بها اصحاب المهلب ، فأرسل المهلب احد اصحابه بكتاب امره ان يلقيه بين عساكر قطري دون ان يراه احد ، وقد كتب فيه : «أما بعد ، فإن نصالك وصلت وقد انفذت اليك الف درهم» . فلما استوضح قطري ذلك الصانع ، انكر علمه بالامر الا ان قطري أمر بقتله . فخالفه بذلك عبد ربه الكبير ، ووقع خلاف جديد بسبب ذلك (٥٩) .

٥٣ - المبرد : الكامل ، ١١٣٩/٣ .

٥٤ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٣٧/٤ .

٥٥ - المبرد : الكامل ، ١١٢٨/٣ - ١١٢٩ .

٥٦ - المبرد : الكامل ، ١١٢٨/٣ - ١١٢٩ .

٥٧ - المصدر نفسه .

٥٨ - الطبري : تاريخ ، ١٠٠٦/٨ .

٥٩ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٣٨/٤ . المبرد : الكامل ، ١١٣٩/٣ - ١١٤٠ . هذا الحداد يقال

له : ابزي (شرح النهج ، ١٩٦/٤) .

واستمر المهلب في بث الخلاف بين صفوف الازارقة ، فبعث رجلاً نصرانياً اليهم وأمره ان يسجد لقطري ، ففعل . فانكرت الخوارج على قطري هذا الفعل ، وقتلوا النصراني ، واتهموا اميرهم بتأليه نفسه (٦٠) .

ويروي المبرد وجهاً آخر من وجوه الاختلاف فيما بينهم ، فقد ذكر ان عبيدة بن هلال اليشكري رمي بامرأة حداد كان يكثر التردد على منزله بغير استئذان . فشكاه بعض الخوارج الى قطري ، فاستدعاه وسأله ، فانكر تلك التهمة ، فقبلت توبته . غير ان عبد ربه الصغير لم يقبل تلك التوبة ، ورأى دفاعه عن نفسه خداعاً ، فبايعه كثير من الناس على ذلك (٦١) .

وقيل انه لما رأت الخوارج تقاعس قطري عن الحرب ومحاولته الفرار من ارض المعركة ، ولما رأى قطري من اصحابه تأمراً على حياته ، عزم ان يبايع المقعطر العبدي ، فلم يرضوا به . وجاءه صالح بن مخراق يطلب اليه ان يعفيهم من المقعطر ، فأبى قطري ان يعزله عنهم . حينذاك اتسع الرشق بينهم ، فخلعوا قطرياً ، ووثوا عليهم عبد ربه الكبير (٦٢) . ثم ان فتى من العرب طعن صالح بن مخراق فقتله ، فنشبت الحرب فيما بينهم ، ولم تنجل الا عن الفتي قتيل (٦٣) . لم يقتصر الخلاف بين زعماء الازارقة على أمور اجتهادية مذهبية فحسب ، بل اتخذ صورة جديدة حين تطور خلافاً عنصرياً . فقد انضم الموالي والعجم الى عبد ربه الصغير ، وأخرجوا العرب وقطري عن مدينة جيرفت (٦٤) ، وقيل ان هؤلاء الموالي كانوا زهاء ثمانية آلاف من القراء (٦٥) .

ويخبرنا البغدادي ان سبعة آلاف من الخوارج ساروا الى قومن (٦٦) مع عبد ربه الكبير ، فيما مضى عبد ربه الصغير في اربعة آلاف الى ناحية اخرى من نواحي كرمان (٦٧) .

-
- ٦٠ - المصدر نفسه .
٦١ - المبرد : الكامل ، ١١٤٩/٣ . كان عبد ربه الصغير معلم كتاب من موالي قيس بن ثعلبة (شرح النهج ، ٢٠٤/٤) .
٦٢ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٧٧ . اليعقوبي : تاريخ ، ٢٧٥/٢ . المبرد : الكامل ، ١١٥٠/٣ . كان عبد ربه الكبير بائع رمان من موالي قيس بن ثعلبة (شرح النهج ، ٢٠٤/٤) .
٦٣ - المبرد : الكامل ، ١١٥١/٣ .
٦٤ - جيرفت : مدينة كبيرة من اعيان مدن كرمان ، فتحت في ايام عمر بن الخطاب (ياقوت : معجم البلدان) .
٦٥ - المبرد : الكامل ، ١١٥١/٣ - ١١٥٢ .
٦٦ - قومن : كورة كبيرة تشتمل على مدن وقرى ومزارع ، وهي في ذيل جبال طبرستان . (ياقوت : معجم البلدان) .
٦٧ - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٧٥ .

واقْتتل الخوارج فيما بينهم ، ووقف المهلب يتفرج عليهم . ولما كتب اليه الحجاج يطالبه بمقاتلتهم وهم في حال اختلافهم ، لم يمثل لأمره ، بل رد عليه قائلا : «اني لست ارى ان اقاتلهم ما دام يقتل بعضهم بعضا ، فان تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم ، وان اجتمعوا لم يجتمعوا الا وقد رقق بعضهم بعضا فانا هضمهم حينئذ ، وهم اهلون ما كانوا واضعفه شوكة ان شاء الله تعالى » (٦٨) .

وهكذا ، بعد ان اقتتلوا زهاء شهر من الزمن فيما بينهم ، شعر المهلب بارتياح وطمأنينة ، فهنا اصحابه بذلك ، واخبرهم بان الله قد اراحهم من رؤوس الخوارج وابطالهم ، ولم يبق منهم الا عبد ربه في خشار من الناس (٦٩) . ثم ان المهلب انتهز فرصة انقسامهم وضعفهم ، فسار اليهم وتهايت الخوارج للاقاته ، وناداهم امرهم عبد ربه قائلا : «يا معشر المهاجرين ، روحو بنا الى الجنة ، فان القوم رائحون الى النار» (٧٠) . وتلا ذلك قتال شديد ، استطاع المهلب في نهايته ان يخرجهم من جيفت ، واستمر في ملاحقتهم حتى هزمهم هزيمة منكرة ، وقتل رأسهم عبد ربه الكبير ولم ينج منهم الا القليل (٧١) .

وانفذ المهلب خبر انتصاره الى الحجاج ، فسرى سرورا عظيما ، واستقدم المهلب ، فأجلسه الى جانبه ، واظهر اكرامه له ، وقال مخاطبا اهل العراق : «انتم عيد المهلب» (٧٢) .

وقد اعترفت الخوارج بعظمة المهلب في الحروب ، ولقبوه الساحر المزوني وذلك انهم كانوا يدبرون الامر ، فيجدونه قد سبق الى نقض تدبيرهم قبل ان ينفذوه (٧٣) . والمهلب من جهته يعترف بشدة الخوارج وشجاعتهم في القتال ، ويرد نصره عليهم لسببين رئيسيين ، اولهما : كونه يحارب اهل الباطل بأهل الحق ، والعاقة للمتقين . وثانيهما : أسلوبه في الحرب معهم ، اذ كان يعتمد المطاولة ويتجنب العجلة التي كان يدعوها اليها الآخرون (٧٤) . ولعل خير تصوير

٦٨ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٣٩/٤ .

٦٩ - ابن عبد ربه : العقد ، ٢٦٠/١ .

٧٠ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٧٩ .

٧١ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٤٠/٤ .

٧٢ - المبرد : الكامل ، ١١٦٦/٣ .

٧٣ - المبرد : الكامل ، ١١٦٦/٣ . المزوني : نسبة الى المزون ، وهي عمان بالفارسية .

(المبرد : الكامل ، ٩٦٠/٣) .

٧٤ - المبرد : الكامل ، ١١٦٨/٣ . وينقل ابن ابي الحديد عن الرواة ان المهلب كان قائدا

حكيمًا ، شديد الحرص على عساكره ، لا يتكل في الحراسة على احد . فقد كان يتولاه بنفسه او

يستعين عليه بولده ويمن يحل محلهم في الثقة عنده . كما كان ييث الاحراس في اثناء الامن

والخوف ، ويرسل العيون في الصحارى والامصار (الشرح ، ١٩/٤ ، ١٤٨) .

لقيادة المهلب الحكيمة ، وشجاعته النافذة ، ومكره في الحروب ، ما وصفه به عدوه اللدود قطري بن الفجاءة ، حين يقول عنه : « هو من ان اخذتم بطرف ثوب اخذ بطرفه الآخر ، يمهده اذا ارسلتموه ، ويرسله اذا مددتموه . لا يبداكم الا ان تبادوه ، الا ان يرى فرصة فينتهزها ، فهو الليث المبرّ (الغالب) والثعلب الرواغ والبلاء المقيم» (٧٥) . ولعل من غريب المصادفات ان يكون هذان العدوان اللدودان قد اجتمعا معا في خدمة عامل معاوية على سجستان عبد الرحمن بن سمرة (٧٦) . وازاء النجاح العظيم الذي حققه المهلب في حروبه ضد الخوارج ، فقد ولاه عبد الملك على خراسان ، فمكث فيها خمس سنوات ، وظل عليها الى ان توفاه الله في سنة ٨٢ هـ / ٧٠١ م (٧٧) .

اما زعيم الازارقة قطري بن الفجاءة ، فان الحجاج حين علم بمسيره السي طبرستان ومعه جيش كبير (٧٨) ، سير اليه سفيان بن الابرذ في عساكر جرارة من اهل الشام . ثم انضم اليه جيش اهل الكوفة ، ولحقوا بقطري وادركوه في احدى شعاب طبرستان ، وقتلوه حين التقى عليه احد الاعاجم من اهل البلد حجرا فأنهكه (٧٩) . بينما يقول الذهبي ان فرسه عشر به ، فاندقت فخذة وهلك . وبذلك انتهت حياة ابرز قائد من زعماء الازارقة ، والذي ظل يقاتل اعداءه عشرين عاما ، ويسلم عليه بامارة المؤمنين (٨٠) .

تابعت الخوارج الازارقة بعد قطري عبيدة بن هلال الشكري ، الذي كان قد تحصن مع اصحابه في قصر بقومس ، فحاصروهم سفيان بن الابرذ حصصا شديدا ، حتى اضطرهم الى اكل دوابهم . فلما شعروا بالهلاك من الجوع ، خرجوا من مكانهم ، فقاتلوا حتى قتلوا عن بكرة ابيهم ، وانكسرت شوكة الخوارج بهلكتهم (٨١) . وينقل ابن الاثير عن بعض العلماء ان الازارقة انقرضت بعد مقتل قطري بن الفجاءة وعبيدة الشكري (٨٢) . ويؤيد البغدادي هذا الرأي حين يقول: «وطهر الارض من الازارقة ، والحمد لله» (٨٢) . ويذهب فلهوزن Wellhausen

- ٧٥ - المبرد : الكامل ، ١٠٨٦/٣ .
 ٧٦ - البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٠٠/٢ .
 ٧٧ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٨٠ . ابن الاثير : الكامل ، ٤٧٥/٤ .
 ٧٨ - اليعقوبي : تاريخ ، ٢٧٥/٢ - ٢٧٦ . البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٧٦ .
 ٧٩ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٤٢/٤ .
 ٨٠ - الذهبي : العبر ، ٩٠/١ . واختلف في سنة هلكته ، فقيل انه قتل في سنة ٧٦ هـ / ٦٩٥ م وقيل في سنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ م (ابن خلكان ، وفيات ، ٢٥٦/٣) .
 ٨١ - الطبري : تاريخ ، ١٠٢٠/٨ - ١٠٢١ .
 ٨٢ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٤٣/٤ .
 ٨٣ - البغدادي : الفرق ، ص ٧٦ . واختلف ايضا في سنة هلكة الازارقة ، فبينما نجسد الطبري وابن الاثير يوردان اخبار هلكتهم في سنة ٧٧ هـ / ٦٩٦ ، فان اليعقوبي والذهبي يذكران ذلك في اخبار سنة ٧٩ هـ / ٦٩٨ م .

الى ان الازارقة لم يستمروا بعد ذلك على هيئة فرقة دينية ، لان هؤلاء الناس كانوا رجال عمل لا رجال نظر (٨٤) . ولكن هذا لا يعني ان الازارقة اندثروا من الوجود بعد هزيمتهم العسكرية ، فقد خرج من بقاياهم فرقة اخرى تعسرف بالخازمية سنسرف بها عند الحديث عن فرق الخوارج .

ولعل الناظر في حروب الازارقة واستمراريتها ، ليأخذ العجب من شدة هؤلاء المحاربين وصلابتهم في القتال . ولكن ذلك العجب يزول ، حين يعلم انهم جماعة نذروا انفسهم في سبيل عقائد ابتدعوها لانفسهم ، وآمنوا بها ، فسيطرت على مشاعرهم وعقولهم . ثم مهروا صناعة الحرب لاعتقادهم ان لا سبيل امامهم لتحقيق اهدافهم الا بالخروج والجهاد . كما لا ننسى ان هؤلاء الازارقة استطاعوا السيطرة على بعض مناطق فارس الفنية بخيراتها ، فتمكنوا بذلك من تكوين جيوش قوية كانت احسن عدة واكرم خيولا واكثر سلاحا من اهل البصرة فسي بعض الاحيان (٨٥) .

أما سياستهم مع رعاياهم فقد تراوحت بين اللين والشدة . فمن جهة خففوا الضرائب عن سكان المناطق المفتوحة ، مما جعل كثير من الاعاجم يصبحون على مذهبهم ويقاثلون الى جانبهم (٨٦) ، ومن جهة اخرى فانهم كانوا يشتدون على من يتأمر عليهم ، اذ لم يتورع زعيمهم قطري بن الفجاءة عن هدم مدينة اصطخر ، لما علم ان اهلهما يكتبون المهلب بأخباره (٨٧) .

خروج الصفرية في العراق :

في الوقت الذي كانت فيه الازارقة تتحدى سلطة الامويين في ارض فارس والاهواز ، وتتحفر للانقضاض على العراق من جهة البصرة ، كانت الصفرية من الخوارج تستجمع قواها في ارض الموصل والجزيرة لمهاجمة الكوفة من هناك . وبذلك فقد كان العراق بمصريه (البصرة والكوفة) تحت تهديد الخوارج وبأسهم المتزايد . ولكن صرامة الحجاج وشدته ، ويقظة المهلب وعسكريته الفذة ، وانقسام الخوارج على انفسهم ، فوّت على الازارقة تحقيق مطامحهم . فانهارت جيبتهم التي يبدو انها كانت تعمل بمعزل عن صفرية الجزيرة في الجهة الاخرى . كان صالح بن المرسح رأس الصفرية من الخوارج (٨٨) رجلا كثير العبادة ،

٨٤ - فلهوزن : الخوارج والشيمة ، ص ١٠٩ .

٨٥ - الطبري : تاريخ ، ٥٨٦/٧ . ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٦٨/٤ .

٨٦ - المبرد : الكامل ، ١١٠٨/٣ . ابن اعثم : تاريخ ، ٢٥٢/١ .

٨٧ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٢٠١/٤ . ابن الاثير : تاريخ ، ٢٨٧/٤ .

٨٨ - ابن قتيبة : المعارف ، ص ٤١٠ .

ظاهر التقوى ، ينتقل بين اتباعه بدارا (٨٩) وأرض الموصل والجزيرة ، يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين ويدعوهم الى الجهاد ويحسن لهم الخروج على سلطان الامويين . فاستجابوا له وتداعوا الى اللقاء بعد ان قضى في تثقيفهم زهاء عشرين سنة . وبالرغم من ان صالحا هذا كان تميميا ، فان اكثر رجاله كانوا من ربيعة الذين كانوا يقيمون على ضفتي دجلة (٩٠) . وقد ذكر ان صالحا هذا كان اول من خرج من الصفرية (٩١) .

وفي الوقت الذي كان صالح وأصحابه يتهاون للخروج ، ورد عليهم رسول شبيب الشيباني الخارجي ، يستوضح وقت خروجهم ويستحثهم على الاسراع بذلك ، بعد ان يسلم زمام الامر لشيخ الصفرية . فرد ابن المرح على شبيب - الذي يبدو انه كان يعمل بالتنسيق معه - بأن دعاه الى ملاقاته . فخرج شبيب بأصحابه والتقى بدارا ، ثم تواعدا على الخروج في هلال صفر ٧٦ هـ / ٢١ ايار ٦٩٥ م (٩٢) .

وكانوا في بدء امرهم قرابة مائة وعشرين رجلا ، فالتقوا في طريقهم بدواب لمحمد بن مروان (امير الجزيرة يومئذ) ، فأمرهم امير المؤمنين صالح بن المرح بالاستيلاء عليها ليتقوا بها (٩٣) . فلما بلغ مخرجهم محمد بن مروان استخف بأمرهم ، وأرسل اليهم عدي بن عدي بن عميرة الكندي في الف من الفرسان ، ولم يكن عدي راغبا في القتال . فلما التقوا بسوق دوغان (٩٤) هزمتهم الخوارج (٩٥) .

وحين بلغت انباء الهزيمة ابن مروان غضب غضبا شديدا ، فدعا خالد ابن جزء السلمي ، كما دعا الحارث بن جعونة العامري ، وجعل كلا منهما على الف وخمسمائة من الرجال وأمرهما بالخروج لهؤلاء الصفرية ، وأيهما سبق فهو الامير على صاحبه . فخرجا اليهم متساندين ، فأدركاهم في آمد (٩٦) ، ودارت معركة اضطرت معها الخوارج الى التراجع والانسحاب من أرض الجزيرة والموصل

٨٩ - دارا : بلدة بين نصيبين وماردن من بلاد الجزيرة في شمالي سورية (ياقوت : معجم

البلدان) .

٩٠ - الطبري : تاريخ ، ٨/٨٨١ وما بعدها .

٩١ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٨/١٠٠ .

٩٢ - الطبري : تاريخ ، ٨/٨٨٤ - ٨٨٥ .

٩٣ - الطبري : تاريخ ، ٨/٨٨٦ - ٨٨٧ .

٩٤ - دوغان : قرية كبيرة بين رأس عين ونصيبين كانت سوقا لاهل الجزيرة (ياقوت : معجم

البلدان) .

٩٥ - ابن الاثير : الكامل ، ٤/٣٩٤ . الطبري : تاريخ ، ٨/٨٨٧ - ٨٨٨ .

٩٦ - آمد : وهي اعظم مدن ديار بكر واجلها قدرا واشهرها ذكرا (ياقوت : معجم البلدان) .

والتوجه الى الدسكرة (٩٧) باتجاه الكوفة (٩٨) .

فلما وصل خبرهم الى الحجاج ، سرّح اليهم الحارث بن عميرة الهمداني في ثلاثة آلاف من اهل الكوفة ، فالتقاهم في قرية المدبّج ما بين الموصل وجوخي . وهناك جرت معركة قتل فيها صالح بن المرّح ، وتحصن شبيب وبعض اصحابه في حصن مكين . فأمر الحارث باحراق باب الحصن وانصرف الى عسكره . وفي ظلام الليل حث شبيب اصحابه على مبايعة احدهم ، فبايعوه امرا عليهم . فدعاهم الى الخروج من الحصن ، فخرجوا في جوف عسكر الحارث وصرعوا قائدهم ، فحمله اصحابه وانهزموا نحو المدائن ، وكان ذلك في السابع عشر من شهر جمادى الاولى من سنة ٧٦ هـ / ٣ ايلول ٦٩٥ م (٩٩) .

شبيب الخارجي والحجاج :

لم تكن عزيمة الصفرية بموت اميرهم ابن المرّح ، بل اتخذوا من استشهاده مثلا في التضحية والجهاد . ولم يكن اميرهم الجديد بأقل حماسا من سلفه ، اذ سرعان ما اخذ شبيب يدعو اصحابه الى الخروج ، فاستجاب له من بقي من رجال صالح . ثم التقاه سلامة بن سيار (سنان) الشيباني ، فدعاه شبيب الى امره ، فاشترط عليه سلامة ان ينتخب ثلاثين فارسا ليشفي بهم غليل نفسه من احواله الذين خذلوا اخاه فضالة عند خروجه . فاستجاب له شبيب ، وخرج سلامة بفارسائه الى احواله من بني عنزة ، واخذ يقتل من يجده في طريقه منهم ، ولم يرحم تضرعات خالته التي اكبّت على ولدها ، فقتله امام عينها (١٠٠) . ثم اقبل شبيب نحو راذان (١٠١) في سبعين رجلا او يزيدون قليلا ، فأخذ يروّع الناس في طريقه ، فيهربون امامه . ومضى الى أمه في اثني عشر فارسا ، فالتقى في طريقه جمعا من بني شيبان فقتل منهم ثلاثين شيخا ، وجاء الى امه فحملها معه (١٠٢) .

بعد ان انضم جماعة من بكر وائل الى شبيب ، مضى بشطر من اصحابه ، فقطع ارض الموصل واتجه نحو اذربيجان . فكتب الحجاج الى سفيان بن ابي العالية الخثعمي يأمره بالعودة اليه مع فوارسه ، بعد ان كان وجهه الى

٩٧ - الدسكرة : قرية كبيرة غربي بغداد (ياقوت : معجم البلدان) .

٩٨ - ابن الاثير : الكامل ، ٢٩٥/٤ . الطبري : تاريخ ، ٨٨٩/٨ - ٨٩٠ .

٩٩ - ابن الاثير : الكامل ، ٢٩٥/٤ وما بعدها . الطبري : تاريخ ، ٨٩٠/٨ - ٨٩٢ .

١٠٠ - الطبري : تاريخ ، ٨٩٣/٨ - ٨٩٤ . ابن الاثير : الكامل ، ٣٩٧/٤ .

١٠١ - راذان : راذان الاسفل وراذان الاعلى . كورتان بسواد بغداد (ياقوت : معجم البلدان) .

١٠٢ - الطبري : تاريخ ، ٨٩٤/٨ - ٨٩٥ .

طبرستان (١٠٢) . وانضم الى جيش سفيان عسكر الحارث بن عميرة ، وتوجه بجنوده الى شبيب ، فأدرکه بخانقين (١٠٤) . فتظاهر شبيب بأنه يكره لقاءهم وانتحى الى سفح جبل مجاور ، بعد ان اكن لهم اخاه مُصادا في خمسين فارسا . وفي غفلة من سفيان انقضت الخوارج على عساكره ، فكان قتالا شديدا انهزم على اثره جيش سفيان (١٠٥) . فأمر الحجاج سَورة بن ابجر التميمي ان ينتخب خمسمائة فارس من اهل المدائن ويسير بهم الى شبيب . فذهب سورة في طلبه ، فأدرکه عند النهروان ، وكانت الهزيمة من نصيبه ، فعاد الى الحجاج ، فلامه وجسه ، ثم عفا عنه (١٠٦) . وهكذا فقد ربح الخوارج المعركة في المكان نفسه الذي قضي فيه على اسلافهم من اصحاب النهر .

ويذكر الذهبي ان الحجاج وجه الى شبيب بعدئذ زائدة بن قدامة الثقفي (ابن عم المختار الثقفي) ، فقتل زائدة وهزمت عساكره (١٠٧) .

وهكذا استطاع شبيب ان ييث الرعب في نفوس الناس حتى ارتحل الجند من المدائن الى الكوفة . حينذاك ادرك الحجاج خطورة شبيب ، فسيّر اليه الجزل بن سعيد الكندي في اربعة آلاف من الرجال . فسار في طلبه واخذ يطارده من مكان الى آخر بمنتهى الحيطه والحذر . وكان شبيب ايضا يتجنب المواجهة معه ، واضطر اخيرا ان يسير الى جرجرايا ، فأخذ يجسول في ارض جوخي وغيرها يكسر الخراج . فتبعه الجزل الى هناك ، الا ان الحجاج تضايق من هذه المطولة ، واطهارا لسخطه عليه فقد عزله عن قيادة الجيش واستعمل مكانه سعيد بن المجالد الهمداني . فجاء سعيد الجزل وقد خندق بأصحابه في النهروان ، والخوارج في مكان قريب منهم ، فقام خطيبا في العساكر ، فوبخهم على تخاذلهم وأمرهم بالخروج من خنادقهم . فانتهزت الخوارج الفرصة وانقضت عليهم ، ودارت الدائرة على سعيد الذي قتله شبيب . وأبلى الجزل في تلك الموقعة البلاء الحسن وقد اثنى بالجراح ، فكتب الى الحجاج بالخير ، فأثنى عليه وشكره (١٠٨) .

١٠٢ - طبرستان : بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم من بلاد فارس (ياقوت : معجم البلدان) .

١٠٤ - خانقين : بلدة من نواحي السواد في طريق همدان من بغداد (ياقوت : معجم البلدان) .

١٠٥ - الطبري : تاريخ ، ٨/٨٥٥ - ٨٩٨ . ابن الاثير : الكامل ، ٤/٣٩٩ .

١٠٦ - الطبري : تاريخ ، ٨/٨٩٩ - ٩٠١ .

١٠٧ - الذهبي : العبر ، ١/٨٦ .

١٠٨ - الطبري : تاريخ ، ٨/٩٠١ وما بعدها . ابن الاثير : الكامل ، ٤/٤٠١ - ٤٠٤ .

شبيب يدخل الكوفة :

بعد انتصاره على جيش ابن المجالد ، سار شبيب فعبّر دجلة وأقبل على الكرخ (١٠٩) ، وأرسل الى سوق بغداد فأمنهم ، وذلك ليتمكن اصحابه من شراء حاجاتهم ، ثم اتجه الى الكوفة . فلما علم الحجاج بخبره بعث اليه سويد بن عبد الرحمن السعدي في الفي رجل ، فحمل شبيب على سويد واصحابه حملة شديدة ، فلم يستطع هزيمتهم . فتظاهر بالعدول عن دخول الكوفة ، فلاحقه سويد الى ان قطع بيوت الكوفة الى الحيرة . فمضى شبيب وعبر الفرات الى بني قومه في البادية ، فقتل كثيرا منهم ، ثم توجه بعيدا ، فدخل دقوقاء (١١٠) وارتفع منها الى اداني اذربيجان . فظن الناس ان شبيبا قد عدل عن دخول الكوفة ، واطمان الحجاج لذلك ، فسار الى البصرة . بد ان استخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبه (١١١) .

ولكن يبدو ان شبيبا كان قد عقد العزم على دخول الكوفة ، فعاد ثانية وسار نحوها . فلما علم الحجاج بالامر ، هاله الخبر ، فترك البصرة وقصد الكوفة مسرعا ليصلها قبل شبيب . فتسابقا اليها ، فنزلها الحجاج عند الظهر ، ونزل شبيب قبيل مساء ذلك اليوم بالسبخة (١١٢) . وتسلسل شبيب فدخل الكوفة ليلا ، ووقف بباب القصر وضربه ، وانتقل من هناك الى المسجد الجامع ، فقتل من فيه من الحراس والمصلين ، وصلّى بأصحابه فيه . ثم هجر الكوفة قبل فجر اليوم التالي (١١٣) . ويروي السعدي ان غزالة زوجة شبيب حققت نذرهما بدخول الكوفة ، فصلّت ركعتين اطالت فيهما قراءة القرآن . ويشهد على وفائها لنذرهما قول احدهم (١١٤) :

يا ربّ لا تغفر لها

وقت الغزالة نذرهما

١٠٩ - الكرخ : محلة في وسط بغداد (ياقوت : معجم البلدان) .

١١٠ - دقوقاء : مدينة بين اربل وبغداد كانت بها وقعة للخوارج (ياقوت : معجم البلدان) .

١١١ - الطبري : تاريخ ، ٩١٠/٨ وما بعدها . ابن الاثير : الكامل ، ٤٠٤/٤ - ٤٠٦ .

١١٢ - السبخة : يبدو انها محلة في ضواحي الكوفة .

١١٣ - الطبري : تاريخ ، ٩١٦/٨ - ٩١٨ . ابن الاثير : الكامل ، ٤٠٦/٤ . اليعقوبي :

تاريخ ، ٢٧٤/٢ . ابن قتيبة : المعارف ، ص ٤٧٧ .

١١٤ - السعدي : مروج ، ٨٠/٣ . ورغم ان جميع الروايات التي وقفنا عليها تشير الى ان

غزالة هي امرأة شبيب وان امه اسمها جهيزة ، فان البغدادي يعكس الآية ، فيجعل غزالة امه وجهيزة زوجته (الفرق ، ص ٩٢) .

ويذكر البغدادي ان شيبيا حين دخل الكوفة كان معه الف فارس ومائتين من النساء ، فيهما امه وزوجته (١١٥) .

وهكذا وجدنا شيبيا يشكل خطرا مائلا على العراق بأكمله ، وذلك حين تمكن من تحدي الحجاج في عقر قصره . وأدرك عجزه عن مواجهة شيبب بجنس العراق ، وشعر بالخطر يدهمه ، فبعث الى عبد الملك يستنجد بعساكر الشام . فأمده الخليفة بأربعة آلاف عليهم سفيان بن الابرذ الكلبى ، كما أمده بالفين آخرين عليهم حبيب بن عبد الرحمن الحكمي . وفي الوقت نفسه الذي كانت فيه عساكر الشام في طريقها اليه ، فان الحجاج التّف جيشا كبيرا من اهل الكوفة ، واستدعى عتّاب بن ورقاء الرياحي الذي كان يحارب الازارقة مع المهلب ، فجعله على هذا الجيش . وتوجه عتاب بهذا الجيش الجرار الى شيبب في المدائن ، فخرج اليه شيبب ومعه ستمائة رجل بعد ان تخلف عنه زهاء اربعمائة مسن اصحابه ، فالتقى عتّابا فهزم اهل الكوفة وقتل قائدهم عتاب . ويبدو ان هذه الموقعة كانت في اواخر صيف ٧٧ هـ / ايلول ٦٩٦ م (١١٦) .

بعد هزيمته لجيش عتاب ، عاد شيبب فتوجه ثانية الى الكوفة ، وعسكر في ناحية من نواحيها وابتنى مسجدا . فأخرج اليه الحجاج شرطه ومواليه وغلمايه ، فهزمهم شيبب جميعا (١١٧) . ثم ان عساكر الشام وصلوا الكوفة ، فشدّ بهم الحجاج أزره ، واستغنى بهم عن اهل الكوفة ، وسرعان ما خرج الحجاج بنفسه مع اهل الشام الى السبخة حيث تعسكر الخوارج . فتقاتل العسكران أشد قتال في سوق الكوفة ، واستمات خالد بن عتاب بن الوراق في القتال - الذي خرج في جماعة من الكوفيين - وتمكن من قتل مصاد اخي شيبب ، كما قتل زوجته غزالة . ولم يستطع شيبب الصمود امام شدة الهجوم ، فانهمز مع بعض اصحابه . فاتبه الحجاج بحبيب بن عبد الرحمن الحكمي في ثلاثة آلاف فارس من اهل الشام ، فسار في اثره حتى نزل الأنبار . فقاتلهم شيبب ، ولكنه لما يئس من التغلب عليهم انصرف عنهم ، فقطع دجلة الى ارض جوحى ، ومنها نحو واسط فالاهواز ، واستقر اخيرا في كرمان ليستريح من عناء الحروب المتواصلة (١١٨) .

ولكن الحجاج ما كان ليترك له مجالا للراحة والاستقرار ، فبعث اليه سفيان بن الابرذ بعد ان اعانه بأربعة آلاف رجل من اهل البصرة . فسار اليه ، فالتقاه بجسر دجيل الاهواز ، فكرّ عليهم شيبب واصحابه المرة تلو الاخرى . ثم زحف سفيان بجنده نحوهم . فلما يئس شيبب من النصر ، حاول ان يعبر

١١٥ - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٩٢ .

١١٦ - الطبري : تاريخ ، ٩٤٣/٨ وما بعدها .

١١٧ - الطبري : تاريخ ، ٩٥٧/٨ - ٩٥٨ . ابن الاثير : الكامل ، ٤٢٥/٤ - ٤٢٦ .

١١٨ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٢٦/٤ - ٤٢٨ . اليعقوبي : تاريخ ، ٢٧٥/٢ .

الجسر ، فسقط حصانه في النهر وغرق ، وكان ذلك في اواخر ٧٧ هـ / آذار ٦٩٧ م (١١٩) ، او في سنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ م (١٢٠) .

وفي رواية اخرى لابي مخنف ، ان جماعة من بين اصحابه كانت تضر له الحقد والعداوة لكثرة ما نال من ذوي قرياهم ، هم الذين تأمروا عليه وقطعوا جبال الجسر فأغرقوه (١٢١) . بينما يرى اليعقوبي ان اهل الشام هم الذين قطعوا الجبال بهدف القضاء عليه وتحقيق الانتصار (١٢٢) .

ويميل فلهوزن Wellhausen الى قبول رواية التآمر على حياته من قبل خونة من أتباعه ، ويراها اقرب الى التصديق من أسطورة سقوطه في النهر حين نزا حصانه على انثى كانت امامه (١٢٣) . ويستدل على ذلك من رواية جاء بها الطبري ، والتي يشير بها الى خلافات مذهبية وقعت بين اصحاب شبيب ، فاتهموا اميرهم بالخروج على احكام عقائدهم التي سنّها لهم رأس الصفريّة صالح بن المسرّح ، وفارقه لاجل ذلك اربعون فارسا من اشد اصحابه (١٢٤) .

ويلاحظ ان ابن الاثير بالرغم من اشارته لرواية التآمر على حياته التي اوردها الطبري ، الا انه لا يميل لقبولها ، ويرجح الرواية الاولى ، فهي عنده اصح واشهر (١٢٥) . ونحن بدورنا لا نجد سببا كافيا لرفضها ، فهي ممكنة الوقوع . ولعل ابا مخنف نفسه يميل لقبولها ، فهو يقدمها على خبر التآمر على حياته والخيانة من اصحابه ، ثم يراها حديث العامة . بينما الخبر الآخر ينسبه لناس من رهط شبيب (١٢٦) . فربما اراد هؤلاء القوم الذين اشاعوا هذه الرواية ، ان يحطوا من شأن الخوارج ارضاء لسامعيهم من المسلمين وابعادا لشبهة الخروج عنهم .

وقد يتعجب المرء لتلك الانتصارات الباهرة التي اصابها شبيب رغم قلة عدد جنده . ولكن قد يخفّ تعجبنا - ويبقى اعجابنا - اذا اضفنا الى شجاعته وجراته ، انه كان رجلا عسكريا فذا ، يحسن الكر والفر كما يحسن اختيار مواقع القتال واعتماد الغارات الصاعقة التي كانت تصيب عساكر اعدائه بالحرية والفرع ، وانه ربما كان يلقي المساعدة والعون من الناس - رهبة ورغبة - بعد ان تجنب

١١٩ - الطبري : تاريخ ، ٩٧٢/٨ - ٩٧٤ . ابن الاثير : الكامل ، ٤٣١/٤ - ٤٣٢ .

١٢٠ - اليعقوبي : تاريخ ، ٢٧٥/٢ . ويقول اليعقوبي ان امه وزوجته غرقتا معه .

١٢١ - الطبري : تاريخ ، ٩٧٥/٨ .

١٢٢ - اليعقوبي : تاريخ ، ٢٧٥/٢ .

١٢٣ - فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

١٢٤ - الطبري : تاريخ ، ٩٦٧/٨ .

١٢٥ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٣٢/٤ .

١٢٦ - الطبري : تاريخ ، ٩٧٦/٨ .

القتل والسبي والاستعراض (١٢٧) . وذكر بروكلمن Brockelmann ان النصراني كانوا يعطفون عليه وكان يبادلهم الحب بمثله (١٢٨) .
 اما ما ذكره بروكلمن Brockelmann من ان شبيبا كان من كبار قطاع الطرق فقد لا نوافق في وصفه هذا (١٢٩) . فلو كان همه كذلك لما رايناه المرة تلو المرة يحاول الاستيلاء على الكوفة مقر ولاية الحجاج في العراق .

خروج مطرف بن المغيرة :

كان الحجاج قد استعمل مطرف بن المغيرة على المدائن ، فأحسن السيرة بأهلها . فلما خرج شبيب وسار في طريقه الى المدائن ، استنجد مطرف بالحجاج ، فأمد به بعض العساكر ، فقطع الجسر الذي يصل بين بهرسير (١٣٠) التي نزل فيها شبيب وبين المدائن . ثم أرسل الى شبيب طالبا اليه ان يعث بعض اصحابه لينظر فيما يدعون اليه . فلما جاؤوه سألهم عن دعوتهم ، فقالوا : «ندعو الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وان الذي نقمنا من قومنا الاستئثار بالفئء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية» (١٣١) . فاستجاب مطرف لدعوة هؤلاء الخوارج بعد ان اعجب بدعوتهم الى الشورى . ثم استشار اصحابه وعرض عليهم رأيه بخلع عبد الملك والحجاج والدعاء الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون الامر شورى بين المسلمين ، فتبعه بعضهم وخالفه آخرون . وخرج مطرف بمن وافقه وسار نحو حلوان ، واصطدم هناك بواليها سويد بن عبد الرحمن السعدي . وقد أمده اخوه حمزة بن المغيرة (عامل الحجاج على همدان) بالمال والسلاح سرا ، فمضى مطرف حتى بلغ قم (١٣٢) وقاشان ، وارتفع امره هناك ، فبعث عماله على تلك المناطق (١٣٣) .
 حينذاك أرسل البراء بن قبيصة (عامل الحجاج على اصبهان) بخبر مطرف الى الحجاج ، فأرسل اليه الحجاج مددا سريعا ، كما كتب الى عامله على الري عدي بن زياد لمؤازرته ونجده . فاجتمعوا في ستة آلاف رجل بامر عدي .

-
- ١٢٧ - الملطي : التنبيه والرد ، ص ٥١ - ٥٢ .
 ١٢٨ - بروكلمن : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٤٤ .
 ١٢٩ - بروكلمن : تاريخ ، ص ١٤٤ .
 ١٣٠ - بهرسير : من نواحي سواد بغداد قرب المدائن (ياقوت : معجم البلدان) .
 ١٣١ - الطبري : تاريخ ، ٩٧٩/٨ - ٩٨٤ .
 ١٣٢ - قم وقاشان : مدينتان فارسيتان تذكرا معا ، وهما قرب اصبهان (ياقوت : معجم البلدان) .
 ١٣٣ - الطبري : تاريخ ، ٩٨٤/٣ وما بعدها .

وخشية ان يمد حمزة بن المغيرة اخاه ، فقد عزله الحجاج عن ولاية همدان ، ثم سار عدي بن زياد الايادي والبراء بن قبيصة الى مطرف ، فدار قتال شديد ، انهزمت على اثره الخوارج ، وقتل فيه مطرف في كثير من اصحابه (١٣٤) .
واذا كان الحجاج والمهلب - بما اوتيا من بأس وجلد - قد استطاعا القضاء على الازارقة والصفرية معا ، وأخمدا حركة الخوارج ، فلم يسمع بخروجهم طوال عهد عبد الملك ، واذا كانت الخوارج قد انكسرت شوكتها العسكرية ، وخسرت حروبها في هذا العهد ، فان التصميم العنيد الذي ابدوه في القتال ، والشجاعة النادرة التي اظهرها قادتهم عند اللقاء ، لا بد ان تعطي ثمارها في جولات قادمة .

ومرة اخرى يراودنا العجب وتتساءل ثانية ، كيف ان ازارقة الخوارج وصفريتهم ، كانتا تشنان حربا مصيرية مع عدو مشترك في وقت واحد - تقريبا - من غير ان نجد دليلا كافيا على التنسيق بينهما ؟ فلعل الخلافات المذهبية بين زعماء الخوارج كانت قد بلغت حدا لم يعد معه التعاون الحربي امرا ممكنا . فصارت كل فرقة تعمل للوصول الى اهدافها بطريقتها الخاصة .

١٣٤ - الطبري : تاريخ ، ٩٩٤/٨ وما بعدها . ابن الاثير : الكامل ، ٤٣٥/٤ - ٤٣٦ . وزعم للحجاج فيما بعد ، ان مطرفا ليس بولد للمغيرة بن شعبة فهو ابن مصقلة بن سبرة الشيبانسي ، فكان كلاهما يدعيه ، فالحق بالمغيرة (ابن الاثير : الكامل ، ٤٣٧/٤) .

الفصل الرابع

الخوارج بعد عبد الملك بن مروان

أخذ الحجاج حركة الخوارج وكسر شوكتهم ، فركنوا الى الهدوء ولم يرفعوا رؤوسهم لسنوات طويلة . فمهد بذلك للوليد بن عبد الملك (٨٦ هـ / ٧٠٥ م - ٩٦ هـ / ٧١٤ م) مجال الاستقرار ، وأتاح له الجو الملائم لاستئناف الفتوحات الإسلامية ، حتى بلغت رقعة الدولة الإسلامية في عهده اطراف اوروبا والهند (١) . وفي عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ هـ / ٧١٤ م - ٩٩ هـ / ٧١٧ م) كانت الخوارج ما تزال تلتزم جانب الحذر والسكينة . وكان سليمان من جهته لا يتشدد معهم ويكتفي بحبسهم كي لا يعودوا الى الخروج والثورة ، ولكن من كان منهم يتجاوز حدود السلطان كان يأمر بضرب عنقه (٢) .

-
- ١ - ابن الاثير : الكامل ، ٥٣٦/٤ ، ٥٥٦ . ولم تذكر الاخبار شيئاً عن خروج الخوارج خلال هذه الفترة ، الا ما ذكر عن خروج داود بن عقبة العبدي في سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م في البصرة . فبعث اليه عاملها مروان بن المهلب خيلاً فقتلته وأصحابه (الميون والحدائق ، ٣/٣٦) .
 - ٢ - السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٥٩ . ابن الجوزي : سيرة ، ص ٣٩ .

الخوارج وعمر بن عبد العزيز (٩٩ هـ / ٧١٧ م - ١٠١ هـ / ٧١٩ م) :

خالف سليمان بن عبد الملك سنة أسلافه من خلفاء بني أمية ، فلم يجعل الخلافة في بيته ولا في أبناء عبد الملك ، بل نقلها الى ابن عمه . فأوصى بهسا لعمر بن عبد العزيز الذي استخلف لعشر مضي من صفر سنة ٩٩ هـ / ٢٢ ايلول ٧١٧ م (٢) .

شهر عمر بتقواه ، فقد كان رجلا فاضلا وتابعيا جليلا (٤) . فنصّب نفسه لرد المظالم ، فبدأ بأقربائه وأوقفهم عند حدود الحق والعدل (٥) .

ويبدو ان عمر لم يكن يرى اللجوء لسياسة القسوة والعنف مع الخوارج قبل توليه سدة الخلافة . فقد ذكر ان الحجاج اعتقل حروريا من بكر وائل ، فسأله عن معاوية ويزيد وعبد الملك ، فسبّهم سبّا قبيحا . وحين سأله عن امير المؤمنين حينذاك ، قال له : «أجورهم حين ولّاك» . فسكت الحجاج عنه ، وبعث به الى الوليد . فأدخل عليه وهو في اشراف اهل الشام ، وفيهم عمر بن عبد العزيز . فلما سأل الوليد الرجل الخارجي عما نسب اليه ، لم ينكسر الخارجي قوله ، بل اعاده وكرره . فأمر الوليد بضرب عنقه . فخالفه عمر في اجتهاده ، وأحب ان يسجنه او يعفو عنه (٦) .

وقد بدا عطف عمر على الخارجة في ايام سليمان بن عبد الملك ايضا ، فقد كان ينهاه عن قتل الحرورية ويقول له : «ضمنهم الحبوس حتى يحدثوا توبة» . وحين شتم احد الخوارج الخليفة سليمان ، استفتى عمر بأمره ، فأشار عليه بشتمه كما شتمه ، فلم يأخذ برايه وضرب عنقه (٧) .

واستمر عمر بن عبد العزيز بسياسة التساهل مع الحرورية في عهد خلافته . فقد ذكر ابن الجوزي ان ناسا منهم ادخلوا على عمر وهو امير المؤمنين ، فأشار عليه بعض جلسائه ان يرعبهم ويرمي الرهبة في نفوسهم ، فلم يأخذ برايمهم ، بل رفق بهم ورزقهم ، وقال لبعض اصحابه : «يا فلان اذا قدرت على دواء تشفي به صاحبك دون الكي ، فلا تكيه ابدأ» (٨) .

وقد بدا من سياسة عمر مع الخوارج انه كان يرى فيهم ناسا ضلّوا فضلوا ، وانهم كانوا ييغون الحق فأخطأوا سبيله . فكان لا بد من اقامة الحجّة عليهم وانارة عقولهم واستمالة قلوبهم . ومن طريف ما جرى بينه وبينهم تلك المحاورّة

٣ - الطبري : تاريخ ، ١٢٤٠/١ .

٤ - السمودي : التنبيه ، ص ٢٧٦ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٩٢/١ .

٥ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٣٣١ .

٦ - ابن عبد الحكم : سيرة عمر ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

٧ - ابن الجوزي : سيرة ، ص ٣٩ .

٨ - ابن الجوزي : سيرة ، ص ٦٢ .

التي بداها رجلان من الحرورية ، جاءا يستوضحانه بعض الامور ويطلبان اليه ان يلتزم الحق في سلطانه (٩) .

وهكذا فقد ظن عمر انه باحسانه الى هؤلاء القوم قد يتألفهم ويردهم الى جادة الصواب . ولكن خاب ظنه فيما بعد ، ولم تفلح سياسة التساهل معهم ، فقد خرجوا عليه في العراق . ورغم ذلك ، فقد كتب الى عامله هناك الا يهيجهم وان يدعوهم الى الالتزام بحدود الله (١٠) . وفي الوقت نفسه ارسل كتابا للخوارج يذكرهم فيه بآيات الله التي تحرم عليهم انتهاك الحرمات وسفك الدماء ، وختمه متوعدا : «وانني اقسم لكم بالله لو كنتم ابكاري من ولدي ، فوليتم عما ادعوكم اليه من الحق لدفقت دماءكم ، التمس بذلك وجه الله والدار الآخرة» . فلم يلتزموا بما امر ، ولم يأبهوا بتهديده لهم ، فحلقوا رؤوسهم وأصروا على القتال (١١) .

حينذاك أهدر عامله على العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، فبعث اليهم جيشا لمحاربتهم ، ولكنه لم يستطع الصمود امامهم فهزموه . فلما وصلت انباء الهزيمة الى عمر وجه اليهم مسلمة بن عبد الملك في جيش من اهل الشام فانتصر عليهم وشتت شملهم (١٢) .

ويذكر راوية الطبري معمر بن المثنى الخارجي ان الذي خرج في عهد عمر بن عبد العزيز هو شوذب (بسطام) . فقد خرج في ثمانين فارسا جلهم من ربيعة

٩ - ابن عبد الحكم : سيرة ، ص ١٧٣ . دخل رجلان من الخوارج على عمر بن عبد العزيز ، فقالا : «السلام عليك يا انسان . فقال : وعليكما السلام يا انسانان . قالا : طاعة الله أحق ما اتبعته . قال : من جهل ذلك ضل . قالا : مال الله يقسم على اهله . قال : الله بيئن في كتابه تفصيل ذلك . قالا : تمام الصلاة لوقتها . قال : هو من حقها . قالا : انا بعثنا اليك . قال : بلئنا ولا تهابا . قالا : ضع الحق بين الناس . قال : الله امر به قبلكما . قالا : لا حكم الا لله . قال : كلمة حق ، ان لم تبتغوا باطلا . قالا : اتتمن الامناء . قال : هم أعواني . قالا : احذر الخيانة . قال : السارق محذور . قالا : فالخمر ولحم الخنزير . قال : اهل الشرك أحق به . قالا : فمن دخل في الاسلام فقد آمن . قال : لولا الاسلام ما أمنا . قالا : اهل عهود رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : لهم عهودهم . قالا : لا تكلفهم فوق طاقتهم . قال : «لا يكلف الله نفسا الا وسعها» . قالا : ذكرنا بالقرآن . قال : «واقفوا يوما ترجمون فيه الى الله» . قالا : تردنا الى من ارسلنا . قال : ما أحبسكما . قالا : فما نقول لاخواننا ؟ قال : ما رأيتما وسمعتما . قالا : تردنا على دواب البريد . قال : لا ، هو من مال الله لا يطيب لكما . قالا : فليس منا نفقة . قال : انما اذن ابنا سبيل علي نفقتكما» .

١٠ - ابن عبد الحكم : سيرة ، ص ١٣٩ .

١١ - ابن الجوزي : سيرة ، ص ٧٨ .

١٢ - الطبري : تاريخ ، ١٣٤٧/٩ - ١٣٤٨ .

بأرض جوخي (١٣) ، فأرسل اليه عمر يدعوه الى المناظرة ، فبعث اليه بسطام برسولين : احدهما ممزوج مولى بني شيبان ، والآخر من صليبة بني يشكر (١٤) . بينما يرى صاحب العقد ان شوذبا كان احد الرسولين (١٥) . ولعل مضمون هذه المناظرة لا يختلف كثيرا عما دار بين أسلافهم وبين عبد الله بن الزبير من قبل ، الا بما اضافوه من مديح لعمر ، حين شهدا له بالسيرة الحميدة وتحريتي العدل في الاحكام . فانهما عادا فاشترطا عليه ان يبرأ من اهل بيته السالفين وان يصب عليهم اللعنات بما فعلوا (١٦) . فلم يستجب عمر لشرط الخوارج هذا ، ثم ذكرهم بشنع أسلافهم يوم كانوا يستعرضون الناس وييقرون بطون الحوامل ويلقون الاطفال في القدر وهي تفور ، ومع ذلك لا يلعنونهم ولا يتبرأون منهم ، فكيف يريدون منه ان يلعن آباءه وأجداده وقد كانوا من المصلين الصائمين ! وخلص الى القول في الخوارج : «انكم قوم جهئال ، اردتم امرا فأخطأتموه ، فانتم تردون على الناس ما قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم» . فلما انتهى عمر مقالته ، قال مولى بني شيبان لعمر : «ما سمعت كاليوم حجة أبين وأقرب مأخذا من حجتك ، اما أنا فأشهد أنك على الحق ، وانا بريء ممن برىء منك» . فأقام هناك وأمر له عمر بعطائه . واما الشيباني فعاد الى أصحابه ليعرض عليهم ما سمعه من امام المسلمين ، فقتل معهم بعد موت عمر (١٧) .

وفي رواية اخرى لأبي عبيدة (معمر بن المثنى) ان الرسولين اخذا على عمر اقراره بيزيد بن عبد الملك على الخلافة من بعده ، فكان رده عليهما بأن غيره صيِّره وليا للعهد . فلما اخبراه ان الخلافة امانة يجب ان توضع في مكانها الامين ، وان عليه تأدية الامانة الى اهلها ، فقال لهما : «انظراني ثلاثا» ، فحشي بنو مروان ان يخلع يزيدا فيخرج الامر منهم ، فكان ذلك سببا لمقتله (١٨) .

وكما لاحظ فان فلوتن Van Vloten فقد وجدت الخوارج منذ عهد عمر متنفسا لاستعادة نشاطها الفكري وبسط آرائها ، فجعلوا من انفسهم حماسة للضعفاء والمضطهدين ، وحربا على ذوي السلطان من المستبدين (١٩) . ولعلمهم ارادوا بذلك ان يقودوا حركة المعارضة حينذاك، وذلك بهدف تكتيل الناس حولهم،

-
- ١٣ - بينما يقول ابن خلدون انه خرج في مائتين من الرجال (تاريخ ، ٣/٢٤٥) .
 ١٤ - الطبري : تاريخ ، ٩/١٣٤٨ - ١٣٤٩ . ابن الاثير : الكامل ، ٥/٤٨ .
 ١٥ - ابن عبد ربه : العقد ، ٢/٤٠١ .
 ١٦ - السعدي : مروج ، ٣/١٢٦ .
 ١٧ - ابن عبد ربه : العقد ، ٢/٤٠١ . السعدي : مروج ، ٣/١٢٦ - ١٢٧ . ابن عبد الحكم : سيرة ، ص ١٣٠ . ابن الاثير : الكامل ، ٥/٤٦ - ٤٨ .
 ١٨ - الطبري : تاريخ ، ٩/١٣٤٩ .
 ١٩ - فان فلوتن : السيادة العربية ، ص ٧٢ .

الخوارج في عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١ هـ / ٧١٩ م - ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م) :

توفي عمر بن عبد العزيز ، وتولى الخلافة من بعده يزيد بن عبد الملك (٢٠) . فاحب عبد الحميد بن عبد الرحمن امير الكوفة ان ينال الحظوة لدى الخليفة الجديد ، فأمر قائده محمد بن جرير بقتال شوذب قبل ان يعود رسولا الخوارج اللذان ارسلنا لمناظرة امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز . فلما استأنف جيش الكوفة القتال ، ادرك شوذب وأصحابه ان امير المؤمنين في دمشق قد أصيب بمكروه . فبادروا الى الحرب وهزموا الكوفيين ، ثم طاردوهم الى جوار الكوفة بعد ان جرحوا قائدهم .

أقر يزيد عبد الحميد على الكوفة ، فأخذ يوجه العساكر تلو العساكر وتهمهم الخوارج . فلما جاء مسلمة بن عبد الملك (عامل يزيد على العراق) الى الكوفة ، شكا اليه الناس خوفهم من شوذب وأصحابه . فجهز جيشا كبيرا وأمر عليه سعيد بن عمرو الحرشي ، الذي جاء الخوارج بعساكر لا قبل لهم بها ، فقتلوا عن آخرهم ، كما قتل بسطام وفرسانه (٢١) . فادت هذه الهزيمة الى ضعف أمر الخوارج لسنوات لاحقة (٢٢) .

وفي أواخر عهد يزيد ظهر حروري آخر اسمه عتقان ، فقد خرج في ثمانين رجلا . فأراد يزيد ان يرسل له من يقاتله ، فنصحه بعض الناس الا يفعل ذلك خشية ان تتخذ الخوارج من مكان قتله دار هجرة يأتونه . وبدلا من ذلك فقد اشاروا عليه ان يبعث لكل خارجي منهم رجلا من قومه يحاول رده وورده . ونجحت الخطة حين انفض أتباع هذا الخارجى عنه ، وبقي عتقان وحيدا حتى جاءه اخوه ، فاستعطفه وأعاده ، فحسنت سيرته ، وولاه هشام بن عبد الملك على الصدقة طوال خلافته (٢٣) .

ويروي ابن الاثير في أخبار ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م ان مسعود بن ابي زينب العبدي خرج على الاشعث بن عبد الله بن الجارود في البحرين ، ثم سار منها الى اليمامة وعليها سفيان بن عمرو العقيلي من قبل عمر بن هبيرة . فخرج اليه سفيان ، وكان قتالا شديدا قتل على اثره مسعود الخارجى ، فتولى أمر الخوارج من بعده هلال بن مدلاج ، فقاتلهم حتى قتل واستأمن أتباعه . ويقال ان مسعودا

٢٠ - الذهبي : العبر ، ١٢٠/١ . الطبري : تاريخ ، ١٣٦١/٨ .

٢١ - الطبري : تاريخ ، ١٣٧٦/٨ وما بعدها . العيون والحدائق ، ص ٦٤ .

٢٢ - ابن خلدون : تاريخ ، ٣٤٨/٣ .

٢٣ - ابن الاثير : الكامل ، ١١٨/٥ .

هذا سيطر على البحرين واليمامة زهاء تسع عشرة سنة (٢٤) .

الخوارج في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ هـ / ٧٢٣ م - ١٢٥ هـ / ٧٢٤ م) :

خلدت الخوارج مرة ثانية الى السكون ، فلم تحرك ساكنا لسنوات طويلة ولم يسمع بخروجهم منذ تولى هشام خلافة المسلمين ، الا ما كان من امر عبد الرزيقي الذي خرج محكما في اليمن ، فقتله يوسف بن عمر وقتل معه اصحابه الثلاثمائة (٢٥) .

ولكن ذلك لا يعني ان الخوارج تخلتوا عن الثورة للوصول الى الحكم . ففي ١١٩ هـ / ٧٣٧ م خرج في جهات الموصل بهلول بن بشر الشيباني الملقب بكثارة . ويزعم ابو عبيدة معمر بن المثنى ان كثارة كان في طريقه الى الحج ، فأمر غلاما له ان يتتبع له خلافاً ، فأعطاه صاحب الدكان خمرا . فلما حاول بهلول ان يردّه الى صاحبه ، رفض التاجر ذلك ، فشكاه الى عامل القرية فلم ينصفه ، فصمم على الخروج (٢٦) .

لعل ما ذكره ابو عبيدة كان سببا مباشرا للاسراع في الخروج ، اذ لم يكن يعوز كثارة مثل هذه الحادثة العارضة ليعلم سخطه على الحكام وعمالهم ، فقد كان يزعم - من قبل - ان خالدا القسري عامل هشام على العراق يهدم المساجد ويولي الجوس على المسلمين ويسمح لاهل الذمة بزواج المسلمات (٢٧) .

اتعد بهلول بأصحابه الاربعين فالتقوا في احدى قرى الموصل ، فأمرّوه عليهم ، ثم مروا بتلك القرية التي ابتاعوا الخل منها خمرا ، فقتلوا عاملها . فلما علم خالد القسري بأمرهم خرج من واسط الى الحيرة ، فوجه اليهم جندا كانوا في طريقهم الى الهند بعد ان ضم اليهم مائتين من شرط الكوفة . فالتقوا الخوارج على الفرات ، وهناك دارت الدائرة على جيش خالد ، وانهزمت عساكره الى الكوفة وأصحاب بهلول يطاردونهم (٢٨) .

ثم استفحل امر بهلول ، وكثر أتباعه ، فعزم على التوجه الى هشام في الشام . فأدرك خالد وأدرك هشام معه خطورة الموقف ، فوجها اليه العساكر من العراق والجزيرة والشام ، وتجمعت له هذه الجند في مكان بين الجزيرة والموصل . ولما التقى العسكران ، لم تستطع الخوارج الصمود في وجه تلك

٢٤ - ابن الاثير : الكامل ، ١١٨/٥ - ١١٩ .

٢٥ - الطبري : تاريخ ، ١٤٨٧/٩ .

٢٦ - الطبري : تاريخ ، ١٦٢٢/٩ . ابن الاثير : الكامل ، ٢٠٩/٥ - ٢١٠ .

٢٧ - الطبري : تاريخ ، ١٦٢٢/٩ . ابن الاثير : الكامل ، ٢١٠/٥ .

٢٨ - الطبري : تاريخ ، ١٦٢٤/٩ . ابن الاثير : الكامل ، ٢١٠/٥ .

الجموع الكاثرة ، فقاتل بهلول حتى قتل . وكان قد اوصى بامارة المؤمنين من بعده الى دعامة الشيباني ، ومن بعده الى عمرو الشكري ، ولكن دعامة تخلى عن اصحابه وهرب ، فتولى امرهم عمرو الشكري الذي ما لبث ان قتل (٢٩) .
ولعل كثارة كان اخطر الخارجين طوال عهد هشام بن عبد الملك ، فان خروج الآخرين منهم لم يكن ذا شأن كبير (٣٠) .

الخوارج في اواخر العهد الاموي :

لم يكن خروج الخوارج في العراق في اواخر العصر الاموي بذي خطر شديد على خلافة بني امية قبل ولاية مروان بن محمد ، فقد كانوا يخرجون في جماعات قليلة العدد لا تستطيع الصمود طويلا امام جيوش جرارة تلاحقها من مكان لآخر . ولكن حين جاءت بداية النهاية ، واصبحت الدولة الاموية على وشك التدهام من داخلها ، انتهزت الخوارج انشغال الناس بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك في جمادى الآخرة من ١٢٦ هـ / اواخر آذار ٧٤٤ م وما تلاه من فتنة خطيرة بين الناس ، فخرج سعيد بن بهدل الشيباني الحروري في مائتين من الرجال (٣١) .

- ٢٩ - الطبري : تاريخ ، ١٦٢٥/٩ - ١٦٢٧ . ابن الاثير : الكامل ، ٢١١/٥ - ٢١٢ .
٣٠ - فقد خرج على خالد القسري العنزي صاحبه الاشهب ، وكان في ستين رجلا ، فبعث اليه خالد السعطي بن مسلم البجلي في اربعة آلاف ، فالتقاهم ناحية الفرات ، ولكن لم تلبث ان انهزمت الحرورية ، فلتقاهم عبيد اهل الكوفة فقتلوهم بالحجارة (الطبري : تاريخ ، ١٦٢٧/٩ - ١٦٢٨) . كما خرج وزير السخيتاني على خالد بالحرية ، فاخذ يستعرض الناس ويقتلهم ، ولا يمر في قرية الا احرقها . فوجه اليه خالد جندا قتلوا اصحابه واخذوه بالجراح . فلما جاء به الى خالد واستمع الى حلاوة حديثه استبقاه واتخذه سمرا له . فسمي به الى هشام ، فارسل اليه وامره بقتله ، فامتثل خالد لامره (الطبري : تاريخ ، ١٦٢٨/٩) . وفي اواخر ١١٩ هـ / ٧٣٧ م خرج الصحاري بن شبيب بجبيل ، فقد زعم لاصحابه انه انما خرج ليتوصل الى خالد ليقبله بقتل احد قعدة الصفرية . فاستجاب له نفر من تيم اللات بن ثعلبة ، فبايعه ثلاثون منهم ، فخرج بهم . فلما علم خالد بامره بعث اليه جندا قتلوه مع جميع اصحابه . (الطبري : تاريخ ، ١٦٣٣/٩ - ١٦٣٤) . ومن الذين خرجوا في ايام هشام ايضا : رجل اسمه صبيح كان مع اربعمائة من الرجال خرجوا في نواحي سجستان ، وقد اعتقل وسيّر الى خالد فقتله (الميون والحدائق ، ١٠٨/٣) . كما خرج خالد الخارجي بنواحي هراة ، وانضم اليه جمع كبير من الناس ، وكان لا يأتي قرية الا افندوا منه بالمال ، ثم مات من جراح اصابته (الميون والحدائق ، ١٠٨/٣) . اما في اليمن فقد خرج عباد المعافري ، ولم يزل باليمن الى ان ولي يوسف بن عمر فقتله (الميون والحدائق ، ١٠٩/٣) .
٣١ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٥/١٠ . ابن الوردي : تاريخ ، ص ٢٥٠ .

وكان مخرجه بأرض كفتوثا (٢٢) ، وقضى في طريقه الى الكوفة على خارجي آخر هو بسطام البيهسي الذي كان قد خرج في جمع من ربيعة . ولكن لم يتح لابن بهدل الوصول الى هدفه ، فقد مات من طاعون أصابه وهو في طريقه الى الكوفة ، وكان قبل موته قد استخلف الضحاك بن قيس الشيباني على الخوارج (٢٣) .

ثم ان انقسام البيت الاموي على نفسه شجع الضحاك على استئناف المسير ، خصوصا بعد ان اجتمعت عليه الصفرية حتى صار تحت رايته زهاء اربعة آلاف رجل (٢٤) . فسار نحو الكوفة ، وعليها يومئذ النضر بن سعيد الحرشي ومعه المضرية ، كما كان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على الحيرة ومعه اليمانية ، وكان اذ ذلك قد عزله مروان وامتنع فيها . فاجتمعا على مقاومة الضحاك ، فهزمهما الضحاك في رجب ١٢٧ هـ / نيسان ٧٤٥ م ، واستحوذ على الكوفة وجبى ارض السواد . ثم استخلف ملحان بن معروف الشيباني على الكوفة ، ومضى فحاصر ابن عمر في واسط حتى اضطره الى الرضوخ ، فبايع له عبد الله بن عمر (٢٥) .

اما سليمان بن هشام بن عبد الملك فانه كان قد هرب من مروان والتحق بعبد الله بن عمر ، وبايع للضحاك ايضا ، واصطلحا معه على اقتسام ارض السواد ، فقال شاعر الخوارج (٢٦) :

الم تر ان الله اظهر دينه فصلت قريش خلف بكر بن وائل

وهكذا غلب الضحاك على العراق ، ولم يتمكن احد من الخوارج عليه قبله ولا بعده (٢٧) .

ولما كان النضر الحرشي في طريقه الى الشام اعترض سبيله ملحان الشيباني في قلة من الشراة ، فجرى قتال قتل فيه ملحان . فلما بلغ الضحاك مقتل عامله على الكوفة ، استعمل مكانه المثنى بن عمران من بني عائدة ، واخذ طريقه الى الموصل حيث استدعاه اهلها ليمنكوه منها ، وذلك بعد ان عظم امره وقويت شوكته واجتمع اليه اكثر من مائة الف رجل (٢٨) .

٢٢ - كفتوثا : قرية كبيرة من اعمال الجزيرة ، ينسب اليها قوم من اهل العلم (ياقوت : معجم البلدان) .

٢٣ - الطبري : تاريخ ، ١٨٩٧/٩ - ١٨٩٨ .

٢٤ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٣٥/٥ .

٢٥ - الطبري : تاريخ ، ١٨٩٩/٩ وما بعدها .

٢٦ - الطبري : تاريخ ، ١٩١٣/٩ . ابن الاثير : الكامل ، ٣٤٨/٥ .

٢٧ - المسعودي : التنبيه ، ص ٢٨٢ .

٢٨ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٤٩/٥ . الطبري ، ١٩١٤/٩ ، ١٩٣٩ .

اما مروان فقد احاطت به الاحداث الجسام من كل جانب ، فاهل مصر كانوا قد خلعوه واضطر لاختضاعهم ، وفي العراق انقسم عماله هناك فحارب بعضهم بعضا ، ثم خالفة اهل حمص وخلعوا طاعته (٢٩) . وفي تلك الاوقات العصبية تأتية اخبار استيلاء الضحاك على الموصل وقتله لعامله عليها وطموحه في المسير الى الشام . فارتعدت فرائضه ووجه اليه ابنه عبد الله (عامله على الجزيرة) ليمنعه من التقدم صوب حاضرة الخلافة . فالتقى في نصيبين (٤٠) ، وسرعان ما القى عليها الضحاك الحصار ، ثم أرسل قسما من عساكره للاستيلاء على الرقة ، فبعث اليهم مروان من رحلهم عنها (٤١) .

ولم يجد مروان بدا في النهاية من التوجه بنفسه لملاقاة هذا الخارجي العنيد . فسار اليه ، والتقى به بين كفر توثا ورأس العين من ارض الجزيرة (٤٢) ، فدارت معركة شديدة هزمت فيها الخوارج وقتل الضحاك ، وكان ذلك في ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م (٤٣) .

بعد مقتل الضحاك بايعت الخوارج الخيبري الشيباني ، فحمل بعدد مسن اصحابه على مروان واضطروه للهرب خارج معسكره ، ولكن عساكر الشام كرت عليه فقتلوه وقتلوا اصحابه معه . فتولى امر الخوارج من بعده شيبان الحروري، وانحاز من بقي منهم اليه (٤٤) .

بعد اجتماع الخوارج على شيبان اشار عليهم سليمان بن هشام - الذي كان قد اصهر الى شيبان وتزوج اخته - بالانصراف الى الموصل ليتخذوها مقرا لهم، فانتقلوا الى هناك (٤٥) . فلحق بهم مروان وخذق في جوارهم شرقي دجلة ، فكانوا يقتتلون كل يوم قرابة سنة من الزمن (٤٦) .

وفي الوقت نفسه أمر مروان قائده يزيد بن عمر بن هبيرة بالمسير الى خوارج العراق بجند كثيف من اهل الشام واهل الجزيرة . فسار الى الكوفة وعليها يومئذ المثنى بن عمران من عائدة قريش ، فوصلها في شهر رمضان من ١٢٩ هـ /

-
- ٣٩ - المسعودي : التنبيه ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .
 ٤٠ - نصيبين : مدينة على طريق القوافل من الموصل الى الشام تقع في الجزيرة (باقوت : معجم البلدان) .
 ٤١ - الطبري : تاريخ ، ١٩٣٨/٩ - ١٩٣٩ .
 ٤٢ - المسعودي : مروج ، ١٧٠/٢ .
 ٤٣ - الطبري : تاريخ ، ١٩٣٩/٩ - ١٩٤٠ . ابن الاثير : الكامل ، ٣٤٩/٥ . وفي قول آخر في ١٢٩ هـ / ٧٤٦ م (المسعودي : التنبيه ، ص ٢٨٢) .
 ٤٤ - الطبري : تاريخ ، ١٩٤١/٩ . ويزعم ابن الاثير ان شيبان رغم انصراف الكثيرين عنه ، فقد بقي في نحو اربعين الفا (الكامل ، ٣٥٣/٥) .
 ٤٥ - الطبري : تاريخ ، ١٩٤١/٩ .
 ٤٦ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٩/١٠ . الطبري : تاريخ ، ١٩٤٤/٩ .

ايار ٧٤٧ م ، وهزم الخوارج ودخل الكوفة ، كما هزم نجدة خارجية بعث بها شيبان ، واخذ ابن هبيرة يطارد الخوارج وظفر بهم في وقعات عديدة (٤٧) .
 اما مروان فانه حين عجز عن قهر خوارج الموصل بمن معه من العساكر ، امر قائده ابن هبيرة ان يسيّر اليه قسما من جنوده ، فبعث اليه عامر بن ضبارة في اربعة آلاف من الجنود ، فاعترضت سبيله سرية من الخوارج عليها الجون بن كلاب الشيباني ، ولكنه في النهاية استطاع ان يهزمهم وان يقتل قائدهم ابن كلاب (٤٨) .

فلما انتهى خبر مقتل الجون الى شيبان ومسير ابن ضبارة اليه ، أدرك وقوعه بين فكين . فمروان امامهم وابن ضبارة من خلفهم ، فأشار عليهم سليمان بن هشام بالرحيل من مواقعهم ، فساروا الى الاهواز ، فأمر مروان ابن ضبارة بمطاردتهم في كل مكان . فلحق بهم وأدركهم بجيرفت من ارض كرمان ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، انهزمت على اثره الخوارج ، وهرب شيبان الى سجستان فهلك بها ، وذلك في ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م (٤٩) .

خروج الإباضية :

كان على مروان بن محمد ان يواجه خطر الخوارج مرة اخرى في أشد المواطن حساسية وأهمية من البلاد الاسلامية ، اذ ظهوروا هذه المرة في ارض الاسلام الاولى وفي قلب الجزيرة العربية ذاتها . فقد كان ابو حمزة (٥٠) الخارجي يوافي الحج ، فيدعو الى الخروج ، سعيا وراء التخلص من مروان وآل مروان . فالتقى في أواخر ١٢٨ هـ / ايلول ٧٤٦ م عبد الله بن يحيى الكندي ، وكان إباضي المذهب ، فدعاه عبد الله الى قومه في حضرموت (٥١) ، وهناك بايعه ابو حمزة اميرا للمؤمنين (٥٢) .

٤٧ - الطبري : تاريخ ، ١٩٤٤/٩ - ١٩٤٦ .

٤٨ - الطبري : تاريخ ، ١٩٤٧/٩ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٩/١٠ .

٤٩ - الطبري : تاريخ ، ١٩٤٧/٩ - ١٩٤٨ . وفي رواية اخرى للطبري ان شيبان سار الى عمان ، فقتل هناك (تاريخ ، ١٩٤٩/٩) . بينما يقول ابن كثير ، وهلك شيبان بالاهواز (البداية والنهاية ، ٢٩/١٠) . وفي رواية ثالثة للطبري ، ان ابا مسلم الخراساني ارسل الى شيبان بن سلمة الحروري يدعوه الى البيعة له ، فرد عليه شيبان بدعوته الى بيعته ، فبعث له ابو مسلم من قنله في سرخس (تاريخ ، ١٩٩٦/٩) .

٥٠ - هو المختار بن عوف الأزدي السلمي من اهل البصرة (الاصفهاني : الاغانى ، ٩٩/٢٠) .

٥١ - حضرموت : ناحية في شرقي عدن بقرب البحر (ياقوت : معجم البلدان) .

٥٢ - الاصفهاني : الاغانى ، ٩٩/٢٠ .

وذكر الاصفهاني ان عبد الله بن يحيى كان رجلا عابدا مجتهدا فدعا اصحابه الى الخروج من ديار الظلم ، اذ لا يجوز البقاء والصبر على جور عمال بني امية . فكتب الى زعماء الاباضية في العراق يشاورهم في الامر ، فاذا هم اكثر شوقا للخروج منه ، فقد كتبوا اليه يقولون : «ان استطعت الا تقيم يوما واحدا فافعل ، فان المبادرة بالعمل الصالح افضل ، ولست تدري متى يأتي عليك اجلك» (٥٢) . ثم جاءه ابو حمزة الخارجي وبلج بن عقبة السقوري في جمع من الاباضية ، فشجعوه على الخروج ايضا . فاستجاب لهم وقصد دار الامارة في حضرموت ، فطرد عاملها واستولى على الامر هناك (٥٤) .

ولما اشتد امر عبد الله بن يحيى اطلق عليه اصحابه لقب «طالب الحق» ، وخطبوه بامرة المؤمنين (٥٥) ، بينما دعاه خصومه الاعور (الدجال) (٥٦) . وحين شعر امير الخوارج بقوته تزداد وبسلطانه ينتشر ، كتب الى اصحابه في صنعاء يعلمهم بانه في طريقه اليهم . ثم استخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي ، وقصد صنعاء في الفين من رجاله ، وذلك في ١٢٩ هـ / ٧٤٦ م . فخرج عامل صنعاء لمروان للاقاته ، فالتقاه بلحج (٥٧) . ولكنه ما لبث ان انهزم امام جموع الاباضية ، فعاد الى جواز صنعاء فخذق هناك . وبعث اليه جيشا من اهل الشام واليمن تعداده ثلاثة آلاف رجل ، فهزمتهم الاباضية ، وتمكن بعد ذلك طالب الحق من دخول صنعاء ، التي استحوذ منها على بلاد اليمن بأسرها . وقيل انه سار سيرة حسنة والان جانبه للناس ، فكثرت جموعه واتته الشراة من كل حذب وصوب (٥٨) .

ولم يقف طموح هذا الخارجي عند حدود اليمن او الجزيرة العربية ، بل ارادها حكما خارجيا في جميع الاقطار الاسلامية . ففي موسم الحج من ٢٩ هـ / ٧٤٦ م بعث امير الخوارج ابا حمزة وبلج السقوري وابرهة بن الصباح الى مكة في جيش يضم قرابة الف رجل ، وامر ابا حمزة ان يقيم في مكة اذا نفر الناس من الحج ، كما امره ان يوجه بلجا الى الشام (٥٩) . وفي موسم الحج ، وبينما الناس في عرفة ، اذ طلعت عليهم رايات الثورة على مروان وآل مروان . فهادنهم عبد الواحد بن سليمان - وهو اذ ذاك والي

٥٣ - المصدر نفسه : ٩٧/٢٠ .

٥٤ - الاصفهاني : الاغاني ، ٩٧/٢٠ .

٥٥ - السمودي : مروج ، ١٧٢/٣ .

٥٦ - الاصفهاني : الاغاني ، ١٠٨/٢٠ .

٥٧ - لحج : من مدن اليمن (باقوت : معجم البلدان) .

٥٨ - الاصفهاني : الاغاني ، ٩٧/٢٠ - ٩٨ .

٥٩ - الاصفهاني : الاغاني ، ٩٨/٢٠ .

المدينة لمروان - حتى ينفر الحجيج من مكة . ثم بعث لابي حمزة بجماعة ينتسبون للخلفاء الراشدين ، فرحب بمن ينتسبون لابي بكر وعمر ، وعبس في وجوه من انتسب الى عثمان وعلي . ولما انقضت الهدنة بين الطرفين ، اخطى عبد الواحد مكة ومضى الى المدينة ، فدخلها ابو حمزة بغير قتال (٦٠) .

وينقل صاحب الاغانى عن المدائني ان مروان حين بلغه خبر ابي حمزة ، بعث الى عامله على المدينة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وامره بتوجيه جيش لاجراج ابي حمزة من مكة . فامتثل عبد العزيز لأمر الخليفة ، وسيّر ثمانية آلاف رجل جلهم من قريش والانصار والتجار ، الذين ليست لهم دراية في صناعة الحروب ولا خاضوا غمارها من قبل . فأرسل ابو حمزة اليهم يستعفيهم من القتال ، فأبى اهل المدينة ذلك ، واستعظموا دخول الخوارج لمدينة الرسول ، حين قالوا لرسول ابي حمزة : «يا اعداء الله ، نحن نخليكم وتدعمكم تفسدون فسي الارض ! » (٦١) .

حينذاك استخلف ابو حمزة ابرهة بن الصباح على مكة ، وخرج للاقاء اهل المدينة . ثم كان اللقاء بقديد في صفر ١٣٠ هـ / تشرين اول ٧٤٧ م ، فدارت الدائرة على اهل المدينة ، وكانت المقتلة في قريش ، ودخل ابو حمزة مدينة الرسول (٦٢) .

صدم مروان لدى سماعه نبأ استيلاء ابي حمزة على المدينة ، ومن قبلها على مكة . فانتخب اربعة آلاف من الفرسان ، واستعمل عليهم عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي ، ووجهه لمقاتلة ابي حمزة ، وامره ان ظفر به ان يتابع مسيره الى اليمن للقضاء على طالب الحق هناك (٦٣) .

مضى ابن عطية بعساكره الى ارض الحجاز ، فالتقاء ابو حمزة بوادي القرى ، فاقتتلوا اشد قتال ، هزمت الخوارج على اثره ، وقتل ابو حمزة واكثر اصحابه (٦٤) وتفرقت الخوارج . فلما جاء نبأ مقتلهم الى المدينة وثب اهلها بمن بقي منهم فيها ، فقتلوه عن آخرهم ، وثأروا بذلك لقتلهم يوم قديد (٦٥) . وقيل ان ذلك كان في جمادى الاولى ١٣٠ هـ / كانون ثاني ٧٤٨ م (٦٦) .

وبعد ان استراح ابن عطية قرابة شهر من الزمن استخلف على مكة والمدينة ، ومضى بعسكره نحو اليمن قاصدا رأس الخوارج عبد الله بن يحيى . فلما بلغ

-
- ٦٠ - الاصفهاني : الاغانى ، ٩٩/٢٠ . الطبري : تاريخ ، ١٩٨١/٩ - ١٩٨٣ .
 ٦١ - الاصفهاني : الاغانى ، ١٠٠/٢٠ - ١٠١ . ابن الاثير : الكامل ، ٣٨٨/٥ .
 ٦٢ - الطبري : تاريخ ، ٢٠٠٦/٩ ، ٢٠٠٧ ، ٢٠١٢ . ابن الاثير : الكامل ، ٣٨٩/٥ .
 ٦٣ - الطبري : تاريخ ، ٢٠١٢/٩ - ٢٠١٣ . الاصفهاني : الاغانى ، ١٠٨/٢٠ .
 ٦٤ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٩١/٥ .
 ٦٥ - الطبري : تاريخ ، ٢٠١٤/٩ .
 ٦٦ - الاصفهاني : الاغانى ، ١٠٨/٢٠ - ١٠٩ .

خبره طالب الحق ، خرج لملاقاته بمن بقي معه من الشراة . ودارت معركة قتل فيها رأس الاباضية ، ودخل ابن عطية الى صنعاء ، فهرب من بقي من الخوارج الى حضرموت والمناطق النائية (١٧) .

ولم تهدأ بقايا الخوارج في أطراف الجزيرة بعد هزيمة رؤوسهم في الحجاز واليمن . فبعد ان اقام ابن عطية بضعة اشهر في صنعاء ، خرج عليه رجل من اصحاب عبد الله بن يحيى في آل ذي الكلاع بالجند (١٨) ، فبعث اليهم احد اقربائه ، فهزمه وقتل عامة اصحابه . ثم خرج عليه يحيى بن كرب الحميري بساحل البحر ، بعد ان انضمت اليه بقايا الاباضية . فأرسل اليه ابن عطية من هزمهم ، فهربوا الى حضرموت التي كان ما يزال بها عامل لعبد الله بن يحيى يقال له عبد الله بن معبد الجرمي ، فخشي ابن عطية انتشار امر هذا العامل ، فاستخلف ابن اخيه على صنعاء وسار اليه بنفسه . وفي اثناء حصاره له ورده امر من مروان يستعجله في العودة الى مكة ليحج بالناس ، فصالح اهل حضرموت وشخص الى مكة . فلما كان بأرض مراد خرج عليه جمع من الناس فقتلوه . فقيل ان بعضهم كان من الاباضية الذين ثاروا لآخوانهم بقتله ، وبعثوا برأسه الى اصحابهم في حضرموت . ولما بلغ عامله على صنعاء - وهو ابن اخيه - خبر مقتله ، بعث بمساركه ، فلم يبق احدا ممن شرك في قتل ابن عطية ولا من الاباضية الا قتله (١٩) .

ولكن ذلك لا يعني ان الاباضية قد اقتلعت جذورها من حضرموت ، فقد ذكر المسعودي ان اكثر اهلها كانوا من الاباضية في ايامه (٧٠) . وهكذا انتهى امر الخوارج في العصر الاموي وانكسرت شوكتهم ، ولم يعودوا يشكلون خطرا يذكر على كيان الدولة الاسلامية فيما بعد . ولكن يبدو ان نهايتهم كانت مقدمة لنهاية حكم الامويين ايضا . فلم يمض وقت طويل حتى انهارت دولة بني أمية ، التي كانت ثورات الخوارج المتلاحقة من الاسباب الرئيسة التي ادت الى سرعة زوالها .

ولعل الناظر في تاريخ الخوارج طوال العصر الاموي ، يجد انهم لم يتخلوا عن محاولاتهم العسكرية لاسقاط حكم بني أمية والاستيلاء على الخلافة الاسلامية . ولكن رغم ما يبغته تاريخهم الحربي من اعجاب في نفوس قارئيه ، فان ما يثير الاستغراب في امرهم ، انهم كانوا يحاربون خصومهم الالاء في جهات مختلفة ، تكاد تخلو من التنسيق والمساندة . ولو قيض لهذه الجماعات القوية المتباعدة ان تعمل تحت امرة واحدة وفق خطة متكاملة ، لاستطاعت تحقيق الكثير من

-
- ٦٧ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٩٢/٥ . المسعودي : مروج ، ١٧٢/٣ .
٦٨ - الجند : احدى مدن اليمن ، بينها وبين صنعاء ٦٨ فرسخا (ياقوت : معجم البلدان).
٦٩ - الاصفهاني : الاغانى ، ١١٣/٢٠ - ١١٤ .
٧٠ - المسعودي : المروج ، ١٧٤/٣ .

مطامحها السياسية ، ولتجنب الكثير من الهزائم التي منيت بها .
ومما هو جدير بالملاحظة ايضا ، ان هؤلاء الشراة ، الذين حملوا لواء الثورة
المستمرة على خلافة الامويين ، واستطاعوا في بعض الاحيان ان يبسطوا سلطانهم
على ارض فارس والعراق وبعض مناطق الجزيرة واليمن ، لم يتمكنوا بحال من
الاحوال ان يجدوا لهم موطن قدم في بلاد الشام وذلك لبعدها عن مراكز تجمعهم ،
ولان نفوذ بني أمية في تلك المناطق كان اقوى من ان يؤثر فيه دعاة الخوارج
ومحازبوهم .

الباب الثالث

عقائد الخوارج وفرقهم

- الفصل الاول : عقائد الخوارج وافكارهم العامة .
- الفصل الثاني : فرق الخوارج وافكارهم (اجتهاداتهم) الخاصة .

كان النشاط الحربي هو السمة الغالبة على تحركات الخوارج طوال العصر الاموي . فعرفناهم رجال حرب وقتال ، ولم نعهدهم اصحاب فكر وفلسفة . ولعل انشغال زعمائهم وقادة الراي عندهم بالخروج والجهاد ، قد حال دون افعال نظرهم في مسائل الفكر المجرد والمنطق العاقل ، فغلبت السطحية على افكارهم التي ظلت في اطار الشعارات الدينية ، التي تستثير العاطفة وتحرك الوجدان .

ولكنهم - في بعض الاحيان - كانوا اذا ما تلاحقت هزائمهم العسكرية ، يخلدون الى السكينة والهدوء ، بدلا من القاء انفسهم في ثورات دموية خاسرة . وحينذاك ينصرفون الى دراسة الاسلام ، ويكتبون في العقائد والفقهاء ، فظهر منهم الفقهاء والعلماء (١٧) .

وقد يكون من العسير على الباحث تحديد زمن نتاجهم الفكري ، وان كان يغلب على الظن انه وليد مرحلة متقدمة من العصر الاموي ، وان بعضه كان وليد اواخر هذا العهد واول العصور العباسية . فالمباحث الكلامية التي ورد طرف منها فيما تسرب اليها من عقائدهم ، هي حصيلة تلاقح الفكرين اليوناني والاسلامي حين نشطت حركة الترجمة والتعريب .

اما فيما يخص تكون الفرق الخارجية ، فاننا باستثناء امهات الفرق عندهم ، لا نعلم شيئا يذكر عن تاريخ ظهور الفرق الصغيرة الاخرى او زمن اندثارها . وقد لا يكون لذلك عظيم اهمية ، خصوصا حين نعلم ان اكثر هذه الجماعات المتخاصمة - فكريا - قد انشعبت عن اصولها من خلال مخالقات فردية تافهة او نتيجة لواقف اجتهادية معينة ليس غير . ولعل السمة الملزمة لتلك الانقسامات المتلاحقة ، كانت سرعة الانقسام والتبرؤ والتكفير ، مع غياب المنطق المتكامل عند الاستدلال .

(١٧) الجاحظ : البيان ، ١/٣٤٧ (ط . لجنة التأليف ١٩٤٨) . ابن النديم : الفهرست ، ص ١٨٢ .

الفصل الأول

عقائد الخوارج وافكارهم العامة

اللقاب الخوارج

عرفت الخوارج باللقاب عديدة قبل ان يعصف بهم التفرق والتمزق الى جماعات تناصب بعضها العدا والتكفير . ولعل أشهر الالقاب التي عرفوا بها ، هي التالية :

الحرورية :

يعتبر هذا اللقب من اسبق الاسماء التي عرفت بها الخوارج . وكان ذلك حين أنكروا على علي قبوله التحكيم في صفين وانحازوا عنه الى قرية تدعى حروراء ، فسموا الحرورية بذلك (١) . ويروي المبرد ان عليا نفسه هو السذي

١ - اليعقوبي : تاريخ ، ١٩١/٢ . البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٦٧ . ياقوت : معجم البلدان ، ٢٤٥/٢ .

دعاهم بهذا الاسم . فقد خرج اليهم عند اعتراضهم في تلك القرية فاسترضاهم ،
وعادوا معه الى الكوفة ، فقال لهم حينذاك : « أنتم الحرورية لاجتماعكم
بحروراء » (٢) .

ويبدو ان هذه التسمية لا تحمل في طياتها اية معان فكرية يتميزون بها ، كما
انها لا توحى بأية اهداف عقيدية يرمون الى تحقيقها . فهي لا تعدو نسبة قوم
ينزلون منزلا ، فينسبون اليه .

ومما يستدل به على ان هذه التسمية لم تعرف قبل هذا التاريخ ، ان ابا
سعيد الخدري سئل عن الحرورية ، فقال : «لا أدري من الحرورية» ، واكتفى
برواية حديث المارقة (٣) . ولكنها وردت على لسان عائشة فيما بعد . فقد
جاءتها احدى النساء تسألها عن قضاء صلاة ايام الحيض ، فقالت لها عائشة :
«أحرورية انت ؟» قد كانت احدانا تحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ثم لا تؤمر بقضاء الصلاة» (٤) .

ومما هو جدير بالذكر ان الخوارج يرضون بهذا الاسم ولا يستنكرونه . وقد
ورد على لسان احد شعرائهم (٥) . ولكنه لا يرقى الى التسميات المفضلة لديهم ،
والتي تتضمن بعض معاني مبادئهم (٦) . ولا يستبعد ان يكون بعض المؤرخين
المسلمين آثروا تسميتهم بالحرورية ، حرمانا لهم من لقب الخوارج ، الذي
يعتزون به .

وعلى الرغم من ان الملطي يجعل الحرورية احدى فرق الخوارج ، ويجعلهم
يتميزون بعقائد خاصة بهم (٧) ، وان المقرئ يوردهم في عداد فرق الخوارج ،
ويصنفهم بالفلاة في اثبات الوعيد والخوف على المؤمنين ، والتخليد في النار مع
وجود الايمان (٨) ، فاننا لا نميل الى ما ذهب اليه الملطي او المقرئ ، ولا نرى
ان الحرورية احدى الفرق التي اثبتت عن الخوارج ، بل انها لقب عام عرفت به
الخوارج في بدء أمرهم ، وان استعمالها كان مرادفا لاسم الخوارج او بديلا
عنه (٩) .

٢ - المبرد : الكامل ، ٩١٢/٣ .

٣ - صحيح مسلم ، ١٦٤/٧ .

٤ - صحيح مسلم ، ١٨٢/١ (ط. الاستانة) . ان سؤال عائشة لها : «أحرورية انت ؟!» تعني
انهم كانوا يبالفون في العبادة (السمعي : انساب ، ص ١٣٤) .

٥ - قال احد شعرائهم : (ق / ٢٤١ - الديوان) :

ان الحرورية الحرى اذا ركبوا
لا يستطيع لهم أمثالك الطلاب

٦ - الحميري : الحور العين ، ص ٢٠٠ .

٧ - الملطي : التنبيه ، ص ٥٣ .

٨ - المقرئ : خطط ، ص ١٧٢ .

٩ - ابن الجوزي : تليس ايليس ، ص ١٩ . الحميري : الحور العين ، ص ٢٠٠ .

ومما يرجح ما ذهبنا اليه ان المقرئ نفسه يعود فيعدل رأيه في موضع آخر ، حين يقول : «الخوارج ويقال لهم الحرورية نسبة الى حروراء» (١٠) . اما خبر الملطي فلا يمكن التعويل عليه ، لان اكثر الرواة على خلافه . ولعل احتمالا آخر يرد في الخاطر ، وهو ان تسمية الحرورية كانت تطلق على اولئك القوم من الخوارج الذين عادوا الى علي بعد اعتزالهم في حروراء ، ولم يعودوا الى صفوف الخوارج بعد ذلك .

اما لجهة عدم شيوع هذه التسمية كلقاب الخوارج الاخرى ، فربما كان مرد ذلك الى الخوارج وخصومهم معا . فالخوارج - من جهتهم - لم يهتموا بها ، لكونها لا تعبر عن اهدافهم ولا تحمل شعائرهم . كما ان اعداءهم لم يجدوا فيها ذما لهم ليكثروا من ترديدها ويشيعوا استعمالها .

الحكمة :

يتفق الباحثون على ان هذه التسمية جاءت من الشعار الذي رفعته الخوارج عند قبول علي بالتحكيم ، اذ قالوا يومذاك : «لا حكم الا لله ، ولا حكم للرجال» (١١) . فلما سمعها علي ، قال قوله المشهور «كلمة حق اريد بها باطل» (١٢) .

وهذه التسمية سبقت على الارجح تسميات الخوارج الاخرى ، حيث ان الشعار الذي اخذت منه كان الاسبق الى الظهور . فقد اطلقت هذه الكلمة في صفتين ، حين كان الاشعث بن قيس يحمل كتاب التحكيم متنقلا بين رايسات القبائل ، وكان ذلك قبل عودة علي الى الكوفة ونزول القوم في حروراء (١٣) .

ويلاحظ ان الاشعري والايبي يجعلان لفظة «الحكمة» لقبا عاما لجميع الخوارج (١٤) ، في حين نجد مؤرخين آخرين يقصرون هذه التسمية على اول فرقة من فرقهم ، ويسمونها «الحكمة الاولى» (١٥) .

١٠ - المقرئ : خط ، ص ١٧٨ .

١١ - المقرئ : خط ، ص ١٧٨ .

١٢ - ابن دريد : الاشتقاق ، ص ١٤٨ . الشهرستاني : الملل والنحل ، ١١٦/١ . ابن الاثير :

الكامل ، ٢٢٥/٣ .

١٣ - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٦٧ . الرازي : اعتقادات ، ص ٤٦ .

١٤ - الاشعري : مقالات ، ٢٠٦/١ . الايبي : شرح الواقف ، ٢٩١/٢ .

١٥ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١١٥/١ . القلقشندي : صبح الامشي ، ٢٢٤/٣ .

البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٦٦ .

وقد استمرت الخوارج في حمل شعار التحكيم طوال العصر الاموي . ففي ظلاله اجتمعوا ، وتحت رايته حاربوا ، ومن اجله قتلوا واغتالوا . فكانوا يجتمعون في الاسواق والاماكن العامة في غفلة من الناس ، فينادون : « لا حكم الا لله » ، ثم يضعون سيوفهم فيمن يلقون من الناس دون رحمة او تمييز . وكان احدهم اذا خرج للتحكيم لا يرجع ، فيقتل بأيدي الناس (١٦) .

وهكذا يتبدى لنا انجرافهم وراء هذا الشعار ، الذي كان شرارة الفتيل التي يلهبون بها عاطفة أنصارهم ، فيترامون الى الموت بشجاعة نادرة وحماس منقطع النظير . وهذا يقودنا الى ان المحكمة لم تكن احدى فرق الخوارج ، بل كانت لقباً عاماً من القابهم التي عرفوا بها . اما اشارة بعض المؤرخين الى المحكمة الاولى فلا تعني اكثر من اشارتهم الى الخوارج الاوائل ، الذين رفعوا لواء المعارضة لعلي حين قبل بالتحكيم .

واغلب الظن ان هذه التسمية كانت تستهوي الخوارج وترضيهم ، لكونها تتفق مع مفاهيمهم وترفع من شأنهم . ولعل اختيارهم لهذا الشعار جاء من قوله تعالى : «ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين» (١٧) ، وقوله ايضا : «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» (١٨) ، وغيرهما من الآيات التي اوجبت حكم الله في الامور الدينية والدنيوية (١٩) .

المارقة :

يعتبر هذا اللقب من اشد الالقاب ابلاما للخوارج ، وابغضه الى نفوسهم ، فيما يجده خصومهم من المسلمين اصدق وصف لهم وأكثر تعبيرا عن واقع حالهم . ويستند علماء الاسلام - من مخالفيهم - في تسميتهم لهم بالمارقة الى حديث ذي الخويصرة الذي جاء فيه : «سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميثة» (٢٠) . ويكاد يجمع علماء المسلمين على ان هذا الحديث جاء بوصف الخوارج ، وانه سماهم المارقة (٢١) . والخوارج - بدورهم - يرضون بسائر الاسماء التي شهروا بها الا المارقة ،

١٦ - الملطي : التنبيه ، ص ٤٧ .

١٧ - الانعام ٥٧ .

١٨ - المائدة ٤٤ .

١٩ - تعددت آيات القرآن التي تأمر بذلك .

٢٠ - الشهرستاني : الملل ، ٢١/١ .

٢١ - الملطي : التنبيه والزد ، ص ٥٠ - ٥١ .

فانهم يعقّبونه ويأفّفون منه (٢٢). وقد حاول احد كتّاب الاباضية المحدثين ان يردّ هذا الحديث عن الخوارج ، ويلصقه بالمرتدين الذين خرجوا في اوائل عهد ابي بكر الصديق . فعمد الى ذلك بعد ان لاحظ ان حديث الرسول يقول : «سيمرقون» ، والسين للمستقبل القريب ، والمرتدون اقرب عهدا بالرسول من الخوارج (٢٢) .

ولعل الغريب في الامر ، ان حديث المارقة الذي نقله هذا الكاتب عن مسند الربيع يخلو من سين الاستقبال ، التي استدل بها للوصول الى استنتاجه (٢٤) . علما ان هذا الاستدلال ليس كافيا للقول - اذا صح الحديث - انه جاء في المرتدين . صحيح ان حركة الردة جاءت قبل ظهور الخوارج الى حيز الوجود العلني ، ولكن هذا لا ينفي ان الفتنة التي وقعت في عهد عثمان وما تلاها من حوادث جسام الى صفين وما بعدها يقع في المستقبل البعيد . وفي حديث آخر للرسول وردت سين الاستقبال دون ان تعني القريب فحسب ، فقد جاء عن النبي انه قال : «انه سيكون خلفاء فتكثر» (٢٥) . وسين هذا الحديث تشمل القريب والبعيد معا .

ولعل الامر الاهم ان منطوق الحديث لا ينطبق على اهل الردة بقدر انطباقه على الخوارج . فهو يشير الى قوم يتطرفون في كل شيء . وهذا الوصف لا ينطبق على المرتدين الذين انتهى امرهم بعمل عسكري حاسم قضى على زعمائهم ، وأعاد بقيتهم الى حظيرة الاسلام ، فكانت حركتهم حركة عارضة في تاريخ المسلمين ، ولكنه قد ينطبق على الخوارج الذين شهروا بغلوهم في معتقداتهم وحدّتهم في آرائهم .

ومهما قيل بشأن تسمية الخوارج بالمارقة ، فانه من الواضح ان هذه التسمية جاءت من خلال الاحاديث التي وردت في أمهات الكتب الاسلامية ، وان الخوارج يقيمون النكير على هذه التسمية ، ويرفضونها شكلا ومضمونا ، لانهم يرون انفسهم قمة اهل الايمان ، وأكثر الناس التزاما بالقرآن . وهذا ما دعاهم الى تكفير كل من خالفهم في كبيرة او صغيرة .

٢٢ - الاشعري : مقالات ، ٢٠٧/١ . الحميري : الحور العين ، ص ٢٠٠ .

٢٣ - معمر : الاباضية ، ٢٧/١ .

٢٤ - جاء في هذا الحديث كما نقله معمر في حاشية ص ١٩ من الحلقة الاولى ، ما يلي : «عن ابي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله (صلم) يقول : «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وأعمالكم مع أعمالهم ، يقرأون القرآن ولا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ...» ابن حبيب : مسند الربيع ، ١٢/١ . الطبعة الثانية ١٣٤٩ .

٢٥ - ابن حنبل : المسند ، ٧٩٤٧/١٥ .

الشراة :

عرفت الخوارج عبر تاريخهم الطويل باسم الشراة . فمنذ نشأتهم الاولى جعلوا مفهوم الشراية في سبيل الله غاية يسعى اليها كل فرد من المؤمنين بدعوتهم . وقد ورد هذا المعنى على لسان احد شعرائهم قبيل بيعتهم لعبد الله بن وهب الراسبي ، فقال معدان الايادي (٢٦) :

سلام على من بايع الله شارياً وليس على الحزب المقيم سلام

ولدى اطلعنا على شعر الخوارج نجد انهم ظلوا يطلقون على انفسهم لقب الشراة ، وان هذه التسمية ظلت تتردد على السنة شعرائهم طوال العصر الاموي (٢٧) . ويفهم من ذلك ان هذا الاسم كان اثرا عندهم ، لاعتقادهم انهم شروا انفسهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم (٢٨) ، وذلك بنصرهم لدين الله (٢٩) . ولعلمهم اخذوا هذا المعنى من قوله تعالى : «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ، والله رؤوف بالعباد» (٣٠) . غير ان ابن سيده ينقل عن ابي علي الفارسي انهم سموا بالشراة لانهم لجثوا وغضبوا (٣١) . ولا نجد لهذا المعنى تبريراً الا ان يكون الصق بهم من خصومهم لتشويه زعمهم بأنهم الشراة في سبيل الله ، اذ يخالفه تمسك الخوارج بهذا اللقب لفظاً ومعنى (٣٢) .

ولا يختلف الباحثون القدامى في ان الشراة هو لقب عام لجميع الخوارج ، وانه من الالقاب المحببة اليهم (٣٣) . وهذا يخالف اعتقاد بدير حميد بأن الشراة فرقة جديدة من فرق الخوارج (٣٤) . ولعله اعتمد في رايه هذا على ما أورده الملطي الذي يخالف اجماع المؤرخين الذين انبنا على ذكرهم (٣٥) .

-
- ٢٦ - المبرد : الكامل ، ٨٩١/٣ .
 - ٢٧ - راجع ديوان الخوارج ، ص ٣١ ، ٤٢ ، ٥٦ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ١٢٩ الخ .
 - ٢٨ - المبرد : الكامل ، ٩٤٨/٣ .
 - ٢٩ - القريري : خط ، ص ١٨٠ .
 - ٣٠ - البقرة ٢٠٧ .
 - ٣١ - ابن سيده : المخصص ، ١٢٢/١٣ .
 - ٣٢ - البلاذري : انساب ، ٩٣/٤ . الجوهرى : الصحاح ، (شري) .
 - ٣٣ - الاشعري : مقالات ، ٢٠٦/١ . البغدادي : الفرق ، ص ٦٦ . البغدادي : الخزانة ، ٤٤١/٢ .
 - ٣٤ - حميد : من ادب الحركات الاسلامية ، ص ١٤٣ .
 - ٣٥ - الملطي : التنبيه ، ص ٥٣ .

الخوارج :

هو أشهر اسم عرف به هؤلاء الناس ، حتى صار علما مميّزا لهم عن غيرهم من الفرق الإسلامية . ولعل شيوعه وظيفانه على الاسماء الاخرى ، جاء من اتفاق الجميع على استعماله واشاعته . فالخوارج انفسهم تمسكوا بهذا الاسم واعتزوا به ، كما ان خصومهم من المسلمين ادانوهم بهذه التسمية ، وشنعوا عليهم بها فأشاعوها .

ويبدو ان لقب «الخوارج» كان أسبق من يوم صفين وما أعقبه من حكومة الحكمين . فحادثة ذي الخويصرة وقول الرسول انه سيخرج قوم يمرقون من الدين ، جعل الناس على استعداد لاعطاء هذا اللقب لأول جماعة تنطبق عليها أوصاف ذلك الحديث . فلما خرج الثوار على عثمان وأدى خروجهم الى مقتل خليفة المسلمين ، أطلق على اولئك الناس لقب الخوارج . فيقول ابن كثير : «وكان الذي جهز خوارج المصريين عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء» (٢٦) . وفي موقع آخر يسمي الثائرين على عثمان عامة بالخوارج (٢٧) . اما الشهرستاني فيقول في تعريف الخارجي : «كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه ، يسمى خارجيا ، سواء كان الخروج في ايام الصحابة على الائمة الراشدين او كان بعدهم على التابعين باحسان والائمة في كل زمان» (٢٨) . وهكذا ظهر لنا ان لفظة الخوارج اطلقت ايضا على اولئك الثوار الذين خرجوا على عثمان . ولكن من المحتمل ان تكون هذه التسمية اطلقت على الخارجين على عثمان بعد خروج المحكمة على علي وانكشاف الصلة بين الفريقين ، مما جعل جماعة المسلمين يربطون بين واقعة حديث المارقة وقتلة عثمان والحرورية الذين اعتزلوا عليا وكفروه (٢٩) .

واذا كانت الجماعة الإسلامية قد رموهم بهذا الاسم لخروجهم على امامة مشروعة ، فان الخوارج يرون في هذه التسمية معنى مخالفا لما يراه خصومهم ، كما يرون فيها دعما لحجتهم . فانهم يؤولون آيات القرآن ، ويستشهدون بقوله تعالى : «ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله» (٤٠) . وبذلك تكون الخوارج هم الذين أطلقوا على انفسهم هذه التسمية ، وانهم اعتبروا خروجهم من ديار اعدائهم كخروج النبي من مكة الى دار

-
- ٣٦ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٥٠/٧ .
٣٧ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٨٠/٧ .
٣٨ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١١٤/١ .
٣٩ - صحيح مسلم : شرح النووي ، ١٦٤/٧ .
٤٠ - النساء ١٠٠ .

هجرته . فقد قال احد الخوارج الازارقة : «انا اليوم بمنزله المهاجرين بالمدينة» (٤١) . وقال زعيمهم عبد ربه مخاطبا اصحابه: «يا معشر المهاجرين» (٤٢) . وعلى اساس هذا الاعتقاد ، فانهم يطلقون على انفسهم لقب الخوارج . كما رده بعض شعرائهم (٤٣) .

وخلاصة القول في هذه التسمية ، انها لاقت الرضى والقبول ، احبتها الخوارج لانها تمثل خروجهم في سبيل الله (٤٤) ، واحب خصوم الخوارج هذا اللقب لهم ، لانه يخرجهم من دائرة الاسلام .

ألقاب اخرى للخوارج :

عرفت الخوارج بأسماء اخر ، غير تلك التي اتينا على ذكرها . ولكن هذه الالقاب لم تكن مدار اهتمام الخوارج او خصومهم ، فلم يشع استعمالها . فقد ذكر المقرئ في حديثه عن الخوارج ، انهم سموا بالنواصب (٤٥) ، ربما لقلوهم في حب ابي بكر وعمر ، ونصبهم العداوة لعلي (٤٦) .

ويروي المقدسي ان الخوارج بعد ان امروا عليهم ابن وهب الراسبي ، سموا بالراسبية (٤٧) . ومن القابهم التي اوردها الاشعري لقب الحرارية ، ولم يورد سببا لهذا الاسم الذي ألصقه بهم ، ولا يقال انه تصحيف من الحرورية ، فقد جاء باللقبين معا (٤٨) .

ويزعم صاحب المصنف المجهول ان الخوارج سميت بأهل الوقوف ، وذلك لوقوفهم عند الشبهة بعد خلافهم مع نافع بن الأزرق (٤٩) . وهذه — في نظرنا — تسمية خاصة ، وليست عامة ، فهي لا تشمل جميع الخوارج ، وانما اولئك الذين خالفوا نافعا في امر من الامور ، فوقفوا عند رأيهم فيه .

٤١ - الاشعري : مقالات ، ١٧٢/١ .

٤٢ - البرد : الكامل ، ١١٦٢/٣ . مع ان الرسول يقول : «لا هجرة بعد الفتح» صحيح

البخاري : شرح ابن حجر ، ٥٢٠/٦ .

٤٣ - ق / ٢٠١ (الديوان) .

44 — Pareja : Islamologie, p. 815.

٤٥ - المقرئ : خطط ، ص ١٧٢ .

٤٦ - الاشعري : مقالات ، ١٦٧/١ (الحاشية) . البشبيشي : الفرق الاسلامية ، ص ٤١ .

٤٧ - المقدسي : البدء والتاريخ ، ١٣٦/٥ .

٤٨ - الاشعري : مقالات ، ٢٠٦/١ .

٤٩ - المصنف المجهول ، ص ٧٨ .

عقائد الخوارج العامة

لم تكن للخوارج عقائد خاصة بهم عند نشأتهم ، فالتقوا حول شعارات دينية تثير حماسهم وتحرك عواطفهم ، وتدفعهم الى التضحية والفداء . فقد ظل الشعار الذي رفعته الخوارج يوم صفين «لا حكم الا لله» لحقبة طويلة هو الراية التي يلتفون حولها ، وهو النداء الذي يستثير حميتهم ، حتى يوطنوا انفسهم على الموت طلبا للشهادة . فهذا خارجي قد طعن بالرمح ، فجعل يسعى فيه الى قتاله ، وهو يقول : «وعجلت اليك رب لترضى» (٥٠) . وهذا خارجي آخر خالطه السيف ، فأخذ يردد : «حبذا الروحة الى الجنة» (٥١) .

ولم تقف الخوارج عند حد هذا النداء القرآني فحسب ، بل طبقوه على مخالفيهم من المسلمين . فاذا علي قد كفر لقبوله التحكيم ، واذا اصحابه كفروا ايضا لقبولهم امامته بعد ذلك (٥٢) . ولكن رغم اجماع الخوارج على تكفير علي ، فانهم مختلفون في نوع هذا الكفر . فبعضهم يراه كفر شرك ، بينما يراه آخرون منهم كفرا من نوع آخر (٥٣) . كما اكفروا الحكمين (ابا موسى الاشعري وعمرو بن العاص) ومعاوية وناصره ومقلديه (٥٤) . ولم يوفروا من الخلفاء الاوائل الا ابا بكر وعمر اللذين رأوهما امامي حق (٥٥) . اما عثمان فلم ينج من تشنيعهم عليه بالكفر لسيرته في السنوات الست الاواخر من خلافته (٥٦) .

ولم يكتف الخوارج بتكفير غيرهم من المسلمين ، بل نظروا اليهم نظيرة المسلمين الى عرب الجزيرة ، فكان عليهم إما الاسلام وإما السيف (٥٧) ، في حين كانت نظرتهم الى غير المسلمين من اصحاب الديانات السماوية الاخرى اكثر انسانية وأقل تطرفا ، اذ كانوا يرون المحافظة على اهل الذمة من اليهود والنصارى - في الوقت الذين كانوا فيه يستبيحون دماء المسلمين - ويقولون : «احفظوا ذمة نبيكم» (٥٨) . وهكذا فقد كانت غلظتهم مع المسلمين عاملا على احتماء

٥٠ - البرد : الكامل ، ٩٥٥/٣ - وكان شعار الخوارج انهم يخلعون وسط رؤوسهم ويقيس

الشعر مستديرا حوله كالكليل (شرح النهج ، ١٢٣/٨) .

٥١ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٩٦/٥ .

٥٢ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١١٣/٨ .

٥٣ - الاشعري : مقالات ، ١٦٧/١ .

٥٤ - السمودي : مروج ، ٨٧/٣ .

٥٥ - البرد : الكامل ، ٩٠٩/٣ .

٥٦ - السمودي : مروج ، ٨٧/٣ .

٥٧ - ابن عبد ربه : العقد ، ٢٦٤/١ (ط. القاهرة ١٢٩٣) .

٥٨ - البرد : الكامل ، ٩٤٦/٣ .

المسلم بهوية غير الاسلام للنجاة من شرهم . فحين وقع واصل بن عطاء المعتزلي بين أيديهم ، لم ينجح منهم الا ادعاءه بأنه مشرك مستجير بهم (٥٩) .
ومنذ بدء دعوتهم لم يكونوا يرون الاقامة بين مخالفيهم من المسلمين ، لاعتقادهم ان ديار السلطان فيها هي ديار جور واستبداد ، وان المقيمين بها هم اهل بدع مضلّة . فبعد مبايعتهم للراسبي خطبهم فقال : « اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم اهلها الى بعض كور الجبال او الى بعض هذه المدائن منكربين لهذه البدع المضلّة » . وسرعان ما هجرت الخوارج ديارهم ، تاركين اهلهم واقاربهم ، لينضموا الى ولاية الحق والعدل (٦٠) . ولكن هذه الهجرة لم تكن تعني انهم قد هجروا ديارهم الى الابد ، بل كان تعبيراً عن خروجهم على سلطان الحكم ، ورفضهم ان يستظلوا بنظامه ، واستعداداً للانقضاض عليه ودك اركانه ، لاستبداله بما يروونه عدلاً واسلاماً .

وقد عرفت الخوارج منذ بداية امرهم بالزهد والعبادة ، حتى تفرحت جباههم من أثر السجود (٦١) . وأثقل بعضهم على انفسهم في العبادة ، فجاوزوا حدود ما فرضه الله على عباده ، وحملوا الناس ما هو فوق طاقتهم (٦٢) . مع ان هذا الشطط في العبادة يخالف ما أمر الله به رسوله من التخفيف عن نفسه ، حين أطال بصلاة الليل (٦٣) ، فقال تعالى مخاطباً النبي : « طه . ما انزلنا عليك القرآن لتشقى » (٦٤) .

ولكن شدة تقوى الخوارج جعلت بعض المسلمين يندمون على قتل من ظهرت عبادته . فقد سير معاوية بن ابي سفيان عبد الله بن عون الاحمر الى حوثره الخارجي ، فقتله . فلما رأى أثر السجود في وجهه ندم على فعلته ، وسأل الله المغفرة في قوله (٦٥) :

قتلت مصلياً محيئاً ليلاً
طويلَ الحزنِ ذا برٍّ وقصدٍ
فهب لي توبةً يا ربِّ واغفر
لما قارفت من خطأ وعمدٍ

٥٩ - المبرد : الكامل ، ٨٩١/٣ .

٦٠ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٣٥/٣ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٨٦/٧ (ط. القاهرة

١٣٥٨) .

٦١ - ابن الاثير : الكامل ، ٤١٠/٣ .

٦٢ - السمعاني : الانساب ، ص ١٣٤ .

٦٣ - الجلالين : تفسير ، ص ٤١٢ .

٦٤ - طه ١ - ٢ .

٦٥ - ابن الاثير : الكامل ، ٤١٠/٣ .

وعلى الرغم من مظاهر العبادة والتقوى التي كان يتسربل بها الخوارج فإن الامام الحسن البصري كان يراهم اصحاب دنيا . فسأله احد الخوارج عن رايه هذا ، فقال له : «حدثني عن السلطان ، ايمنك من اقامة الصلاة وابتداء الزكاة والحج والعمرة» . فقال الخارجي : «لا» . فقال الحسن البصري : «فأراه انما منعتك الدنيا فقاتلته عليها» (٦٦) . ولكن هذا الرأي لا يؤخذ على اطلاقه . فاذا كان كثيرون من الخوارج - وبخاصة قادتهم - كانوا يقاتلون للوصول الى الحكم والسلطان ، فان كثيرين آخرين منهم استشهدوا وهم يعتقدون بانهم في طريقهم الى الجنة التي وعد بها المؤمنون .

وقد اختلف اهل السنة بشأن امانة الخوارج في نقل الحديث . فقد راي بعضهم انهم اصح اهل الاهواء حديثا ، بينما حكى آخرون ان بعض الخوارج كانوا اذا هؤوا امرا صيروه حديثا (٦٧) . فهذا ابن حنبل وجماعة من التابعين يعتمدون رواية عكرمة الخارجي (مولي ابن عباس) ، بينما يتهمه آخرون بالكذب (٦٨) .

ويبدو ان الخوارج ظلوا - في اول امرهم - على رأي واحد ، لا يختلفون الا في الامور الفرعية البسيطة . فكانوا يتولون اهل النهر الذين يصفونهم كشهداء بدر عند المسلمين ، كما كانوا يتولون كبيرهم ابا بلال مرداس بن اديثة (٦٩) . ولعل تعرفنا بآراء ابي بلال هذا يكشف بعض افكارهم قبل ان تتبلور عقائدهم بشكلها الواضح .

كان ابو بلال من الذين حاربوا الى جانب علي في صفين ، ثم انكر التحكيم . ولكنه لم يكن يدين باستعراض الناس ، ولا يرى القتال الا دفاعا عن النفس ، كما كان يحرم خروج النساء (٧٠) . وقد قيل انه كان يدين بالتقية . فقد ذكر المبرد انه نصح البلحاء (٧١) الخارجية ان تستتر بعد ان كانت تحرض الناس على ابن زياد ، حين قال لها : «ان الله قد وسع على المؤمنين في التقية ، فاستتري» (٧٢) .

٦٦ - التوحيدى : البصائر ، ص ١٥٤ .

٦٧ - ابن حجر : تهذيب ، ١٢٨/٨ .

٦٨ - ياقوت : معجم الاديباء ، ١٨٢/١٢ وما بعدها .

٦٩ - الناشئ الأكبر : مسائل الامامة ، ص ٦٩ . المبرد : الكامل ، ١٠٣١/٣ .

٧٠ - ابن الاثير : الكامن ، ٥١٨/٣ .

٧١ - هي امرأة من بني حرام بن يربوع بن حنظلة النميمي (شرح النهج ، ٨٢/٥) .

٧٢ - المبرد : الكامل ، ٩٨٨/٣ . ولعل اخذه بمبدأ التقية هو الذي جعل الشيعة تدعيه ،

فقد زعموا انه كتب الى الحسين بن علي ، فقال : «اني والله لست من الخوارج ، ولا ارى رأيهم ، واني على دين ابيك ابراهيم» (ابن ابي الحديد : الشرح ، ٩٧/٥) . كما انتحلته المعتزلة ، وزعموا انه خرج منكرا جور السلطان ، داعيا الى الحق والعدل ، واستدلوا على ذلك من رده على زياد حين توعد وهدد ان يأخذ الحسن بالسبي والطيع بالعامي (المبرد : الكامل ، ٩٤٨/٣ - ٩٤٩) . اما =

وخالف مرداس - في بدء أمره - أسلافه ، فلم ير حرجا في الإقامة في ديار المسلمين من مخالفيهم . وظل على هذا الاعتقاد حتى حبسه عبيد الله بن زياد وأخذ يجده في مطاردة الشراة . حينذاك صمم على الخروج . فلما سئل عن ذلك ، قال : «أريد ان اهرب بديني وأديان اصحابي من أحكام هؤلاء الجورة» (٧٢) . وهكذا بدا لنا ان الخوارج - في بدء امرهم - لم يكونوا اصحاب نظريات عقيدية خاصة بهم ، بل كانوا يخضعون لاجتهادات زعمائهم الذين لم تكن قد تبلورت لديهم افكار محددة واضحة يتميزون بها عن سائر المسلمين . فربما كان انشغالهم بالاعمال الحربية المتواصلة قد حال بينهم وبين معاطاة الامور الفكرية التي لم يتسن لهم ممارستها الا في مرحلة متقدمة من العصر الاموي ، حين تسرب الى عقائدهم طرف من المباحث الكلامية ، كالكلام في الاستطاعة وخلق الافعال والوعد والوعيد وغيرها .

عقائد الخوارج الاساسية :

على الرغم من تفرق الخوارج فيما بعد واختلاف آرائهم وتشعب مذاهبهم وتأويلاتهم ، فانهم قد اتفقوا على بعض المسائل الهامة التي تشكل نواة مبادئهم . واذا تجاوزنا موضوع الامامة ، على ان نفرد له بحثا خاصا ، فلعل ابرز القضايا العقيدية الاخرى التي تناولوها في البحث والاجتهاد واصدروا احكاما فيها ، هي التالية :

الايمان والتوحيد (٧٤) :

يفرق علماء المسلمين بين الاسلام والايمان ، فيرون ان الاسلام هو الدين

= الجاحظ فيذكر انه كان من الخوارج (العثمانية ، ص ٢٦٥) ولعل ما ذكره الجاحظ هو الصواب ، ونستدل على ذلك من خلال الروح الخارجية التي نلمسها في شعره الذي وصل اليها (راجع شعره في ديوان الخوارج) .

٧٣ - المبرد : الكامل ، ٣/٩٩٢ .

٧٤ - وضع بعض المحدثين كتبا تناولت الايمان والتوحيد ، نذكر منهم :

الشيخ محمد عبده : رسالة التوحيد - مكتبة الثقافة العربية (بلا تاريخ) .

محمد عبد الوهاب : كتاب التوحيد الذي هو حق على العبيد - منشورات المكتب الاسلامي -

دمشق ١٢٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

محمد بن اسحاق بن خزيمة : كتاب التوحيد واثبات صفات الرب . ط . مصر ١٢٨٧/١٩٦٨ .

الذي أنزله الله على نبيه محمد (ص) وارتضاه لعباده ، ومعناه الخضوع له وحده وعبادته دون سواه . وأما الايمان فأصوله التصديق والاقرار والمعرفة ، وتجسيده السلوك والعمل (٧٥) . وبذلك يكون الاسلام هو ما يظهره الانسان لتعرف هويته الدينية ، بينما الايمان ينبع من أعماق النفس ولا يعلمه الا الله . وهذا ما اشار اليه الرسول في قوله : «الاسلام علانية ، والايمان في القلب» (٧٦) . ولعل هذا التفريق بين الاسلام والايمان جاء من قوله تعالى : «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم» (٧٧) .

وكان ابو منصور الماتريدي اكثر تحديدا لمعنى الاسلام والايمان فقال : «ان الاسلام معرفة الله بلا كيف ومحلّه الصدر» ، مصداقا لقوله تعالى : «أقمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه» (٧٨) . ويضيف قائلا : «والايمان معرفة الله تعالى بالالوهية ومحلّه القلب» ، لقوله تعالى : «ولكن الله حبّب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم» (٧٩) ، والقلب داخل الصدر . وأما المعرفة فهي معرفة الله تعالى وموضعها الفؤاد الذي يقع في داخل القلب ، بينما التوحيد هو الاقرار لله تعالى بالوحدانية ، ومحل ذلك السر الذي يكمن داخل الفؤاد ، وهذا يفسره قوله تعالى : «مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء» (٨٠) . فقد جعل الله الصدر بمنزلة المشكاة ، والقلب بمنزلة الزجاج ، والفؤاد بمنزلة المصباح ، والسر بمنزلة الشجرة ، وداخل السر موضع يقال له : خفي ، وهو نور الهداية » (٨١) .

ويرد الغزالي الايمان الى ثلاثة أصول هي : الايمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر . اما ما عداها من الفروع ، فلا كفر فيها ، الا ان ينكر الانسان أصلا دينيا جاء عن الرسول بطريق التواتر ، اذ يصبح حينذاك بمنزلة القرآن (٨٢) . وهذه الاصول تقرّها الشيعة الامامية ايضا (٨٣) .

٧٥ - ابن تيمية : الايمان ، ص ١٥٤ .

٧٦ - المصدر نفسه .

٧٧ - الحجرات ١٤ .

٧٨ - الزمر ٢٢ .

٧٩ - الحجرات ٧ .

٨٠ - النور ٣٥ .

٨١ - الأشعري : الابانة ، ص ٦ .

٨٢ - الغزالي : فيصل التفرقة ، ص ٥٦ .

٨٣ - مغنية : مع الشيعة الامامية ، ص ٧ .

ولدى استعراضنا لعقائد الخوارج العامة نجد انهم لا ينكرون اي اصل من هذه الاصول . ولكنهم من جهة اخرى يفشلون في التفريق بين الاسلام والايمان، فهما عندهم شيء واحد ، وهذا نابع من اعتقادهم ان العمل جزء من الايمان (٨٤) . وعلى الرغم من اتفاق عامة المسلمين على تلك الاصول ، فان الفرق الاسلامية المختلفة لا تتفق على تحديد بعض مفاهيمها الفرعية . فالخوارج يتفقون مع المعتزلة والمرجئة والزيدية من الشيعة بشأن التوحيد ، فيرون : «ان الله تعالى واحد ليس كمثل شيء ، ولا تدركه الابصار في دنيا ولا آخرة ، ولا تكيفه العقول ، ولا تضبطه الاوهام ، ولا تمثله القلوب ، ولا تحده الافكار ، ولا تقطعه المقادير ، ولا تقع عليه مساحة ، وانه غير جسم ، ولا له حدود ، ولا اقطار ، ولا يجوز عليه التنقل من مكان الى مكان ولا من حال الى حال» (٨٥) .

كما قال قائلون من الحرورية والمعتزلة والجهمية بنفي الصفات عن الله تعالى ، ثم يؤولون الآيات التي جاء فيها مثل هذه المعاني . فقوله تعالى : «الرحمن على العرش استوى» (٨٦) لا يعني ان له عرشا يستوي عليه ، بل يرون انها اشارة الى قدرته تعالى (٨٧) . غير ان اباضية الخوارج تخالف المعتزلة في مسألة التوحيد في الارادة فقط ، فهم يزعمون : «ان الله سبحانه لم يزل مريدا لمعلوماته التي تكون ان تكون ، ولعلوماته التي لا تكون الا تكون» (٨٨) .

الوعد والوعيد :

كانت مسألة ارتكاب الكبيرة من اكثر المسائل التي اثارت الجدل بين المسلمين، حتى جعلها احد الكتاب الحديثين السبب في نشأة علم الكلام والفرق (٨٩) . ولقد خالفت الخوارج غيرها من الفرق الاسلامية بشأن ارتكاب الكبائر ، اذ قالوا ان مرتكب الكبيرة يخرج من الاسلام وينتقل الى دائرة الكفر ، بينما قالت المرجئة : «لا يضر مع الايمان ذنب ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة» (٩٠) . وقد احتجوا

٨٤ - ابن تيمية : الايمان ، ص ٢٠٩ . امين : فجر الاسلام ، ص ٢٥٩ .
Pareja : Islamologie, p. 815.

٨٥ - الحميري : الحور العين ، ص ١٤٧ .

٨٦ - طه ٥ .

٨٧ - الاشعري : الابانة ، ص ٣٦ .

٨٨ - الاشعري : مقالات ، ٢٠٣/١ .

٨٩ - الغرابي : تاريخ الفرق الاسلامية ، ص ٢٨٩ .

٩٠ - الاشعري : الابانة ، ص ٢ .

بقوله تعالى : «ان الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء» (٩١) .
ولعل الناظر بهذه الآية لا يجد فيها ما فهمته المرجئة منها بأن مغفرة الله قد وقعت
على جميع الفاسقين . ورد عليهم الملطي فأنكر زعمهم (٩٢) ، محتجا بقوله تعالى :
«أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات
سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون» (٩٢) .

ويرى ابن حزم أن المرجئة بأخذها بهذا الاعتقاد إنما حكموا في الإيمان بأحد
طرفيه ، وهو أوله ومدخله ، فضاهاوا بذلك اليهود الذين يضمنون لأنفسهم الجنة .
كما يرى أن الخوارج أخذوا بالطرف الآخر ، بينما عدوا المؤمن من لا ذنب له البتة
وما كان دون ذلك فهو كافر في النار . فقد أخذوا بحد الكمال وغاياته ، وتركوا
الحق وسطا (٩٤) .

وقالت المعتزلة أن مرتكب الكبيرة هو في منزلة بين المنزلتين ، فليس هو
بكافر ولا هو بمؤمن . فإذا تراجع وتاب قبل وقوع الاجل يعود الى دائرة الإيمان .
أما إذا مات قبل أن يتوب فيكون في حيز الكفر ويكون خالدًا في النار (٩٥) .
وتختلف الخوارج عن غيرها من الفرق الكلامية في نوعية عذاب الآخرة ،
فيؤمنون أن مرتكبي الكبائر من منتحلي الإسلام يعذبون عذاب الكافرين ويخلدون
في النار ، بينما ترى المعتزلة أن عذابهم من نوع آخر (٩٦) . وزعمت فرقة من
المرجئة أن الله يدخل العصاة نار جهنم ، ولكنه لا يتركهم فيها ، بل يخرجهم منها
ويدخلهم الجنة (٩٧) . كما يرفض الخوارج اعتقاد أهل السنة بشفاعة الرسول
يوم القيامة (٩٨) .

وقد بررت الخوارج والمعتزلة ومن قال بقولهما ، بأنه لا يجوز أن يجتمع في
الإنسان الواحد الإيمان والنفاق ، فيكون محمودا من وجه ومذموما من وجه
آخر ، فيستحق الجنة والنار جميعا . فهم لا يرون إلا خلودا في الجنة أو خلودا
في النار (٩٩) . وقد احتجت الخوارج لمذهبها هذا بآيات من القرآن ، منها قوله
تعالى : «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله

٩١ - النساء ٤٨ ، ١١٦ .

٩٢ - الملطي : التنبيه والرد ص ٢٤٣ - ٢٤٥ .

٩٣ - الجانية ٢١ .

٩٤ - ابن حزم : الرد على ابن النفري ، ص ٢٢٧ .

٩٥ - الأشعري : الإبانة ، ص ٢ .

٩٦ - الأشعري : مقالات ، ص ٢٠٤ .

٩٧ - الرازي : اعتقادات ، ص ٧٠ .

٩٨ - ابن تيمية : الإيمان ، ص ١٤٢ - ١٤٣ (ط . القاهرة ١٣٢٥) .

٩٩ - الأيجي : شرح المواقف ، ٢/٢٢٢ . ابن تيمية : الإيمان ، ص ٢٠٩ .

غني عن العالمين» (١٠٠) . فكان تارك الحج - في نظرهم - كافرا ، كما احتجوا بقوله تعالى : «انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون» (١٠١) . فقد اعتبروا الفاسق المصرّ على فسقه آيسا من روح الله ، فكفروه بذلك . ثم عمدوا الى الاحتجاج بآيات اخرى جاءت بهذا المعنى ، وخلصوا منها الى تكفير كل مرتكب للذنوب ، لانه بارتكابه لتلك الذنوب انما يحكم بغير ما انزل الله (١٠٢) .

وقد رد الامام علي - في احدى خطبه - على مزاعم الخوارج ، فانكر عليهم تكفيرهم لمرتكب الكبيرة ، واحتج عليهم بفعل الرسول نفسه ، واعلمهم بأنه لو كان مرتكب الكبيرة كافرا لما صلتى عليه النبي ، ولما مكنته من وراثة المسلم او نكاح المسلمات ، او اخذ نصيبه من الفياء (١٠٢) .

كما رد ابن ابي الحديد على تلك المزاعم ، ودحض زعمهم بتكفير الفاسق ، مستدلا بقوله تعالى : «ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون» (١٠٤) . فوجد ان هذه الآية تدل على فسق الكافر ، ولكنها لا تدل على كفر الفاسق (١٠٥) .

اما سائر طوائف المسلمين الاخرى ، فيرون ان الشخص الواحد قد يعذب في النار ، ثم يدخل الجنة . ويستدلون على ذلك بأحاديث للرسول يسمي فيها بعض الذنوب كفرا ، ولكنه لا يخرج مرتكبها من دائرة الاسلام . فقد قال (ص) : «سياب المسلم فسوق وقتاله كفر» . كما قال : «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» (١٠٦) ، وقوله : «من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر» . كما يستدلون بقوله تعالى : «ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا» (١٠٧) حيث امر بالتثبت من شهادة الفاسق ولم يرفضها . فلو صار كافرا بفسقه لنهى عن قبول شهادته . ويضيف الأشعري الى ذلك : «ان الايمان في القلب ، والمعاصي محلها الاعضاء، وهما في محلين مختلفين» (١٠٨) .

وردّ الايجي على مزاعم الخوارج والمرجئة وغيرهما بشأن وقوع العذاب على مرتكب الكبيرة ، فقال : «لا شبهة في ان عدم الوجوب مع الوقوع لا يستلزم خلفا ولا كذبا ، ولا يقال ان يستلزم جوازهما وهو ايضا محال ، لانا نقول استحالته ممنوعة ، كيف وهما من الممكنات التي تشمل قدرته تعالى» . والامر الثاني الذي

١٠٠ - آل عمران ٩٧ .

١٠١ - يوسف ٨٧ .

١٠٢ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١١٤/٨ .

١٠٣ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١١٤/٨ .

١٠٤ - النور ٥٥ .

١٠٥ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١١٧/٨ .

١٠٦ - ابن تيمية : الايمان ، ص ٢١٠ .

١٠٧ - الحجرات ٦ .

١٠٨ - الأشعري : الابانة ، ص ٣ .

يرد به الايجي : «انه اذا علم المذنب اي مرتكب الكبيرة انه لا يعاقب على ذنبه بل يعفي عنه لم ينزجر عن الذنب ، بل كان ذلك تقريراً على ذنبه ، وعدم التوبة عنه ، وكان اغراء للغير عليه ، وانه قبيح مناف لمقصود الدعوة الى الطاعات وتترك المنهيات » (١٠٩) .

ويلخص الرازي مذهب اهل السنة والجماعة ، فيرى ان الله سيعفو عن بعض الفساق دون تحديد هويتهم ، فهذا امر من شأنه تعالى ، وان لا خلود نفاسق على فسقه في العذاب (١١٠) .

خلق القرآن :

تقول جميع الخوارج بخلق القرآن (١١١) . وقالت المعتزلة بذلك ايضا (١١٢) . كما ان اكثر الزيدية والمرجئة وكثيرا من الرافضة يقولون : «ان القرآن كلام الله سبحانه ، انه مخلوق لله لم يكن ثم كان» (١١٣) . بينما علماء الحنفية متفقون على عدم خلق القرآن وعلى تكفير القائلين بخلقه (١١٤) ، وهم يقولون : «ونقر بأن كلام الله تعالى غير مخلوق ، ووحيه وتنزيله لا هو ولا غيره ، بل هو صفته على التحقيق» (١١٥) .

اما اهل السنة والجماعة ، فقد قالوا بأن الله متكلم له كلام : «وان كلامه قديم ليس بمخلوق ، ولا مجعول ولا محدث ، بل كلام قديم صفة من صفات ذاته كعلمه وقدرته وارادته ونحو ذلك من صفات الذات» (١١٦) .

ويبدو ان القائلين بخلق القرآن استدلوا بقوله تعالى : «الله خالق كل شيء» (١١٧) . فرد عليهم الباقلاني ، فقال : «فان اردت شيئا كالايشاء من حيث خروجه من العدم الى الوجود كالايشاء الموجودة بعد العدم ، فنقول : لا ... والوجود الثابت لا يدل على انه مخلوق محدث فان الله تعالى موجود ثابت دائم

١٠٩ - الايجي : شرح الموافف ، ٢٢٢/٣ .

١١٠ - الرازي : اعتقادات ، ص ٧١ .

١١١ - الاشعري : مقالات ، ص ٢٠٣ .

١١٢ - الرازي : اعتقادات ، ص ٣٨ .

١١٣ - الاشعري : الابانة ، ص ٤ .

١١٤ - المصدر نفسه .

١١٥ - الاشعري : الابانة ، ص ٨٢ .

١١٦ - الباقلاني : الانصاف ، ص ٦٢ .

١١٧ - الرعد ١٨ .

الوجود ليس بمخلوق» . أما قوله تعالى : «الله خالق كل شيء» (١١٨) ، فسيرى
الباقلائي ان المقصود به الخصوص دون العموم ، اي مما يصح فيه الخلق
والحدث (١١٩) .

التأويل والقياس :

كانت اكثرية الخوارج ضد تأويل القرآن (١٢٠) . فقد اخذوا بحرفية آياته ،
وادي بهم الامر الى الإخذ بظاهرها ، وأجروا احكامهم على ذلك . فقطعوا يد
السارق بغض النظر عن كمية المسروق او طبيعة السرقة وظروفها (١٢١) ، وذلك
اخذا بقوله تعالى : «والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاءً بما كسبا نكالا من
الله والله عزيز حكيم» (١٢٢) . كما خالفوا اهل السنة بموضع قطع اليد ، فأهل
السنة يقولون بقطعها من الرسغ ، في حين ان الخوارج الازارقة قطعوها من
الكتف (١٢٣) .

ولست ادري كيف ان الشهرستاني يصف المحكمة الاولى بانهم كانوا اشد
الناس قولا في القياس (١٢٤) ، في حين كانوا يأخذون بظاهر الآيات ، مما جعلهم
ينكرون اشد الانكار على علي اخذه بالقياس في مسألة التحكيم . فحين احتج
عليهم علي بأن الله قد أمر بالتحكيم في الخلاف بين الرجل وزوجته ، رفضوا
القياس بين الحالتين ، وزعموا ان الله لم يأمر بالتحكيم في الحرب (١٢٥) . ولعل
الازارقة كانوا من اشداهم في الإخذ بظاهر القرآن ، بينما النجدات منهم اجازوا
الاجتهاد في بعض الاحكام الشرعية (١٢٦) .

عقائد فرعية اخرى للخوارج :

ذكر ان الخوارج على اختلاف اصنافها تبرأ من الكاذب ، ومن الذين يجاهرون

-
- ١١٨ - الزمر ٦٢ .
 - ١١٩ - الباقلائي : الانصاف ، ص ٦٣ .
 - ١٢٠ - القلقشندي : صبح الاعشى ، ٢٢٢/١٣ .
 - ١٢١ - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٦٤ .
 - ١٢٢ - المادة ٦٨ .
 - ١٢٣ - ابن حزم : الفصل في الملل ، ١٨٩/٤ .
 - ١٢٤ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١١٦/١ .
 - ١٢٥ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٢٧/٣ .
 - ١٢٦ - الاشعري : مقالات ، ٢٠٦/١ .

في المعصية (١٢٧) . وحكى الأشعري أنهم ينكرون عذاب القبر ، ولا يرون على الناس فرضاً ما لم تأتهم الرسل (١٢٨) . وقد احتجوا على ذلك بقوله تعالى : «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» (١٢٩) . كما خالفوا اعتقاد أهل السنة بشفاعة الرسول يوم القيامة (١٣٠) .

ولعل من المفيد أن نورد في هذا المقام ما ذكره القلقشندي حول إيمان جميع الخوارج ، التي تكشف لنا العديد من آرائهم وأفكارهم في كثير من الأمور المختلفة . فعلى الرغم من أن هذا الإيمان تماثل في أصولها إيمان أهل السنة ، إلا أنهم يريدون عليها ، فيقولون : «والأجرت التحكيم وصوبت قول الفريقين في صفين ، واطعت بالرضى مني حكم أهل الجور ، وقلت في إمامة بني أمية عدل وإن قضاءهم حق ، وإن عمرو بن العاص أصاب وإن أبا موسى ما أخطأ ، واستبحت الأموال والفروج بغير حق ، واجترحت الكبائر والصقائر ولقيت الله مثقلا بالأوزار ، وقلت : إن فعلة عبد الرحمن بن ملجم كفر وإن قاتل خارجة آثم ، وبرئت من فعلة قطام ، وخلعت طاعة الرؤوس ، وأنكرت أن تكون الخلافة إلا في قريش ، وإلا فلا رويت سيفي ورمحي من دماء المخطئين» (١٣١) .

نظرية الإمامة عند الخوارج

لما كان موضوع الإمامة في الإسلام — على اختلاف الآراء فيه — يشكل وحدة متكاملة ، تعود في أصولها إلى روافد مشتركة ، فقد وجدت من المفيد أن أعرض لنظرية الإمامة عند الخوارج على ضوء نظريات أشهر الفرق الإسلامية الأخرى (١٣٢) .

-
- ١٢٧ — المبرد : الكامل ، ٨٩١/٣ .
 ١٢٨ — الأشعري : مقالات ، ٢٠٦/١ .
 ١٢٩ — الأسراء ١٥ .
 ١٣٠ — ابن تيمية : الإيمان ، ص ١٤٢ — ١٤٣ (ط. القاهرة ١٣٢٥) .
 ١٣١ — القلقشندي : صبح الأعمى ، ٢٢٥/١٢ .
 ١٣٢ — علما أن كثيرين من الباحثين — عربا وفرنجا — عالجا جوانب مختلفة من موضوع الإمامة في الإسلام ، وأدلوها بدلائهم في هذا المجال ، نذكر منهم :
 — الخطيب ، عبد الكريم : الخلافة والإمامة (القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٦٣) .
 — تامر ، عارف : الإمامة في الإسلام (بيروت ، دار الكتاب العربي) .
 — صبحي ، أحمد محمود : نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية (القاهرة ، دار المعارف، ١٩٦٩) .
 — Peerwani, Parvin S.V: The Concept of Imamate, Beirut, 1967.
 — Ibish, Yusuf: Imamate, Beirut, A.U.B. 1966.
 — Arnold, Thomas W. The Caliphate, Oxford, The Clarendon press , 1924 .

بين الامامة والخلافة :

الامامة والخلافة في الاسلام لفظتان اطلقتا على مسمى واحد . فيدعى رأس الجماعة الاسلامية اماما ، كما يسمى خليفة ، وهو الذي يتولى رئاسة المسلمين لتنفيذ احكام شريعتهم .

ويرى ابن خلدون ان تسميته اماما جاءت تشبيها له بامام الصلاة ، الذي يجب على المسلمين اتباعه والاعتداء به . وتمييزا لهذا المنصب عن امامة الصلاة ، فقد اطلق على رئاسة المسلمين العامة الامامة الكبرى . اما تسميته خليفة فقد جاءت من خلافته للنبي في أمته (١٢٣) . ولعل هذا اللقب جاء بتوجيه من الرسول نفسه ، فقد نقل عنه انه قال : «ان بني اسرائيل كانت تسوسهم الانبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وانه لا نبي بعدي ، انه سيكون خلفاء فتكثر» (١٢٤) .

وقد حدد الماوردي مفهوم الامامة والخلافة ، فقال : «الامامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا» (١٢٥) .

وعلى الرغم من ورود كلمتي امام وخليفة في مواقع كثيرة من القرآن ، فليس بينها ما يدل دلالة قطعية على ان المقصود بها هو هذا المنصب الذي يخلف النبي فيه لرئاسة المسلمين الدينية والدنيوية (١٢٦) . غير ان بعض علماء الشيعة يرون ان لفظة خليفة التي وردت في قوله تعالى : «اني جاعل في الارض خليفة» هي بمعنى الامامة الكبرى ، ويستدلون بها على وجوب الامامة من كتاب الله (١٢٧) . ولعل الناظر المدقق بمعنى هذه الآية وسياقها ، يجدها تشير الى آدم الذي استخلفه الله على هذه الارض (١٢٨) ، فقد قال فيها عز وجل : «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون» (١٢٩) .

وقد كان لمنصب الامامة دور خطير عبر الحياة الاسلامية ، كما كانت مجال تنازع وانشقاق بين المسلمين ، حتى قال الشهرستاني في ذلك : «واعظم خلاف في الامة خلاف الامامة ، اذ ما سل سيف في الاسلام على قاعدة دينية ، مثل

١٢٣ - ابن خلدون : تاريخ ، ٢٣٩/١ .

١٢٤ - ابن حنبل : المسند ، ٧٩٤٧/١٥ .

١٢٥ - الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٣ .

١٢٦ - الانعام ١٦٥ ، النور ٥٤ ، الفرقان ٧٤ ، الحجر ٧٩ ، البقرة ٢٨ ، ١١٨ .

١٢٧ - ابن شهر آشوب : مناقب آل ابي طالب ، ٢١١/١ . البقرة ٣٠ .

١٢٨ - الجلالان : تفسير ، ص ٨ .

١٢٩ - البقرة ٣٠ .

ما سلّ على الامامة في كل زمان» (١٤٠) . وربما كانت الخوارج أكثر الفئات الاسلامية اهتماما بأمر الامامة ، فقدمو اكثر ضحاياهم على مذبحها ومن اجلها .

الامامة عند الشيعة وأهل السنة :

يبدو ان علماء الاسلام من اهل السنة والشيعة متفقون على وجوب الامامة ، وانه لا بد للمسلمين من امام ينفذ الاحكام ويقيم الحدود بين الناس (١٤١) . الا ان الامام الغزالي لا يرى تكفير من يخطيء في اصل الامامة وما يتعلق بها (١٤٢) . ولعل الناظر في الخلاف حول الامامة في بدء امرها ، يجده ينحصر بين النص والاختيار . اذ رأى فريق من المسلمين ان الرسول قد نص على امامة هذا او ذلك ، بينما قال آخرون بعدم ثبوت النص وان الامر متروك لاهل الحل والعقد من المسلمين يختارون من يشاءون ممن تتوافر فيهم شروط هذا المنصب . والقائلون بالنص يختلفون فيمن وقع عليه النص . فقال فريق منهم ان النبي نص على امامة ابي بكر الصديق . واستدلوا على ذلك بقول النبي في مرضه الاخير : «مروا ابا بكر فليصل بالناس» ، وانه اصرّ على هذا الطلب حتى عمل به . فتبادر الى اذهان هؤلاء الناس ان الرسول قدمه لامامة المسلمين الكبرى من بعده (١٤٣) . ولكن صاحب السيرة الذي جاء بهذا الخبر ، جاء بمقالة لعمر قبيل وفاته تخالف هذا الزعم . فقد ذكر ابن هشام ان عمر حين اشرف على الموت ، سأله المسلمون ان يستخلف عليهم ، فقال : «ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني ، وان اتركهم فقد تركهم من هو خير مني» . فعلم الناس من هذه المقالة ان النبي لم يستخلف ابا بكر ، ويضيف ابن هشام قائلا : «وكان عمر غير متهم على ابي بكر» (١٤٤) . ومما يبطل القول بالنص على ابي بكر ايضا ما جرى بالسقيفة ، حين قال ابو بكر لعمر : «ابسط يدك ابايعك» فلو كان الرسول قد نص عليه لما جاز قوله (١٤٥) .

وقالت الراوندية ان النبي قد نص على عمه العباس بن عبد المطلب ونصّبه اماما للمسلمين ، وساقوا الامامة بالنص والتعيين الى ان انتهوا بها الى ابي جعفر

-
- ١٤٠ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٦/١ .
 - ١٤١ - البغدادي : كتاب أصول الدين ، ص ٢٧١ . الطوسي : التبيين ، ٢٥١/٨ .
 - ١٤٢ - الغزالي : فيصل التفرقة ، ص ٥٧ .
 - ١٤٣ - ابن هشام : سيرة ، ٦٥٢/٢ .
 - ١٤٤ - ابن هشام : سيرة ، ٦٥٣/٢ .
 - ١٤٥ - الاشمري : كتاب اللع ، ص ٨٣ .

وقالت الشيعة الامامية ان الرسول نص على علي . ويصل الامر بالمسعودي الشيعي الى ان يخبرنا ان جبريل عليه السلام ومعه أمناء الملائكة جاؤوا بكتاب مسجل في السماء ، فانفردوا بأهل البيت والنبى محمد (ص) ، ثم أبلغهم جبريل الوصية بالامامة لعلي ، ويضيف قائلا : «وختمت الوصية بخواتيم من ذهب لم تصبه نار ودفعت الى امير المؤمنين» (١٤٧) . ولكن المسعودي الذي جاء بهذه الرواية ، لم يخبرنا - فيما بعد - اين استقرت هذه الوصية ، وكيف ان عليا لم يبرزها امام الملأ من المسلمين ، وقد انتزعت منه الخلافة ثلاث مرات متتالية . ولعل صاحب كتاب الوصية قد وقع في تناقض مع نفسه بشأن الوصية ذاتها . فعلى الرغم من ايراده للنص السماوي بوجود الامامة لعلي ، فانه في موضع آخر من كتابه يظهر عليا وقد كره الامامة وعافها ، وذلك حين سار اليه الناس بعد مقتل عثمان ليبايعوه ، فامتنع عليهم ، فألحوا عليه حتى أكرهوه (١٤٨) . فكيف يتمنع عن واجب فرضه الله عليه وتدبه لتأديته ؟؟

وقد لا تتشبه الشيعة بكتاب الوصية الذي اشار اليه المسعودي في ردهم على منكري أمر الوصية ، بل يحتجون بأحاديث وردت عند اهل السنة أيضا يرون فيها استخلافا لعلي . فقد روي عن الرسول انه قال في غدیر خم : «من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» . وقد تناول الباقلاني هذا الحديث ، فأورد مختلف المعاني في العربية لكلمة مولى ، فلم يجد بينها معنى يفهم منه انها تعني الامامة او الخلافة (١٤٩) . اما الحديث الآخر الذي تحتج به الشيعة - وقد ورد في الصحاح - فهو قول الرسول لعلي : «يا علي ، أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى ، الا انه لا نبي بعدي» . وتعقبا على هذا القول ، فقد ذكر ابن سعد في طبقاته ، ان النبي طلب الى علي أن يتخلف في المدينة حين خرج المسلمون في غزوة تبوك . فأخذ اهل النفاق يشيعون انه انما خُلفه لشيء كرهه منه . فعز ذلك على علي ، فلحق بالرسول يستوضحه الامر ، فتضحك النبي وخاطبه بهذا الحديث (١٥٠) . ويرى علماء اهل السنة من هذه الرواية ، ان النبي انما استخلفه في اهل بيته ولم يستخلفه بعد موته ، فهرون

-
- ١٤٦ - الاشعري : مقالات ، ١/٩٦ . فقد زعمت الراوندية ان العباس نص على امامة ابنه عبد الله ، ونص عبد الله على امامة ابنه علي بن عبد الله الى ان اوصلوها لابي جعفر المنصور . والراوندية هي احدى فرق الكيسانية (الرازي : اعتقادات ، ص ٦٢) .
- ١٤٧ - المسعودي : اثبات الوصية ، ص ١٢١ - ١٢٢ .
- ١٤٨ - المسعودي : اثبات الوصية ، ص ١٤٥ .
- ١٤٩ - الباقلاني : التمهيد ، ص ١٦٩ . الطحاوي : مشكل الآثار ، ٢/٣٠٧ .
- ١٥٠ - ابن سعد : طبقات ، ٣/٢٤ .

مات قبل موسى ، وان الذي استخلفه موسى بعد موته هو يوشع بن نون (١٥١) .
ويستمر علماء اهل السنّة برد مزاعم الوصية ، فيتخذون من مبايعة علي
والعباس لأبي بكر واتفاق الناس على وقوع هذه البيعة ترجيحاً لما ذهبوا اليه(١٥٢) .
ويرد الاشعري على زعم من يقول بأن باطن علي والعباس كان بخلاف ما أظهره من
الرضا ، فيرى ان ذلك الاعتقاد يقضي على كل شيء أجمعت عليه الأمة (١٥٣) . كما
يرى الباقلاني ان كثيراً من القائلين بفضل علي وتقديمه من الزيدية ومعتزلة بغداد
يجحدون وجود نص بالامامة لاحد من الناس (١٥٤) . فهذا ابن ابي الحديد يروي
لنا ان ابا سفيان جاء يحرض علياً على ابي بكر ، ويعرض عليه العون والمسد
للتخلص من امامته ، فاذا بعلي يرده ، ويعنفه قائلاً : « طالما غششت الاسلام وأهله
فما ضررتهم شيئاً ! لا حاجة لنا الى خيلك ورجلك ، لولا أننا رأينا ابا بكر لها
اهلاً ، لما تركناه » (١٥٥) . وفي موقع آخر يذكر صاحب الشرح ان الاشعث بن قيس
قام الى علي يسأله عن عهد يزعم بعض الناس ان الرسول عهده اليه ولم يعهده
الى غيره ، فرد عليه قائلاً : « انه عهد الي ما في قراب سيفي ، لم يعهد الي
غير ذلك » (١٥٦) .

ولكن الشيعة الامامية - من جهتهم - لا يكتفون بتأكيد النص على علي
فحسب ، بل يرون ان هذا النص قد انتقل من امام الى آخر . فهم يقولون بنسق
الامامة وتواتر الوصية ، وان النبي قد نص لعلي على كل امام من بعده من ولده
بأسمائهم وصفاتهم الى يوم القيامة (١٥٧) . وهم ما زالوا ينتظرون الامام الثاني
عشر (المهدي) الذي غاب بأمر من الله ، والذي لا بد ان يظهر في آخر الزمان حين
يأذن الله له بالخروج (١٥٨) .

وقد اوردت الشيعة الامامية كثيراً من الاخبار والاحاديث المؤيدة لرايهم . الا
ان ابن خلدون يرى ان اكثر هذه الاحاديث - إما موضوع او مطعون فيه او فاسد
التأويل ، وانها لم تصحّ من وجه يمكن التعويل عليه (١٥٩) . أما الجاحظ فقد

-
- ١٥١ - الباقلاني : التمهيد ، ص ١٧٤ .
١٥٢ - الناشئ الأكبر : مسائل الامامة ، ص ١٤ . الاشعري : كتاب اللمع ، ص ٨٢ .
ويتفق معهما المسعودي الشيعي ، فيقول بوقوع هذه البيعة (مروج ، ١٩٥/٢) .
١٥٣ - الاشعري : كتاب اللمع ، ص ٨١ .
١٥٤ - الباقلاني : التمهيد ، ص ١٦٥ .
١٥٥ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٤٥/٢ .
١٥٦ - المصدر نفسه : ٧٥/٤ .
١٥٧ - الناشئ الأكبر : مسائل الامامة ، ص ٢٢ .
١٥٨ - الطوسي : الغيبة ، ص ٥٦ .
١٥٩ - ابن خلدون : تاريخ ، ٣٤٨/١ ، ٣٦٥/٣ .

كان أشد انكارا لخبر النص او الوصية ، ويزعم ان ذلك لم يأت به قرآن ولا خبر صادق . ويستدل على ذلك بأن عليا نفسه لم يدّع ولم يحتج به على مخالف . ويرى انه لو احتج به : «كان أشد على طلحة والزبير وعائشة ومعوية وعبد الله بن وهب من مائة الف سيف طرير وسيف مشهور» (١٦٠) . ويمكن ان نضيف الى ذلك ما ذكره البلاذري - نقلا عن الامام علي نفسه - فيقول انه بعد مقتل عثمان جاء الناس عليا ليبايعوه ، فقال لهم : «ليس ذاك اليكم ، انما ذاك الى اهل بدر ، فمن رضي به اهل بدر فهو خليفة» (١٦١) .

وكان من بين العلماء الذين تتبعوا اخبار علي وحكاية الوصية ابن ابي الحديد الذي يخلص الى القول : «ان الآثار والاخبار بشأن الوصية لعلي كثيرة جدا ، ومن تأملها وانصف ، علم انه لم يكن هناك نص صريح ومقطوع لا تختلجه الشكوك ، ولا تتطرق اليه الاحتمالات كما تزعم الامامية» (١٦٢) . ثم ينقل عن كتاب «السقيفة» للجوهري ان عليا احتج بقرابته من الرسول ، بينما احتج ابو عبيدة لابي بكر بأنه من مشيخة قريش المجربين للأمور ، ولم يدّع احد منهما بنص من الرسول ولا اتى على ذكره . فلو كان هناك نص لاحتج به احدهما على الآخر «لانه لا عطر بعد عروس» (١٦٢) .

وخلاصة القول ان اهل السنة بعد فساد النص المتعلق بالخلافة ، جعلوها اختيارا من الامة بطريق الشورى ، وقد شاركهم في ذلك المعتزلة والخوارج (١٦٤) . كما انهم لم يجوزوا للامة سوى امام واحد في زمن واحد ، فاذا بويع لخليفتين ، فالامامة لأسبقهما (١٦٥) .

والشيعة الامامية من جهتهم اصروا على وقوع النص ، وراوا ان الامامة امر يوجه الاسلام على كل شيعي امامي ، وقد شد فريق منهم فلم يجعلوها بمنزلة الوجوب (١٦٦) .

القرشية وشروط الامامة :

يتفق جمهور المسلمين على اكثر شروط الامامة ، وأهمها : العدالة بمعناها

-
- ١٦٠ - الجاحظ : العثمانية ، ص ٩ - ١٢ .
 - ١٦١ - البلاذري : انساب ، ٧/٥ .
 - ١٦٢ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٥٩/٢ .
 - ١٦٣ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٢/٦ - ١٣ .
 - ١٦٤ - البغدادي : كتاب أصول الدين ، ص ٢٧٩ .
 - ١٦٥ - الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٧ - ٨ .
 - ١٦٦ - الطوسي : التبيان ، ٣٥١/٩ - ٣٥٢ .

الشامل ، والعلم الذي يصل الى حد الاجتهاد لاقامة الحدود وتمييز الحلال من الحرام ، وسلامة الحواس والاعضاء التي لها اثر على ممارسة مسؤوليات هذا المنصب ، والنسب القرشي (١٦٧) . وأضافت الشيعة الى هذه الشروط العصمة من الذنوب - صغيرها وكبيرها (١٦٨) .

ولعل ما يهمنا من هذه الشروط في مجال هذا البحث هو النسب القرشي . فقد ذكر ابن خلدون انه قد اختلف بشأن هذا الشرط (١٦٩) . فالشيعة الامامية لا يشترطون القرشية فحسب ، بل يجعلونها في نسل علي ليس غير . والزيدية يورثونها في البطين (ابني علي) (١٧٠) ، ويجوزون امامة المفضول مع وجود الفاضل (١٧١) ، وجماعة منهم يجوزونها في قريش وغيرها من الناس (١٧٢) . اما الكيسانية من الشيعة فيجعلونها حقا لمحمد بن الحنفية (١٧٣) .

ومن جهة اخرى فان المؤرخين ورواة الاخبار يكادون يتفقون على ان ابا بكر احتج على الانصار حين حاولوا تولية سعد بن عباد يوم السقيفة ، بأن الرسول قال ان الامامة في قريش . ثم نجد هذه الرواية - بصيغ مختلفة - في الصحاح من كتب الحديث (١٧٤) .

ولكن على الرغم من اتفاق العلماء واصحاب الحديث على صحة الروايات التي تقدم قريشا على سواها في امر الامامة ، فان بعض العلماء قد ذهبوا الى جواز الامامة في غير قريش مع وجود من يصلح لها من قريش نفسها ، بينما قال آخرون بأفضلية القرشي ، وبذلك فالقرشية عندهم شرط افضلية لا شرط وجوب (١٧٥) .

ويذكر ابن خلدون ان الامامة كانت في قريش حين كانت لها الشوكة والسطوة والقدرة على سياسة الناس وقيادتهم . فكانت حكمة اشتراط القرشية ليس التبرك ، وانما المصلحة التي كانت تقتضي ذلك «فقريش كانت عصبه مضر ، فلو جعل الامر في سواهم ، لتوقع افتراق الكلمة ، فلا تنقاد العرب الا لقريش» .

١٦٧ - الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٤ - ٥ .

١٦٨ - الامين : اعيان الشيعة ، ٢٢/٣ .

١٦٩ - ابن خلدون : تاريخ ، ٣٤١/١ .

١٧٠ - ابن حجر الهيتمي : الصواعق المحرقة ، ص ٧ .

١٧١ - الملطي : التنبيه والرد ، ص ٢٤ .

١٧٢ - السعودي : مروج ، ٢٣٤/٣ .

١٧٣ - الرازي : اعتقادات ، ص ٦٢ . الكيسانية : ينتسبون الى كيسان (المختار الثقفي)

مولي علي بن ابي طالب ، الذي اخذ يدعو الناس لمبايعه محمد بن الحنفية بعد فاجعة كربلاء

(الاشعري : مقالات ، ٩١/١) .

١٧٤ - البغدادي : كتاب اصول الدين ، ص ٢٧٥ .

١٧٥ - المصدر نفسه .

أما بعد ان ضعفت قريش وتقهقر دورها في زعامة المسلمين ، فلم تعد الامامة مشروطة فيها . وقد استدل اولئك المحققون بقول الرسول : «اسمعوا وأطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشي ذو زبيبة» (١٧٦) ، وقول عمر قبيل وفاته ، حين سأله المسلمون ان يستخلف عليهم : «لو كان مولى ابي حذيفة حيا لوليته» (١٧٧) .

ولعل ما يجعلنا نميل الى ترجيح عدم اشتراط القرشية في امر الخلافة ، هو ان القرآن - في محكم آياته - لم يقدم شعبا على شعب لأرومته ، ولا قبيلة على قبيل لكثرة عدده ، بل جعل ميزان التفاضل بين البشر التقوى - لا اصالة الحسب والنسب . فقد قال تعالى : «بأيها الناس اتنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم» (١٧٨) .

وقد ذكر ابن هشام ما يؤيد ما ذهب اليه ابن خلدون ، بأن اشتراط القرشية في حينه كان لمصلحة تقتضي ذلك . فهذا ابو بكر بعد ان ذكر فضل الانصار في نصرة الاسلام والمسلمين ، قال لهم : «ولن تعرف العرب هذا الامر الا لهذا الحي من قريش ، هم اوسط الناس نسبا ودارا» (١٧٩) . وفي رواية اخرى انه قال : «وان الناس لا يدينون الا لهذا الحي من قريش» (١٨٠) . فكانما اراد ابو بكر ان يقول لهم ان قريشا ، وخصوصا هذا الحي منهم هم اكثر الناس جدارة لحمل هذا الامر ، اذ هم سادة العرب في الجاهلية ، وزادهم شرفا على شرف ظهور النبي من بينهم ، فلا تتقدمهم العرب لهذا الشرف العظيم الذي أصابوه . وحين يقول العرب ، لا يعني ان يقدم شعبا على شعب ، بل لما يعلمه من دور قيادي ينتظرهم للقيام به وحمل مسؤولياته ، لا لكونهم عربا ، ولكن لكون القرآن جاء بلغتهم ، فكانوا بذلك أقدر الناس على فهمه وحمل رسالته الى الامم الاخرى .

ويبدو ان بعض علماء المسلمين - في وقتنا الحاضر - يميلون الى عدم اشتراط القرشية للامامة ، اذ يرون ان النصوص والاحبار التي جاءت بتقديم قريش ليست فيها دلالة القطع او قرينة الوجوب ، وان اكثر ما يصح فيها ان تكون بيانا للافضلية في حينها (١٨١) . ولعل ما يدعم هذا الفهم قول الرسول : «الأئمة من قريش ما اذا حكموا فعدلوا» (١٨٢) ، وما نقله الناشيء الاكبر عن اصحاب الحديث من البصريين والواسطيين حين قالوا : «فاذا تجبرت قريش

١٧٦ - ورد هذا الحديث في سنن الحافظ بالنص التالي : قال (ص) : «ان امر عليكم

عبد حبشي مجدع فاسمعوا وأطيعوا ما قادم بكتاب الله» . ابن ماجه ، ٩٥٥/٢ .

١٧٧ - ابن خلدون : تاريخ ، ٣٤٤/١ - ٣٤٥ .

١٧٨ - الحجرات ١٣ .

١٧٩ - ابن هشام : سيرة ، ٦٥٩/٢ .

١٨٠ - الناشيء الاكبر : مسائل الامامة ، ص ١٣ .

١٨١ - ابو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، ص ٩٥ .

١٨٢ - البخاري : فتح الباري ، ٢٣١/١٦ .

وافسدت وانتهكت المحارم ، ففرض الله عز وجل على الامة جهادهم واخراج الامامة منهم على ما جاء الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم» (١٨٢) .

قول المعتزلة والمرجئة في الامامة :

ذهبت المعتزلة الى وجوب الامامة (١٨٤) ، كما اوجبوا على اهل كل عصر من المسلمين ان يفعلوا ذلك (١٨٥) . غير ان صنفا من المعتزلة انكر وجوبها ، ومنهم ابن كيسان المعروف بأبي بكر الأصم ، فقد زعموا ان للمسلمين الحق في اقامة امام لهم ، كما لهم ان لا يقيموه ، دون تفضيل احد الامرين على الآخر . واستدلوا على ذلك بامامة الصلاة ، اذ تجوز بامام وبغير امام (١٨٦) .

والمعتزلة تقول باختيار الامام من الامة ، سواء كان قرشيا او غير قرشي . ولا يشترط فيه الا ان يكون من اهل العدالة والايمان من ملة الاسلام . أما فيما عدا ذلك فلا يحسب له حساب ، وذلك لان الله لم ينص على رجل بعينه ولا رسوله فعل ذلك ولا المسلمون اجمعوا على رجل بعينه . فكان ذلك ان الامر مفوض للامة تختار من تراه اهلا لذلك (١٨٧) ، عن طريق الاختيار بالشورى (١٨٨) .

وقد اختلفت المعتزلة بشأن امامة الفاضل والمفضول . فرأى صنف منهم جواز امامة المفضول مع وجود الفاضل ، وأخذوا ذلك من موافق للرسول في حياته . فقد ولّى عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل على جيش فيه ابو بكر وعمر وابو عبيدة ، ومن المتفق عليه ان هؤلاء افضل منه . كما ولّى زيد بن حارثة في غزوة مؤتة على جعفر بن ابي طالب (١٨٩) . وصنف آخر من المعتزلة قالوا بتقديم الفاضل على المفضول ، لان منزلة الامام تأتي في الهمية بعد منزلة الرسول (١٩٠) . وصنف ثالث من المعتزلة قدّموا النبطي على القرشي في الامامة ، لان خلعهم اهلون من خلع من له عشيرة فتمنعه ان يحدث شيئا في الاسلام (١٩١) .

-
- ١٨٣ - الناشيء الاكبر : مسائل الامامة ، ص ٦٤ .
 - ١٨٤ - ابن خلدون : تاريخ ، ٣٣٩/١ .
 - ١٨٥ - السعودي : مروج ، ٢٣٤/٣ .
 - ١٨٦ - الناشيء الاكبر : مسائل الامامة ، ص ٤٩ .
 - ١٨٧ - السعودي : مروج ، ٢٣٤/٣ .
 - ١٨٨ - ابن حجر الهيتمي : الصواعق المحرقة ، ص ٧ .
 - ١٨٩ - الناشيء الاكبر : مسائل الامامة ، ص ٤٩ . وفي هذا المصدر ايضا ان الرسول ولّى اسامة بن زيد على جيش فيه ابو بكر وعمر .
 - ١٩٠ - الناشيء الاكبر : مسائل الامامة ، ص ٥١ .
 - ١٩١ - المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

اما المرجئة فقد اتفقوا جميعا على وجوب الامامة (١٩٢) ، ووافقوا غيرهم باستحقاقها بالشورى (١٩٢) ، الا انهم اصرروا على امامة الفاضل ولا يجوزون المفضول بأي وجه من الوجوه . ولكنهم اختلفوا بشأن القرشية ، فأوجبها فريق منهم استنادا لما ذكر من الاحاديث التي تقدم قريشا (١٩٤) ، بينما قالت الفيلانية منهم بجواز كونه من قريش او سواها من المعجم والعرب ، واستدلوا على ذلك بحديث عمر : «لو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا وليته الخلافة ، ولم تخالجنى الشكوك في امره» (١٩٥) .

الامامة عند الخوارج :

لعل موقف الخوارج من امامة المسلمين الكبرى هو الذي أبرزهم الى حيز الوجود . فقد ظل هذا المنصب - لحقبة طويلة - محور اهتمامهم ، كما كان سببا رئيسا ومباشرا لجميع تحركاتهم طوال العصر الاموي . فباسمها خرجوا ، ولاجلها حاربوا ، وفي سبيلها ابيدوا او كادوا ان يبادوا .

ولكن ما تجدر الاشارة اليه هو ان اهتمام الخوارج الزائد بهذا المنصب الخطير ، لم يكن طمعا بما يجره من مغانم على اصحابه ، بل كان الدافع لذلك اقامة دولة الحق التي يحلمون بتحقيقها . ولما كان مطلبهم في امر الخلافة اقرب الى الخيال منه الى واقع الحياة الانسانية ، فقد فشلوا فشلا ذريعا في ممارسة هذا النظام او في اقناع المسلمين الآخرين بصواب رايبهم فيه . ثم انعكس هذا الفشل على جماعة الخوارج انفسهم ، فتنفروا شيعا تكفر بعضها ظنا منهم بخروج هؤلاء الناس او اولئك القوم عن احكام القرآن وشروط الامامة .

والمتتبع لآخبار الخوارج - في اول امرهم - لا يجد لهم نظرية صريحة خاصة بهم بشأن الامامة . فلم يقدموا حججا كافية تبرر خروجهم على علي ، وانما استغلوا شعارا قرآنيا مؤثرا في نفوس المسلمين ، فقالوا : «لا حكم الا لله» . وما كان علي ليخدع بمثل هذا القول الذي ارادوه ستارا يخفي ما ربهم السياسية ، فأجاب على ندائهم هذا : «كلمة حق يراد بها باطل» ، وأضاف قائلا : «نعم ، انه لا حكم الا لله» . ثم كشف موقفهم من الامامة حينذاك ، فاذا هم لا يريدون اماما

١٩٢ - ابن حزم : الفصل في الملل ، ٨٧/٤ (ط. الخانجي - مصر) .

١٩٣ - ابن حجر الهيتمي : الصواعق المحرقة ، ص ٧ .

١٩٤ - الناشئ الأكبر : مسائل الامامة ، ص ٦٢ .

١٩٥ - الناشئ الأكبر : مسائل الامامة ، ص ٦٣ . الفيلانية : هم اصحاب غيلان ابي مروان

الشامسي .

للناس ، وعلي يقول : « لا بد للناس من امام ، بر كان او فاجر » (١٩٦) .
ولكن سرعان ما أدركت الخوارج ان كل دعوة لا تستهدف الوصول الى قيادة
الامة لا تستطيع الاستمرار والحياة . فقال احد قادتهم يحثهم على اختيار امير
لهم : « فولثوا رجلا منكم ، فانكم لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها
وترجعون اليها » (١٩٧) . وسرعان ما استجابوا لهذه الدعوة ، واختاروا خليفتهم
الاول عبد الله بن وهب الراسبي ، واعتبروه الامام الشرعي والامير المنتخب ، وانه
راس الدولة الاسلامية الذي يستحق الطاعة والولاء (١٩٨) . وهذا الاختيار السريع
يشير الى ادراكهم المبكر لخطورة منصب الامامة ، والسعي للوصول اليه واجتياز
كل عقبة تقف حائلا دون ذلك . وهكذا درجوا على اختيار ائمتهم . فكانوا كلما
هلك منهم امير بادروا الى انتخاب بديل عنه . فهذا ما تحققنا منه لدى دراستنا
لتاريخهم في باب سابق ، اذ كنا نجدهم لا يتخلفون عن تأدية هذا الواجب ، ولو
كانوا في ساحة الحرب والقتال (١٩٩) .

وباستثناء النجدات الذين يجوزون ان لا يكون في العالم امام اصلا (٢٠٠) .
فان الخوارج تقول بوجوب نصب الامام (٢٠١) . وهم يرون انها تستحق بالشورى
من قريش او غيرهم من العرب والعجم (٢٠٢) . فيستحقها اي مسلم يجتمع فيه
العلم والزهد ولو كان نبطيا (٢٠٣) . ولا يجوزون امامة الجائر (٢٠٤) . وبذلك فقد
انكروا اولوية قريش ، واكدوا على ميزان الفضيلة والتقوى ، وتقديم اشد
الناس اضطلاعا بحمل مسؤوليات هذا المنصب الخطير في السلم والحرب ، فقد
قال معاذ بن جوين الطائي في هذا الشأن : « وانما ينبغي ان يلي المسلمين ، اذا
كانوا سواء في الفضل ، ابصرهم بالحرب وافقههم في الدين واشدهم اضطلاعا
بما حمل » (٢٠٥) .

وهكذا فان الخوارج لا يرون تقديم قريش لقوتها وكثرتها . فالكثرة عندهم
تقل بظلمها ، والقلة تكثر بحقها . كما ان قرابتهم من الرسول لا تعطيهم مثل

-
- ١٩٦ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٣٠٧/١ .
 - ١٩٧ - ابن الاثير : الكامل ، ٣٤٥/٣ .
 - ١٩٨ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٣٠٨/١ .
 - ١٩٩ - الطبري : تاريخ ، ٩٢٦/٨ .
 - ٢٠٠ - المسعودي : مروج ، ٢٢٤/٣ .
 - ٢٠١ - ابن خلدون : تاريخ ، ٣٣٩/١ .
 - ٢٠٢ - الناشء الاكبر : مسائل الامامة ، ص ٦٨ .
 - ٢٠٣ - ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص ٩٦ .
 - ٢٠٤ - الاشعري : مقالات ، ٢٠٤/١ .
 - ٢٠٥ - الطبري : تاريخ ، ٢١/٧ ، ٩٨٦/٨ .

هذا الامتياز ، فقد كان ابو لهب منهم ايضا (٢٠٦) . ومع ذلك فهم يقرّون بامامة ابي بكر وعمر وبالسنوات الست الاوائل من عهد خلافة عثمان (٢٠٧) ، كما يعترفون بامامة علي قبل التحكيم . اما الامويون فهم - في نظرهم - مفتصبون للخلافة وأعداء للدين (٢٠٨) .

ومن آرائهم في الامامة انهم يقدمون الفاضل على المفضول . وقد يعرفون الفاضل فيهم بندبه لنفسه وخروجه ودعوته الناس الى الجهاد . فمن بادر الي ذلك فهو المقدم فيهم ، وهو أحق الناس بالامامة (٢٠٩) .

وقد يقدمون الشجاعة على العلم ، فان امير الصفرية صالح بن المرحّ رشح شبيب الشيباني لشجاعته فيهم ، على ان يفقهه في الدين من هو أعلم منه من اصحابه (٢١٠) . وهؤلاء الازارقة يبايعون قطري بن الفجاءة ويسموناه امير الموت (٢١١) . والخوارج لا يتهاونون مع امامهم اذا انحرف عن خط سيرهم ، ويكونون على اتم الاستعداد لعزله واستبداله بامام آخر ، حالما يشعرون بأنه قد اخلّ بالتزاماته الدينية او السياسية (٢١٢) . وقد كان هذا التطرف في السلوك مع ائمتهم عاملا خطيرا من عوامل انقسامهم وتفرقهم شيعا واحزابا ، اذ كانوا - لأدنى الاسباب وأقل الشبهات - ينحئون اميرا وينصبون آخر . لذلك لم نشهد تنازعا في سبيل الامارة - الا نادرا - بين قادتهم ، بل كانوا يقدمونها تقدمة لهذا او لذلك . ولعل مسؤولياتها الجسام وحساسية العمل مع هؤلاء القوم ، جعل زعماءهم يتجنبون الاندفاع نحو هذا المنصب الخطير .

وهناك ظاهرة اخرى تلفت النظر وتسترعي الاهتمام بشأن موقف الخوارج من الامامة . فانهم على الرغم من مناداتهم بالمساواة بين المسلمين ، وعلى الرغم من ان بلاد فارس كانت قاعدة انطلاقهم في حروبهم ضد الامويين والزريريين ، فلم يولّوا امرهم لغير امير من العرب . وكانت النجدية حين فارقوا نجدة الحنفي يبايعوا لثابت التمار - وهو غير عربي - ثم قالوا : «لا يقوم بأمرنا الا رجل من العرب» . فاختار لهم ثابت نفسه رجلا من العرب فبايعوه (٢١٣) .

٢٠٦ - المصدر نفسه : ٩٨٦/٨ .

٢٠٧ - لقد اخطأ باريجا Pareja حين ذكر ان الخوارج يعترفون بعشر سنوات مسن

خلافة عثمان (Islamologie, p. 817) .

٢٠٨ - الجاحظ : البيان ، ١٣٨/٢ - ١٤٤ .

٢٠٩ - الناشيء الاكبر : مسائل الامامة ، ص ٦٨ .

٢١٠ - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٨٩ .

٢١١ - الاسفرايني : التبصير ، ص ٥٠ (ط. الخانجي ١٣٧٤) .

٢١٢ - الطبري : تاريخ ، ١٠٠٦/٨ . ابن ابي الحديد : الشرح ، ٤٠٣/١ ، ٤٠٧ .

(ط. الحلبي - مصر) .

٢١٣ - المصنف المجهول ، ص ١٤٣ . وكان هذا الرجل هو ابو فديك عبد الله بن ثور .

وقد جوزت الخوارج في مطلع امرها وجود امامين لهم في آن واحد - احدهما للصلاة والآخر للحرب . ولكن يبدو ان ذلك كان قبل ان يجمعوا على عبد الله بن وهب الراسبي (٢١٤) .

والامام عند الخوارج يصل الى منصبه عن طريق البيعة كأهل السنة ، ولكن كان عندهم ما يعرف بالبيعة المشروطة ، كما فعلت النجدية مع ابي طالوت ، حين عزلوه وولتوا مكانه نجدة الحنفي . فقد كانوا اشترطوا عليه ان يستبدلوه ان وجدوا خيرا منه . فلما جاءهم نجدة خلعوا صاحبهم ابا طالوت واستعملوه عليهم (٢١٥) . كما كان امير الخوارج يأخذ البيعة من اعدائه بعد هزيمتهم ، حيث كانوا يؤمرون بوضع اسلحتهم اولا ، ثم يسلمون عليه بإمرة المؤمنين (٢١٦) . وعلى الرغم من استعمال الخوارج لكلمة خليفة وكلمة امام ، الا ان لقب امير المؤمنين كان المحبب عندهم . فقد اکتروا من استعماله واطلقوه على معظم أئمتهم . ولعل تمسكهم بهذه التسمية جاء تيمنا بعمر بن الخطاب الذي شهر بها طوال خلافته (٢١٧) ، والذي يحملون له الاكبار والتقدير (٢١٨) .

ويرى فان فلوتن Van Vloten ان حزب الخوارج هم الجمهوريون ، اذ كانوا يقولون باختيار الخلفاء الاكفاء لهذا المنصب ، دون مراعاة للطبقة التي ينتمون اليها ، وانهم كانوا يرون عزل اميرهم بمجرد فقدانه الاغلبية منهم (٢١٩) . كما جعلهم باحثون آخرون يمثلون المبادئ الديمقراطية المتطرفة (٢٢٠) . ولكن على ضوء ما عرفناه من مبادئ الخوارج السياسية وقولهم في الامامة ، لا نستطيع القول بانهم كانوا جمهوريين او ديمقراطيين متطرفين . فقول الخوارج بالشورى لم يكن من اجتهاداتهم ، فهو حكم قرآني في قوله تعالى : «وامرهم شورى بينهم» (٢٢١) . وكان هذا الحكم اساسا لانتخاب الخلفاء قبل ظهور الخوارج . ثم حين حاولوا نزع الخلافة من قريش لم تلتف حولهم اكثرية المسلمين ، بل كانت الاغلبية الساحقة من الامة الاسلامية ترى تأمير قريش ، لكونهم اقدر على سياستها ، ويرضى بها اكثر العرب والعجم . وهذا ما شاهدناه حتى بعد سقوط الحكم الاموي ، فانه على الرغم من دور الاعاجم المباشر في اسقاط دولة بني امية ، فانهم لم يتقدموا على قريش ، بل قدموا الاسرة

٢١٤ - ابن عبد ربه : العقد ، ٣٩٠/٢ .

٢١٥ - المصنف المجهول ، ص ١٢٧ .

٢١٦ - الطبري : تاريخ ، ٩٢٦/٨ .

٢١٧ - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٧٢ . شرح النهج ، ١٤٤/٤ .

٢١٨ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ٤٠٢/١ (ط. الحلبي - مصر) .

٢١٩ - فان فلوتن : السيادة العربية ، ص ٦٩ .

٢٢٠ - حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ٢٨٨/١ .

٢٢١ - الشورى ٢٨ .

العباسية القرشية عليهم ولم ينازعوها الامامة ، رغم ما كان لهم من النفوذ والسلطان في مختلف اجهزة الدولة .

وبذلك فقد كانت الخوارج قلة تحاول فرض سيطرتها على الكثرة الكاثرة من المسلمين . ولو كانوا يمارسون الديمقراطية ويحتكمون اليها فيما بينهم ويخضعون لرأي الاغلبية فيهم ، لما كفر بعضهم بعضا وتفرقوا شيئا منذ بواكير عهدهم .

ولعل من المفيد الاشارة هاهنا الى انه ليس من الموضوعية بمكان ان نربط بين مبادئ الخوارج السياسية والمبادئ الديمقراطية والجمهورية ، لان الاسس العقيدية تختلف في جوهرها . فالاكثرية في النظام الديمقراطي هي التي تتولى الحكم ، وهي - بدورها - التي تضع الدستور وتشرع القوانين ، بينما دور الاكثرية في الاسلام الذي تعتنقه الخوارج يقتصر على تولية السلطان زمام الامة ، وتكون السيادة للشريعة الاسلامية التي تعتمد رافدين اساسيين - هما القرآن الكريم والسنة النبوية . لهذا ، فان الامام ليست لديه سلطة تشريعية الا في مجال التفسير او الاجتهاد عند غياب النص . وهو ملزم بتطبيق احكام هذه الشريعة سواء رضيت بها اكثرية الناس أم خالفوها .

الفصل الثاني

فرق الخوارج وافكارهم (اجتهاداتهم الخاصة)

فرق الخوارج :

ظلت الخوارج على رأي واحد من لدن فارقوا عليا الى ان كان من أمرهم ما كان مع ابن الزبير وتفرقهم عنه . فقد كانوا حتى ذلك الحين يتولون اهل النهر ومرداس بن أدية ، ولا يختلفون الا في صفائر الامور (١) . فلما عاد نافع بن الازرق الى البصرة ، وجد الناس هناك قد اجتمعوا على حرب الخوارج ، فلحق بالاهواز ، ثم لحق به عدد من أتباعه . وأبى عبد الله بن صفار وعبد الله بن اباض الخروج معه وخالفاه ، وبقي معهما رجال آخرون على رأيهما (٢) . ثم نشهد بعد ذلك انقسام الخوارج على انفسهم . فبعد ان كانوا كتلة واحدة يجتمعون على رأي واحد ، شجر الخلاف بينهم وأصبحوا على اربعة اضرب يتبرأون بعضهم من البعض الآخر . وبذلك ظهرت اربع فرق خارجية ، يمكن

١ - المبرد : الكامل ، ٣/١٠٢١ . الناشيء الاكبر : مسائل الامامة ، ص ٦٩ .

٢ - ابن الاثير : الكامل ، ٤/١٦٧ .

اعتبارها الاصول التي تفرعت منها سائر الفرق الخارجية الاخرى . وهؤلاء
 الاصول هم : الازارقة ، والنجدية ، والاباضية ، والصفيرية (٢) .
 ومما هو جدير بالملاحظة ، ان نشأة هذه الفرق وظهورها كان في زمن واحد
 تقريبا ، رغم ان بعضهم كان اسبق في الدعاء لمذهبه من الفئات الاخرى (٤) .
 وهكذا نستطيع ان نورخ لظهور الفرق الخارجية بأوائل العهد الزبيري ، دون
 ان يكون لابن الزبير يد في نشأة هذه الفرق ، الا ما كان من خذلانه للخوارج
 ورفضه لدعوتهم ، وما تركه هذا الموقف من اثر سياسي ومعنوي عليهم .
 اما ما ذكره المبرد من وقوع خلافات مبكرة في صفوف الخوارج (٥) ، فيظن
 انها لم تكن من الخطورة بحيث يتشكل حولها جماعات فكرية مختلفة ، لان الجامع
 المشترك الذي كان يجمعهم - حينذاك - هو اقوى من عوامل الفرقة الفرعية
 التي نشأت فيما بينهم .

الازارقة

نشأتهم :

تنسب هذه الفرقة من الخوارج الى صاحبها ، فقد سموا برئيسهم نافع بن
 الازرق (٦) . وكان بدء امرهم فيما يرويه لنا المبرد ان مولى لبني هاشم جاء الى
 نافع فزين له رايه ، فقال : «ان اطفال المشركين في النار ، وان من خالفنا مشرك،
 فدماء هؤلاء الاطفال لنا حلال» . فقال له نافع : «كفرت وادلت بنفسك» .
 فأخذ هذا المولى يؤول له آيات القرآن ليثبت صدق مقالته وينجو من القتل .
 فأول له قوله تعالى : «وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا . انك
 ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا» (٧) . فمال نافع الى رايه وأخذ
 يستعرض الناس (٨) .

ولكن صاحب الاغانى يورد رواية اخرى لاستعراض نافع الناس . فيروي لنا
 ان ابن الازرق اقام في سوق الاهواز لا يعترض احدا . فجاءتسه امراته يوما ،

-
- ٣ - الاشعري : مقالات ، ١٨٢/١ .
 ٤ - الناشيء الاكبر : مسائل الامامة ، ص ٦٨ .
 ٥ - المبرد : الكامل ، ٨٩١/٣ .
 ٦ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٦٩ . بينما يرددهم اللطفي الى عبد الله بن الازرق
 (التنبيه والرد ، ص ٥١) .
 ٧ - نوح ٢٦ ، ٢٧ .
 ٨ - المبرد : الكامل ، ١٠٣١/٣ . المصنف المجهول ، ص ٨٠ .

فقلت : ان كنت قد كفرت بعد ايمانك وشككت فيه ، فدع نحلكت ودعوتك . وان كنت قد خرجت من الكفر الى الايمان ، فاقتل الكفار حيث لقيتهم ، واثنخن في النساء والصبيان . فقبل نافع قولها وبسط سيفه في الناس ، وجعل يقتل الاطفال . ويقول : «ان هؤلاء اذا كبروا كانوا مثل آبائهم» (٩) . كما اخذ يقرر بطون النساء ويقتل الصبيان (١٠) .

ولعل من الصعب على الباحث قبول مثل هذه الروايات لخروج نافع على مبادئ أسلافه من الخوارج . فرأس الازارقة هذا لم يكن من البساطة في التفكير او السذاجة في الرأي ، لينعت بالتبعية لقول من هذا او ذلك . فقد شهر ابن الازرق بملاحقاته لابن عباس وعرض مسائله الفقهية عليه (١١) . كما ان حواراه مع صاحب النجدية لا يوحي بذلك ايضا (١٢) . وعلى الأرجح ان نافعا اخطأ في تأويل الآيات القرآنية حين نظر الى بعضها معزولة عن آيات اخرى لها صلة بها ، ومن غير ربطها بأسباب نزولها . فوقع فيما وقع فيه سواه من الخوارج حين عزلوا انفسهم عن النظرة الشمولية للقرآن الكريم .

ويقال ان زعماء الخوارج الذين تخلوا عن نافع وكوتوا الفرق الخارجية الاخرى ، كانوا - في الاصل - من أتباعه . فيذكر الدينوري ان الازارقة في اول أمرهم كانوا اربعين رجلا ، وفيهم من عظمائهم : ابن الازرق ، وعطية بن الاسود ، وعبد الله بن صفار ، وعبد الله بن اباض ، وحنظلة بن يهس ، وعبيد الله ابن الماحوز (١٣) . وربما كان ذلك قبل أحداث نافع ومخالفته لما اجمعت عليه الخوارج من قبل .

وقد اختلف فيمن أحدث بدع الازارقة من زعمائهم . فعلى الرغم من ان اكثر المصادر تتفق على ان نافعا هو الذي أحدثها ، فان الاشعري يذكر ان عبد ربه الكبير هو الذي جاء بها (١٤) . والبغدادي يتفق مع الاشعري في خبره ، الا انه يعود ، فيقول : «وقيل عبد ربه الصغير» (١٥) .

ويعدد الشهرستاني قادة الخوارج الذين كانوا من اصحاب ابن الازرق ، ثم اصبحوا من زعماء الازارقة ، فيذكر منهم : عطية بن الاسود الحنفي ، وعبد الله ابن الماحوز ، وأخواه عثمان والزبير ، وعمرو بن عمير العنبري ، وقطري بن الفجاءة ، وعبيدة بن هلال اليشكري وأخوه محرز بن هلال ، وصالح بن مخراق

٩ - الاصفهاني : الاغاني ، ١٣٤/٦ .

١٠ - المصنف المجهول ، ص ٩٣ .

١١ - السيوطي : الاتقان ، ١٤٩/١ - ١٦٥ .

١٢ - المبرد : الكامل ، ١٠٣٥/٣ .

١٣ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٦٩ .

١٤ - الاشعري : مقالات ، ١٧٠/١ .

١٥ - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٧٣ .

العبدى ، وعبد ربه الصغير ، وعبد ربه الكبير (١٦) .
 ويقول ابن حزم ان اولهم نافع بن الازرق وآخرهم عبيدة بن هلال الشكري ،
 ولكنه يشك في صبيح مولى سوار بن الاسمر المازني التميمي الذي خرج في ايام
 هشام بن عبد الملك ، اكان براى الازارقة ام براى الصفرية (١٧) .
 واذا كنا نتفق مع ابن حزم بأول الازارقة ، فاننا لا نتفق معه بأخرهم .
 فالازارقة لم ينتهوا بمقتل زعمائهم البارزين ، بل ظلوا بشكل او بأخر هنا او
 هناك . ثم جاء من بقاياهم فرق خارجية اخرى .

آراء الازارقة ومعتقداتهم :

لا نستطيع القول ان الازارقة احدثوا عقائد خاصة تميزوا بها عن سائر
 الخوارج ، وانما يمكن القول انهم كانوا اصحاب آراء ومعتقدات نابعة في اصولها
 من كتاب الله يصح تصنيفها في باب الفقه والاجتهاد . ويلاحظ على هذه
 الآراء انها - في كثير من الاحيان - جاءت خالية من الحجّة والبرهان . ولكن
 يبدو ان اصحابها غالوا في تمسكهم بها حتى كفروا سواهم من الفئات الاخرى .
 فقد حمل ابن الازرق لواء دعوته وكتب الى من تخلف عنه من الحرورية في
 البصرة ، فحثهم على الخروج من بين اظهر الكفار والهجرة اليه ، فينتقلون بذلك
 من الظلمات الى النور (١٨) .

وشدد نافع النكير على القعدة ، فلم يجد لهم عذرا في التخلف عن الجهاد ،
 لقوله تعالى : «وقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً» (١٩) . وبتسمية نافع لمخالفيه مسن
 المسلمين مشركين ، فقد خالف اسلافه من المحكمة الذين كانوا يقولون : «بأن
 مخالفهم كفار وليسوا بمشركين» (٢٠) .

وكان راس الازارقة يكثر من الاستشهاد بآيات القرآن للتدليل على صحة
 دعواه . فقد احتج لتفضيل الخروج على القعود بقوله تعالى : «انفروا خِفَافًا
 وثِقَالًا» (٢١) ، وبأن الله فضل المجاهدين على القاعدين من الضعفاء والمرضى
 والذين عذروا لعلة فيهم ، حين قال : «لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي

١٦ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١١٩/١ - ١٢٠ .

١٧ - ابن حزم : الفصل في الملل ، ١٨٩/٤ - ١٩٠ .

١٨ - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٧٢ .

١٩ - التوبة ٣٦ .

٢٠ - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٧٢ .

٢١ - التوبة ٤١ .

الضرر والمجاهدون في سبيل الله» (٢٢) . فلما ورد كتابه الى البصرة ، خالفه زعماء الحرورية هناك ، ولم يستجيبوا لدعوته . وردّ عليه ابن اباض وابسن الصفار ، فأنكروا كثيرا من آرائه واجتهاداته (٢٣) .

وهكذا فقد كفر نافع مخالفيه ولم يقبل منهم الا الهجرة اليه ، ليهجروا بذلك ديار الكفر ويدخلوا ديار الاسلام ، والا فالسيف لأعناقهم ، لانهم ككفار العرب الذين لم يقبل منهم الا الاسلام او السيف . ومن لم يهاجر اليه من الخوارج فهو بمنزلة الكفار ايضا (٢٤) ، واستحل قتلهم بذلك (٢٥) ، متأولا قوله تعالى : «وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذّن لهم وقرء الذين كذبوا الله ورسوله» (٢٦) . وكان نافع يقول : «من لم يخرج يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فهو كافر ضال حلال الدم» (٢٧) .

ولم يكتفِ ابن الازرق بهجرة الناس اليه للتدليل على ايمانهم بدعوته ، بل أحدث لهم ما يعرف بـ «المحنة» . فكان اذا جاء احد من المهاجرين أخضعه للامتحان ، وذلك بأن يقدم له اسيرا من مخالفيه ، فان قتله هذا المهاجر صدقه نافع ، وبذلك يكون قد اجتاز الامتحان . وان لم يقتله شكوا بأمره واعتبروه منافقا مشركا ، فيأمر نافع بقتله (٢٨) .

وانكر نافع «التقية» فهي لا تحلّ ولا يجوز التذرع بها والتخفي تحت ستائرها ، فالله أحق ان تخشاه . واستدل على ذلك بقوله تعالى : «فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او أشد خشية» (٢٩) . وشدد من عزائم اصحابه بتكريم الله للمجاهدين (٣٠) ، حيث يقول تعالى : «يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم» (٣١) .

وكان قول نافع بتحريم التقية سببا في وقوع الخلاف بينه وبين نجدة الحنفي الذي أجاز الاخذ بالتقية استدلالا بقوله تعالى : «الا ان تتقوا منهم تقاة» (٣٢) .

٢٢ - النساء ٩٥ .

٢٣ - المبرد : الكامل ، ١٠٢٨/٣ - ١٠٤٠ .

٢٤ - المبرد : الكامل ، ١٠٢٢/٢ .

٢٥ - المصنف المجهول ، ص ٨٠ .

٢٦ - التوبة ٩٠ .

٢٧ - الناشيء الاكبر : مسائل الامامة ، ص ٦٩ .

٢٨ - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٧٣ .

٢٩ - النساء ٧٧ .

٣٠ - المبرد : الكامل ، ١٠٢٢/٣ .

٣١ - المائدة : ٥٤ .

٣٢ - آل عمران ٢٨ .

وقوله تعالى: «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه» (٢٣). فرد عليه نافع بأن ذلك كان جائزا لأصحاب النبي حين كانوا مقهورين . أما من غيرهم مع إمكان الخروج فالقعود كفر (٢٤) .

وترسيخا لمبادئه الجديدة في نفوس أتباعه ، فقد كان على نافع ان يقنعهم بصحة رايه واستقامة دعوته وعظيم اجر تابعيه . فبشرهم بأن الله قد اكرمهم بخروجهم وانا بصائرهم ونزع عن قلوبهم ران الضلالة والكفر . ويكفيهم فخرا واعتزازا انهم انما خرجوا طلبا لرضوان الله والعمل بشريعته ، فهو قائدهم وقرآنه امامهم . وبعد ان يدغدغ آمالهم بأنهم منائر الحق وقادة الامة ، يقول لهم : «أليس حكمكم في وليكم حكم النبي صلى الله عليه وسلم في وليه ، وحكمكم في عدوكم حكم النبي صلى الله عليه وسلم في عدوه ، وعدوكم اليوم عدو الله وعدو النبي صلى الله عليه وسلم» . فكانوا يردون عليه بالاجاب . ودعموا لرايه بحكم قرآني ، فقد تأول عليهم قوله تعالى : «براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين» (٢٥) . وهكذا فقد اوصلهم الى التبرؤ من مخالفهم بحجج قرآنية . وبالتالي فقد حرّم قبول شهادتهم او اكل ذبائحهم ، كما حرّم مناكحتهم وموارثتهم وأخذ الدين عنهم . وما دامت الازارقة هم الذين يعرفون الحق ويعملون به من دون الناس ، فقد اصبح لزاما عليهم ان يحملوا هذا الدين لاولئك المخالفين ، ولا يجوز لهم ان يكتموا ما أنزل الله ، وتأول لهم قوله تعالى : «ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» (٢٦) . وهكذا استطاع ان يقنع اصحابه بصحة نهجه . فاستجابوا له وأطاعوه (٢٧) .

وقد شهر نافع بقوله في البراءة والاستعراض واستحلال الامانة وقتل الاطفال (٢٨) . ثم أكثر من البدع الاخرى ، فأنكرت عليه الخوارج ذلك ، وعاتبوه على خروجه عن قواعد السلف من اهل النهر وأهل القبلة . فكان رده عليهم : «هذه حجة قامت عليّ لم تقم عليهم» . ولم ترتض الخوارج بزعمه هذا ، وفارقه كثير من أتباعه ، فسمّوا «اهل الوقوف» ، وذلك لوقوفهم عند الشبهة (٢٩) . وأصر نافع من جهته على مزاعمه (٤٠) .

٢٣ - غافر ٢٨ .

٢٤ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٢٥/١ .

٢٥ - التوبة ١ .

٢٦ - البقرة ١٥٩ .

٢٧ - الطبري : تاريخ ، ٥١٨/٧ . ابن الاثير : الكامل ، ١٦٧/٤ .

٢٨ - المبرد : الكامل ، ١٠٤٠/٣ .

٢٩ - المصنف المجهول ، ص ٧٨ .

٤٠ - الاشعري : مقالات ، ١٦٩/١ .

وكان اصحاب نافع من الازارقة يقولون : «نحن مشركون ما دمننا في دار الشرك ، فاذا خرجنا فنحن مسلمون» (٤١) . ولكنهم لا يكفرون احدا من اهل مقاتلهم ما دام مقيما في دار هجرتهم ، الا اذا قتل رجلا مسلما ، فانهم يقولون : «المسلم حجة الله ، والقاتل قصد لقطع الحجة» (٤٢) .

واحدثت الازارقة اشياء اخرى في الاسلام فيما بعد . فقد حرّموا رجس الزاني المحصن ، بحجة انه غير مذكور في القرآن (٤٣) . كما كانوا لا يرون حدا للذف على النساء ، فيما اذا كان القاذف امرأة ، وعللوا ذلك بأن المذکور في القرآن هو صيغة «الذين» وهو للمذكرين (٤٤) . وابطلوا اقامة الحدود على الذين يقدفون الرجال المحصنين ، بينما اقاموها على من قذف المحصنات من النساء (٤٥) . واوجبوا قطع يد السارق في القليل والكثير (٤٦) .

وأورد الشهرستاني بدعا اخرى نسبها للازارقة . فقد كفّروا عليا وزعموا ان الله انزل فيه قوله : «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الّد الخصام» (٤٧) . ثم صوبوا قتل ابن ملجم له ، وزادوا على ذلك بأن كفّروا عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس ، وراوا ان سائر المسلمين مخلدون في النار . وجوزوا ان يبعث الله نبيا يعلم انه يكفر بعد نبوته او كان كافرا قبل بعثته . واخرجوا مرتكب الكبيرة من دائرة الاسلام ، فهو كافر مخلد بالنار ، واستدلوا على ذلك بكفر ابليس الذي ارتكب كبيرة لما امتنع عن السجود ، فخلده الله في النار رغم اقراره بوحدانية الله (٤٨) . ولكن مرتكب الكبيرة لا يكفرونه في ديار هجرتهم الا اذا كان قاتلا لاحدهم (٤٩) غير ان البغدادي يذكر انهم يرمون مرتكب الكبيرة منهم بالشرك (٥٠) .

وزعمت الازارقة ان اطفال المشركين في النار كابائهم ، بينما اطفال المؤمنين في الجنة شأنهم شأن آبائهم (٥١) . ولما استحلوا امانة غيرهم من الناس لكونهم

٤١ - ابن الجوزي : تلبس ابليس ، ص ٩٥ .

٤٢ - البرد : الكامل ، ١٠٥٣/٣ .

٤٣ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٢١/١ .

٤٤ - الابجي : شرح المواقف ، ٢٩١/٣ .

٤٥ - الاشعري : مقالات ، ١٧٤/١ .

٤٦ - القرظي : خطط ، ص ١٧٨ .

٤٧ - البقرة : ٢٠٤ .

٤٨ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٢١/١ - ١٢٢ .

٤٩ - البرد : الكامل ، ١٠٥٣/٣ . المصنف الجهول ، ص ٩٤ .

٥٠ - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٧٣ .

٥١ - الاشعري : مقالات ، ١٧٤/١ .

مشركين (٥٢) ، انكر عليهم ابن اباض وصاحب الصفرية ذلك ، وقال ان الامانة مؤداة للبر والفاجر على السواء (٥٣) .

ومن اجتهاداتهم المخالفة لاهل السنة ايضا ، انهم اوجبوا على الحائض الصلاة والصيام في حيضها وانكره بعضهم . كما انهم حرّموا قتل النصارى واليهود وابعادوا قتل المسلمين (٥٤) .

ويخالف الملطي غيره من المؤرخين فيما ذكر من بدع الازارقة ، فيراهم اقل الخوارج شرا ، اذ كانوا لا يرون سفك الدماء ولا نهب الاموال ولا سبسي الدراري (٥٥) . وهو بروايته هذه يخالف جميع من جاء بأخبار الازارقة ومزاعمهم من الرواة . كما ان بعض الباحثين الافرنج وجدوهم أسوأ اصناف الخوارج واشدهم تعصبا وطائفية ، لما كانوا يرتكبونه من مذابح للناس دون تمييز (٥٦) .

افتراق الازارقة :

يبدو ان بذور الفرقة كانت قائمة في معسكر الازارقة منذ ايام صاحبهم نافع . فقد ذكر ان امرأة عربية من الخوارج تزوجت رجلا من الموالي يرى رايها ، فانكر عليها ذوها ذلك فشكت امرها لزوجها ، وخيرته بين ثلاثة حلول ، حين قالت له : «اما ان تهاجر الى عسكر نافع حتى تكون من المسلمين في حوزهم ودارهم ، وإما ان تخبأني حيث شئت ، واما ان تخلي سبيلي» . فخلّى سبيلها وعادت الى اهلها ، فزوجوها لابن عم لها لا يرى رأي الخوارج . فاستفتي نافع بشأنها ، فرأى احد اصحابه انه كان ينبغي لهما ان يهاجرا الى معسكرهم ولا يجوز لهما التخلف عن ذلك ، فوافق نافع على رايه . غير ان نفرا يسيرا لم يروا هذا الرأي ، فكان ذلك ابتداء الخلاف بينهم (٥٧) .

وفي ايام امير الازارقة قطري بن الفجاءة نشبت خلافات خطيرة في صفوفهم ، وكثر التخاصم والجدل فيما بينهم ، فكفّر بعضهم بعضا لاتفه الاسباب . ثم استفحل امر الخلاف بين زعماء الازارقة ، واتخذ طابعا عنصريا مخالفا لما عهدناه عند الخوارج من قبل . فقد تكتلت الموالي والاعاجم ضد اميرهم قطري بن

٥٢ - المصدر نفسه .

٥٣ - المصنف المجهول ، ٨٤ .

٥٤ - ابن حزم : الفصل في الملل ، ١٨٩/٤ .

٥٥ - الملطي : التنبيه والرد ، ص ٥١ .

56 — Pareja : Islamologie, p. 817. Laoust : les Schismes dans l'Is-
lam, p. 39 .

٥٧ - الاشعري : مقالات ، ١٧٣/١ .

الفجاءة ومن معه من العرب وأخرجوهم من ديارهم (٥٨) .
 ولم يطل امر الازارقة طويلا بعد انقسامهم على انفسهم . فقد ادى الانشقاق
 الذي وقع في صفوفهم الى التعجيل بنهايتهم . وبعد هزيمتهم العسكرية وتشتت
 امرهم ، تحول بعضهم الى فرق خارجية اخرى ، حتى لنجد حفيده قطري زعيم
 الازارقة تصبح اباضية فيما بعد (٥٩) . ثم خرجت من بقاياهاهم فرقة عرفت
 بـ «الخازمية» .

النجدية (النجادات) (٦٠)

نشأتها :

تنسب النجدية الى نجدة بن عامر الحنفي (٦١) . وكان نجدة قد خرج مع نافع
 ابن الازرق للدفاع عن مكة ضد الامويين وامتحان ابن الزبير (٦٢) . فلما وجدت
 الخوارج ان ابن الزبير على غير رأيهم وعادوا عنه ، توجه نجدة الى اليمامة (٦٣) .
 وظل على ولائه لابن الازرق ، حتى اظهر نافع البراءة من القعدة ، وفارقه جماعة
 منهم : ابو فديك ، وعطية الحنفي ، وراشد الطويل ، وتوجهوا شطر اليمامة ،
 فالتقوا في طريقهم نجدة في جند من اصحابه يريدون للحاق بعسكر نافع ،
 فأخبروهم بأمر ابن الازرق وما احدثه . فعادوا من توّهم الى اليمامة وبايعوا
 لنجدة (٦٤) ، وأطلقوا عليه لقب امير المؤمنين (٦٥) ، وكفّروا من قال بامامة
 نافع (٦٦) . وكانت خوارج اليمامة قد بايعوا - من قبل - لابي طالوت على ان

٥٨ - المبرد : الكامل ، ١١٥١/٣ .

٥٩ - الشريشي : مقامات ، ص ٩٢ . وخرجت من بقايا الازارقة فرقة عرفت بـ «الخازمية»

(الناسيء الاكبر : مسائل الامامة ، ص ٦٩) . ثم خرجت من الخازمية فرقة اخرى عرفت
 بـ «البيديّة» (ابن حزم : الفصل في الملل ، ١٨٩/٤) .

٦٠ - لعل تسميتهم بالنجادات جاءت للتفريق بينهم وبين من انتسب الى بلاد نجد .

(المقريزي : خطط ، ص ١٧٨) .

٦١ - المبرد : الكامل ، ٩١٣/٣ ، ١٠٢١ . وينسبهم الشهرستاني لرجل اسمه عاصم (الملل

والنحل ، ١٢٢/١) .

٦٢ - المبرد : الكامل ، ٩١٣/٣ .

٦٣ - الاشعري : مقالات ، ١٧٤/١ .

٦٤ - المصنف المجهول ، ص ١٢٦ . البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٧٧ .

٦٥ - المقريزي : خطط ، ص ١٧٨ .

٦٦ - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٧٧ .

يخلعوه ان وجدوا من هو خير منه . فلما جاءهم نجدة خلعوا ابا طالوت وبايعوا له على ما يبايع عليه الخلفاء ، اي ان لا يخلع الا اذا اظهر الجور على الناس (٦٧) . ثم كتب نجدة الى نافع كتابا يقرعه فيه ويذكره بماضيه الشريف ، وكيف تحوّل وحدث بعد ان تجرد الشيطان له . وقد رد على نافع الحجّة بالحجّة والرأي بالرأي ، مما يشير الى سعة علمه وحسن ادراكه لاحكام القرآن . فبدأ بأمر القعدة ، فأخذ عليه انه اكفر الذين عذرهم في محكم كتابه حين يقول تعالى : «ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله» (٦٨) . ثم سماهم أحسن الاسماء ، فقال تعالى : «ما على المحسنين من سبيل» (٦٩) . وانكر عليه قتل الاطفال ، وقد نهى الرسول عن قتلهم ، والله يقول : «ولا تزرر وازرة وزر اخرى» (٧٠) . ويعود في كتابه لنافع فيدافع عن القعد الذين قال الله فيهم خيرا ، وان كان قد فضل المجاهدين عليهم ، حيث يقول : «لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر» (٧١) فسماهم تعالى بالمؤمنين وان قدم عليهم المجاهدين بأعمالهم . ثم لا ينسى ان يذكره بأن الله أمر ان تؤدى الامانات الى اهلها (٧٢) .

وهكذا بدا نجدة مخالفا لما أحدثه نافع . ولكن ابن الازرق لم يسلم بما قاله نجدة في رسالته ، بل رد عليه وتأوّل آيات القرآن بما يدعم حجته ويسند رأيه (٧٣) .

ولما لم يستطع احدهما اقناع الآخر باجتهاده ورأيه ، فقد أصبح للخوارج اميران - نافع في الاهواز وما حوالها ، ونجدة في اليمامة والبحرين وما دونهما .

ولم يكتف نجدة بالمنطقة التي فرض سلطانه عليها ، بل حمل دعوته الى المناطق المجاورة . فبعد ان استولى على القطيف ، استعمل ابنه عليها الذي قاتل وسبى وغنم . وكان في عداد غنائمه بعض النسوة ، فنكحوهن قبل ان يقسمن ، كما اكلوا من الغنائم قبل ان توزع على اصحابها . فلما عادوا الى نجدة واستفتوه بالامر ، أنكر عليهم ما فعلوه . فاحتجوا بجهلهم وان ذلك لا يسهمهم ، فعذرهم

٦٧ - المصنف المجهول ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

٦٨ - التوبة ٩١ .

٦٩ - التوبة ٩١ .

٧٠ - الانعام ١٦٤ .

٧١ - النساء ٩٥ .

٧٢ - المبرد : الكامل ، ٣/١٠٢٤ - ١٠٣٥ .

٧٣ - المصدر نفسه .

نجدة بجهالاتهم (٧٤) . وتابعه أصحابه على ذلك ، فسموا بـ «العاذرية» (٧٥) وقالوا : «الدين أمران : احدهما معرفة الله ومعرفة رسله عليهم السلام وتحريم دماء المسلمين وأموالهم وتحريم الغصب ، والاقرار بما جاء من عند الله جملة ، فهذا واجب . وما سوى ذلك فالتناس معذورون بجهالة حتى تقوم عليهم الحجة في جميع الحلال ، فمن استحل شيئاً عن طريق الاجتهاد مما لعله محرم فمعذور على حسب ما يقول الفقهاء من اهل الاجتهاد فيه» (٧٦) . بينما يقول الابي في شرح المواقب : «عذروا الناس بالجهالات في الفروع» (٧٧) . ولعله يقصد ما يروونه هم بأنه من الفروع ، لا ما يراه اهل الجماعة بذلك .

وقيل عن صاحب النجدية هذا انه كان يكتب الى ابن عباس يستفتيه ببعض القضايا الدينية ، فقد كتب اليه يسأله عن سهم ذوي القربى . فرد عليه ابن عباس ولسان حاله يقول : «قاتله الله ، يقتل المسلمين ويسأل عن المحقرات» (٧٨) . والمطلبي ايضا لا يرى بنجدة خيرا ، اذ كان يقتل الاطفال ويسبي النساء ويستحل الدماء والاموال ، ولا يتورع عن تكفير السلف والخلف (٧٩) .

آراء النجدية واجتهاداتهم :

جميع النجدات لا يرون وجوب الامامة ، اذ لا حاجة للناس - في نظرهم - الى امام قط ، فما عليهم الا ان يراعوا العدل والانصاف فيما بينهم ، فان لم يستطيعوا تحقيق ذلك ، وكان لا بد للناس من امام لاقامة العدل بينهم جاز لهم ذلك (٨٠) .

وهم يخالفون الازارقة بشأن من ثقل عن الهجرة اليهم ، فهو في عرفهم منافق ليس غير . وحكي عنهم انهم يستحلون دماء اهل المقام وأموالهم اذا كان مقامهم في دار التقية ، ويتبرأون ممن يخالفهم بذلك (٨١) . بينما يقول الشهرستاني ان نجدة أجاز التقية ، واحتج بقوله تعالى : «الا ان تتقوا منهم

٧٤ - الاشعري : مقالات ، ١٧٤/١ .

٧٥ - الابي : شرح المواقب ، ٢٩١/٣ .

٧٦ - الاشعري : مقالات ، ١٧٥/١ . بينما ينسب المقربي هذه الاقوال الى العطرية مسن

النجادات فحسب (خطط ، ص ١٧٨) .

٧٧ - الابي : شرح المواقب ، ٢٩١/٣ .

٧٨ - المصنف المجهول ، ص ١٣٨ . قدامة : كتاب الخراج ، ص ١٠٦ .

٧٩ - المطلبي : التنبيه والرد ، ص ٥٢ .

٨٠ - الابي : شرح المواقب ، ٢٩١/٣ . الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٢٤/١ .

٨١ - الاشعري : مقالات ، ١٧٥/١ .

تقاة» (٨٢) وقوله تعالى : «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه» (٨٢) . كما ينقل عن الكمبي ان النجذات كانوا يجنحون الى الاخذ بالتقية في القول والعمل، ولو كان في قتل النفوس (٨٤) .

اما فيما يخص ارتكاب الذنوب ، فان نجدة اغلظ على الناس في حسد الخمر (٨٥) ، ولكنه لم يخرج مرتكبه من دائرة الاسلام (٨٦) . ويبدو انهم يفرقون بشكل فاصل بين من يأتي الذنوب ويصر عليها وبين من يأتيها من غير اصرار . فالاول عندهم مشرك ولو كان الامر في نظره بسيطة او كذبة صغيرة ، واما الثاني فهو مسلم وان اقترف الكبائر كالزنا والسرقة وشرب الخمر (٨٧) . وهم يتولون اصحاب الحدود والجنايات ممن يرون رأيهم ، ويكفرون من يخاف عذاب المجتهد المخطيء في احكامه قبل قيام الحجة عليه (٨٨) . كما انهم لا يرون عذابا خالدا للمؤمنين ، فاذا كان الله لا بد ان يعذبهم بذنوبهم ، فانما يكون ذلك على قدر تلك الذنوب ، ولكن بغير النار ، ثم يعود فيعفو عنهم ويدخلهم الجنة (٨٩) .

افتراق النجدية :

لم يطل امر نجدة الحنفي مع اصحابه ، فقد نعموا عليه سلوكه مع ابي سنان حرّ بن وائل الذي اشار عليه بقتل من يتبعه مكرها ، فلم يعجبه هذا القول ، فانتهره بعنف ثم حذّاه (٩٠) . كما نعموا عليه امورا اخرى سبقت الاشارة اليها حين تحدثنا عن تاريخ الخوارج في باب سابق .
امام تلك المخالفات الصريحة التي ارتكبها نجدة ، جاءه اصحابه فاستتابوه ففعل . ولكن جماعة منهم ادركوا خطأهم باستتابتهم له ، فقالوا له : «ان استتابتنا اياك خطأ لانك امام ، وقد تبنا . فان تبت من توبتك ، واستتبت الذين استتابوك ، والا نابذناك» . فاستجاب لهم وتاب من توبته . فدب الخلاف بين اصحابه ، فأكفرته طائفة منهم على رأسهم ابو فديك الذي وثب عليه وقتله . وبويع لابسي

٨٢ - آل عمران ٢٨ .

٨٣ - غافر ٢٨ .

٨٤ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٢٤/١ - ١٢٥ .

٨٥ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٢٢/١ .

٨٦ - الاشعري : مقالات ، ١٧٥/١ .

٨٧ - الاشعري : مقالات ، ١٧٥/١ .

٨٨ - المصدر نفسه .

٨٩ - المصدر نفسه .

٩٠ - المصنف المجهول ، ص ١٤٢ .

فديك من بعده ، فأنكر اصحاب نجدة عليه ذلك ، وتبرأوا منه ، ووقع الانقسام في صفوف النجدية (٩١) .

اصبحت النجدية بعد مقتل نجدة على ثلاثة اقوال : فرقة منهم تابعوا ابا فديك ، وفرقة اخرى ظلوا يحملون اسم النجدات وعدروا نجدة على افعاله ، وجماعة ثالثة هجروا اليمامة ونزلوا بناحية البصرة ، وسكنوا عن الحكم عيسى نجدة ، وقالوا : «هل ندرى هل أحدث تلك الاحداث ام لا ، فلا نبرا منه الا باليقين » (٩٢) .

البيهسية

نشأتهم :

تنسب هذه الفرقة الى ابي (٩٢) بيهس ، الذي كان في اول امره مع نافع بن الازرق . فلما خالف نافع اصحابه بما أحدثه ، وكتب الى خوارج البصرة بأمر دعوته ، وخالفه بعض قادتهم بذلك ، جاء ابو بيهس الى ابن اباض ، فقال له : «ان نافعا قد غلا فكفر ، وانك قصرت فكفرت ! تزعم ان من خالفنا ليس بمشرك ، وانما هم كفار النعم لتمسكهم بالكتاب وقرارهم بالرسول . وتزعم ان مناكحهم ومواريتهم والاقامة فيهم حل طلق» ، وأضاف قائلا : «وانا اقول : ان اعداءنا كأعداء الرسول صلى الله عليه وسلم ، تحل لنا الاقامة فيهم ، كما فعل المسلمون في اقامتهم بمكة ، واحكام المشركين تجري فيها ، وازعم ان مناكحهم ومواريتهم تجوز لانهم منافقون يظهرون الاسلام وان حكمهم عند الله حكم المشركين» (٩٤) .

٩١ - الاشعري : مقالات ، ١٧٦/١ .

٩٢ - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٧٩ . وانقسمت النجدية بعد نجدة الى ثلاث فرق ،

هم : النجدية ، والفنديكية ، والخطوية (الاشعري : مقالات ، ١٧٦/١) .

٩٣ - يقول ابن قتيبة : هو ابو بيهس من بني سعد بن ضبيعة بن قيس واسمه هيصم

(بالضاد) بن جابر (المعارف ، ص ٦٢٢) . وقال اللطفي : هو هيصم (بالضاد) ابو بيهس بن عامر

(التنبية والرد ، ص ١٨٠) . وعند الشهرستاني هو الهيصم (الملل والنحل ، ١٢٥/١) . بينما يقول

الايبي : هو بيهس بن الهيصم بن جابر (شرح المواقف ، ص ٦٢٩) . اما المقرئ فقد قال : هو

ابو البيهس الهيصم خالد من بني سعد (خطط ، ص ١٨٠) . وقد عاش رأس البيهسية الى ايام

الوليد بن عبد الملك ، فطلبه الحجاج ، فهرب الى المدينة ، وهناك ظفر به واليها عثمان بن حيان

المزني فقتله (ابن قتيبة : المعارف ، ص ٦٢٢) . الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٢٥/١) .

٩٤ - المبرد : الكامل ، ١٠٣٩/٣ - ١٠٤٠ . ابن عبد ربه : العقد ، ٢٢٣/١ .

ويبدو ان ابا بيهس كان على رأي ابن صفار في بادية الامر ، مما جعل ابن حزم يرد هذه الفرقة الى صفرية الخوارج (٩٥) .

آراء البيهسية ومعتقداتهم :

زعمت البيهسية ان ديار مخالفيهم من اهل القبلة هي ديار كفر ، فأباحوا قتلهم واخذ أموالهم (٩٦) ، وبذلك فقد قالوا بالاستعراض ولا حرج على من اصاب الاطفال حينذاك (٩٧) .

ومن مزاعم ابي بيهس ايضا ، انه لا يقبل اسلام احد من الناس حتى يقر بمعرفة الله تعالى ومعرفة رسله ومعرفة ما جاء به محمد جملة ، والولاية لاولياء الله سبحانه والبراءة من اعدائه (٩٨) . فكان لا بد لهذا الانسان ليكون مسلما حقا من معرفة الشرع ، وما جاء به من الوعيد معرفة عينية وتفسيره ليحترز منه . وهناك امور يكفي معرفة اسمائها دون تفسيرها حتى يتلى بها (٩٩) . كما على المسلم الا يأتي شيئا الا يعلم ، فاذا جهل امرا فعليه ان يقف عند حدود ما لا يعلم (١٠٠) . وفي مذهبهم ايضا ، ان من لا يعرف الله بأسمائه وتفصيل شريعته فهو كافر (١٠١) .

وبريء ابو بيهس من الواقفية ، وهم الذين وقفوا عند من واقع حراما دون ان يعلم بحلّه او بحرمة ، اذ زعم انه كان ينبغي عليه ان يعلم ، لان الايمان يوجب العلم بالحق والباطل . وبذلك كان الايمان عندهم اقرار وعلم ، وليس هو احدهما دون الآخر (١٠٢) .

وقد كفروا مرتكب الكبيرة ، ولكن من يجهل الدين من الناس ويواقع الذنوب فهو مشرك . اما اذا كان ذلك الذنب لا يقع في الاحكام المقلطة فانه مغفور ، اذ لا يجوز على الخالق ان يخفي احكامه في الذنوب . فلو جاز ذلك لجاز فسي الشرك (١٠٣) .

-
- ٩٥ - ابن حزم : الفصل في الملل ، ١٩٠/٤ .
 - ٩٦ - الاشعري : مقالات ، ٢٠٥/١ .
 - ٩٧ - المصنف المجهول ، ص ٨٢ .
 - ٩٨ - الاشعري : مقالات ، ١٩١/١ .
 - ٩٩ - المصدر نفسه .
 - ١٠٠ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٢٦/١ .
 - ١٠١ - الرازي : اعتقادات ، ص ٤٧ .
 - ١٠٢ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٢٦/١٤ .
 - ١٠٣ - الابجي : شرح المواقف ، ٢٩١/٣ . الاشعري : مقالات ، ١٩٥/١ .

وهم لا يرون حراما الا ما وقع عليه النص (١٠٤) ، لقوله تعالى : « قتل لا أجد في ما أوحى اليّ محرّمًا على طاعم يطعمه» (١٠٥) . ولكن الشهرستاني يقصر هذا القول على قوم منهم دون عامة البيهسية (١٠٦) .

كما قالوا ان التوبة عند اقامة الحد وتنفيذ القصاص لا تبريء صاحبها من الكفر ، لانه لا يحكم على انسان ويقام عليه الحد الا اذا كان كافرا شهد عليه بالكفر عند الله (١٠٧) . ولكنه لا يكفّر حتى يرفع امره الى الامام ، فاذا أقام عليه الحد فحينئذ يكون قد كفر (١٠٨) .

ولعل الملطي كان اكثر تفصيلا لمعتقدهم بشأن التوبة والكفر وعلاقة ذلك بالامام . فقد روي في أخبار ابي بيهس ، ان الامام اذا كان في الكوفة - مثلا - فأصدر حكما يستحق عليه الكفر ، فقد كفر بكفره من كان بحكمه ، وان كان مقيما بخراسان او في الاندلس . وعلى الامام اذا ادرك انه قد كفر وعاد فتاب ، ان يبعث الى جميع من كانوا في حكمه فيستتيبهم من الكفر ، وان كانوا لا يعلمون انهم كانوا قد كفروا بكفر امامهم . فمن ابى التوبة منهم بحجة انه لا يتوب مما لا يشك فيه ولم يعلم به ، فقد وجب قتله بدق عنقه (١٠٩) .

وهكذا فانهم كانوا يكفرون الرعية بكفر امامها . الا ان الاشعري يرد هذا الاعتقاد الى طائفة منهم ، وهم الذين اذا تحققوا من كفر امامهم ، فقد اصبحت دياره ديار شرك ، والناس بجمعهم مشركون . وحينذاك يستحلون من اهل القبلة قتل رجالهم وسي نساءهم واغتصاب أموالهم (١١٠) .

ومن المزايم التي تنسب اليهم ، قولهم : «لو ان رجلا قطر قطرة خمر في جب فلا يشرب من ذلك الجب احد الا كفر ، وان لم يشعر ، لأن الله عز وجل يوفى المؤمنين» (١١١) ، في حين يزعمون لو ان رجلا ضرب اباه كل يوم الف سوط يبقى على اسلامه ، وقالوا : «من شك في ذلك كفر» (١١٢) .

وادعى بعض البيهسية ان الشراب حلال في اصله ، ولا يرون دليلا على تحريمه في اقلال او اكثر ، فأباحوا السكر ولم يروا اقامة اي حد على السكران،

١٠٤ - القلقشندي : صبح الامشى ، ٢٢٥/١٢ .

١٠٥ - الانعام ١٤٥ .

١٠٦ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٢٦/١ .

١٠٧ - الاشعري : مقالات ، ١٩٥/١ .

١٠٨ - ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ، ١٩٠/٤ .

١٠٩ - الملطي : التنبيه والرد ، ص ١٨٠ .

١١٠ - الاشعري : مقالات ، ١٩٤/١ - ١٩٥ .

١١١ - الملطي : التنبيه والرد ، ص ١٨٠ .

١١٢ - المصدر نفسه .

وهو غير مؤاخذ فيما يرتكبه في اثناء سكره (١١٢) . ولكن الشهرستاني يرى ان بعض البيهسية اباحوا السكر من الشراب فحسب (١١٤) .

الصفرية

نشأتهم وتسميتهم :

لم يقع خلاف بشأن صاحب اية فرقة خارجية بقدر ما وقع بشأن الصفرية . فصاحبهم هو ابن صفّار في رواية المبرد (١١٥) ، وزياد بن الاصفر في روايات الاشعري والايحي والشهرستاني (١١٦) ، بينما يجعلهم المقرئزي اتباع النعمان ابن صفر ، ولكنه يعقب فيقول : «وقيل بل نسبوا الى عبد الله بن صفّار» (١١٧) . في حين يرددهم صاحب المصنف المجهول الى عبدة بن قبيص ، ثم يعود فيأتي بخبر نسبتهم الى عبد الله بن صفّار (١١٨) . اما اللطي فيذهب بعيدا حين ينسبهم الى المهلب بن ابي صفرة ، ويرى انهم خرجوا على الحجاج مع يزيد بن المهلب (١١٩) . والذي يقبل الترجيح من بين هذه الروايات المختلفة انهم اصحاب عبد الله بن صفّار (١٢٠) الذي كان مع ابن الازرق في بداية عهده ، ثم انفصل عنه عند وقوع الخلاف بين قادة الخوارج . فقد قال الاشعري بأمر تفرق الخوارج : «انما هو قول الازارقة والاباضية والصفرية والنجدية» (١٢١) . وهذا يتفق مع الروايات التاريخية السالفة التي ترد هذه الفرق الى اصحابها الذين انشعبوا عن ابن الازرق بعد احداثه .

وقد عرفت هذه الفرقة بأكثر من اسم لها . فيذكر المقرئزي ان الصفرية كان

-
- ١١٣ - الاشعري : مقالات ، ١٦٥/١ .
١١٤ - الشهرستاني : الملل ، ١٢٧/١ . وافترقت البيهسية ، شأنها في ذلك شأن الفرق الخارجية الاخرى ، فجاء منها : الشيبية ، والوفوية ، واصحاب التفسير (الاشعري : مقالات ، ١٩٢/١ وما بعدها) .
١١٥ - المبرد : الكامل ، ١٠٢٠/٣ .
١١٦ - الاشعري : مقالات ، ١٨٢/١ . الايحي : شرح المواقف ، ٢٩١/٣ . الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٣٧/١ .
١١٧ - المقرئزي : خطط ، ١٧٨ .
١١٨ - المصنف المجهول ، ص ٨٢ .
١١٩ - اللطي : التنبيه والرد ، ص ٥٢ .
١٢٠ - هو عبد الله بن صفار التميمي احد بني سعد (المرزباني : نور القبس ، ص ١١٠) .
١٢١ - الاشعري : مقالات ، ١٨٣/١ .

يقال لها «الزيادية» . وربما كان ذلك في رأي من نسبهم الى زياد بن الاصفر . كما كان يقال لهم : «النكار» من اجل انهم ينقصون نصف علي وثلث عثمان وسدس عائشة (١٢٢) ، وسموا ايضا بالاصفوية (١٢٣) . ولعل هذه التسمية جاءت من شهرة ابن الاصفر ايضا . ولكن الاسم الذي شهروا به عبر تاريخهم هو «الصفرية» . وزعم بعضهم انه الصفرية (بكر الصاد) (١٢٤) . ويرى اكثر المتكلمين انهم انما سموا بالصفرية لصفرة علت وجوههم بعد ان نهكتهم العبادة (١٢٥) . ويدعم هذا الرأي قول نصر بن عاصم الليثي ، الذي كان خارجيا ، ثم تركهم وصار مرجئا (١٢٦) :

فارتت نجدة والذين تزرقوا
وابن الزبير وشيعة الكذاب
والصفرة الاذان الذين تخيروا
ديننا بلا ثقة ولا بكتاب

وهناك رواية اخرى للمبرد تشير الى ان «الصفرية» كانت علما عاما لجميع الخوارج منذ بداية امرهم لا لقبا خاصا بفرقة منهم . فقد ذكر ان الخوارج كانت بايعت لمعدان الايادي قبل عبد الله بن وهب ، ثم خلعوه لقوله :

سلام على من بايع الله شاربا
وليس على الحزب المقيم سلام

وتضيف رواية المبرد قائلة : «فبرئت منه الصفرية ، وقالوا : خالفت لانك برئت من القعد» (١٢٧) . ثم نجد شاهدا آخر يؤكد ما ذهب اليه المبرد على لسان أحد شعراء الخوارج، الذي قال في جماعة من رؤسائهم قتلوا في آخر ايام يزيد بن عبد الملك ، وقد اصفرت جلودهم من شدة العبادة (١٢٨) :

-
- ١٢٢ - القرظي : خطط ، ص ١٧٩ .
١٢٣ - الايجي : شرح الواقف ، ٢٩١/٣ .
١٢٤ - القرظي : خطط ، ص ١٧٩ .
١٢٥ - المبرد : الكامل ، ١٠٢٠/٣ . المصنف المجهول ، ص ٨٢ .
١٢٦ - المبرد : الكامل ، ١٠٤١/٣ . المصنف المجهول ، ص ٨٢ .
١٢٧ - المبرد : الكامل ، ٨٩١/٣ .
١٢٨ - ق / ٢٧٨ (الديوان) .

فتية تعرف التخشع فيهم
كلّهم حكّم القرآن غلاما
قد برى لحمه التهجد حتى
عاد جلدأ منصفرا وعظاما

ولعل ما يبدو لنا اكثر قبولا في هذه التسمية ، ان الصفرية اطلقت على الخوارج في اول امرهم لما عرفوا به من كثرة العبادة حتى بدت على وجوههم ، ثم اتخذها اصحاب ابن صفار علما لهم لما تحقّقه من هدف التأسّي بأسلافهم . وفي الوقت نفسه تحقق غرضهم بالانتساب الى امامهم الجديد . فقد ذكر المبرد انهم سموا صفرية نسبة الى صاحبهم ابن صفار (١٢٩) .

اما اول امر الصفرية فقد بدأ حين خرج نافع الى الاهواز وكتب الى حرورية البصرة يدعوهم الى الخروج اليه . فخالفه ابن اباض فيما أحدثه ، وجاء ابن صفار الى عبد الله بن اباض فقال له : «بريء الله منك فقد قصرت ، وبريء الله من ابن الازرق فقد غلا ، بريء الله منكما جميعا» (١٣٠) . وليّن القول بشأن القعدة ، فصار اكثر اصحابه من الصفرية قعدة (١٣١) .

ويخبرنا الاسفرايني ان الصفرية قالت بامامة ابي بلال مرداس بن ادية ثم بايعوا لعمران بن حطّان من بعده (١٣٢) . ولعل هذا الخبر هو الذي جعل لاوست Laoust يرد الصفرية - في اول امرها - الى ابي بلال (١٣٣) . وهذا يخالف ما عرفناه من امره حين وجدناه زعيما لجميع الخوارج الذين ظلوا على ولائهم له في حياته وبعد مماته .

آراء الصفرية العامة :

خالفت الصفرية غيرها من الفرق الخارجية ، فلم يكفروا القعدة عن القتال اذا كانوا يتفقون معهم في الدين والاعتقاد . كما اجازوا التقية في القول دون

١٢٩ - المبرد : الكامل ، ١٠٤١/٣ . ويتحدث المبرد عن نسبتهم لغويا فيقول : فاما قولهم صفري ، فانما اراد الصفر الالوان ، فنسبوا الى الجماعة ، وحق الجماعة اذا نسب اليها ان يقع النسب الى واحدتها ، ولكن جعلوا «صفرا» اسما للجماعة ، ثم نسبوا اليه ، ولم يقولوا «أصفري» فينسب الى واحدتها ، وانما كان ذلك لانهم جعلوا الصفر اسما للجماعة (الكامل ، ١٠٥١/٣) .

١٣٠ - الطبري : تاريخ ، ٥١٩/٧ . ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ .

١٣١ - المبرد : الكامل ، ١٠٤١/٣ .

١٣٢ - الاسفرايني : التبصير ، ص ٥٢ (ط. الخانجي ١٣٧٤) .

العمل (١٣٤) . وقد خالفوا الازارقة ايضا ، فلم يروا قتل النساء والاطفال (١٣٥) ، ولم يقولوا بتخليد اطفال المشركين في النار (١٣٦) .

اما في أمر الذنوب التي يقام عليها الحد كالسرقة والزنا والقذف ، فلا يكفّر مقترفها عندهم ولا يحكم باسراكه ، بل يقال سارق وزان وقاذف فحسب (١٣٧) . غير ان ما كان لا حد فيه لعظمته كترك الصلاة او الفرار يوم الزحف فيستحق صاحبها الكفر ، ويقال له كافر (١٣٨) . وينقل الاشعري عن الصفرية وأكثر الخوارج قولهم : «ان كل ذنب مغلظ كفر ، وكل كفر شرك ، وكل شرك عبادة للشيطان» . كما يذكر ان طائفة من الصفرية وافقوا البيهسية ، على ان من واقع حراما لا يشهد عليه بالكفر الى ان يرفع امره للسلطان ، فاذا حده فهو كافر . ولكنهم يخالفون البيهسية في اثباتهم ايمان هؤلاء الناس حتى يحدوا . في حين ان البيهسية لا يسمونهم مؤمنين ولا كافرين الى ان يصدر الحكم عليهم (١٣٩) . ويحكى عن زياد بن الاصفر انه قال : «نحن مؤمنون عند انفسنا ، فلا ندري لعلنا خرجنا من الايمان عند الله» . ويرى ان الشرك ليس شركا واحدا بل شركين - فعبادة الاوثان شرك ، وطاعة الشيطان شرك آخر . وقال الشيء نفسه في الكفر ، فالكفر عنده كفران : كفر بانكار الربوبية ، وكفر بانكار النعمة . كما ان البراءة في عرفه براءتان : براءة فريضة واجبة وهي التبرؤ من اهل الجحود وبراءة سنة مستحبة وهي البراءة من اهل الحدود (١٤٠) .

وحكي عن الصفرية ايضا ، انها تصلي خلف من لا تعرف (١٤١) . ونقل ابن حزم عن طائفة منهم انهم يقولون : «ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث ففي حين بعثه في ذلك الوقت من ذلك اليوم لزم جميع اهل المشرق والمغرب الايمان به ، وان لم يعرفوا جميع ما جاء به من الشرائع ، فمن مات منهم قبل ان يبلغه شيء من ذلك مات كافرا» (١٤٢) . ويرى لاوست Laoust ان نظرتهم للايمان قريبة من اهل السنة (١٤٣) ، دون ان يشير لمواقع التوافق بينهما . ولم تبق الصفرية على رأي واحد ، بل اصابها ما اصاب غيرها من الفرق

١٣٤ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١/١٣٧ .

١٣٥ - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٧٩ - ٨٠ .

١٣٦ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١/١٣٧ .

١٣٧ - الايجي : شرح الوقوف ، ٣/٢٩٢ .

١٣٨ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١/١٣٧ . القلقشندي : صبح الاعشى ، ١٣/٢٢٥ .

١٣٩ - الاشعري : مقالات ، ١/١٩٧ - ١٩٨ .

١٤٠ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١/١٣٧ .

١٤١ - الاشعري : مقالات ، ١/٢٠٥ .

١٤٢ - ابن حزم : الفصل في الملل ، ٤/١٩٠ - ١٩١ .

143 — Laoust : Les Schismes dans l'Islam. p. 46.

الخارجية ، فتجمعت حول اصحاب الرأي فيها جماعات مختلفة (١٤٤) .

الإباضية

لم تتفق مصادر الاخبار بشأن هوية صاحب الإباضية ، فبينما يراه الشهرستاني انه هو الذي خرج في ايام مروان بن محمد آخر خلفاء بنسي أمية (١٤٥) ، فان الطبري يقول بأنه ابن إياض الذي كان مع نافع بن الأزرق قبل ان يدب الخلاف بينهما ، وانه انشعب عن ابن الأزرق فيما بعد (١٤٦) .

وفي رواية للمقرئزي ان الإباضية ينسبون الى أباض (١٤٧) . ويطلع علينا الملطي برأي آخر ، حين يرى انهم اصحاب إياض بن عمرو ، وقد خرجوا من سواد الكوفة (١٤٨) .

وترد الإباضية مذهبها الى جابر بن زيد الذي كان من اكابر التابعين (١٤٩) ، الا ان الاصبهاني في ترجمته له يخالف هذا الاعتقاد وينفي ان يكون جابر من دعاة هذا المذهب (١٥٠) .

ولعل أرجح الاقوال ، ان البذرة الاولى للمذهب الإباضي تعود الى عبد الله بن اباض الذي كان مع نافع بن الأزرق ، ثم انفصل عنه بعد أحداثه ، وان الذين نسبوها الى ايام مروان بن محمد قد وقعوا في التباس من أمرهم ، إذ ان الذي ظهر في أواخر العهد الأموي هو رأس الإباضية - حينذاك - عبد الله بن يحيى الكندي الإباضي . وقد علا شأنه فهدد كيان الدولة الأموية في جزيرة العرب بأسرها . وربما كانت عظمة هذا القائد الإباضي قد جعل بعض المؤرخين ينسبون اليه هذه الفرقة بعد ان طفى على أسلافه من هذه الحركة (١٥١) . ومما يرجح ما ذهبنا اليه ما ذكره المبرد من ان الخوارج اصبحوا على ثلاثة أقاويل بعد أحداث نافع ، وان احداها قول عبد الله بن اباض (١٥٢) .

-
- ١٤٤ - وهم : الفضيلية (ابن حزم : الفصل في الملل ، ٤/١٩٠) ، واصحاب صالح (ابن قتيبة : المعارف ، ص ٤١٠) ، والشيبية (مرجئة الخوارج) - (الشهرستاني : الملل والنحل ، ١/١٢٨) .
- ١٤٥ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١/١٢٤ .
- ١٤٦ - الطبري : تاريخ ، ٧/٥١٩ .
- ١٤٧ - المقرئزي : خطط ، ص ١٨٠ . اباض (بضم الهمزة) بلدة في ارض اليمامة .
- ١٤٨ - الملطي : التنبيه والرد ، ص ٥٢ .
- ١٤٩ - الأشعري : مقالات ، ١/١٨٨ .
- ١٥٠ - الاصبهاني : حلية الاولياء ، ٣/٨٩ .
- ١٥١ - الاصبهاني : الاغانى ، ٢٠/١٠٨ . السعدي : مروج ، ٣/١٧٢ .
- ١٥٢ - المبرد : الكامل ، ٣/١٠٤٠ .

وكانت بداية الإباضية تميل الى الاعتدال ، اذ خلت من تطرف الازارقة .
فقد انكر ابن اباض زعم ابن الازرق بشرك مخالفهم ، وقال : « أن القوم براء من
الشرك ، ولكنهم كفار بالنعم والاحكام ، ولا يحل لنا الا دماؤهم ، وما سوى ذلك
فهو حرام علينا» (١٥٣) . كما انهم لا يرون اعتراض الناس بالسيف ، ولكنهم يرون
ازالة أئمة الجور بكل الوسائل التي تمكنهم من ذلك ، سواء كان ذلك بالسيف ام
بغيره (١٥٤) . وقد وصفت الإباضية بأنهم أقرب الفرق الخارجية الى أهل
السنة (١٥٥) .

ولعل اعتدال هؤلاء الجماعة من الخوارج وعدم انجرافها مع الفرق الخارجية
الاخري ، هو الذي اتاح لهم البقاء الى أيامنا الحاضرة في بعض مناطق شمال
افريقيا وعمان وزنجبار (١٥٦) .

وقد حددت الإباضية مواقفها من المسلمين ، فجعلوا من اخذ منهم بقولهم
مؤمنا ، بينما من أعرض عنه فهو منافق (١٥٧) . والنفاق في عرفهم ليس شركا ،
لان المنافقين في عهد رسول الله (ص) ظلوا موحدين ولم يصبحوا كافريين الا
بارتكابهم للكبائر (١٥٨) . ولكن يبدو انهم عادوا فاختلفوا في امر النفاق ، فصاروا
على ثلاثة أقاويل : جماعة منهم يرون النفاق براءة من الشرك لقوله تعالى :
«مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء» (١٥٩) . وجماعة اخرى قالوا ان
كل نفاق شرك لانه ضد التوحيد . وفئة ثالثة جعلوا النفاق دين القوم الذين جاء
فيهم ، ولا ينطبق على سواهم (١٦٠) . وهم يخالفون أسلافهم من الخوارج حين
يعتبرون دار مخالفهم دار اسلام - باستثناء معسكر السلطان - لان هؤلاء الناس
كفار غير مشركين ولا مؤمنين ، فتقبل شهادتهم وتحرم دماؤهم وسيبهم في السر
دون العلن ، ولا بد من اقامة الحججة عليهم قبل قتالهم . ويستحل من متاعهم
الخيول والسلاح دون الذهب والفضة عند الحرب ، كما اباحوا مناكحتهم

١٥٣ - الطبري : تاريخ ، ٥١٩/٧ . المصنف المجهول ، ص ٨٢ .

١٥٤ - الأشعري : مقالات ، ٢٠٤/١ .

١٥٥ - المبرد : الكامل ، ١٠٤٠/٣ .

١٥٦ - حتي ، جرجي جور : تاريخ سوريا ولبنان ، ١١٩/٢ .

Macdonald : Dev. of Muslem Theology.. , p. 25 - 26.

١٥٧ - ابن الجوزي : تلبس إبليس ، ص ١٩ .

١٥٨ - الأبيجي : شرح المواقف ، ٢٩٢/٣ . المبرد : الكامل ، ١٠٤٠/٣ . الشهرستاني : الملل

والنحل ، ١٢٥/١ .

١٥٩ - النساء ١٤٣ .

١٦٠ - الأشعري : مقالات ، ١٨٥/١ .

وموارثتهم (١٦١) . وهم يرون استتابة من خالفهم في التنزيل او التأويل ، فان قبل التوبة عفي عنه ، وان لم يقبلها قتل (١٦٢) .
ومرتكب الكبيرة في معتقدهم يبقى من الموحدين ، ولكنه غير مؤمن ، اذ هو كافر كفر نعمة لا كفر ملة ، لان اعمال الانسان تدخل في نطاق الايمان والاستطاعة قبل القيام بالفعل (١٦٣) . ويذكر الاشعري انهم يخلدون مرتكبي الكبائر فسي النار (١٦٤) .

وهم يزعمون ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى احداثا وابداعا ، ومكتسبة للعبد حقيقة لا مجازا (١٦٥) . وتوقفوا بشأن اطفال الكفار وتعذيبهم ، فجوزوا تعذيبهم انتقاما او ادخالهم الجنة تفضلا وتكرما من الله تعالى (١٦٦) .
وقد اجاز قوم منهم ان يبعث الله رسولا بغير دليل ولا برهان ، وان علسى الناس اتباعه . بينما قال آخرون منهم ، لا يكون ذلك الا بعد اظهار المعجزة من هذا الرسول (١٦٧) .

ومن مزاعمهم ان العالم يفنى بفناء اهل التكليف فيه «لانه انما خلقه لهم ، فاذا افناهم لم يكن لبقائه لهم معنى» (١٦٨) .
وقد خالفت الاباضية غيرها من الخوارج ، اذ لا يسمون امامهم امير المؤمنين ، ولا يطلقون على انفسهم لقب المهاجرين (١٦٩) ، الا انهم يتابعون اسلافهم في تكفير

١٦١ - المبرد : الكامل ، ١٠٤٠/٣ . الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٣٤/١ . الايجي : شرح
المواقف ، ٢٩٢/٢ .

١٦٢ - الاشعري : مقالات ، ١٨٦/١ .

١٦٣ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٣٤/١ - ١٣٥ .

١٦٤ - الاشعري : مقالات ، ١٨٩/١ .

١٦٥ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٣٤/١ . وذكر الاشعري ان كثيرين منهم يقولون :

«ليست الاستطاعة هي التخلية ، بل هي معنى في كونه كون الفعل ، وبه يكون الفعل ، وان الاستطاعة لا تبقى وقتين ، وان استطاعة كل شيء غير استطاعة ضده ، وان الله كلف العباد ما لا يقدرون عليه لتركهم له لا لعجزهم عنه ، وان قوة الطاعة توفيق وتسديد وفضل ونعمة واحسان ولفظ ، وان استطاعة الكفر ضلال وخذلان وطبع وبلاء وشر ، وان الله لو لطف للكافرين لآمنوا ، وان عنده لظفا لو فعله بهم لآمنوا طوعا ، وان الله لم ينظر لهم في حال خلقه اياهم ، ولا فعل بهم اصلح الاشياء لهم ، ولا فعل بهم صلاحا في الدين ، وانه اضلّهم وطبع على قلوبهم ، وهذا قول «يحيى بن كامل» و«محمد بن حرب» و«ادريس الاباضي» . مقالات ، ١٨٧/١ .

١٦٦ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٣٥/١ .

١٦٧ - الاشعري : مقالات ، ١٨٦/١ .

١٦٨ - الاشعري : مقالات ، ١٨٧/١ .

١٦٩ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٣٤/١ .

علي واكثر الصحابة (١٧٠) .

ومن الاقوال التي تنسب اليهم ان : «كل شيء امر الله تعالى به فهو عام ليس بخاص وقد امر به المؤمن والكافر وليس في القرآن خصوص ، ولا يخلق الله تعالى شيئا الا دليلا على وحدانيته » (١٧١) .

ويقول ابن حزم عن إباضية الاندلس بأنهم كانوا : «يحرّمون طعام اهسل الكتاب ، ويحرّمون قضيب التيس والثور والكبش ، ويوجبون القضاء على من نام نهارا في رمضان فاحتمل ، ويتيممون وهم على الآبار التي يشربون منها الا قللا منهم » (١٧٢) .

وتعرضت الإباضية كغيرها من الفرق الخارجية الاخرى الى الانقسام على نفسها ، فجاءت منهم فرق مختلفة (١٧٣) .

ولم يقف انقسام الخوارج عند حدود ما ذكرناه فحسب ، بل جاوز الحدود الاجتهادية المألوفة ، حيث نجد - فيما بعد - زهاء عشرين فرقة خارجية اخرى ، انشعبوا عن «العجاردة» و«الثعالبة» اللتين اختلف في اصولهما . فتارة يردّهم الاشعري الى «العطوية النجدية» ، وطورا الى «البيهسية» ، وآخر الى «الصفرية» التي يراها - اخيرا - مصدر جميع الفرق الخارجية ، باستثناء الازارقة والإباضية والنجدية (١٧٤) .

وأخيرا ، فان ظاهرة الانقسام السريع في صفوف الخوارج - التي عرفناها خلال هذا الفصل - تدعو الى الحيرة والتساؤل ، اذ لم تكن مسائل الخلاف بينهم من الخطورة بحيث تستدعي تكوّن هذه الفرق العديدة ، التي لا تتميز بعضها عن بعض - في كثير من الاحيان - الا في بعض الامور الفرعية ، ولا تمس عقائد الخوارج الاساسية . كما انها لا تستدعي التبرؤ من اصحاب الفرق الخارجية الاخرى وتكفيرهم . فان دل ذلك على شيء فانما يدل على ان قضية الاجتهاد عند الخوارج - خلال تلك الحقبة - لم تكن قد توضحت معالمها او حددت شروط ممارستها . ومن هنا ، فان كل جماعة منهم تكتلوا حول صاحب رأي من رؤسائهم ، ثم غالوا في هذا الانسياق حتى صاروا يرون قوله الحق دون غيره .

١٧٠ - الأيجي : شرح المواقف ، ٢٩٢/٣ .

١٧١ - الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٣٥/١ .

١٧٢ - ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ، ١٨٩/٤ .

١٧٣ - وهذه الفرق هي : الحفصية (المقريري : خطط ، ص ١٨٠) ، واليزيدية (ابن حزم :

الفصل في الملل والنحل ، ١٨٨/٤) ، والحارثية (البغدادي : الفرق بين الفسوق ، ص ١٨٩) ،

والواقفة ، والضحاكية (الاشعري : مقالات ، ١٨٨/١ - ١٨٩) .

١٧٤ - الاشعري : مقالات ، ١٧٧/١ ، ١٧٨ ، ١٨٣ .

وبذلك ازدادوا عزلة فوق عزلة . فبعد انفلاق الخوارج على انفسهم ومعاداتهم المطلقة لغيرهم من الفرق الاسلامية الاخرى ، جاء انفلاق الفرق الخارجية على عقائدها وافكارها الخاصة بها في شرائق ضيقة المجال . فجاءت احكامهم تميل الى البساطة والسداجة ، كما جاءت خالية من التعليل المنطقي او المحاكمة العقلية .

رغم هذا كله ، لا يجوز لنا ان نطبق على الخوارج في العصر الاموي تلك المقاييس التي نطبقها على الآخرين ، كما لا يجوز ان نتسرع في اصدار الاحكام على ضوء ما تجمع لدينا من ننف حول عقائدهم وافكارهم .

وبذلك ، تبقى الاسئلة الكبرى تشغل بال الباحث في امر هؤلاء الناس ، هل كانوا - حقا - اولئك الاتقياء المتطهرون ، كما كانوا يرون انفسهم ؟ ام كانوا من المارقة الذين خرجوا من الاسلام ، كما كان يراه جمهور المسلمين ؟

ان ما تسرب الينا من عقائدهم وافكارهم لا يشفي غليل الباحث ، ليقطع برأي او يخلص الى نتيجة حاسمة . وزيادة على هذا ، فان ما وصل الينا من اخبارهم جاء على لسان خصومهم ، الذين اثبتوا هذه الروايات بعد سنين طويلة من صدورهما عن اصحابها ، وفي الوقت الذي كانت تتعاقب فيه على الحكم انظمة معادية لهم .

ولكن رغم الصعوبات الماثلة امام الباحث ، فان هناك لمحات ايجابية قد تكون نبراسا يستضيء بها . فاذا كان خصوم الخوارج هم الذين كتبوا اخبارهم ، فاننا لا نستطيع انكار امانة بعض هؤلاء الخصوم ، الذين اكثروا من الحديث عن هذه الجماعة (١٧٥) . واذا بدا - للقارئ - تناقض في افكارهم وعقائدهم ، فما ذلك الا صورة عن تناقض فرقهم ذاتها . ولا ننسى ان بعض آراء الخوارج استهوت بعض الاشراف من الناس ، فنسبوا اليهم . فقد ذكر ان المنذر بن الجارود كان برأيهم ، وان صالح بن عبد الرحمن (صاحب ديوان العراق) كان يراه . كما نسب بعض الفقهاء اليهم ، ف قيل ان عكرمة مولى ابن عباس ومالك بن انس كانا برأيهم . غير ان المبرد الذي جاء بهذا الخبر يعقب حول ما زعم عن مالك ، فيقول : «ولعل هذا يكون باطلا» (١٧٦) . وتدعي الخوارج من السلف جابر بن زيد وغيره (١٧٧) . واذا صح ان نربط بين الامس واليوم ، فقد يصح ان نزعم - اذا تجاوزنا نشاطهم الغامضة المشبوهة - ان الخوارج كانوا جماعة ثورية ، تحمل مثلا دينية ،

١٧٥ - فقد نسب المبرد الى رأيهم ، لاطنابه في الحديث عنهم واطهاره الميل اليهم (ابن ابي الحديد : الشرح ، ٧٦/٥) .

١٧٦ - المبرد : الكامل ، ١٤٩/٣ - ١٥٠ .

١٧٧ - الاشمري : مقالات ، ٢٠٠/١ .

سيطرت على مشاعرهم ، دون أن تبلور في عقولهم عقيدة واضحة المعالم ،
يهتدون بهديها ويسترشدون بسنتها . ولعل هذا الواقع هو الذي جعلهم أميل
الى التطرف والانفعال ، منه الى العمل الفكري الهادى المنظم . وذلك هو منطق
الثوار في غياب العقيدة المتكاملة .

الباب الرابع

آثار الخوارج الأدبية

- الفصل الاول : الشعر الخارجي .
- الفصل الثاني : خطب الخوارج ورسائلهم .

آثرت عند دراستي لهذا الباب ، ان اتناول أغراض الشعر العامة وخصائصه الفنية والفكرية ، على دراسة شعر كل شاعر او مجموعة من الشعراء على حدة . وذلك لقلّة ما ورد اليّنا من نتاج هؤلاء الشعراء ، وتجنبنا للتكرار بسبب تدائل شخصياتهم - سلوكا وفكرا . وقد اعتمدت المنهج ذاته في دراسة ما تبقى من خطبهم ورسائلهم ايضا .

وإذا كان شعر الخوارج ونثرهم يمثلان - اصدق تمثيل - حياتهم الحربية وأحاسيسهم الوجدانية وعواطفهم الدينية وآمالهم العريضة ، فان هذه الآثار الادبية قد فشلت فشلا تاما في اعطاء صورة واضحة للفكر الخارجي او للعقائد الخارجية - السياسية منها والدينية . هذا اذا استثنينا ما يستخلص من مزاعمهم «نحن الاسلام والاسلام نحن» .

ولعل هذه الظاهرة تخالف ما عهدناه عند معاصريهم من الفرق الاسلامية الاخرى ، فان الشعر الشيعي يسجل لنا بوضوح تام مبادئ الشيعة وعقائدها على اختلاف نظرياتهم (١٤) . وكذلك الحال عند المرجئة ، فان لثابت قنطة قصيدة اودعها مختلف آراء هذه الفرقة وعقائدها (١٥) .

ملاحظة :

ان ارقام الصفحات - ارقام الديوان والقصائد والخطب - المشار اليها في حواشي الباب الرابع وسواه ، تعتمد القسم الثاني من رسالة المؤلف الجامعية ، الذي هو ديوان الخوارج المطبوع على الآلة الكاتبة والموجود في مكتبة الجامعة اليسوعية في بيروت . علما ان هذا الديوان قد صدر عن دار المسيرة في بيروت عام ١٩٨٢م

(١٤) الاصفهاني : الاغانى ، ٢٢٨/٧ ، ٢٢٨ ، ١٤/٨ .

(١٥) الاصفهاني : الاغانى ، ٢٥٤/١٤ .

الفصل الاول

الشعر الخارجي

شعراء الخوارج

لدى استعراضنا لديوان الخوارج نجد عدد شعرائهم الذين وقعنا على اسمائهم قد بلغ ٩٧ شاعرا ، فيهم عشر نساء . ولعل من الجائز القول ان اصحاب الشعر المنسوب كانوا ٩٧ رجلا وامراة ، اذ ليس كل من وقعنا له على قصيدة واحدة يمكن تصنيفه مع الشعراء . ومع ذلك لا نستطيع ان ننفي شاعرية اي منهم ، فقد يكونون من الشعراء حقا وقد نتاجهم تحت ركام الماضي .

وعند اجراء احصاء دقيق لشعرهم نجد ان ٥٤ منهم لم يتجاوز اي منهم القصيدة الواحدة . وكانت مقطوعات تسعة من بينهم بمعدل بيت يتيم واحد ليس غير (١) ، وقصائد سبعة غيرهم بيتان (٢) ، واكثر مقطوعات الآخرين نسي

١ - هؤلاء الشعراء هم : ثابت الخارجي ، الحصين بن مالك ، هوثة الاسدي ، سالم ابن ابي الجعد الاشجعي ، كهس بن عثمان الشكري ، مالك بن الوضاح ، معدان بن مالك اليبادي ، معمر بن شعبة ، نجدة الحنفي (الديوان) .

٢ - وهؤلاء الشعراء هم : بكير بن هارون البجلي ، حطان الاعسر ، حبي بن وائل ، صالح بن شفيق المرادي ، عبد الله بن يحيى ، يحيى بن المختار (الديوان) .

حدود بضعة أبيات . ولم يتعد هذا العدد من الابيات سوى اربع قصائد ، اولها: قوامها احد عشر بيتا (٢) ، وهي لاخت حازوق الخارجي . وثانيتها : مكونة من احد عشر بيتا ايضا (٤) ، وصاحبها عتيان بن وصيلة الشيباني . وثالثتها : من اثني عشر بيتا (٥) ، لمعاد بن جوين الطائي . ورابعتها : بلغت اربعة وعشرين بيتا (٦) ، وصاحبها ليلى بنت طريف الشيباني .

اما بقية شعراء الديوان ، فقد كانوا - باكثرتهم الساحقة - مسن المقلتين ايضا . فم عشرة من هؤلاء لكل واحد ثلاث قصائد (٧) ، وخمسة آخرون لكل منهم اربع قصائد (٨) ، وخمسة شعراء لكل واحد منهم خمس قصائد (٩). والذين تجاوزوا هذا العدد هم : عبدة بن هلال الشكري وله سبع عشرة قصيدة، وحبیب بن خدره الهلالي وله ثلاث عشرة قصيدة ، والاعرج المعني وله احدى عشرة قصيدة . وكان ابرز شاعرین في هذا الديوان قطري بن الفجاءة الذي خلف لنا ثلاثا وعشرين قصيدة، وعمران بن حطان الذي كان له قصب السبق، فوصل الينا من شعره خمس وأربعون قصيدة ، تشكل مع قصائد قطري عماد هذه المجموعة من شعر الخوارج . هذا اذا تجاوزنا الطرماح بن حكيم الذي كان من فحول شعراء العصر الاموي - وله ديوان مطبوع - الا ان اكثر شعره جاء على غير مذهب الشراة .

ويبدو ان نصيب النساء من هذا الشعر كان محدودا ، فلم تتجاوز القصيدة الواحدة من بين الشواعر العشر سوى مليكة الشيبانية التي تركت سبع قصائد ، وأم حكيم التي تركت ارجوزتين مجموع أبياتهما خمسة . أما الثماني الباقيات ، فكانت قصيدة كل منهن في حدود بضعة أبيات ، ما عدا ليلى بنت طريف المشار اليها سابقا . كما ان نصيب النساء في الشعر غير المنسوب كان محدودا أيضا ، فهناك سبع قصائد تقع في مجموعها زهاء اثنين وعشرين بيتا (١٠) ، وذلك من أصل ٦٤

٣ - ق / ٨ (الديوان) .

٤ - ق / ١٢١ (الديوان) .

٥ - ق / ٢٢٣ (الديوان) .

٦ - ق / ٢٠٨ (الديوان) ، البهتري : هماسة ، ص ٤٧٢ .

٧ - هؤلاء الشعراء هم : الجمدي بن ابي صمام الداهلي ، زياد الاسم ، شبيب الاشجعي الحروري ، شبيل بن مرة الضبي ، عبد الله بن وهب الراسي ، العهزار بن اللفهش الطائي ، فروة بن نوفل الاشجعي ، كعب بن عميرة السعني ، هاروب بن دثار ، محارب بن دثار ، المنال الشيباني (الديوان) .

٨ - هؤلاء الشعراء هم : بييس بن صويب ، الخيبري الشيباني ، شريح بن اوفى العبيسي ، الطرماح بن حكيم ، عمرو القنا العنبري ، عيسى بن فاك ، قيس بن الاسم الضبي ، مالك الزوم ، يزيد بن جناء (الديوان) .

٩ - هو ابو بلال مرداس بن اديّة (الديوان) .

١٠ - هذه القصائد هي : ٢٣٩ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٢٨٨ (الديوان) .

تصيدة تتكوّن منها مجموعة الشعر غير المنسوب .

وعلى الرغم من ان ترجمات عدد كبير من هؤلاء الشعراء غير وافية ، وان ترجمات آخرين منهم ضئيلة جدا بحيث لا تكشف لنا مواقعهم في سلم المسؤولية عند الخوارج ، فان ما يلفت النظر ، ان عددا غير قليل ممن وصلت اليها بعض اخبارهم كانوا من زعماء الخوارج وقادة الراي فيهم ، كما كان من بينهم الفرسان والعلماء المجتهدون . فكان منهم خليفة الخوارج الاول عبد الله بن وهب الراسبي واصحابه في النهروان ، امثال حرقوص بن زهير السعدي ، وشريح بن اوفى العبسي ، ومالك بن الوضاح وغيرهم (١١) . ثم نجد في قائمة هؤلاء الناس راس الازارقة نافع بن الازرق (١٢) ، وامير الازارقة لعشرين عاما قطري بن الفجاءة (١٣) ، وآخر زعماء الازارقة عبيدة بن هلال اليشكري (١٤) . كما نجد بينهم شبيب الاشجعي الذي بايعته الخوارج الصفرية بعد موت زعيمهم صالح بن المروح (١٥) ، والضحاك بن قيس الشيباني الذي غلب على العراق في يوم من الايام (١٦) . وفيهم ايضا راس الاباضية في اواخر العصر الاموي عبد الله بن يحيى (١٧) .

وكان من المجتهدين والعلماء فيهم ابو الوازع الراسبي ، الذي جاء نافعا بن الازرق وحثه على الخروج ، ثم خرج امامه ، فحكّم وقاتل حتى قتل (١٨) . وممن وصف بالعلم والاجتهاد من هؤلاء الشعراء : حبيب بن خدرة الهلالي (١٩) ، وداود بن عقبة العبدي (٢٠) ، والرهين المرادي (٢١) ، وشبيل بن عسرة الضبعي (٢٢) . وعلى رأس هؤلاء - جميعا - ابو بلال مرداس بن اديّة ، الذي تعظمه الخوارج لشدة تدينه وصحة عبادته (٢٣) .
ومما هو جدير بالذكر ها هنا ، انه كان من بينهم فروة بن نوفل الاشجعي ،

-
- ١١ - انظر ترجمات هؤلاء الشعراء في حواشي الصفحات : ٧٧ ، ٤٣ ، ٦٧ ، ١٨٢ (الديوان) .
١٢ - انظر ترجمته في حاشية ص ١٩٧ (الديوان) .
١٣ - انظر ترجمته في حاشية ص ١٥٤ (الديوان) .
١٤ - انظر ترجمته في حاشية ص ٨١ (الديوان) .
١٥ - الطبري : تاريخ ، ٩٧٢/٨ - ٩٧٤ .
١٦ - الجاحظ : البيان ، ٣٥٨/١ - ٣٥٩ .
١٧ - ابن ابي طاهر : بلاغات ، ص ١٨٢ .
١٨ - المبرد : الكامل ، ١٠٢١/٣ .
١٩ - الجاحظ : البيان ، ٣٦١/٣ .
٢٠ - العيون والحدائق ، ٣٦/٣ .
٢١ - المبرد : الكامل ، ١٠٠٦/٣ .
٢٢ - الجاحظ : البيان ، ٣٥٧/١ .
٢٣ - المبرد : الكامل ، ٩٤٨/٣ ، ٩٨٨ ، ٩٩١ .

الذي كانت لأبيه صحبه ، وقد سمع أباه وعلياً وعائشة ، وروى عنه بعض الرواة من اهل السنة كنصر بن عاصم الليثي ، وأبي اسحاق السبعمي (٢٤) . كما كان فيهم رأس القعد من الصفرية عمران بن حطّان الذي قيل انه كان من اهل السنة ومن التابعين قبل ان يصبح على مذهب الخوارج (٢٥) .

ويمكن القول ايضا ، ان اكثر هؤلاء الشعراء كانوا من المحاربين والفرسان الذين يخوضون المعارك بسيوفهم قبل السننهم ، فلم نر من القعدة بينهم سوى عمران بن حطّان الذي تزعم قعدية الصفرية (٢٦) ، وأبي خالد القناني الذي تخلف عن الخروج خوفاً على بناته (٢٧) ، وسالم بن ابي الجعد الاشجعي الذي لم يكن يرى اخافة الناس واستعراضهم (٢٨) .

اما شواعر الخوارج فقد عرفن من خلال ذويهن ، فأم حكيم كانت مع زعيم الازارقة قطري بن الفجاءة (٢٩) ، وأخت حازوق كان اخوها احد ولاة نجدة الحنفي (٣٠) ، وأم البرذون الصفرية شهرت بولدها الذي كان احسد فوارس الصفرية في اواخر العهد الاموي (٣١) ، وأم عمران الراسبي هي والدة احد قادة الازارقة (٣٢) ، والجديعاء هي زوجة ابي حمزة المختار (٣٣) ، وليلى وأختها ابنتا طريف هما اختا الوليد الشاري رأس الشراة في عهد الرشيد (٣٤) . اما عميرة زوجة مجاشع فلا نعرف عنها سوى تمردها على زوجها ، وتفضيلها الخروج على بيت الطاعة الزوجية (٣٥) ، وكذلك مليكة الشيبانية التي اورد خبرها المرزباني في اشعار النساء .

ومما هو جدير بالملاحظة ايضا ، ان هؤلاء الشعراء جاؤوا من مختلف القبائل العربية باستثناء قريش . كما يلاحظ ان عدد الموالى فيهم محدود جدا ، فهؤلاء الموالى هم : حبيب بن خدره الذي كان من موالى بني هلال (٣٦) ، وعمرو بن

-
- ٢٤ - الذهبي : تاريخ ، ٢٠٣/٣ .
 ٢٥ - ابن حجر : تهذيب ، ١٢٨/٨ .
 ٢٦ - المبرد : الكامل ، ٨٩٥/٣ .
 ٢٧ - المبرد : الكامل ، ٨٩٥/٣ .
 ٢٨ - اليميني : مضاهاة ، ص ٩ .
 ٢٩ - الشريشي : مقامات ، ٩١/١ - ٩٢ .
 ٣٠ - المصنف المجهول : ص ١٣٩ - ١٤٠ .
 ٣١ - البلاذري : انساب ، ٣٦٣/٨ .
 ٣٢ - المبرد : الكامل ، ١٠٤٤/٣ .
 ٣٣ - ابن ابي الحديد : الشرح ، ١٢٢/٥ .
 ٣٤ - ابن خلكان : وفيات ، ٨٥/٥ ، ٨٦ .
 ٣٥ - ابن ابي طاهر : بلاغات ، ص ١٠٦ . المرزباني : أخبار النساء ، ص ١٩٢ .
 ٣٦ - الجاحظ : البيان ، ٣٦١/٣ .

الحسن الاباضي الذي كان من موالي الكوفة (٢٧) ، وعمرو بن الحصين احد موالي بني تميم (٢٨) . ثم هناك زياد الاعسم الذي قيل انه من بني عبد القيس او من مواليهم (٢٩) .

ولعل ما يدعو للدهشة والاستغراب ان عددا غير قليل من هؤلاء الشعراء عرفوا بانتمائهم لهذه الفرقة او لتلك من امهات الفرق الخارجية ، دون ان يبدي احد منهم - في شعره - كبير اهتمام بعقائد فرقته او بشن الهجوم على انكسار الآخرين من مخالفيهم . فان دل ذلك على شيء فانما يدل على ان تلك الخلافات لم تكن - في بداية امرها - من الجدية والخطورة بحيث تستهوي هذا النفر من الخوارج . فظلت في نطاق اصحاب تلك الفرق او عند ارباب الاجتهاد فيهم ، وظل الشعر الخارجي امينا لمبادئ الشراة العامة ، وبقي الشعراء بمنأى عن تلك الخلافات الاجتهادية المتطرفة . ومن الذين امكن التعرف بهويتهم الفرقية من شعرهم الشعراء التالية اسماؤهم ، موزعين حسب انتماءاتهم : عرف مسن الازارقة : بهس بن صهيب ، وزيد بن جندب ، وسميرة بن الجعد ، وعبيدة بن هلال اليشكري ، وعمرو القنا العنبري ، وقطري بن الفجاءة ، وقيس بن الاصم الضبي ، ويزيد بن حبناء ، وراس الازارقة نافع بن الازرق (٤٠) . وعرفنا من الصفرية : سلامة بن سيار الشيباني ، وشبيب الاشجعي ، وشبيل بن عذرة الضبعي ، والصحاري بن شبيب ، والضحاك بن قيس الشيباني ، وعبد الواحد الازدي ، والمنهال الشيباني ، والطرماح بن حكيم ، وراس القعد من الصفرية عمران بن حيطان (٤١) . ومن النجدية : وقعنا على عطية بن سمرة الليثي ، وحيي بن واثل ، وصاحب النجدية نجدة الحنفي (٤٢) . ومن الاباضية : عمرو بن الحسن الاباضي ويحيى بن المختار ، وراس الاباضية في ارض الجزيرة عبد الله بن يحيى (٤٣) .

اما بقية الشعراء فلم يأتنا من اخبارهم ما يكشف لنا انتماءاتهم الفكرية الخارجية . وعلى الأرجح ان اكثرهم كانوا من الخوارج فحسب ، ولم ينجرّفوا وراء تلك الانقسامات الاجتهادية ، او انهم لم يدركوا زمن الانقسام الذي وقع في صفوف الشراة عصرذاك .

٢٧ - المرزباني : معجم الشعراء ، ص ٢٢٩ .

٢٨ - الاصفهاني : الاغانى ، ١٠٢/٢٠ .

٢٩ - البلاذري : انساب ، ١١٨/٧ .

٤٠ - انظر ترجمات هؤلاء الشعراء في حواشي الصفحات : ٢٦ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٨١ ، ١٤٠ ،

١٥٤ ، ١٧١ ، ٢٠٠ ، ١٩٧ (الديوان) .

٤١ - انظر ترجمات هؤلاء الشعراء في حواشي الصفحات : ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ،

٨٠ ، ١٩٤ ، ٧٣ ، ٩١ (الديوان) .

٤٢ - انظر ترجمات هؤلاء الشعراء في حواشي الصفحات : ٤٩ ، ٩٠ ، ١٩٧ (الديوان) .

٤٣ - انظر ترجمات هؤلاء الشعراء في حواشي الصفحات : ٧٨ ، ١٢٨ ، ١٩٩ (الديوان) .

ولعل ما يلفت النظر بشأن شعراء الفرق الخارجية ، ان شعر كل جماعة منهم جاء متناسبا مع حجم الاعمال العسكرية التي قامت بها كل منها . فالازارقة كثر شعرهم الحربي ، تسجيلا لبطولاتهم وانتصاراتهم الحربية ، لان وجودهم كان سلسلة متصلة من المعارك المتواصلة . والصفريه قلّ شعرهم الحربي ، لان اكثرهم مال الى القعود ، ولكن يبدو ان الرواة حالوا بيننا وبين ما قيل في تصوير انتصارات شبيب الحروري الاسطورية . اما النجدية ، فان الخلافات المبكرة في صفوف زعمائهم حالت بينهم وبين الاعمال الحربية العظيمة المستمرة ، فقلّ شعرهم بذلك . والاباضية لم نسمع لهم شعرا ، الا بعد ان قاموا بمحاولاتهم الجدية للاستيلاء على بلاد الحجاز واليمن وما دونهما .

وبذلك يمكن القول ان الشعر عند شعراء الفرق الخارجية – بشكل عام – كان اما تسجيلا لاعمال حربية او رثاء لقتلاهم – ترغيبا وترهيبا .

ويبدو من غير الممكن تتبع نشأة هؤلاء الشعراء ودراسة حياتهم العامة والخاصة بقصد التعرف الى مصادر ثقافتهم الدينية والفكرية ، اذ لم يتح لهؤلاء الناس ان يعيشوا حياة الهدوء والاستقرار لتعرف أخبارهم وتسجل آثارهم . كما يبدو ان الخوارج من جهتهم لم يكن يعينهم من هذا الامر شيء ، فهم دعاة حرب وطلاب موت ليس غير . ولا يستبعد ان تكون أخبارهم قد طمست كما طمست أشعارهم . هذا اذا استثنينا عددا محدودا منهم ، مررنا على ذكرهم عند الحديث عن تاريخ الخوارج وحروبهم .

ولعل أبرز ما يميز هؤلاء الشعراء عن غيرهم من معاصريهم وسابقيهم ، انهم نسيج وحدهم . فلم يكن الشعر عندهم حرفة ولا هواية ، بل كان وسيلة آتية يعبرون بها عما يعتل في نفوسهم وما يدور في خلدتهم . لذلك لم تكن قصائدهم شعر مناسبات ، يفتخرون هنا ويمدحون هناك ، وانما كان ينشأ عن حاجة تتطلبه ، فيجري على سنتهم عفو خاطر دون تعمل او تمحيص . ولما كانت حياتهم سلسلة من الحروب المتواصلة ، فقد كثر القتل فيهم ، وكثر بذلك نصيب الرثاء من هذا الشعر . واذا أضفنا الى الرثاء ما جاء في الموت والحياة ، وفي الشراية والخروج ، وفي المواقع والحروب ، لما بقي – سوى ذلك – من شعرهم الا النزر القليل ، الذي يصعب تصنيفه في هذا المجال او ذلك ، كما يصعب الكشف عن المناسبات التي قيل فيها ، لضياح مقدمات تلك القصائد وفقدان هياكلها .

اما جمهور الشعر الخارجي فهم الخوارج انفسهم . فهو موجه – بالدرجة الاولى – اليهم . ولكن هذا لا ينفي وجود قصائد عديدة موجهة الى خصومهم – وعيدا وتهديدا ، او حملا لآرائهم السياسية والدينية وامور ثانوية اخرى .

شعر الخوارج

يظهر للباحث عند استعراض ديوان الخوارج وترجمات أعلامه ، ان عدد شعرائهم كان وفيرا ، وان بضعة شعراء منهم شهروا بالكثارة . فكان من هؤلاء الكثيرين عمران بن حطان الذي بلغ من الشهرة ، بحيث ما كان يقول احدهم شعرا الا نسب اليه (٤٤) . وكان منهم قطري بن الفجاءة ، وعمرو القنا اللذان كانا بشهرة عمران (٤٥) . كما كان بمنزلة هؤلاء الكثيرين الرهين المرادي (٤٦) . ونجد بينهم عبيدة بن هلال الشكري الذي احتكم اليه ابو حنيفة للمفاضلة بين جرير والفرزدق (٤٧) ، وكان عبيدة هذا - اذا تهادن الناس في الحرب - يعرض نفسه على خصومه ، فيناشدهم الشعر حتى يصيبهم الملل (٤٨) .

ومن بين الذين شهروا ايضا بغزارة الانتاج فيهم : سميرة بن الجعد (٤٩) ، وابو بلال مرداس بن اديّة (٥٠) ، وعيسى بن فاتك (٥١) .

وعلى الرغم من وفرة شعراء الخوارج والقول بكثرة نتاجهم ، فان اكثر ما وصل الينا من شعرهم لا يعدو ان يكون نتفا لهذا الشاعر او لذاك . كما ان ما تسرب الينا من شعر الكثيرين منهم ، لا يتناسب وذبوع شهرتهم ، وان كثيرا من قصائدهم - التي بين ايدينا - قد اصابها البتر . وهذا يدل دلالة واضحة على ان اكثر شعرهم قد عفا عليه الزمن .

وهكذا ، فان الباحث في مصادر الادب القديمة يصاب بخيبة الامل ، لقلّة ما يقع عليه من شعرهم ، فيتبادر الى ذهنه ان اهمالا متعمدا قد اضاع علينا ثروة

٤٤ - الاصفهاني : الاغاني ، ٥٨/١٨ . وهذا الراغب الاصفهاني يصاب بشعره لشعر عمران ، فيكتب لابي القاسم بن ابي العلاء طالبا شعر ابن حطان ، فيقول :

اصبحت يدعوني الى شعر ابن حطان شره

(الاصفهاني : محاضرات ، ١١٩/١ . ط . الحياة - بيروت (١٩٦١) .

٤٥ - الاصفهاني : الاغاني ، ٥٨/١٨ .

٤٦ - المبرد : الكامل ، ١٠٠٦/٣ .

٤٧ - فحکم لجرير في قوله :

وطوى الطيرآد مع القيادِ بطونها طيَّ التجار بحضرموت برودا

(الاصفهاني : الاغاني ، ١٤٠/٦ - ١٤١) .

٤٨ - الاصفهاني : الاغاني ، ١٤١/٦ .

٤٩ - المسعودي : مروج ، ٧٨/٣ .

٥٠ - المبرد : الكامل ، ٩٩٢/٣ .

٥١ - البلاذري : انساب ، ٩٥/٤ - ٩٦ .

الخوارج الشعرية ، خصوصا حينما يلاحظ ان ابا الفرج ، والمسعودي لم يكثرنا من اخبارهم الادبية ، وان ابن قتيبة في كتابه «الشعر والشعراء» لم يأت على ذكرهم الا بشأن سركات الطرماح عن الشعراء الآخرين ، بينما ابن سلام لا يرى احدا منهم يستحق التصنيف في طبقاته .

ان هذه الظواهر جعلت النعمان القاضي يرى ان اللعنات التي انصبت على الخوارج عامة ، قد انعكست على آثارهم الادبية ، فاضطهدهم الرواة والمؤرخون ، واهملوا نتاجهم وتركوه نهبا للضياع . فكان ذلك سببا لقلته ما وردنا مسن شعرهم (٥٢) . ومما هو جدير بالملاحظة انه لم يورد سببا آخر يعلل به ضالة ما وصل اليها من شعر هؤلاء الناس .

واذا كنا نوافق القاضي في بعض ما ذهب اليه ، فاننا لا نستطيع اخذ هذا الراي على اطلاقه في الاقتصار على سبب واحد في تعليل هذه الظاهرة . فربما كان بعض المؤرخين والرواة قد تعمدوا اهمال شعر الخوارج - كرها لهم او تجنبنا لاثارة خصوم الخوارج عليهم - الا ان آخرين منهم ابدوا اهتماما زائدا بشعرهم واخبارهم ايضا . فلم يتخرجوا من نقل اخبار بطولاتهم الحربية وشجاعتهم النادرة . فهذا ما نلاحظه في كامل المبرد ، وتاريخ الطبري ، واسباب البلاذري ، وغيرها من المصادر القديمة . يضاف الى ذلك ، ان جمع الادب وتسجيله قد تم في حقبة زمنية لم يكن فيها للخوارج شأن خطير ولا شوكة ظاهرة ، وفي وقت لم يجد فيه بعض المؤرخين حرجا في اثبات روايات ابي عبيدة معمور بن المشني الخارجي اليهودي الاصل (٥٢) . فلا يصح بعد هذا ان يعمم الحكم ، فيقال : ان اخبار الخوارج قد طمست ، وان اشعارهم قد دفتت . فالرواة الذين نقلوا اليها اعنف افتراء على علي بن ابي طالب في مديح عمران بن حطان لابن ملجم ، لا يتخرجون في نقل ما هو اخف حدة واقل عنفا (٥٤) .

لذلك يمكن ان يضاف الى اهمال الرواة والمؤرخين عوامل اخرى ، منها :
- ان الخوارج انفسهم لم يتخذوا الشعر حرفة يتكسبون بها ، ولا تعاطوه فنا للمباهاة والمساجلة ، بل كان وسيلة لغاية ، وتلبية لحاجة آنية ليس غير . ومن هنا فانهم لم يحرصوا كثيرا على روايته او اثباته .

٥٢ - القاضي : الفرق الاسلامية في الشعر الاموي ، ص ٤٠٦ .

٥٣ - ابن خلكان : وفيات ، ٣٢٧/٤ .

٥٤ - قال عمران يمدح ابن ملجم لقتله امير المؤمنين علي بن ابي طالب : (١٦٠ - الديوان) .

يا ضربة من تقي ما اراد بها
اني لاذكره حيناً فاحببته
الا ليبلغ من ذي المرثى رضوانا
اوفى البرية عند الله ميزانا
كفاه مهجة شر الخلق انسانا
لله درُّ المرادي الذي سفكت

– ثم ان سيطرة القرآن على عقولهم ووجدانهم ، قد حال بينهم وبين الأهتمام الزائد بفن الشعر . فهذا احد شعرائهم يقول (٥٥) :

تركت الشعرَ واستبدلتُ منه
إذا داعي صلاةِ الصبحِ قاما
كتابَ اللهِ ليس له شريكٌ
وودعتُ المدامةَ والندامى

– ولعل موت العديد من هؤلاء الشعراء في حروب الخوارج المتواصلة ، كان سببا رئيسا لضياع اكثر شعرهم . فقد سبق وعلمنا ان ابرز شعرائهم كانوا فرسانهم في الحروب ، وان اكثرهم قضوا في ساحة القتال .
ومهما قيل بهذا الشأن ، فان ما توفر لدينا من شعر الخوارج – على قلته – يشير بوضوح الى انهم كانوا بمنزلة عالية بين الفرق الاسلامية المعاصرة .

اغراض الشعر الخارجي :

لا نستطيع ان نزعم تحت هذا العنوان ، ان شعراء الخوارج تناولوا بقصائدهم موضوعات محددة الاهداف ، واضحة المعالم ، فجعلوها لآغراض الشعر التقليدية التي عرفت في عصر الجاهلية و صدر الاسلام . فأكثر شعرهم يدور في اطار عقائدهم الخارجية . ومن هنا سنجد تداخلا كبيرا في هذا الشعر ، لدرجة يصعب معها فرز هذه الاغراض ، وذلك بسبب تشابكها بعضها مع بعض ، اذ لم يكن الشعراء يتحدثون في كل منها على حدة . ومما يزيد الامر مشقة وعسرا ، ان بعض ابيات هذه القصيدة او تلك يصح ان تكون في غرض معين ، وفي الوقت ذاته تصلح ان تكون في غرض آخر او اكثر . فهناك ابيات تصنف في موضوع آرائهم الدينية والسياسية مثلا ، وفي الوقت نفسه يمكن تصنيفها في غرض آخر كالزهد او المديح .

وبالرغم من صعوبة دراسة هذه القصائد ، فاننا سنحاول تلمس ابرز الموضوعات واهم الاغراض التي كانت مدار اهتمامهم ، وكيف استطاعوا التخلص والاعتناق من قوالب القدماء وأساليبهم .

ومما تجدر الاشارة اليه ها هنا ، ان الشعر المنسوب اليهم لا تتمثل فيه – بأجمعه – روح الخوارج الدينية والعقائدية . فربما كان بعض هذا الشعر قد قاله هذا الشاعر او ذلك ، وانما قبل ان يرى رأيهم ، فجاء منسوباً اليهم رغم

خلوه من آرائهم ومشاعرهم ، وقد يكون جرى على سنتهم رغم تذهبهم بمذاهبهم (٥٦) .

كما تجدر الإشارة أيضا الى ان زهاء اربعين قصيدة من ديوان الخوارج قد فقدت اكثر آياتها ، حتى صار من العسير تصنيفها هنا او هناك ، وان عددا آخر من هذه القصائد جاء في موضوعات متفرقة لا ضابط لها ، ولا جامع مشترك يجمعها .

ولعل اهم الاغراض التي دار حولها شعر الخوارج ، هي التالية :

الدعوة لآرائهم الدينية والسياسية :

ان الناظر في شعر الخوارج عامة ، يجد قضيتين اساسيتين تستخوذان على تفكيرهم الديني وسلوكهم السياسي والعسكري ، وهما التحكيم والشراية . اما ما عداهما من امور فرعية اخرى ، فلا تعدو ان تكون روافد لهما او نتائج تصب في بحرهما .

قضية التحكيم :

كان امر التحكيم اول قضية هامة تعرض لها شعراء الخوارج ، فابدوا رأيهم بذلك الحدث الجلل الذي قام عليه مذهبهم . فبدأ وكأنه عتاب لعلي في بادىء الامر ، وانهم انما يرمون الى تقديم المشورة والنصح له (٥٧) . ولكن يبدو ان هذا الموقف المعتدل للهجة لا يمثل حقيقة رأي الخوارج بهذا الموضوع الخطير ، فان احد زعمائهم الاوائل كان اكثر صراحة ووضوحا ، حين يعلن على لسان اصحابه ، بانهم يرفضون رفضا قاطعا حكومة الرجال من اهل الضلال في امر صدر فيه حكم الله ، كما يعلن ان فراقهم لعلي هو فراق ابدى لا رجعة عنه ، وذلك حين يقول عمرو بن نوفل في ختام قصيدته (٥٨) :

٥٦ - ورد في ديوان الخوارج قصائد عديدة لا تمثل فيها روح الخوارج ، منها : ق/١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٧ ، ١٢٨ - ١٧٥ الخ .
٥٧ - قال صالح بن شفيق المرادي في التحكيم : (ق / ٩٧ - الديوان)

ما لعليّ في السماء قد حكم ا
لو قاتل الاحزاب يوما ما ظلم

٥٨ - ق / ١٨٢ (الديوان) .

وفارقنا أبا حسن علياً
فما من رجعة إحدى الليالي
فحكّم في كتاب الله عمراً
وذاك الأشعريّ أخا الضلال

أما زعيم الخوارج وخليفتهم الأول عبد الله بن وهب الراسبي ، فقد اتخذ من
حكاية التحكيم ذريعة لإعلان الثورة المسلحة على علي ، ثم كشف مطامع الشراة في
الحكم ، حين قال لرسول علي (٥٩) :

نقاتلكم كي تلتزموا الحقّ وحده
ونضربكم حتى يكون لنا الحكم

ولكن راسبياً آخر من أهل حروراء يلخص لنا حكاية الحكومة من الفها إلى
يائها . فإذا هي ندم على ما فرط منهم أولاً ، ثم يستعرض ما جرى بينهم وبين
علي عند اختيار الحكمين ، إلى أن يخبرنا في ختام قصيدته بخروج أبي موسى
الأشعري إلى مكة عائداً في البيت الحرام ، وذلك بعد صدور قرار حكومة
الحكمين (٦٠) .

ولعل أصدق وصف لموقف الشراة بعد حكومة الحكمين ، ما سجله لنا أحد
شعرائهم ، الذي جاء يعلن البراءة ويصب اللعنات على علي ومعاوية وعمرو بن
العاص وأصحابهم ومشايخهم (٦١) .

وقد ظل صوت التحكيم يتردد في سماء معارك الخوارج ، ويردده شعراؤهم
بعد أن استحوذ على عقولهم ومشاعرهم ، طوال العصر الأموي . فكانوا يشحذون
به حماس عساكرهم ، ويلهبون عواطف أصحابهم في كل موقعة وعند كل لقاء (٦٢) .

٥٩ - ق / ١٠٦ (الديوان) .

٦٠ - ق / ٧٢ (الديوان) .

٦١ - قال رجل من الخوارج : (ق / ٢٨٩ - الديوان)

إبرأ إلى الله من عمرو وشيعته
ومن معاوية الطافي وشيعته
لا بارك الله في القوم اللاميين
ومن علي ومن أصحاب صفين

٦٢ - فهذا جيب بن خدرة يسمنا صوت التحكيم في حرب الخوارج لروان بن محمد آخر

خلفاء بني أمية فيقول : (ق / ٥١ - الديوان)

فلم أنسهم يوم الخميس وكرّهم
ودونهم الجعديّ إذ يطردونسه
عليه ويوم القصر إذ حرس القصر
وأدركه التحكيم والقصب السمر

الشراية والخروج :

كان على الخوارج بعد ان اخرجوا غيرهم من المسلمين من دائرة الاسلام ، وعدوا ديارهم ديار كفر ، ان يرحلوا عنها ، اذ لا تجوز الاقامة بين ظهرانيهم . وما داموا قد شروا انفسهم في سبيل الله ، فما عليهم الا ان يترحلوا عن اهلهم ومالهم ، لانهم قد ابتاعوا لهم اهلا ومالا في جنان النعيم (٦٢) .

وهم لا يخرجون من ديارهم اشرا ، ولا يتركون اهلهم بطرا ، بل ارضاء لله وتنفيذا لأمره . ولم يكن خروجهم الى معسكر المؤمنين بدعوتهم هو نهاية المطاف بهم ، اذ كان لا بد من استنكار حكم اهل الجور وجهادهم ، والا فانهم سيلقون عذاب الله الشديد . لذلك نرى شاعرهم حريصا على حياته ، لا حبا في الحياة لذاتها ، وانما ليؤدي واجبه في محاربة الملحدين من خصومهم واذاقتهم الروعة والفرع (٦٤) .

وإذا كان عمران بن حطان لا يرى عدلا ليعيش في كنفه ، ولا يرى انصارا لأهل الحق ليقوى الحق بهم ، فيميل الى القعود (٦٥) . فان أبا الوازع الراسبي يخالفه في اجتهاده ، حين يرى وجوب الشراية والخروج ، خصوصا بعد ان طفع كيل الظلم ، وبعد ان بلغ السيل الزبي ، فقال يحض على الجهاد في سبيل الله (٦٦) :

سأشري ولا أبغي سوى الله صاحباً
وأبيض كالخراقِ غضب المضاربِ
فقد ظهرَ الجورُ المبيرَ وأجمعت
على ذلك أقسوامٌ كثيرُ التكاذبِ

ولم يكن قول لسان فحسب ، فقد حكم وخرج مستنكرا ثائرا ، ولكنه ما

٦٣ - قال الصحاري بن شبيب : (ق / ٩٨ - الديوان)

انني شارف نفسي لرئبي تاركاً فيسلاً لديهم وقالوا
بائع أهلي ومالسي أرجو في جنان الخلد أهلاً ومالاً
ويحدد لنا شيخهم مرداس بن أدية سبب خروجه ، فيقول : (ق/٢٢١ - الديوان)
اني وزنت الذي يبقى بما جلسته نفني وشيكا ، فلا والله ما اتزنا
نفوى الاله وخوف النار أخرجني وبيع نفسي بما ليست له ثمننا

٦٤ - ق/١٧٦ ، ٢٢١ (الديوان) .

٦٥ - ق/١٦٠ (الديوان) .

٦٦ - ق/٦٦ (الديوان) .

لبث ان قتل . فكان مقدمة لثورة الازارقة الدامية الطويلة (١٧) .
انطلاقا من هذا الاعتقاد ، فقد فرضوا على انفسهم واجب الخروج ، الذي
يفرض عليهم مقاتلة مخالفيهم من المسلمين الذين ضلوا السبيل وانحرفوا عن
جادة الصواب .

وهكذا فقد اخذوا يتسابقون الى الحرب ، واستعدبوا الموت في سبيل حياة
خالدة ، واستقبلوا اسنة الرماح ، وهم يصيحون : «الروح الروح السي
الجنة» (١٨) .

شعر الحرب :

يمكن القول ان شعر الحرب كان تنمة طبيعية لما عرف بالشرابية والخروج
عندهم . فما داموا قد اختاروا الحرب وسيلة لتحقيق آرائهم الدينية ، وامتشقوا
السيوف لازالة الحواجز المائلة امام مآربهم السياسية ، كان لا بد ان تكثر مواقعهم
وحروبهم . ومن هنا كان امرا طبيعيا ان يغزر شعر الحرب في ديوانهم ، لان
الحرب من اقوى المظاهر وادعاها لاثارة قرائح الشعراء ، واظهار مواهبهم الفنية،
بعد ان امدتهم بفيض من الافكار المتصلة بالجهاد والقتال ، خصوصا وان شعراء
الخوارج هم انفسهم كانوا فوارس الميدان ، وهم الذين وظفوا شعرهم لصالح
دعوتهم حتى كادوا يقصرونه عليها . وقد يأتي شعر الحرب في المرتبة الثانية بعد
الثناء كَمَا ، وربما لو وصل الينا ديوانهم كاملا ، لطفى هذا الفرض على بقية
الاغراض مجتمعة .

ولعل اول ما يلفت النظر عند استعراض قصائد هذا الباب ظاهرة وفرة
الأرجاز فيه ، والتي يفهم من خلال مناسباتها وسياقاتها انها كانت تنشد في
ميادين القتال ، تشجيبا لاصحابهم على الصبر والثبات او كوعيد يوجه الى الاعداء .
وقد خاضت الخوارج حروبها - كما سبق وعلمنا - وهم يعتقدون انهم اهل
الحق من دون الخلق على الارض ، وان واجبه الديني يفرض عليهم تحريـر
غيرهم من المسلمين . وبذلك خرجوا للقتال على اعتقاد منهم ان الحرب التي
يخوضونها ، انما هي حرب مقدسة ، هدفها اعادة الحق الى نصابه واقامة حكم
الله بين الناس (١٩) . فحاربوا بشجاعة نادرة ، واخذوا يتسابقون الى موت
الحياة ، سعيا وراء حياة ما بعد الموت .

٦٧ - المبرد : الكامل ، ١٠٢٢/٣ .

٦٨ - الطبري : تاريخ ، ٢٢٨١/٦ .

٦٩ - ق/١٠٦ (الديوان) .

وشعراء الخوارج في وصفهم لتلك الحروب يتحدثون عن الشراة كجماعة قتال ، وعن الخارجي كبطل نزال ، وعن الموقعة ونتائجها ، ثم عن انواع اسلحة الحرب التي كانوا يستعملونها .

ففي مجال حديثهم عن جماعة الخوارج بشكل عام ، نجدهم مرابطين يحملون سيوفهم على عواتقهم ، ينتظرون اوامر قائدهم للاغارة على مواقع عدوهم ، وقد يأخذونه على حين غرة ، ويباغتونه من حيث لا يحتسب . فسلامة بن سيّار في وصفه لاحدى غزواته ، يخبرنا انه اغار بأصحابه على عدوهم عند الفجر (٧٠) . وهم يرون جهاد هؤلاء الناس عند كل سانحة ، فقد اجازوا لانفسهم مهاجمة معسكر المهلب غداة يوم النحر (٧١) . واذا خرجوا لقتال عدوهم ، واشتبك الطرفان والتفت الساق بالساق ، يتكاتفون في هجومهم صفا واحدا كالبنيسان المرصوص (٧٢) . ثم يتساقون معهم كؤوس المنون بشفار السيوف واطراف القنا (٧٣) . وربما كان أجمل وصف لشجاعة الخوارج وثباتهم عند اللقاء قسول مرداس بن اديّة فيهم (٧٤) :

فلسنا اذا جمّت جموع عدوتنا
وجاؤوا الينا مثل طامية البحر
نكف اذا جاشت الينا بحورهم
ولا بمهايب نعيد عن البئر
ولكننا تلقى القنا بنحورنا
وبالهام تلقى كل ابيض ذي اثر
اذا جشأت نفس الجبان وهللت
صبرنا لها، ولو كان القيام على الجمر

ان هذه الشجاعة النادرة هي التي جعلت اربعين منهم يهزمون الفين من عساكر خصومهم في احدى المواقع (٧٥) .
اما صورة البطل عندهم فهي ذات صلة بعقيديتهم ، فهم لا يعيرون اهتماما لتكوينه الخلقي او اصلته وحسبه ، بل يركزون على شجاعته ومقدرته القتالية واستماتته في طلب الشهادة . فهو شجاع يخوض غمرات الوغى وسط الاعادي،

٧٠ - ق / ٨١ (الديوان) .

٧١ - ق / ١٧١ (الديوان) .

٧٢ - ق / ٧٣ ب / ٥ (الديوان) .

٧٣ - ق / ٥٤ . ق / ١٦٦ ، ب / ٩ - ١١ (الديوان) .

٧٤ - ق / ٢١٨ (الديوان) .

٧٥ - ق / ١٧٩ ، ب / ٥ - ٧ (الديوان) .

ويضرب هام العدا بذباب سيفه ، ويطعن بالقنا نحور أعدائه ، ويقدمّ الجسوم بقوة ضرباته (٧٦) . وبمزيد من الجرأة والاقدام يستمر في التقدم الى حومة الوغى ، رغم تداول كمة الاعداء عليه (٧٧) . ولكن هذا البطل فريد في نوعه ، اذ لا يتمنى العودة سالماً ، بل على العكس من ذلك ، فهو يتمنى طعنة رمح نجلاء ، او ضربة سيف بتار ليفوز فوزة تنجي من النار (٧٨) . ولعل هذه الامنية الغالية هي التي جعلت احد شعرائهم يتباهى بالمصير الذي لاقاه احد فرسانهم ، وقد تقطعت اوصاله حين تناولته ظبي السيوف واسنة القنا ، فقال وقد صور هذا المشهد المأساوي بشكل يخلو من التألم او الحزن (٧٩) :

ومسوم للموت يركب ردعه
بين القواضب والقنا الخطار
يدنو وترفعه الرماح كأنه
شلو تنشب في مخالبا صار
فشوى صربعا ، والرماح تنوشه
ان الشراة قصيرة الاعمار

واكثر ما تتمثل صورة البطل الخارجي في شخصية شاعرنا قطري بن الفجاءة الذي كان فارس الازارقة وأميرها زهاء عشرين عاما من الزمن (٨٠) ، والذي كانت شجاعته مضرب الامثال ، حتى قيل : «ما استجيا شجاع ان يفر من عبد الله بن خازم السلمي وقطري بن الفجاءة» (٨١) . لقد كان قطري هذا لا يؤمن بالعود عن الشراية والجهاد ، واذا ما تخلف احد أتباعه عن هذا الواجب المقدس ، سرعان ما يلاحقه ، ويدفعه الى ذلك دفعا . فحين قعد ابو خالد الفناني ، بعث اليه بقصيدة يقرّعه فيها ويحثه على النفير ، ويؤكد له ان لا عذر لقاعد ولا هداية له (٨٢) . كما بعث بقصيدة اخرى لسمرية بن الجعد يعاتبه فيها على ركونه لحياة الاستقرار ، وقبوله ان يصبح سميرا للحجاج ، في حين ان رسالة الخارجي هي ان يتمنق بالسلاح ، ويجالد الفرسان ، ويصبر على شدائد الامور . وبعد ان

٧٦ - ق / ١٦٦ ، ب / ٢٩ - ٤٣ (الديوان) .

٧٧ - ق / ٨ ، ب / ٥ (الديوان) .

٧٨ - ق / ١٦٧ ، ب / ٢٧ ، ٢٨ ، ٥١ . ق / ٢٠٦ ، ب / ٣ (الديوان) .

٧٩ - ق / ٤ (الديوان) .

٨٠ - الشريشي : مقامات ، ٩١/١ .

٨١ - ابن قتيبة : عيون الاخبار ، ١٧٥/١ .

٨٢ - ق / ١٨٨ (الديوان) .

يذكره بالسلف الصالح ، ويلفت نظره الى مصيره المحتوم ، وانه سيبعث النسي حساب عسير يوم يفد الناس على ربهم حفاة عراة كما ولدتهم امهاتهم ، والا يؤخذن بخفض عيش حائل او بسراب زائل ، يطلب اليه التوبة الى الله من ذلك الذنب الذي وقع فيه ، وان يتهدى للمسير الى ساحة الجهاد ، حيث تنتظره تجارة لن تبور (٨٢) .

ولم تذهب رسالة قطري سدى ، فان قصيدته تركت اثرا قويا في نفس سميرة حتى ابكته . فحمل سلاحه ولحق بقطري ، دون ان ينذر الحجاج بذلك ، بل ترك له رقعة فيها بضعة آيات ، يعلمه فيها ان سميره سميرة قد عاد الى اصحابه ، الذين يمتدحهم بالشجاعة والتقوى وشدة العبادة (٨٤) .

ولقطري هذا قصيدة في الحرب وصفها ابن خلكان بأنها تشجع اجبن خلق الله ، وذلك لشدة تأشيرها في النفس (٨٥) . ولعل جمال هذه القصيدة يكمن في الحوار الذي بداه الشاعر مع نفسه ، فاذا هو انسان كباقي الناس ، تشده الحياة اليها ، ويأخذه الفزع عند رؤية الابطال . فكأنما هي غريزة البقاء التي تصارع القدر ، وترفض الموت والفناء . ولكي لا يقع فريسة سهلة امام نفسه التي تدفعه الى التخاذل ، فقد اخذ يشحذها بالارادة والعزم ، ويدفعها الى الصبر والثبات ، لان ارادة القدر لا تدفع ، والموت امر لا محالة واقع ، فاذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون ، ويخلص الى القول (٨٦) :

ومن لم يعتبط يسأم ويهرم
ويفيض به القضاء الى انقطاع
وما للمرء خير في حياة
اذا ما عند من سقط المتاع

واذا كان شعراء الخوارج يتحدثون عن اسارى اعدائهم الذين اسقطوا لواءهم

٨٢ - ق / ١٩٠ (الديوان) .

٨٤ - ق / ٨٣ (الديوان) .

٨٥ - ابن خلكان : وفيات ، ٢٥٦/٣ .

٨٦ - ومطلع هذه القصيدة ، قوله : (ق/١٩٢ - الديوان) .

أقول لها وقد جاشت حياء	من الابطال ويحك لا تراعى
فانك لو طلبت حياة يوم	على الاجل الذي لك لن تطاعى
فصيراً في مجال الموت صيرا	فما نيل الخلود بمستطاع
وما طول الحياة بثوب مجسد	فيطوى عن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت منهج كل حسي	وداعيه لاهل الارض داعي

وأذلوهم ، وعن قتلهم الذين يجعلون مصيرهم في نار جهنم (٨٧) ، فانهم في مواقع اخرى لا يرون عارا عليهم اذا تحدثوا عن قتلى اصحابهم من الخوارج ، وقد قطعت رؤوسهم وأذرعهم في ارض المعركة (٨٨) . كما لا يرون حرجا في التحدث عن هزائمهم ، حتى ان فارسهم قطري وصف قتل صاحبيه نافع بن الازرق وابن ماحوز بالمصيبة التي منيت بها الازارقة ، ولكن المصيبة التي تفوق ذلك كله هي خوفه من المهلب . فالبطل الشجاع يقدر الرجال حقها ، فلا ضير ان امتدح خصمه بصواب الراي والقدرة على قيادة العساكر وتطويعها ، ثم لا يجد ما يمنعه من الاعتراف بهزيمته امام هذا القائد الفذ ، الذي قهرهم ونفاهم عن مواقعهم في الاهواز . ويعود بعد هذه الصراحة المرة ليزرع الثقة في نفوس عساكره ، فيخطبهم بلسان القائد الامين لواجباته ، الواعي لمسؤولياته . فيرسم لهم طريق المستقبل ، الذي لا يرى تحقيق النصر فيه بالسير وراء آمال عراض وسراب خادع ، بل بالجهاد والصبر وطلب الاستشهاد (٨٩) .

وفي مجال شعر الحرب ، تحدث شعراؤهم ايضا عن الاسلحة التي كانوا يلجأون الى استعمالها ، والتي يمكن تصنيفها في نوعين رئيسيين ، هما السلاح النفسي الروحي ، والسلاح المادي العسكري .

وفيما يخص النوع الاول لم يجتزئوا بالقوى المعنوية والتفني بالشجاعة وبأن عزهم صدور القنا وعادتهم قتل الملوك (٩٠) . فقد ادركوا ان المعنويات عرضة للضعف والانهيار ، فعمدوا الى القوى الروحية يستثيرونها في نفوس أتباعهم ويشحذون بها عزائمهم ، لانها اشد تأثيرا في نفوس المؤمنين بها ، كما انها ليست عرضة للمساومة والهبوط كغيرها من الاسلحة الاخرى . ولما كانت الغاية القصوى عندهم دخول فراديس السماء ، فقد أكثر شعراؤهم من الحث على طلبها بالفوز بالشهادة (٩١) ، لان في ذلك مغفرة الذنوب التي اقترفوها في حياتهم ، وبذلك يعبدون الطريق امامهم الى الجنة (٩٢) . ولكي يقللوا من رهبة الموت امام طلابه ، فقد زعموا ان طعمه حلو المذاق ، فقال احدهم (٩٣) :

من كان يكره ان يلقى منيته فالموت أشهى الى قلبي من العسل

٨٧ - ق / ١٥٨ ، ب / ٤ . ق / ٢٥٩ (الديوان) .

٨٨ - ق / ٤ . ق / ٩ ، ب / ١ . ق / ٤١ ، ب / ٤ (الديوان) .

٨٩ - ق / ١٨٤ (الديوان) .

٩٠ - قال ابن ابي مياس المرادي : (ق/ ١ ، ب/ ١ - الديوان) .

صدرور القنا اذا لبسنا السنورا وعادتنا قتل الملوك وعزنا

٩١ - ق / ١٨٩ (الديوان) .

٩٢ - ق / ٩ . ق / ٦٣ (الديوان) .

٩٣ - ق / ٣١ (الديوان) .

كما اقاموا حاجزا آخر امام المتخاذلين منهم ، حين صبوا لعنة الله على من يفر من ارض المعركة (٩٤) .

وفي الوقت ذاته كانوا يشنون حملات شديدة على خصومهم ، فيقللون من شأنهم ويحطون من قدرهم ، ويرمونهم بأشنع التهم . فهم - في نظرهم - اناس من المرتزقة الجبرية الذين لهجوا بالالحد والكفر ، يطيعون الجبارين الظالمين من ذوي السلطان (٩٥) ، وقد تخلى الله عنهم فلا مولى لهم فأصابهم الجبن بكفرهم (٩٦) .

اما السلاح المادي فلم يقللوا من شأنه ودوره في تهيئة أسباب النصر ، فقد كتبوا الكتاب المدججة ، وتسربلوا بخلق الحديد ، وألبسوا الكراديس عدة الحرب والقتال (٩٧) . ولشدة اهمية الخيل وخطورة الدور الذي لعبته في مواقعهم الحربية ، فقد حظيت بنصيب وافر من اهتمام شعرائهم . فتحدثوا عن تعلقهم بها ، كما تحدثوا عن أصالتها ومزاياها الجسمية وقوتها ونشاطها .

فمما يشير الى مدى تعلقهم بها ، ما دار بين الاعرج المعني وبين زوجته من تلاوم بسبب اهتمامه الزائد بجواده ، ووصل به الامر الى تفضيله عليها في ساعة الشدة حين يأخذها الفزع (٩٨) . وفيما بعد نجد عبدة بن هلال الأزرقى يشكو الى الله حال خيلهم ، وقد أصابها الاعياء والتعب ، ورقت حوافرها من وعورة الدرب وطول المسير (٩٩) .

وفي أمر أصالتها ومزاياها ، فقد امتدحوا من الخيل العتاق (١٠٠) الجرد الضمر المحبوكة السراة (١٠١) الغليظة القوائم (١٠٢) ، كما امتدحوا منها ما كان

٩٤ - ق / ٦٧ ، ب / ٥ (الديوان) .

٩٥ - ق / ٢٦ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٧٩ (الديوان) .

٩٦ - ق / ١٠٨ . ق / ١٣٧ ، ب / ٤ (الديوان) .

٩٧ - ق/٥٤ ، ب/٨ . ق/٦٥ ، ب/٢ . ق/١٦٦ ، ب/٢٢ . ق/١٧٩ ، ب/١ (الديوان)

٩٨ - قال الاعرج المعني : (ق/١٦ - الديوان) .

تلوم ، وما أدري علام توجّع
وما تستوي والورد ساعة تفزع
نخب الفؤاد رأسها ما يقنع
هنالك بجزيني بما كنت أصنع

ارى أم سهل ما تزال تفجع
تلوم على أن أمنح الورد لقحة
إذا هي قامت حاسراً مشمعلية
وقمت اليه باللجام مسرا

٩٩ - ق/١١٨ - (الديوان) .

١٠٠ - العتاق من الخيل : خيارها .

١٠١ - السراة : الظهر .

١٠٢ - ق/٢٧ ، ب/٨ ، ق/١٢٤ ، ب/٢ . ق/١٥٢ ، ب/٤ . ق/١٦٦ ، ب/٤ . ق/١٧١ ،

ب/٢ . ق/١٧٩ ، ب/١ (الديوان) .

في أول جريه ، شديدا قويا سريعا سهلا شديد الصوت مطواعا في الحركة (١٠٣) ،
وفضلوا من الالوان الكميث والورد (١٠٤) .

اما اسلحة الحرب التي جاء ذكرها في شعرهم ، فهي :
السيف : كان السيف أداة الحرب الرئيسية في معاركهم ، فأكثرها من
الحديث عن حدثه ومضائه ، وعبروا عن ذلك بألفاظ مختلفة الاشكال متحدة
المعاني ، فقالوا عنه : صارم ، وقاضب (١٠٥) ، وباتر ، وابيض ، ومخدم (١٠٦) ،
ومخراق (١٠٧) ، كما قالوا : مصقول الرئاس ، ومرهف النصل ، وقاطع
البتير (١٠٨) . وقالوا : حسام مصمم ، وافل ذو شطب ، يشيرون بذلك الى كثرة
مواقعهم (١٠٩) . وورد من اسماء السيوف في شعرهم : المشرفية والهندية (١١٠) .
الرمح : عبروا عنها بالقنا ، والقنا السمر ، والقصب السمر ، وامتدحوا
ليونتها ودقتها واستنها (١١) . وعرفنا من اسمائها عندهم : الرماح
الزاعبية (١١٢) ، والرماح الخطيئة (١١٣) .
ومن أدوات الحرب التي تضمنها شعرهم ايضا : الدرع السابقة ، والمغفر
الحصين ، والتجفاف ، والسنثور (١١٤) .

-
- ١٠٣ - ق/١٥٢ . ق/١٦٦ ، ب/٤ . ق/١٦٩ ، ب/٢ . ق/٢٠٢ ، ب/١ (الديوان) .
١٠٤ - ق/٢٢ (الديوان) الكميث من الخيل : ما كان لونه بين الاسود والاحمر . والورد من
الخيل : ما كان بين الكميث والاشقر .
١٠٥ - قاضب : شديد القاطع .
١٠٦ - مخدم : قاطع .
١٠٧ - مخراق : من اسماء السيوف .
١٠٨ - ق/٤ ، ب/١ . ق/٦ ، ب/١ . ق/٢٧ ، ب/٩ . ق/٢٩ ، ب/١ . ق/٢٨ ، ب/٢ .
ق/٧١ ، ب/٢ . ق/٩٤ ، ب/٢ . (الديوان) . ق/١٦٦ ، ب/٩ . ق/١٦٧ ، ب/٢٦ . ق/٢٢٢ ،
ب/٧ . ق/٢٥٢ ، ب/٣ . (الديوان) .
١٠٩ - ق/٢ ، ب/٣ . ق/١٦٧ ، ب/٢٦ (الديوان) .
١١٠ - ق/٢٧ . ق/٥٤ ، ب/١١ . ق/٧١ ، ب/٢ . ق/٩٤ ، ب/٢ (الديوان) . سيف مشرفي :
منسوب الى المشارف ، وهي قرى من ارض اليمن او الشام (اللسان) .
١١١ - ق/١ ، ب/١ . ق/٥١ ، ب/٢ . ق/١٦٦ ، ب/٩ ، ١١ . ق/٢٠٠ ، ب/٥ . ق/٦٧ ،
ب/٤٣ ، ٥٢ (الديوان) .
١١٢ - ق/٢٢٨ ، ب/٩ (الديوان) . زاعبية : رماح منسوبة الى زاعب ، رجل من الخزرج كان
يعمل الرماح (اللسان) .
١١٣ - ق/٩٤ ، ب/٤ (الديوان) . الخطيئة : رماح منسوبة الى الخط ، وهي قرى في جهات
البحرين وعمان واليمامة (التاج) .
١١٤ - ق/٢٢٨ ، ب/٦ ، ١٠ . ق/١ ، ب/١ (الديوان) . درع سابقة : درع واسعة . المغفر :
زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة .
التجفاف : آلة للحرب يتقى بها كالدرع للفرس والانسان . السنثور : لبوس من جلد يلبس =

الرثاء :

كان نصيب الرثاء من شعر الخوارج اكثر الاغراض كما ، فقد بلغ زهاء ستين قصيدة ، تتراوح ابيات هذه القصائد بين بيت واحد وبضعة أبيات ، وتطول في مرثية ليلى بنت طريف لآخيها (١١٥) ، وتصبح القصيدة مطولة في رثاء عمرو بن الحصين للاباضية (١١٦) . ويحتمل ان تكون قصائد اخرى من تلك التي فقدت هيكلها ، ولم يعرف غرضها من هذا الباب ايضا .

ويمكن القول ان كثرة الرثاء في شعر الخوارج كان نتيجة طبيعية لحياتهم التي كانت سلسلة متصلة من المعارك والحروب ، فكثرت القتل فيهم بسبب ذلك .

واذا اسقطنا من هذا الباب قصيدتي بيهس بن صهيب ، ومالك المزموم في رثاء زوجتيهما (١١٧) ، وقصيدة محارب بن دثار في رثاء عمر بن عبد العزيز (١١٨) ، فان ما يبقى من هذا الشعر جاء في قتلى الخوارج الذين سقطوا في مواقع القتال . حتى ان المرثي التي جاءت في ذويهم - على قلتها - كانت بمناسبة استشهادهم في ميادين الجهاد ، دفاعا عن العقيدة الخارجية . وهذه القصائد لا تختلف في كثير او قليل عن سائر الرثاء . فالعاطفة نفسها ، والفكرة ذاتها ، سواء كان المرثي اخا من جهة الاب والام ، ام كان اخا في العقيدة والمذهب (١١٩).

= في الحرب كالدرع .

١١٥ - ق/٢٠٨ (الديوان) .

١١٦ - ق/١٦٧ (الديوان) .

١١٧ - ق/٣٤ ، ٢١٠ (الديوان) .

١١٨ - ق/٢١٥ (الديوان) .

١١٩ - وهذه القصائد هي التالية : قصيدة اخت حازوق ، التي رثى بها اخاها الذي كان احد ولاة نجدة الحنفي ، وقتل بين جبال الطائف (المصنف المجهول ، ص ١٣٩ - ١٤٠) . وقصيدة ام عمران الراسبي ، التي رثت بها ولدها عمران الذي اقتتل مع القائد الاموي الحجاج بن باب الحميري ، فاختلغا ضربتين ، سقطا على اثرهما ميتين معا (المبرد : الكامل ، ١٠٤٤/٣) . وقصيدة شُمُر بن عبد الله الشكري ، التي رثى بها اخاه الريثان الذي كان احد فرسان شوذب الخارجي (الطبري : تاريخ ، ٢٢٧/٥) . وقصيدة عبدة بن هلال الشكري ، التي رثى بها اخاه مُحَرزا الذي قتل مع قطري بن الفجاءة بنيسابور (ياقوت : معجم البلدان ، النخيلة) . وقصيدتا الفارعة وليلى ابنتنا طريف الشيباني في رثاء اخيهما الوليد الذي قتل فر، ايام الرشيد (ابن خلكان : وفيات ، ٨٥/٥ - ٨٦) . ثم هناك قصائد اخرى في رثاء ذويهم من غير تحديد لاسمائهم او علاقتهم بهم ، كما فعل قروة ابن نوفل في رثاء قومه الذين قتلوا في احدى المواقع (ابن عبد ربه : العقد ، ٣٠٣/٣) . وقسي الشعر غير المنسوب قصيدتان : احدهما لامرأة من الخوارج في رثاء اخيها الذي قتل في احدى المواقع (ق/٢٣٩ - الديوان) وقصيدة اخرى لامرأة من الخوارج ايضا رثى بها ذويها الذين قتلوا مع الضحاك الحروري (ق/٢٨٨ - الديوان) .

أما مضمون ما قاله بعضهم في زوجاتهم ، فقد كان رثاء عاديا ، شأنهم في ذلك شأن من فقد رفيقا عزيزا عليه ، بعد أن ترك له اثرا يذكره به . فنجد يهس بن صهيب قد عاد الى قبر زوجته لزيارته وتقديم التحية له ، ثم يصور لنا كيف يتناول ليله ويجافيه النوم ، وذلك من حرارة الشوق والم الفراق (١٢٠) . ونسمع مالك المزموم ينادي زوجته المتوفاة مناداة من غلب عليه القنوط ، وبعدها يعجب كيف رضيت المقام في ذلك المكان البلقع الذي يخشاه الشجعان ، وهي التي عرفها بشدة الخوف . وتنفجر عاطفته حين يذكر طفلة التي خلفتها وراءها ، تئن لهم في آناء الليل وتمنهم من لذة السبات ، فلا يستطيع حبس دموعه التي تنهمر على وجهه (١٢١) .

ويبدو ان نظرة الخوارج للحياة والموت انعكست بشكل مباشر على رثائهم ، فخرج عن اطاره التقليدي في التفجع والبكاء الحزين ، وصاروا يغبطون قتلاهم على فوزهم بالشهادة ويتمنون للحاق بهم ، لينجوا من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة (١٢٢) . وبذلك يجددون العزم للحاق بهم ، فيكون ذلك حافزا لهم الى مزيد من التضحية والفداء ، كما قال حيَّان بن ظبيان في رثائه لقتلى الخوارج (١٢٣) :

خليليَّ ما بي من عزاء ولا صبر
ولا إربة بعد المصابين بالنهر
سوى نهضات في كتائب جمّة
الى الله ما تدعو وفي الله ما تفري

كما جعل شعراء الخوارج من الرثاء مناسبة لتأكيد التزامهم بخطى اسلافهم ، الذين جيلوا بتقوى الله ، احبوه فاحبهم ، واستضافوه فانزلهم غرف الجنان العلاء (١٢٤) .

وكثيرا ما يتخذ الشاعر الخارجي الرثاء وسيلة لمدح الميت ، فيصب عليه المزايا

١٢٠ - ق/٢٤ (الديوان) .

١٢١ - ق/٢١٠ - (الديوان) .

١٢٢ - ق/١٩٩ ، ب/١٣ (الديوان) .

١٢٣ - ق/٦٥ (الديوان) .

١٢٤ - قال قيس بن الاصم في رثاء قتلى النخيلة : (ق/٢٠١ - الديوان) .

يوم النخيلة ، عند الجوسق الخرب
من الخوارج ، قبيل الشك والريب
خروا من الخوف ، للاذقان والركب
من الارائسك في بيت من الذهب

اني ادين بما دان الشراة به
النافرين على منهاج اولهم
قوما اذا ذكروا بالله او ذكروا
ساروا الى الله ، حتى انزلوا غرقا

المألوفة في المدح . فهو كالليث في عرينه ، وكالبدر بين كواكبه ، وكالإبل في صبره ، وهو السيف الذي تنبؤ لهيبته سيوف الأعداء ، وغير ذلك من الصفات المدحوة في الرجال حينذاك (١٢٥) .

أما شاعر الإباضية فقد حوّل مريثه المطولة إلى حديث طويل عن بطولات الشراة في الحروب ومآثرهم في القتال ، ومزاياهم الإنسانية السلوكية . ففي رثاء عمرو بن الحصين لابي حمزة المختار وأصحابه ، نراه بعد أن يتمنى سلوك سبيلهم ، يعود ليفقد عليهم الصفات العالية الكريمة ، فيصفهم بالصبر والثبات عند حومة الوغى ، وأنهم أعتفاء عند العسر واليسر ، ويتحدث عن إيمانهم وتقواهم وما جبلوا عليه من حب الله ، واكباب على تلاوة كتابه ، والعمل بما يرضيه واجتناب ما نهى عنه . ثم يعود بعد ذلك ليتخذ من ابي حمزة وبعض أصحابه النموذج الحي للخوارج المثاليين ، الذين من خلالهم يمدح جميع الخوارج ، فإذا هم بالصفوة من الرجال ، الذين يخوضون المعارك ويتركون الهوى . عندهم الشهامة والمروءة ، وفي نفوسهم النقاوة والطهارة ، وعلى السنتهم الطلاقة في كتاب الله . حرارة الإيمان تغلي في صدورهم ، فتجيش زفرات وتصعيدا . وهم سهام على أعدائهم ، يخوضون غمرات القتال دونما وجل أو فزع . وهكذا يستمر في كيل الثناء عليهم ، حتى يكاد ينسى القارئ أنه في موضع رثاء ، لولا أنه يعود في آخر الأمر ، فيذكر أن هؤلاء الناس أصبحوا مصرعين تنتهشهم أنياب الوحوش ، وذلك حين يختتم مريثه قائلا (١٢٦) :

وخوامع بجسومهم تفري

صرعى فخاوية بيوتهم

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن مرثي النساء لذويهن جاءت أيضا - فسي أكثرها - خلوا من التفجع وانه الحزن الحادة ، لدرجة يصعب معها تمييز رثاء شواعر الخوارج عن رثاء شعرائهم . فأخت حازوق التي طلبت إلى عينيها أن تجودا بالدمع على أخيها القليل في الجبل الوعر ، سرعان ما تحولت إلى الاعتزاز بالنصر المؤزر الذي حققته الخوارج ، ثم عادت لتتحدث عن شجاعته في مقارعة الفرسان (١٢٧) . أما ام عمران الراسبي فقد وجدت في مقتل ولدها وفلذة كبدها استجابة لدعوته التي طالما ردها في سره وعلايته ، ليرزق القتل بأيدي ملحادة غدر (١٢٨) . وفيما بعد نجد ليلي بنت طريف قد استهلّت رثاءها لأخيها الوليد بجمل قبره علما منيفا فوق الجبال ، ووصفته بالشجاعة والتقوى والجود الحاتمي

-
- ١٢٥ - ق/١٠ . ق/١٨٠٨ ، ب/٤ - هـ (الديوان) .
١٢٦ - ق/١٦٧ (الديوان) .
١٢٧ - ق/٨ (الديوان) .
١٢٨ - ق/٢٦ (الديوان) .

وختمت قصيدتها بدفع الجزع - بعيدا - عن نفسها (١٢٩) .
وتتجلى الواقعية العقلانية وعدم السير وراء ترهات الحياة وأوهامها ، في
رثاء عمران بن حطّان لابي بلال (مرداس بن أديّة) الذي يرى ان الموت هو الحقيقة
الكبرى التي يرسو عليها اليقين ، والتي يشاهد المرء آثارها بأم عينه غابرا
وحاضرا ، وذلك حين يجعل من نفسه شخصا آخر يخاطبه ، فيتحدّثها لترتحل
الى ارض لا موت فيها ان كانت كارهة للموت ، ثم يطبق عليها مباشرة دون ان
يترك لها فرصة الضياع في متاهات الخيال ، فينفي لها وجود مثل هذه الارض .
ويكفيه للتدليل على استحالة ذلك ان مرداسا وأصحابه قد ماتوا ، ومن قبلهم مات
الانبياء والرسل (١٣٠) .

ان ما قيل عن تحول الرثاء عند الخوارج الى ما اشرنا اليه ، لا يعني ان
البكاء والنحيب وذرف الدموع قد انعدم من قاموس شعرهم ، وان العاطفة قد
انعدمت من حياتهم . فالخارجي انسان لا يستطيع التخلص من احساساته
البشرية ، فهو يتألم ويتأوه ويسكب العبرات في بعض المواقف الموجبة لذلك .
فهذا عبدة بن هلال اليشكري في رثائه لأخيه ، تعاوده ذكره في الليل ، فيتأوه
حزنا عليه حتى مطلع الفجر (١٣١) . ويزاد الاغمم تفيض من عينيه الدموع ، ويطير
قلبه وجدا ، حين يتذكر اخوانه من الشراة الذين قضوا قبله ، فيقول فسي
ذلك (١٣٢) :

تذكرت اخواني ففاضت لذكورهم دموعي وطار القلب من ذكورهم وجدا

ولا يجد حسّان بن جعدة حرجا في ذرف الدموع مدرارا على بسطام
وأصحابه ، حين يستدعي الدموع من عينيه ، قائلا (١٣٣) :

يا عين أذري دموعا منك تسجاما وابكي صحابة بسطام وبسطاما

وفي بعض المواقف نجد الجمعي بن ابي صمام الذهلي - بعد موقعة دقواء -

١٢٩ - ق/٢٠٨ (الديوان) .

١٣٠ - قال عمران بن حطّان في رثاء ابي بلال : (ق/١٦١ - الديوان) .

ان كنتِ كارهة للموت فارتحلي
فلستِ واجدة أرضا بها بشر
الى القبور ، فما تنفك اربعة
يا جمر ، قد مات مرداس وإخوته

ثم اطلبي أهل ارض لا يموتونسا
إلا بروحون أفواجا وبغدونسنا
تدني سريرا الى لحد يمشونسنا
وقبل موتهم مات النبيونسنا

١٣١ - ق/١١٤ (الديوان) .

١٣٢ - ق/٧٤ (الديوان) .

١٣٣ - ق/٥٩ (الديوان) .

لا يكفي باظهار جزعه من أهوال ما لاقوا في تلك المعركة ، بل نراه يدعو نساء المسلمين لاطهار عواطفهن والمشاركة في النحيب والبكاء (١٣٤) . وقد تعود المرأة الخارجية الى طبيعتها النسوية ، فتغلب عليها رقتها وطبعها ، فيصيبها الجزع ويشف قلبها الحزن احيانا (١٣٥) .

ولكن هذا لا يعني ان هذا البكاء كان ندبا لحظوظ اولئك الشهداء ، وانما هو حالة وجدانية تنتاب كل انسان عند فراق الأحبّة والاخوان . وما يخفف من فجيعتهم بهذا الفراق اطمئنانهم الى ان هؤلاء القتلى اصبحوا في جنان الخلد التي وعد بها المؤمنون . فهذا الضحاك بن قيس ، بعد ان يذرف الدمع مدارا على شهداء الخوارج ، يعود فيخفف من آلامه بذلك الامل الباسم ، الذي يدغدغ نفوسهم بالانتقال من دار الفناء الى دار البقاء (١٣٦) .

اما حبيب بن خدره فيكشف لنا سر بكائهم ، فاذا هو بكاء على انفسهم ، وشوق للحاق بشهداءهم الذين سبقوهم وتعارفوا - هناك - في جنان النعيم ، فيقول (١٣٧) :

ابكي لنفسي لا لهم أبكيهم لا صبر حيث تعارف الابرار

ومن المعاني الاخرى التي طرحها هؤلاء الشعراء في باب الرثاء ، ان الخوارج هم حملة راية الحق ، وان خصومهم يدافعون عن علم الباطل (١٣٨) . واذا كثر القتل فيهم ، فلا عار عليهم ، لانهم يموتون كراما (١٣٩) ، وهكذا فقد تسابق الكهول والشبان الى الموت في سبيل الله ، خشية ملاقة المنية على الفراش (١٤٠) . كما يلاحظ على رثائهم انهم يرمون الى تخليد ذكـرى زعمائهم - بشعرهم - فيعددونهم بأسمائهم ، ليجعلوا منهم قدوة ومشعلا لاصحابهم في التضحية والغداء (١٤١) .

-
- ١٣٤ - قال الجمدي بن ابي صمام الذهلي ، وقد بدا الجزع عليه : (ق/٤١ - الديوان) .
لتبكر نساء المسلمين عليهم وفي دون ما لاقين مبكى ومجزع
 - ١٣٥ - ق/٢٦٦ . ق/٢٨٨ ، ب/١ (الديوان) .
 - ١٣٦ - قال الضحاك بن قيس في رثائه لبعض الخوارج : (ق/١٠٠ ، ب/٤٠٥ - الديوان) .
يا عين اذري دموعا منك تهتنا وايني لنا صجة بانوا وإخوانا
خلّوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا
 - ١٣٧ - ق/٤٧ (الديوان) .
 - ١٣٨ - ق/٢٧ ، ب/٣ . ق/٤١ ، ب/٣ (الديوان) .
 - ١٣٩ - ق/٦٩ ، ب/٤ (الديوان) .
 - ١٤٠ - ق/٧٤ ، ب/٢ . ق/١٥٥ ، ب/٣ (الديوان) .
 - ١٤١ - ق/٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٦٧ ، ٢٨٠ (الديوان) .

وتكثر في هذا الرثاء الالفاظ القرآنية ، مثل : الجنان ، الخلد ، التقوى ، الابرار ، النار ، الغرف ، الارائك (١٤٢) . الخ . كما يتكرر في رثائهم الدعاء لموتاهم ولقبورهم وبلادهم بالفيث والسقيا (١٤٣) . فان دل ذلك على شيء فانما يدل على ان اصحاب هذا الشعر كانوا من اهل البوادي والقفار .

وخلاصة القول في رثاء الخوارج انه جاء خاليا من التفجع الحاد ومن اثة الحزن الدائمة - فلا تفتت اكباد ، ولا وهن عند الفجيعة ، لان ما صار اليه شهداؤهم كان خير عزاء لهم ، كما جاء بعيدا عن نزعة القنوط او اليأس المرير . ومعاني هذا الرثاء اسلامية تستقي افكارها من القرآن ، فجاءت عاطفته صادقة - لا كذب ولا رياء ، وذلك لانعدام تملق الاحياء ، سعيًا وراء كسب زائل او ركضا خلف اجر زهيد .

الزهد :

نزعة الزهد ظاهرة بارزة في شعر الخوارج بمختلف اغراضه وفنونه . ومع ذلك لا نستطيع القول انه كانت لهؤلاء الناس نظرة فلسفية متكاملة خاصة بهم ، يمكن الاهتداء اليها من خلال ديوانهم . ولكن نستطيع ان نزعم انه كانت لهم افكار معينة حول الحياة والموت وما بعدهما ، كانت وراء نماء الميول الزهدية عندهم ، كما أدت بهم الى اتجاهات سلوكية حياتية ، جعلتهم يتميزون بها عن الفرق الاسلامية الاخرى . واذا كانت هذه الافكار الماورائية تنبع في اصولها من القرآن الكريم ، فان ما يسترعي النظر ان الخوارج لم يأخذوا برأي الاسلام كاملا . فقد اخذوا جانبًا وأهملوا آخر ، ثم تطرفوا وغالوا في ترجيح هذا الجانب ، حتى بدا وكأنهم يرفضون الحياة الدنيا ، ويعزفون عن التمتع بما فيها من نعم أحلها الله لعباده ، فأعرضوا عنها أيما اعراض (١٤٤) .

وربما كان مرد هذه النزعة التشاؤمية يعود للظروف القاسية التي عاشوا في كنفها ، اذ لم تجف دماؤهم طوال العصر الاموي ، وذلك بعد ان اجمع المسلمون على محاربتهم ، حين اعلنت الخوارج الحرب على جميع المسلمين من غير ملئتهم .

١٤٢ - ق/٥٩ ، ب/٥ . ق/٧٥ ، ب/٦ . ق/١٠٠ ، ب/٥ . ق/١٤٦ ، ب/٤ ، هـ . ق/٢٠١ ، ب/٤ . ق/٢٢١ ، ب/٢ (الديوان) .

١٤٣ - ق/٥٩ ، ب/٦ . ق/٧٥ ، ب/١ . ق/٩٩ ، ب/١ . ق/١٥٥ ، ب/٢ . ق/٢٧٨ ، ب/٣ (الديوان) .

١٤٤ - صحيح ان هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تقدم الآخرة على الاولى ، الا ان هناك آيات اخرى تدعو الانسان الى اخذ نصيبه من الحياة الدنيا ، كما تدعوه الى التمتع بخيراتها في حدود ما رسمه الاسلام (الاعراف ٣١ ، البقرة ١٦٨ ، الانفال ٦٩ ، القصص ٧٧ . الخ) .

ومن هنا يمكن القول انهم حينما فشلوا في بناء المجتمع الذي كانوا يخططون له ويحلمون به ، ولم يتمكنوا من تحقيق الاستقرار السياسي الذي يشدونه ، نظروا الى الحياة الدنيا بمنظار اسود (قاتم) اللون ، فلم يروا من جمالها الا قبحا ، ولم يطمعوا من أطايبها الا علقما . فاشمأزت نفوسهم مما يحيط بهم ، وآثروا العيش الرغيد في جنان الآخرة .

ولدى دراستنا لهذا اللون من شعر الخوارج ، نجد النزعة الزهدية عندهم تدور في رحي أفكارهم حول الحياة والموت ، وتقوى الله التي يرونها ضماننة الخلود في جنة الخلود .

فأول ما نلاحظه على هؤلاء الناس كثرة العبادة ، حتى جاوزوا الحدود التي رسمها الله لعباده (١٤٥) . فقد كانوا يقضون الليل في التهجد والصلاة ، فبينما الناس في هجوع ، يستريحون من عناء النهار ، فإن هؤلاء القوم لا يستطيعون لذة النوم ، لان خوف الله قد أطار الكرى من عيونهم . فتراهم ركعا سجدا يتلون كتاب الله ، فاذا مروا بآية فيها ذكر الله استندروا الدمع من مآقيهم ، وبكوا شوقا اليه . وهكذا فقد جعلوا من الليل - الذي جعله الله سباتا للناس - قياما مستمرا ومكابدة لا تنقطع (١٤٦) .

وعلى الرغم من كثرة عبادتهم وشدة تقواهم ، فقد سيطر عليهم شعور الخوف من عذاب الآخرة (١٤٧) . فدفع بعضهم الى مزيد من المغالاة في تأدية النوافل من العبادات ، فلم يكتفوا بقيام الليل وأطراف النهار ، بل زادوا عليها غلوا على غلوا . فاذا هم ركع سجد في الليل ، صائمون في النهار ، حتى أصبحت جسامهم - من قلة الطعام - ناحلة قليلة اللحم ، لدرجة لا تجد معها الطيور حاجتها على

١٤٥ - فمن الأدلة على مغالاتهم في العبادة ، ما روي عن صاحبهم عروة بن أديّة ، الذي كان يصل قيام ليله بصيام نهاره . فقد سئل عنه مولاة بعد قتله ، فقالت : «ما أتيتك بطعام في نهار قط ، ولا فرشت له فراشا بليل قط» (المبرد : الكامل ، ٩١/٣) .

١٤٦ - قال شاعرهم عيسى بن فانك ، يصف أبا بلال وأصحابه من الخوارج : (ق/١٧٧ - الديوان) .

إذا ما الليل أظلم كاسدوه	فيفسر عنهم وهم ركوع
أطوار الخوف نومهم فقاموا	وأهل الأرض في الدنيا هنجوع
يغالون النحيب اليه شوقا	وان خفضوا فربهم سميع

١٤٧ - يقول شاعر الخوارج فروة بن نوفل : (ق/١٨١ ، ب/٣ - الديوان)

لقد علمت ، وخير العلم أنقصه	ان السعيد الذي ينجو من النار
-----------------------------	------------------------------

وروي ان كبيرهم ابا بلال (مرداس بن أديّة) مر على اعرابي يطلي بعيرا بالقطران وقد هرج البعير، فسقط ابو بلال مفضيا عليه . فلما أفاق استوضحه الاعرابي عن امر غشيانه ، فرد عليه قائلا : رأيت بعيرك هرج من القطران ، فذكرت به قطران جهنم ، فأصابني ما رأيت» (المبرد : الكامل ، ٩٩/٣ - ٩٩١) .

تلك الهياكل الضامرة ، الملقاة في ارض الفلاة (١٤٨) . وصار فارس الازارقة عمرو القنا يعتز بأصحابه ، الذين نحتل اجسادهم وعلت الصفرة وجوههم من مواصلة الصيام ، حين يردد في ارض المعركة (١٤٩) :

معي كل اواه برى الصوم جسمه ففي الوجه منه نهكة وشحوب
ويبدو ان هذه المكابدة في العبادة قد دفعتهم الى السأم من الحياة الدنيا ،
فأخذنا نسمع الحويرث الراسبي يقرع نفسه في الخلاء ، ويلومها على تمسكها
بعيشة دنيئة لا خير فيها ، ثم يدعوها الى الحكمة والتعقل ، والتخلي عن تلك
الحياة المدممة التي كان يعيشها (١٥٠) .

وعلى هذا ، صار من الجهل عندهم التعلل والتلهي بآمال كاذبة وسراب خادع ،
في حين ان الانسان يدفع الى منيته كل يوم دفعا . وكان من العبث ان ينشغل
الانسان بحطام الدنيا ، الذي يجمعه لغيره . فبدلا من ذلك ، ليتزود بثروة
الايمان والتقوى التي تساعد على مواجهة ايام الفقر البائسة في دار الخلود
الابدية (١٥١) . ويعجب الطرماح بن حكيم من جامع المال ، الذي يتلهى به عين
مصيره المحتوم ، فيقتبس معنى قرآنيا في المال والخلان والولد ، ويقول (١٥٢) :

عجبا ما عجبت من جامع المال
ل يباهي به ويرتفده
ويضيع الذي يصيره الله اليه ، فليس يعتقده
يوم لا ينفع المخول ذا الثر
وقه خلأته ولا ولده

١٤٨ - قال فروة بن نوفل في رثاء قتلى الخوارج : (ق/١٨٣ - الديوان) .
تظلل عناق الطير تحجل حولهم
لطاقا براها الصوم حتى كأنها
١٤٩ - ق/١٦٩ ، ب/٤ .

١٥٠ - قال الحويرث الراسبي مخاطبا نفسه : (ق/٦٤ - الديوان) .
هبت دعيني قد ملكت من العمر
ملممة عند الكرام ذوي الصبر
أقول لنفسي في الخلاء الومها
ومن عيشة لا خير فيها ، دنيئة

١٥١ - قال عمران بن حطان في أمر الحياة والموت : (ق/١٤٢ - الديوان) .
رب المنون وأنت لاه ترتع
والى النية كل يوم تدفع
ان اللبيب بمثلها لا يخضع
واجمع لنفسك لا لفرك تجمع
حتى متى تستقى النفوس بكأسها
أفقد رضيت بأن تملل بالنسي
أحلام نوم او كظلل زائل
فتزودن ليوم فقسر كدائبا
١٥٢ - ق/١٠١ - الديوان .

ويبلغ زهد الخوارج في الحياة الدنيا حدا لم نعرفه من قبل ، حينما تصبح
أمنية شاعرهم ان يقتل ويرمى بأعظمه في الخلاء لتنتشرها الريح ، او حين يختار
قبره في بطون نسور السماء العوائف (١٥٣) .

وهكذا يظهر لنا ان الخوارج قد عافوا الحياة وملئوها واستصغروها ، وتعلقوا
بأخرى تعشقوها ، ولم يروا في العالم الاول الا جسر عبور الى العالم الآخر .
وهذا يفسر شجاعتهم في الحروب حين كانوا يلقون بأنفسهم بين أسنة القنا وفوق
شفرات السيوف . فقد اصبح طلب الشهادة غاية يسعى اليها ، ونهاية يتمناها
هؤلاء الزاهدون . فصاروا يتسابقون لنيلها ، ويستعجلون الموت لتحقيقها ، لانها
التجارة التي لن تور . فهذا ما طلع علينا به قطري بن الفجاءة حين يتمنى بلوغها ،
فيقول في الشهادة (١٥٤) :

هي الغاية القصوى الرغيب ثوابها اذا نال في الدنيا الفنى كل تاجر

وهذه الامنية الغالية هي التي جعلت الخارجي يستعذب طعم الموت ويتجرع
كأسه بلذة ونهم (١٥٥) .

ولعل أطرف ما وقعنا عليه في هذا الباب ما طلع علينا به عمران بن حطان ،
حين يلخص لنا رايه في الموت بواقعية منطقية ، لا تخلو من نغمة فلسفية عميقة .
فيري الموت هو النهاية الحتمية لجميع المخلوقات ، ثم لما كان الموت مخلوقا ايضا ،
كان لا بد ان يتجرع هو ايضا كأس الفناء ، فيفنى ويموت . فقد قال وقد امارت
الموت (١٥٦) :

لا يعجز الموت شيءٌ دون خالقه والموت فانٍ ، اذا ما ناله الأجل

واذا كانت هذه هي نظرة كثير من الخوارج الى الحياة الدنيا وحطامها ، حتى
ليصل الامر بأحدهم الى طلاقها طلاقا لا رجعة عنه (١٥٧) ، فان آخرين منهم كانوا
اكثر اعتدالا وأقل تشاؤما ، فلم يتنكروا لها ، حتى انهم لم يروا الفنى واليسار

١٥٣ - قال الطرماح في امنيته : (ق/١٠٣ - الديوان) .

فاقتل قصا ، ثم يرمى بأعظمي

ويصبح قبري بطن نسر مقلبه

١٥٤ - ق/١٩٠ - الديوان .

١٥٥ - قال البهلول بن بشر الشيباني : (ق/٣١ - الديوان) .

من كان يكره ان يلقي منيته

فالموت اشهى الى قلبي من العسل

١٥٦ - ق/١٥٣ (الديوان) .

١٥٧ - ق/٣٠ (الديوان) .

امرا مستنكرا في مجتمعهم الخارجي ، لان ذوي اليسار فيهم يتعطفون على ذوي الحاجة (١٥٨) .

واذا كانوا قد شهروا بانهم كانوا يترامون الى القتال ويتسابقون الى الموت للفوز بالشهادة ، فانهم في بعض الحالات ينتابهم ما ينتاب الآخرين من الناس في الحرص على الحياة ، فيكره بعضهم الخروج خشية الوقوع بين انياب المنية ، فياتي اصحاب لهم ليبعدوا رهبة الموت عنهم ، فيذكروهم بأن الشجاعة في الحرب لا تقدم ساعة القضاء ، وان الحذر لا يمنع القدر ، فقد قال البهلؤل الشيبانسي يخاطب المتخاذلين منهم (١٥٩) :

فلا التقدّم في الهيجاء يمجّلي ولا الحذار ينجيني من الاجل
وتظهر انسانية الشاعر الخارجي وتمسكه في الحياة الدنيا في بعض المواقف
ايضا . فعمران بن حطان شيخ الزاهدين فيهم ، والذي كان يستبطئ الموت ويستعجله في قوله (١٦٠) :

أفي كل عام مرضة ثم نقهة وينعى ولا ينعى متى ذا ؟ الى متى ؟
والذي كان سفيان الثوري يتمثل بأبياته في الزهد (١٦١) ، هو نفسه كان من قعدة الصفرية ، وكان يهرب من مكان الى آخر تخفيا من عيون الحجاج (١٦٢) .
وكذلك امير الخوارج وفارسهم قطري بن الفجاءة كان يفر امام المهلب ، فيخشى اصحابه ان يلبسهم العار بهروبه ، فيخاطبه احدهم قائلا (١٦٣) :

ايا قطري الخير ان كنت هاربا
ستلبسنا عارا وانت مهاجر
اذا قيل قد جاء المهلب اسلمت
له شفتاك الغم ، والقلب طائر

-
- ١٥٨ - قال شاعر الاباضية في وصف الشراة في مجتمعهم : (ق/١٦٥ - الديوان) .
متراحمين ذوو يسارهم
وذوو خصاستهم كأنهم
فكذلك مشربهم ومقترهم
أكرم بمقترهم وبالثنوي
١٥٩ - ق/٢١ (الديوان) .
١٦٠ - ق/١٢٥ (الديوان) .

١٦١ - شهر عمران بن حطان بالزهد ، حتى عده بعض القدامى اشعر الناس فيه ، وكان سفيان الثوري يتمثل بأبياته التي يقول فيها : (ق/١٤٤ - الديوان) .

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها
أراها وان كانت تحب كأنها
ملا وهم فيها مرأة وجوع
سحابة صيف عن قليل تفتت
١٦٢ - البغدادي : خزانة ، ٤٢٨/٢ .

١٦٣ - ق/٢٥٧ (الديوان) . الاخبار الطوال ، ص ٢٧٧ .

فحتى متى هذا الفرار مخافة
وانت وليء ، والمهلب كافر ؟

وقد يستجيب الخارجي لنداء الحياة ويحبها ويزداد حبا بها ، تلبية لعاطفة انسانية تدفعه الى ذلك . فلم يستطع ابو خالد القناني مقاومة عاطفته الابوية تجاه بناته الضعاف ، وآثرها على نداء واجب العقيدة الذي دعاه اليه امير المؤمنين (١٦٤) .

وجمّاع القول في شعر الزهد عند الخوارج ، ان الشاعر الخارجي عاش بين مد وجزر . فتارة يمثل الحياة قفصا يود الافلات منه ، لينتقل الى جنان الخلد الفسيحة ، وطورا تشده الحياة الدنيا اليها ، فتظهر عنده غريزة البقاء . ولكن هؤلاء الناس - في اكثر حالاتهم - تظل أمنية الشهادة هي الامل الباسم الذي يدغدغ احلامهم ، فيجعلهم يرجحون الآخرة على الاولى .

المديح :

عرف كثيرون من شعراء العصر الاموي باتخاذ شعرهم أداة للتكسب والارتزاق ، او مطية للتزلف من ذوي السلطان ، بقصد التسلق الى ديوان البلاط . بينما معاصروهم من شعراء الخوارج كانوا نسيج وحدهم ، فلم يتكسبوا ولم يتزلفوا . ولما لم تكن غايتهم الارتزاق والتكسب ، فقد خلا شعرهم من كذب المدّاحين ارضاء لغرائز ممدوحهم .

اما انهم لم يتكسبوا فقد عرفنا نظرهم الى المال وزهدهم بملذات الحياة الدنيا . وفي الوقت ذاته فانهم يعتقدون ان مال الارض جميعا هو لله ، اذا فليطلب - عند الحاجة اليه - من صاحبه الاصيل ومن مقسمه الفاضل العادل . هذا ما واجه به عمران بن حطان الفرزدق حين رآه ينشد متكسبا ، فقال له (١٦٥):

ايها المادح العباد ليُعطى
ان لله ما بأيدي العباد
لا تقل للجواد ما ليس فيه
وتسمّ البخيل باسم الجواد

واما ان يكون هذا الشعر مطية للتزلف ، فلا موضع له عندهم . فهذه صناعة

١٦٤ - ٣/ق (الديوان) .

١٦٥ - ١٣١/ق (الديوان) .

لا يحسنونها ، وشعراء الخوارج هم انفسهم زعماء القوم وقادتهم ، في حين ان اصحاب السلطان من بني امية وسواهم فكفار ملحدون بنظرهم . فلا يعقل - والحالة هذه - ان يطلبوا النعمة من اعداء دينهم وخصوم عقيدتهم .

فكان من نتيجة ذلك ان تحول المديح عند هؤلاء الشعراء الى ثناء على اصحابهم وتمجيد لآثر زعمائهم . وهم في ثنائهم على جماعتهم لا يدورون في محور ذواتهم الشخصية ، وانما يصبون الثناء على سلوكهم وتقواهم في اطار جماعة الخوارج ، ومن اجل الفكرة التي يعملون لها جميعا . فعمران بن حطان الذي امتدح ابن ملجم على فعلته الشنيعة ، يرى في تلك الضربة القاتلة غاية توصل صاحبها الى رضوان الله . ثم يتجلى حقه الدفين على علي ، فيرفع من شأن قاتله ، حتى يقدم له جواز العبور الى جنة السماء . ولكنه في الوقت ذاته لا ينسى ان يمدح جماعة المجاهدين من الخوارج ، الذين اشبعت الطير من لحومهم ، والذين حفظوا دينهم من كل الشوائب . ويعود بعد ذلك ليشير الى فكرة الشراة ، فاذا هي نشر العدل - على طريقتهم - بين الناس . واخيرا يتلوم حين لا يجد لهم انصارا لتجسيد آمالهم (١٦٦) .

وهكذا فان شعر المديح عندهم تخلق عن وظيفته التقليدية ، وانكفاً لصالح الدعوة الخارجية ، وصار فخرا واعتزازا بتقواهم وشجاعتهم في الحروب . فهم الاسود شجاعة ، وهم الاحبار خشوعا ، وهم الذين يسيرون الى الحروب وقد علت البسمة ثغورهم ، وانتشر البشر على جباههم ، فيقتربون من اعدائهم كما يقترب الاحباب من احبابهم ، فتتناق السيوف بالسيوف ، وتتشابك القنا بالقنا . ومع احتدام حمى الوطيس ، فانهم لا يحددون الى مواقع السلامة ، بل يقصدون حومة الوغى ، لانها اغلى امانهم (١٦٧) .

ومن الثناء عليهم بتقوى الله وخوفهم من عذابه ، قول الطرماح فيهم (١٦٨) :

لله درّ الشراة انهم
اذا الكرى مال بالطللى ارقوا
يرجعون الحنين آونة
وان علا ساعة بهم شهقوا

١٦٦ - ق/١٦٠ (الديوان) .

١٦٧ - فقد قال احد الخوارج يصف اصحابه وهم في طريقهم الى الحرب : (ق/٢٥٦ -

الديوان) .

ومن الخشوع كأنهم احبار	وهم الاسود لدى العرين بسالة
يبيضون قد كسروا الجفون الى الدعا متبسّمين وفيهم استخبار	فكانما اعداؤهم احبابهم
فرحاً اذا خطر القنا الخطار	يردون حومات الحمام وإنها
تاللك عند نفوسهم لصغار	

١٦٨ - ق/١٠٤ (الديوان) .

خوفا تبيت القلوب واجفة
تكاد عنها الصدور تنفلق
قومٌ شحاح على اعتقادهم
بالفوز مما يخاف قد وثقوا

وإذا كان المديح عند الخوارج قد سلك هذا الاتجاه الجديد ، فانهم في بعض الحالات لا يتخرجون من استخدام الشعر وسيلة للتعبير عن عرفانهم بالجميل وامتنانهم لصانع الخير معهم ، ولو كان من خارج معسكرهم . فنجد عمران بن حطان يمدح الأزدي ، الذين نزل فيهم واكرموا مثواه (١٦٩) . كما نجد شاعرا آخر منهم يمدح رجلا من عقيل أجاره وستره من عبيد الله بن زياد (١٧٠) . ولكن ما يسترعي النظر ها هنا ، ان مديحهم لهؤلاء الناس يختلف - نوعا - عن مديحهم لاصحابهم من الشراة . ففي حين كانوا ينثرون على جماعتهم جلايب التقوى وسراويل الايمان وشجاعة الاسلام ، فانهم يضمنون على غيرهم بمثل هذه الصفات التي يرونها حكرا لهم . ويجتزئون بمدحهم لهؤلاء الناس على مقاييس المدح المألوفة عند عرب الجاهلية : كأصالة النسب ، وحماية الجار ، واكرام الضيف ، وغيرها .

الهجاء في شعر الخوارج :

لا نستطيع القول في هذا المجال ان شعراء الخوارج قدموا فنا خاصا بالهجاء ، اذ لم يكن من خطتهم ان يمدحوا طلبا للمديح ، ولا ان يهجوا حبا في الهجاء ، وانما جاء هذا وذلك ضمن العقيدة الدينية التي يعملون من اجلها ، وفي اطار الاهداف السياسية التي يسعون لتحقيقها . وما داموا يعتقدون ان مخالفهم هم من الكفار ، وان الشراة وحدهم هم المؤمنون ، فان هجاءهم يدور في فلك هذا الاعتقاد . فكان اول ما لجأوا اليه في هجائهم رمي مخالفهم من المسلمين

- ١٦٩ - فما جاء في مديح عمران للزدي ، قوله : (ق/١٢٢ - الديوان) .
نزلنا بحمد الله في خير منزل
نزلنا بقوم يجمع الله شملهم
من الازد ان الازد اكرم معشر
تسرّ بما فيه من الانس والخفر
وليس لهم عود سوى الجدد يعتصر
يمانية طابوا اذا نسب البشر
- ١٧٠ - وقال منير بن صخر الراسبي في مديحه لرجل من عقيل : (ق/٢٢٩ - الديوان) .
وجار عقيل لا يخاف هزيمة
ظلوما ولا تلقى مجاور بيتهم
تري جارهم فيهم كريما وضيئهم
فحلّ نجاة عن يد المتناول
يد الدهر مظلوما مقرا بباطل
منيعا حيا آمنا للفوائس

بعضيان الله حين رضوا بتحكيم الضالين الجبارين رغم وضوح الحق مثل وضوح ضوء الشمس ، فقال حبيب بن خدره في مخالفيهم (١٧١) :

يا رب انهم عصوك وحكموا
في الدين كل ملعن جبار
يدعو الى سبل الضلالة والردى
والحق ابلج مثل ضوء نهار

وهكذا فقد جاء هجاء عاما لكل من يخالفهم في الرأي والاجتهاد . وما دام هؤلاء المخالفون قد ضلوا الطريق وانحرفوا عن جادة الاسلام ، فلا بد من التبرؤ منهم واشهار امرهم وتحديد هوياتهم ، فقال ابو المصك الطائي يعدددهم (١٧٢) :

ابرا الى الله من سيف وشيعته
ومن علي ومن اصحاب صفينا
ومن معاوية العاوي وشيعته
اخزى إله الورى تلك العثانينا

ولعل اشنع تهمة كانوا يصيبون بها خصومهم ، هي رميهم بالكفر ، التي بدورها تجعلهم يستبيحون دماءهم ، ويستعذبون الجهاد فيهم ، فهذا ما يصوره لنا قطري بن الفجاءة في قوله (١٧٣) :

فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا
تبيح من الكفار كل حريم
رات فتية باعوا الإله نفوسهم
بجنات عدن عنده ونعيم

هذا شأنهم في هجائهم لغيرهم من المسلمين ، اما هجاؤهم فيما بينهم فلا يخرج عن دائرة التلاوم والتقريع الخفيف . واذا اشتد فالى التذكير بالمال والمصير ، وذلك ليعود المنحرف عن غيئه ، ولا يكون ذلك الا بالتكفير عن الذنوب التي اقترفت ، وهذا يتطلب التوبة والشرابة طلبا للشهادة . هذا ما بعث به قطري الى سميرة بن

١٧١ - ق/٤٨ (الديوان) .

١٧٢ - ق/ه (الديوان) .

١٧٣ - ق/١٩٩ (الديوان) .

الجعد الذي صار نديما للحجاج وغرته مباحج القصر (١٧٤) .
 وفي بعض الاحيان نجد لومهم لبعضهم يتخذ طابع التنديد والنقد الحاد ،
 ولكن بأسلوب مبطن والفاظ مهذبة . فهذا زيد بن جندب ، الذي آلم الاختلاف
 الذي وقع في صفوف الخوارج الازارقة ، نراه يبعث بالتهنئة لاعداء الشراة من
 المحلّين ، وذلك بعد ان تفرق القوم وتسلمت عليهم البغضاء ، واصابهم التجابن .
 وما كان ذلك الا بعد ان تلهى هؤلاء الازارقة بالهزل دون الجد ، وبالقول دون العمل .
 ثم يعود ليجعل من نفسه صورة صادقة عن الخارجي المؤمن ، فيقول (١٧٥) :

قل للمحلّين قد قرّت عيونكم
 بفرقة القوم والبغضاء والهرب
 كنّا اناسا على دينٍ ففرقنا
 قرع الكلام وخلط الجدّ باللعب
 ما كان اغنى رجلا ضلّ سعيهم
 عن الجدال واغناهم عن الخطب
 إنّي لاهونكم في الارض مضطربا
 ما لي سوى فرسي والرمح من نشب

ونلمح عند بعضهم نوعا من التائب الذاتي ، اذ ان شعور هؤلاء الناس
 بالتقصير ، جعلهم يتلامون لتخلفهم عن اخوانهم الذين سبقوهم في الشراية
 والخروج . فيحاول احد شعرائهم الدفاع عن نفسه ، فاذا هو القدر الذي حال
 دون مراقبته لاخوانه الذين تقدموه ، ولكن ذلك لم يمنعه من التحسّر على ما فاته ،
 فيقول (١٧٦) :

ولقد مضوا وانا الحبيب اليهم
 وهم لديّ احبّة ابرار
 قدرّ يخلّفني وينمضيهم به
 يا لهف ، كيف يفوتني المقدار !

ولكن شاعرا آخر منهم ، لا يجد العذر في خذلانه لاصحابه ، وتقصيره في
 نصرتهم ، فيشكو نفسه الى الله ليحكم في هذا الذنب الخطير ، فيقول
 شاكيا (١٧٧) :

-
- ١٧٤ - ق/١٩٠ (الديوان) .
 - ١٧٥ - ق/٧٧ (الديوان) .
 - ١٧٦ - ق/٢٥٦ (الديوان) .
 - ١٧٧ - ق/٤٩ (الديوان) .

إخوان صدقٍ أرجيهم وأخذلهم
أشكو الى الله خذلاني لأنصاري

أما عمرو بن الحصين الإباضي ، فقد كان أكثر حدة على نفسه ، وكاد أن يهجوها ، حين يقول (١٧٨) :

كم من أولي مِقَّةٍ صحبتهم شروا
فخذلتهم وليئس فعلُ الصاحب

وحتى حين يعود الشاعر الخارجي ليهجو هجاء تقليديا ، فإنه يبقى أسير العقيدة الخارجية . فعمران حين يتهم الحجاج بأنه أسد عليه - حين يلجّ في طلبه - بينما هو نعمة في مواجهة الخوارج ، وأنه ما دام قد جبن عن مواجهة غزاة الخارجية ، فما عليه إلا أن يتخلى عن رجولته ويتشع كما تتشع النساء ، يعود في نهاية الامر للفكرة الأساسية ، فيرى أن جبن الحجاج إنما هو المنزلة التي يعمد إليها الكافر عند اللقاء (١٧٩) . وكذلك الامر في هجاء شبيب للحجاج أيضا ، فإنه يرد نسبه الى قوم ثمود الذين طفوا في البلاد ، فقال في هجائه (١٨٠) :

عبدٌ دعيّ من ثمود أصله لا بل يقال أبو أبيهم يقدم

وإذا كان الهجاء عند شعراء الخوارج قد اتخذ هذا اللون الجديد ، فسيطرت عليه عقائدهم واتجاهاتهم المذهبية ، فلا يعني ذلك أن اللون التقليدي المألوف قد انعدم وجوده عند بعضهم . فهذا شاعر منهم يهجو أخواله الذين لم يجيروه من ابن زياد ، فيجيء هجاؤه لهم كالهجاء الذي عهدناه عند الهجائيين الآخرين . فبنو قيس قوم لئام أذلاء ، لا وزن لهم في المحافل القبلية ، ومن شدة ضعفهم لا يقدرّون على حماية من يستجير بهم (١٨١) .

وقد ينحطّ الشاعر الخارجي في هجائه ، فبعد أن كان يهجو على أساس فكر عقيدي ، يسقط دفعة واحدة الى مستوى ضيع غير مألوف عند الشراة . فعبيدة ابن هلال الذي هجا ابن معمر بشكل يكاد ينسيك فيه أنك في موضع هجاء ، باعتماده الموضوعية الهادئة تحت شعار الخوارج «الحكم لله وحده» (١٨٢) ، هو

-
- ١٧٨ - ق/١٦٦ (الديوان)
 - ١٧٩ - ق/١٣٧ (الديوان)
 - ١٨٠ - ق/٨٨ (الديوان)
 - ١٨١ - ق/٢٢٩ (الديوان)
 - ١٨٢ - ق/١١١ (الديوان)

نفسه الذي يهجو زيد بن جندب ، ويتعرض لمظهره الشخصي وتكوينه الخلفي ،
فيعبره بأسنانه البارزة العقفاء الصفراء ، فيقول (١٨٣) :

أشفى عقنباة وناب ذو عصل وقلح بادٍ وسن قد نصل

ثم ينتقل من أسنانه ليتحدث عن شناعة فمه ومشفرية ، حين يقول (١٨٤) :

ولفوك أشنع حين تنطق فاغرا مين في قريحٍ قد أصاب بربرا

ومثله مالك المزموم الذي ينحدر في هجائه الى لون الانسان وعرقه ، وذلك
في هجائه لوالي اليمامة لعبد الملك ، فيقول (١٨٥) :

ومنينيا بطمطم حبشي حالك الوجنتين من آل حام

الا انه لا يلبث ان يردك الى سبب هجائه له ، فاذا هو لان هذا الحاكم سكير
لا يعرف الحلال من الحرام .

ولكن ما تجدر الإشارة اليه ، ان هذا النوع من الهجاء كان محدودا ، ولا يمثل
اتجاها ظاهرا في شعر الخوارج . وبذلك يظل الهجاء عندهم بعيدا عن الفحش
وتمزيق الاعراض ، لا بل ان الخوارج انفسهم كانوا يتهون غيرهم عن اللون البذيء
فيه . فقد مر يزيد بن حبناء بزياد الاعجم وهو يفحش في هجائه ، فنهاه عن ذلك
وقال له : «ويحك ! حتى متى تتمادي في الضلال ؟ كأنك بالموت قد صبّحك او
مسّك » (١٨٦) .

الفخر :

حديث الأنا ونحن ظاهرة بارزة عند شعراء العصرين الجاهلي والاموي . ولا
غرابة في ذلك ، لان الانسان في جبلته البشرية يسعى باستمرار الى ابراز فضائله
الذاتية امام أقرانه . وقد لا يتنازل عن هذا الأنا الا حينما ينصهر في جمع من
الناس ، وتتحول أناه الذاتية الى نحن الجماعة . وبذلك يحقق أناه من خلال نحن

١٨٣ - ق/١١٥ (الديوان) .

١٨٤ - ق/١١٣ (الديوان) .

١٨٥ - ق/٢١١ (الديوان) .

١٨٦ - الاصفهاني : الاغاني ، ٣١٥/١٥ .

قومه او عصبته . وقد يرتقي هؤلاء الناس فكريا ، فتسودهم عقيدة من العقائد او مبدا من المبادئ ، وتذوب - حينذاك - الانا ونحن في وعاء الفكر الجديد .
والخوارج - كما عرفناهم - اناس من قبائل شتى ، اذابوا عنجهية الفرد في بوتقة الجماعة ، كما اذابوا عصبية الجماعة في عقيدة الشراية والخروج . فاذا تشاوف الناس وتفاخروا بالاحساب والانساب ، وانتسب هذا الى بكر وذاك الى تميم ، فان شاعر الخوارج عيسى بن فاتك استحدث نسبا آخر لا يمت الى الابشار بصلة ، انه نسب الدين الذي اعتنقه . فقال وقد اتخذ ابا جديدا (١٨٧) :

ابي الاسلام لا اب لي سواه
اذا فخرُوا بيكر او تميم
كلا الحيئين ينصر مدعيه
ليلحقه بلذي الحسب الصميم
وما حسب ولو كرمت عروق
ولكن التقي هو الكريم

وحين يفتخر شعراء الخوارج بانفسهم ، فانهم يربطون بين اناهم الذاتية وبين الفكرة التي يعملون من اجلها ، فالراسبي كان يصيح في ارض النهروان «انا ابن وهب الراسبي الشاري» (١٨٨) . وعمرؤ القنا كان يرتجز في ارض المعركة ويردد اسمه على مسامع عسكره تشجيعا لهم في جهادهم لاعدائهم من الكافرين (١٨٩) . وعبيدة بن هلال يفتخر بابيه لانه شيخ على دين ابي بلال (١٩٠) . والخبيري يتحدى الخليفة مروان بن محمد ، ويقول معتدا بنفسه (١٩١) :

ان تك مروان فاني الخبيري
اضرِب بالسيف على حكم النبي

حتى ان ما يبدو للقارىء فخرا تقليديا نلمح من خلال ما وصل الينا مسن أبياته ، انه في اطار العقيدة الخارجية . فبيهس بن صهيب الذي دلل على اكرامه للضيف بان امر اهله الا يطفئوا النار لتكون قبسا هاديا له ، انما فعل ذلك خوف

-
- ١٨٧ - ق/١٧٨ (الديوان) .
 - ١٨٨ - ق/١٠٥ (الديوان) .
 - ١٨٩ - ق/١٧١ (الديوان) .
 - ١٩٠ - ق/١١٩ (الديوان) .
 - ١٩١ - ق/٧٠ (الديوان) .

العقاب من الله (١٩٢) . والجديعاء التي طاب لها ان ترتجز باسمها واسم ابها ،
تعتر بابتياعها سيفا قاطعا بسوار معصمها لتتمكن من الخروج مع زوجها المختار بن
عوف الأزدي (١٩٢) .

ولا نستثني من هذا النفس الخارجي في أبيات الفخر عند شعراء الخوارج
سوى قصيدة الأعرج المعني التي تطفئ عليها الذاتية والقبلية (١٩٤) . وعلى الأرجح
انه قالها قبل ان يصبح على مذهب الخوارج ، فامتداحه لبني ضبة اصحاب الجمل
لا يتفق مع موقف الخوارج من موقعة الجمل ! .

ولعل ما يستدعي الذكر في مجال الفخر عند هؤلاء الشعراء انهم يتعدون
النطاق الفردي ولا يستطردون في الحديث عن فضائلهم الذاتية ، بل نراهم يرغبون
في مشاركة اصحابهم لهم ، فيتحولون من حديث الانا الشاعر الى نحن الخوارج .
فقائد الازارقة وفارسهم قطري بن الفجاءة الذي كثيرا ما يتحدث عن بطولاته
الحربية وتجاربه واقدامه عند نزال الإبطال (١٩٥) ، نجده في قصيدة يوم دولا ب لا
يحتكر النصر لنفسه ، فبعد ان يتمنى لو ان ام حكيم شهدت طعانه للاعداء ، يعود
في نهاية تلك القصيدة ، فيقول بلسان جماعة الخوارج (١٩٦) :

فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا
تبيح من الكفّار كلّ حريم
رأت فتية باعوا الإله نفوسهم
بجنات عدن عنده ونعيم

ولا يقتصر هذا السلوك على قطري ، فهناك شعراء آخرون نهجوا نفس
السبيل (١٩٧) ، وخصوصا اذا كانت تلك الأراجاز ترمي الى بث روح التضحية
والفداء في نفوس عساكرهم ، حينما يكونون في طريقهم الى لقاء اعدائهم في
ميادين القتال .

أغراض متفرقة :

نشر في ديوان الخوارج على عدد محدود من القصائد يصعب تصنيفها تحت

-
- ١٩٢ - ق/٣٣ (الديوان)
 - ١٩٣ - ق/٣٨ (الديوان)
 - ١٩٤ - ق/١٧ (الديوان)
 - ١٩٥ - ق/١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ (الديوان)
 - ١٩٦ - ق/١٩٩ (الديوان)
 - ١٩٧ - ق/٢٣ ، ١٧١ (الديوان)

غرض معين من أغراض الشعر المألوفة . ولعل من الجائز تسميتها بـ «شعر المناسبات» . فهذا الذي جيء به ليقتل ، فاستثاره منظر الجلاد والنطع ، فأخذ يستنجد عاطفة الخليفة ليعفو عنه ويتركه لاطفاله (١٩٨) . وآخر كانت تطالبه زوجته بالهدايا ، فاعتذر إليها لانشغاله عن مطالبتها بالحرب والجهاد (١٩٩) . وبين هذه القصائد مقطوعة ابن أبي ميثاس المرادي التي حكى لنا فيها خطبة ابن ملجم لقطام التميمية والمهر الذي اشترطته عليه (٢٠٠) . ثم هناك قصائد عمران بن حطان التي يصف لنا بها حالة القلق التي كانت تنتابه عند تنقله في القبائل ، تخفيا من عيون الحجاج (٢٠١) . الى غير ذلك من الموضوعات التي كانت تنشأ عن حاجة آتية تحرك وجدان الشاعر ، فيعبر عنها شعرا .

ولكن على الرغم من تنوع أغراض هذه القصائد ، فان خيطا دقيقا يربطها جميعا بروح الخواارج العامة .

وخلاصة القول : ان أغراض الشعر الخارجي – على تعددها – تنبع من معين واحد ، وتدور – في اكثرها – حول غرض واحد – ، لتعود وتصب في بحر العقيدة الخارجية ، سعيا وراء الفوز برضوان الله وموعوده للمؤمنين .

خصائص الشعر الخارجي

ان اول ما نلاحظه على الشعر الخارجي عامة ، هو ان اصحابه التزموا به خطا واحدا لم يحددوا عنه الا نادرا . فباستثناء الطرماح بن حكيم ، كان جل شعرائهم من الملتزمين – اي انهم لم يتخذوا شعرهم أداة للتكسب والاحتراف ، ولا استخدموا هذا الشعر لأغراض تخالف عقائدهم ، حتى ليتمكن القول : انهم اصحاب مدرسة الالتزام في فن الشعر . وهذا الالتزام في الشعر اتجاه لم نألفه عند معاصريهم من شعراء الفرق الاسلامية الاخرى ، كما لم نألفه عند الشعراء السابقين . فكان لهم قصب السبق والريادة في هذا السبيل (٢٠٢) .

١٩٨ – ق/٣٦ (الديوان) .

١٩٩ – ق/٢٣٨ (الديوان) .

٢٠٠ – ق/٢ (الديوان) .

٢٠١ – ق/١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٦٢ ، ١٦٣ (الديوان) .

٢٠٢ – فمعاصروهم من شعراء الشيعة رغم اهتمامهم الكبير بمقائدهم ، الا انهم لم يقصروا شعرهم على تلك العقائد ، فقد مدحوا خصومهم من بني أمية والعباسيين (الاصفهاني : الاغانى ، ٢٢٤/٧ ، ٢٤٨ ، ٢٢٦/١٦ – ٢٢٨) . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١٤ ط. لبنان (١٩٠٢) .
اما شعراء الفرق الاسلامية الاخرى فقد كانوا أقل التزاما من شعراء الشيعة أيضا .

ومن هنا فقد جاء شعرهم مصطبغا بصيغة دينية في اطار العقيدة الخارجية .
 وادى ذلك الى تشابه شخصياتهم الشعرية ، وبالتالي الى تماثل شعرهم ، فكثير
 من جراء ذلك الاختلاط في نسبة قصائدهم لاصحابها ، ووقع الرواة القدامى في
 حيرة من امرهم ، فنسبوا شعر الواحد منهم للآخر (٢٠٣) .

وامر آخر يسترعي النظر ، وهو ان كثيرين من اصحاب هذا الشعر كانوا من
 زعماء المذهب الخارجي ، فجاء شعرهم خلاصة تجربة ذالية حية ، بعيدا عن
 التكلف والرياء . كما يبدو ان غالب هؤلاء الشعراء كانوا من اعراب البادية ، الذين
 لم تفسدهم حضارة المدنية وترفها ، فجاء شعرهم صدى لمزايا البدوي الذي تغلب
 عليه الصراحة والجرأة ، مع صفاء في الطبع وصدق في العقيدة . ويتجلى صدقهم
 وصراحتهم في مثل قول مالك المزموم (٢٠٤) :

ولو قسم الذنب الذي قد اصبته على الناس خاف الناس طرآ من الردى
 وكنا - من قبل - عرفنا صدق قطري بن الفجاءة وصراحتة ، حين كشف
 لنا ما في خبيثة نفسه حين اصابه خوف شديد من خصمه اللدود المهلب بن ابي
 صفرة (٢٠٥) .

ولعل الظاهرة العامة الاخرى التي تطفئ على شعر الخوارج ، انه جاء - في
 اكثره - يخاطب المشاعر والوجدان ، دون ان يعمد الى مخاطبة العقل والمنطق ،
 لاعطاء الحجة المقبولة والبرهان العقلي لما ينادون به . فكان عملهم اشبه ما يكون
 بعمل الصحافيين الذين يعمدون الى الهاب عواطف الناس ، واستشارة حماس
 جماهير العوام بالكلمات المؤثرة والشعارات المثيرة . ولا ننسى مدى فعالية مثل
 هذا الاسلوب على جماعة الخوارج ، الذين كانوا باكثريتهم الساحقة من الاعراب
 والقراء المتدينين .

ويلاحظ ايضا ، ان هذا الشعر لم ينقل الينا عقائد الخوارج الرئيسية التي
 التزموا بها . فلم يحدثنا عن رأيهم في الايمان ، او بارتكاب الكبائر ، والوعود
 والوعيد ، ولا تعرض لقضية الامامة وغيرها من العقائد الاخرى التي اصبحت
 - فيما بعد - جزءا من سلوكهم الديني والسياسي معا . كما لم يشيروا
 بشعرهم - لا من قريب ولا من بعيد - الى الفرق الخارجية التي افترقوا اليها،
 الا ما كان من امر القعود الذي اخذت به قعدية الصفرية .

واذا قيل : ان اكثر هؤلاء الشعراء عاشوا في الحقبة التي كانوا فيها منشغلين

٢٠٣ - القصائد التي ورد ذكرها في الديوان واختلف في نسبتها ، هي التالية : ١ - ٣ -
 ٤ - ٨ - ١٧ - ٢٤ - ٢٦ - ٥٢ - ٦٠ - ٧٦ - ٨٤ - ٩٩ - ١١٨ - ١٢١ - ١٢٨ - ١٣٧ -
 ١٤٤ - ١٤٦ - ١٥٥ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٦ - ١٨٨ -
 ١٩٩ - ٢٠٨ - ٢٢٤ .

٢٠٤ - ق/٢٠٩ (الديوان) .

٢٠٥ - ق/١٨٤ (الديوان) .

بالمقاتل والحروب ، فان الامر ذاته ينطبق على ما وصل الينا من شعر اولئك الناس الذين ادركوا اواخر العصر الاموي ، يوم كانت العقائد الخارجية قد تبلورت عند علمائهم ومجتهديهم .

واذا كانت الروح الدينية تتمثل في هذا الشعر ، لدرجة تجعل الشاعر الخارجي يتخلى عن عصبية القبيلة ، فينتسب للاسلام بدلا من انتسابه لبكر او تميم (٢٠٦) . فاننا - رغم ذلك - لا نتفق مع الذين يذهبون الى ان شعرهم قد خلا خلوا تاما من النزعة العصبية والانتماء العشائري ، وان تلك العصبية فنيت فناء تاما في عقيدتهم الدينية (٢٠٧) . فقد لمحنا وجها من هذه العصبية عند زعيم الازارقة قطري بن الفجاءة في شعر دولاب (٢٠) . كما نلمح وجها آخر في اظهار العداوة لقريش عند بعض شعرائهم . فهذا عتبان بن وصيلة يوجه كلامه لعبد الملك ابن مروان ، فيقول (٢٠٩) :

فإنك الا ترض بكر بن وائل
يكن لك يوم بالعراق عصيب
فلا ضير ان كانت قريش عدى لنا
يصيبون منّا مرةً ونصيب

ثم نجد شاعرا آخر منهم يتباهى اعتزازا بتحقيق النصر على قريش ، حين يقول (٢١٠) :

الم تر أن الله أنزل نصره
وصلت قريش خلف بكر بن وائل

هذا اذا تجاوزنا الطرماح بن حكيم الذي كان شديد العصبية حتى افراط في ذلك (٢١١) .

٢٠٦ - ق/١٧٨ . ق/١٣٣ ، ب/٧ . ق/٢٢٠ ، ٦ ، ٧ (الديوان) .

٢٠٧ - القاضي : الفرق الاسلامية في الشعر الاموي ، ص ٤٥١ .

٢٠٨ - ق/١٩٩ (الديوان) .

٢٠٩ - ق/١٢١ (الديوان) .

٢١٠ - ق/٩١ (الديوان) .

٢١١ - فهو القائل :

انا ابن بطحائها حيث حكيت

اذبب عن احساب قحطان ، انني

وقوله للفرزدق التميمي :

لقحطان اهل الشام لما استهلك

ونجلك من ازد العراق كتاب

(الطرماح : ديوان الطرماح ، ص ٤٨ ، ٥١) .

وظاهرة العصبية عند بعض شعرائهم ، لا تنفي بحال من الاحوال انسانية الشعر الخارجي في نطاق مفاهيمهم الخاصة واجتهاداتهم الخارجية .
ثم ان شعر الخوارج جديد في اساليبه التي استحدثتها ، فقد كانت لدى شعرائهم القدرة على الانفلات من قوانين القصيدة الجاهلية وأغلالها . فلم يترسموا طريق القدامى ، بل ساقتهم أصالتهم الى التجديد في الشكل ، وانطلقوا على سجيتهم بما يتلاءم وغاية الشعر التي يرمون اليها . حتى يمكننا القول : ان هؤلاء الشعراء كانوا اسبق من فحول الشعر الذين حملوا لواء التجديد في صدر العصر العباسي، حين استغنوا عن المقدمة الغزلية والطلبية في استفتاح قصائدهم . فنجد القصيدة الخارجية تكاد تخلو من هذا التقديم ، واذا لجأ اليها بعضهم - في حالات نادرة جدا - فانما للتخلص الى ذكر اخوانهم الشهداء والتحدث عن مناقبهم . فعمر بن الحصين الذي استهل رثاء لابي حمزة قائلا (٢١٢) :

هبت قبيل تبلنج الفجر هندت تقول ودمعها يجري

سرعان ما ينتقل الى الحديث عن اصحابه الذين فجع بهم .
ونجد بعض المطالع القديمة في عدد محدود جدا من قصائدهم ، حتى ليشعر القارئ وكأنه امام استهلال جاهلي ، كما في قول مالك المزوم من قصيدة يهجو بها عبد الله بن حكام (٢١٢) :

دار سلمى بالجزع ذي الآطام
خبرينا سقيت صوب الغمام

وكذلك في مطلع قصيدة للعيزار الطائي ، حين يقول (٢١٤) :

الاحي رسم الدار اصبح بالياً
وحي - وانشاب القدال - الغوانيا

ونحن في هذا المجال امام مطالع هذه القصائد ليس غير ، فلم تزودنا مصادر الرواة بما تبقى من أبياتها ، لنعلم اغراضها ، كما لم تكشف لنا زمن صدورها عن اصحابها ، فقد تكون قبل تحول هؤلاء الشعراء الى مبدأ الخوارج .

-
- ٢١٢ - ق/١٦٧ (الديوان) .
 - ٢١٣ - ق/٢١٢ (الديوان) .
 - ٢١٤ - ق/١٧٥ (الديوان) .

ومع قلة هذه المطالع التقليدية ، لا نستطيع ان نثبت أو ننفي وجود مطالع جاهلية – في الاصل – في المقطوعات الاخرى التي وصلت الينا خالية من مقدماتها (٢١٥) .

ولم تكن مخالفة القصيدة الخارجية لغيرها من قصائد الجاهليين والامويين ، تقتصر على الاستهلال فحسب ، بل تختلف عنها في اغراضها . ففي حين ان القصيدة الجاهلية – ومثلها الاموية بشكل عام – تتعدد فنونها واغراضها ، فان الشاعر الخارجي يدور في اكثر شعره حول معنى واحد ، لغرض واحد ، في سبيل غاية واحدة . فمعانيها اسلامية قرآنية ، وغرضها خدمة الدعوة الخارجية ، وغايتهم في ذلك الشهادة في سبيل العقيدة ، التي ملكت عليهم قلوبهم ونفوسهم . هكذا وجدناهم في رثائهم ، وفي مديحهم ، وفي هجائهم ، حتى النسب الذي لجأ اليه قطري بن الفجاءة في شعر دولاب ، انما كان وسيلة لأداء رأيه وتصوير شجاعته وشجاعة اصحابه في تلك الموقعة ، فهو بعد ان يتحدث عن عشقه لأم حكيم ، يعود فيقول (٢١٦) :

ولو شهدتني يوم دولاب ابصرت طعان فتى في الحرب غير ذميم

ومن جهة اخرى ، فالقصائد الخارجية التي وصلت الينا – في معظمها – هي نتف او مقطوعات قصيرة . وما شذ عن ذلك في هذا الديوان الا عمرو بن الحصين ، خصوصا في مطولته التي جاوزت الخمسين بيتا ، والتي تتميز بدقة الوصف وتكرار المعاني ، واستقصاء الموضوع الذي يرمي اليه الشاعر بأسلوب قصصي . وهذه الخصائص مجتمعة لا يمكن ردها لاصالته الفارسية فحسب – كما لاحظ أحمد الشاب (٢١٧) – بل يمكن ان يضاف الى ذلك الاثر القرآني ، الذي تمثلت فيه مثل هذه المزايا .

اما فيما يخص الصياغة اللفظية والتراكيب اللفوية ، فانهم جددوا في لفنة الشعر ايضا . فكانوا يتوخون السهولة واليسر ، ولم يكن همهم ابراز براعتهم اللفوية ، بل كان كل همهم ان ينقلوا آراءهم الى جماهيرهم . وهكذا فقد امتاز شعرهم بالسلاسة والدقة ، بعيدا عن الغرابة والعجمة ، مع ميل الى بساطة في التعبير ، وبعد عن الصنعة الفنية . وبذلك فقد جاء صريح اللفظ ، منكشف المعاني . فكانما ارادوا الوصول الى غايتهم مباشرة ، دونما حواجز تحول بينهم وبين من يخاطبون . وفي الوقت ذاته فان الجزالة والقوة ظاهرتان ملازمتان لشعرهم .

٢١٥ – اقتصر المطالع التقليدية في ديوان الخوارج على بضع قصائد ، هي : ١٠١ ، ١٤٨ ،

١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ .

٢١٦ – ق/١٩٩ (الديوان) .

٢١٧ – الشاب : تاريخ الشعر السياسي ، ص ١٧٣ .

ولا بد ان يكونوا قد تأثروا بلغة القرآن وأسلوبه ، اذ كانوا يتلونه آتاء الليل
وأطراف النهار . وقد بدا اثر القرآن واضحا عندهم من خلال كثرة استعمالهم
للالفاظ والتراكيب والمعاني القرآنية ، حتى ليبدو ان من شعرهم ما جاء تضمينا
كاملا لبعض الآيات ، كقول عيسى بن فاتك (٢١٨) :

هم الفئة القليلة غير شكٍ
على الفئة الكثيرة ينصرونا

فهو تضمين لقوله تعالى : «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله . والله
مع الصابرين» (٢١٩) .
ومثله قول عيسى بن فاتك أيضا (٢٢٠) :

وما حسبٌ ولو كرمت عروق
ولكن التقى هو الكريم

فهو تضمين لمعنى قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتفاكم» (٢٢١) .
أما الالفاظ والتراكيب القرآنية ، فكثيرا ما ترد في شعرهم ، كقول عمران
ابن حِطَّان (٢٢٢) .

أم من تلتقى عليه موقدة النار
ر محيط بها سرادقها
أم اسكن الجنة التي وعدَ الأبرار مصفوفةً نمارقها

فهذان البيتان جاءت أكثر الفاظهما وتراكيبهما من آيات القرآن في قوله
تعالى : «فأنذرتكم نارا تلتقى» (٢٢٢) وقوله : «أحاط بهم سرادقها» (٢٢٤) وقوله:
«وتنمارق مصفوفة» (٢٢٥) ، وقوله : «ان الأبرار لفي نعيم» (٢٢٦) .

-
- ٢١٨ - ق/١٧٩ (الديوان)
 - ٢١٩ - البقرة ٢٤٩ .
 - ٢٢٠ - ق/١٧٨ (الديوان)
 - ٢٢١ - الحجرات ١٢ .
 - ٢٢٢ - ق/١٤٦ (الديوان)
 - ٢٢٣ - الليل ١٤ .
 - ٢٢٤ - الكهف ٢٩ .
 - ٢٢٥ - الناشية ١٥ .
 - ٢٢٦ - الانطار ١٣ .

وهذه الظاهرة تتكرر عند كثير من شعرائهم ، ففي قول حبيب بن خديرة (٢٢٧):

أبكي الذين تبوأوا الغرف العنلا فجرت لهم من تحتها الانهار

نجد الفاظ هذا البيت ترجمه تامه لقوله تعالى : «لَنبُوئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ» (٢٢٨) .
اما قول عمران بن حطان (٢٢٩) :

دعتم بأعلى صوتها ورمتمهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

فيبدو وكأنه نقل لالفاظ من القرآن في قوله تعالى : «انها ترمي بشرر كالقصر .
كانه جمالت صفر» (٢٣٠) وقوله : «كلا انها لظى . نزاعة للشوى» (٢٣١) .

ونرى قول الطرماح بن حكيم (٢٣٢) :

يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ الْمُخَوَّلَ ذَا الثَّرِ
وَةٌ خَلَاتِهِ وَلَا وَلَدُهُ
ثُمَّ يُؤْتَى بِهِ وَخِصْمَاهُ وَسَطَ الْ
جَنِّ وَالْإِنْسِ ، رِجْلُهُ وَيَدُهُ

تضمنين لقوله تعالى : «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (٢٣٣)
وقوله : «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٢٣٤) .
وأحيانا اخرى نجد بعض شعراء الخوارج يضمنون الامثال في شعرهم ، كما
فعل حبيب بن خديرة في قوله (٢٣٥) :

وكأنّي من غدرٍ وافقتُها مثل ما وافق سنن طبقا

٢٢٧ - ق/٤٧ (الديوان) .

٢٢٨ - المنكبوت ٥٨ .

٢٢٩ - ق/١٢٥ (الديوان) .

٢٣٠ - الرسائل ٣٢ - ٣٢ .

٢٣١ - المارج ١٥ - ١٦ .

٢٣٢ - ق/١٠١ (الديوان) .

٢٣٣ - الشعراء ٨٨ - ٨٩ .

٢٣٤ - النور ٢٤ .

٢٣٥ - ق/٥٤ (الديوان) .

ومن الخصائص الأخرى التي تميز بها شعرهم كثرة الأرجاز فيه . فصحيح ان أكثر قصائدهم جاءت على البحور التقليدية المألوفة عند الجاهليين والاسلاميين ، وان هذا النوع من الرجز قد كلف به بعض الشعراء في العصر الأموي وتعاطوه (٢٢٦) ، الا ان نسبته في ديوان الخوارج كانت عالية اذا ما قيست بالاوزان الأخرى .

وخلاصة القول في الشعر الخارجي عامة : انه شعر ثورة جامعة - محوره الانا ونحن ، واطاره المذهب الخارجي ، وغايته فراديس السماء .

الفصل الثاني

خطب الخوارج ورسائلهم

باستثناء قول - في سطرين - منسوب لاحد الخوارج (١) ، فان خطب الخوارج ورسائلهم التي اثبتناها في ديوانهم تنسب لـ ١٨ رجلا منهم ، اكثرهم ورد ذكرهم في عداد شعراء هذا الديوان . واذا استثنينا هؤلاء الشعراء الخطباء (٢) ، يكون الآخرون : الزبير بن علي ، وصالح بن المرح ، وعبد الله بن السخبر ، وعبد ربه الكبير ، والمستورد بن علفة ، ومطرف بن المغيرة (٣) . ولدى استعراضنا لما خلفه هؤلاء الخطباء نجده ضئيلا جدا . فمنهم عشرة

١ - خ/٣٩ (الديوان) .

٢ - هؤلاء الشعراء الخطباء هم : ابو الوازع الراسبي . حيّان بن ظبيان ، بكير بن هارون ، شبيب الاشجعي ، عبد الله بن وهب الراسبي ، عبد الله بن يحيى ، عبيدة بن هلال اليشكري ، قطري بن الفجاءة ، يهيب بن المختار ، مرداس بن ادية ، نافع بن الازرق ، نجدة الحنفي .

٣ - راجع التعريف بكل منهم في الديوان : الزبير بن علي ص ٢٢٢ ، صالح بن المرح ص ٢٢٥ ، عبد الله بن السخبر ص ٢٤١ ، عبد ربه الكبير ص ٢٤٧ ، المستورد بن علفة ص ٢٨٧ ، مطرف بن المغيرة ص ٢٩٢ .

وقعنا لكل واحد منهم على قطعة واحدة ، أقلها حجما كانت لمرداس بن ادية ، لا تتجاوز ثلاثة أسطر (٤) ، وأطولها رسالة نجدة الحنفي لنافع بن الأزرق وتقع في زهاء عشرين سطرا (٥) . وهناك اثنان آخران هما ابو الوازع الراسبي ، وعبد ربه الكبير ، لكل منهما قطعتان قصيرتان تقعان - كلتاهما - في بضعة أسطر (٦) . ومن هؤلاء ايضا : قطري بن الفجاءة ، وله رسالة وخطبتان ، احدهما طويلة (٧) ، وعبد الله بن وهب الراسبي وله - مع اصحابه - رسالة موجهة الى علي بن ابي طالب ، وثلاث خطب قصار ، أطولها تقع في ثمانية أسطر (٨) ، ونافع بن الأزرق وله ثلاث رسائل أقلها في ١٣ سطرا وأطولها في ٢٥ سطرا (٩) ، كما له خطبة قصيرة ، وصالح بن المرسح وله رسالتان احدهما في ٣٢ سطرا والاخرى في خمسة أسطر ، وخطبتان قصيرتان تقعان معا في نيّف وعشرة أسطر (١٠) ، والمستورد بن علفة وله خمس قطع أولها رسالة في بضعة أسطر وثانيتها مجموعة من الاقوال المأثورة وثلاث خطب قصيرة أقلها في اربعة أسطر وأطولها في ١١ سطرا (١١) ، واخيرا ابو حمزة الخارجي الذي كان له اكبر نصيب من خطب الخوارج ، فله خمس خطب من بينها ثلاث طوال (١٢) : بلغت احداها زهاء مائة سطر ، ولعلها أطول خطب العصر الاموي قاطبة .

وخطباء الخوارج - في الاغلب - كانوا من زعماء القوم ورؤسائهم . فالزبير ابن علي هو الذي بايعته الخوارج زعيما للازارقة بعد مقتل عبيد الله بن الماحوز (١٣) ، وصالح بن المرسح هو الذي بايعته الخوارج الصفرية اميرا للمؤمنين (١٤) ، وعبد ربه الكبير كان من اصحاب قطري بن الفجاءة ، ثم انفصل عنه وتزعم جناحا من الازارقة (١٥) ، ومطرف بن المفيرة هو الذي كان واليا للحجاج على المدائن ،

٤ - خ/٢٨ (الديوان) .

٥ - خ/٢٨ (الديوان) .

٦ - خ/١ ، ٢ ، ١٧ ، ١٨ (الديوان) .

٧ - خ/٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ (الديوان) .

٨ - خ/١٢ - ١٥ (الديوان) .

٩ - خ/٢٥ - ٣٦ (الديوان) .

١٠ - خ/٧ - ١٠ (الديوان) .

١١ - خ/٢٩ - ٣٣ (الديوان) .

١٢ - خ/٢٢ - ٢٧ (الديوان) .

١٣ - المبرد : الكامل ، ١٠٨١/٣ ، ١٠٩١ .

١٤ - الطبري : تاريخ ، ٨٩١/٨ .

١٥ - المبرد : الكامل ، ١١٥٥/٢ ، ١١٦١ .

فاستمالته الخوارج واصبح من اصحاب الراي فيهم (١٦) ، والمستورد بن عثفة كان من الذين تخلفوا عن قتال علي يوم النهر ، ثم عاد الى الخروج بعد ذلك فبايعته الخوارج اميرا عليهم (١٧) ، وعبد الله بن السخبر كان في رهط خليفة الخوارج الاول ابن وهب الراسبي ، وقد شهر بأنه كان من اصحاب البرانس (١٨) . اما الخطباء الشعراء فقد عرفنا ترجماتهم من قبل ووجدناهم من اهل الصدارة والرياسة فيهم ايضا (١٩) .

ويبدو للناظر في هذه الآثار الادبية ان جل هذه الرسائل والخطب - ان لم نقل جميعها - ذات صلة مباشرة بدعوة الخوارج وسلوكهم السياسي والديني . فمن قول عند بيعة ، الى حض علي الخروج وترغيب في الجهاد ، فعرض لقضية وتبيان لراي ، الى غير ذلك مما له صلة بأفكارهم واجتهاداتهم الخارجية .

ضياح ثروة الخوارج النثرية :

مما تقدم يتضح ان القسم الاكبر من ثروة الخوارج النثرية قد فقد . فهناك كثير من القرائن التي تثبت صحة هذا الادعاء . وهذه الشواهد نجملها بما يلي :

١ - وقعنا على اسماء عدد من خطبائهم لم يصل اليها اية خطبة لاي واحد منهم . وهؤلاء الخطباء هم : جيب بن خدرة الهلالي (٢٠) ، وشبيل بن عزرّة الضبي (٢١) ، والجون بن كلاب (٢٢) ، المقعطل قاضي عسكر الازارقة ايسام قطري (٢٣) ، وخطيب الازارقة زيد بن جندب الذي اشاد فيه الجاحظ ، فقال : «لولا انه كان اشفى اقلح لكان اخطب العرب قاطبة» (٢٤) . ومن خطباء الصفرية الذين جمعوا بين الشعر والخطابة ولم يصل اليها شيء من خطبهم ايضا :

-
- ١٦ - ابن الاثير : الكامل ، ٤٣٥/٤ .
 - ١٧ - الطبري : تاريخ ، ٤٥٧ .
 - ١٨ - الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٠٣ .
 - ١٩ - راجع ترجماتهم في الديوان .
 - ٢٠ - الجاحظ : البيان ، ٣٦١/٣ .
 - ٢١ - الجاحظ : البيان ، ٣٥٧/١ .
 - ٢٢ - المصدر نفسه ٢٦٥/٢ .
 - ٢٣ - المصدر نفسه ٣٦١/١ . لعله المقطر المبدي (البرد : الكامل ، ١١٥٠/٣) .
 - ٢٤ - الجاحظ : البيان ، ٧٨/١ . اشفى : بارز احدي الاسنان العليا . اقلح : في اسنانه سفرة قبيحة .

الضحاك بن قيس الشيباني (٢٥) ، وعمران بن حطّان الذي يقول الجاحظ انه
خطب في حضرة زياد بن ابي سفيان او ابنه عبيد الله ، فقال بعض من سمعه :
«هذا الفتى اخطب العرب او كان في خطبته شيء من القرآن» (٢٦) ، والطرماح بن
حكيم الذي كان صديقا للكميّ شاعر الشيعة وخطيبها ، فأثدده احدهم قول
الطرماح في نفسه :

اذا قبضت نفس الطرماح اخلقت عرى المجد واسترخى عنان القصائد

فقال الكميّ : «إبي والله ، وعنان الخطابة والرواية» (٢٧) .
٢ - ان ما وصل الينا من خطب للخوارج لا يتناسب - كما - وشهرة
خطبائهم كما لا يتناسب وحجم مسؤولياتهم القيادية التي تتطلب الكثير الكثير من
المواقف الخطابية ، وهم الذين قال فيهم ابو العيزار (٢٨) :

ادباء إما جئتهم خطباء ضمنا كل كتيبة جرّار

٣ - ان ما يحمل على الاعتقاد بوفرة خطبائهم وغازاة خطبهم ، انهم اصحاب
دعوة جهروا بها وتحداوا الآخرين بحملها . وبذلك كان عليهم نقل آرائهم وحججهم
الى غيرهم من الناس بعد ترسيخها في نفوس أتباعهم ، كما كان عليهم استمالة
القلوب اليهم ، وتهديد خصومهم ومناوئهم . وهذا كله يفرض عليهم اهتماما
زائدا بالخطابة ، التي تعتبر وسيلة الاتصال المؤثرة في نفوس السامعين ، والتي
تفضل الشعر الذي لا تتسع بحوره وقوافيه للمناقشة والاقناع .
٤ - لما كان أكثر هؤلاء الخوارج من الاعراب وأهل البادية ، فقد كان امرا
طبيعا ان يكثر الفصحاء والبلغاء فيهم .
٥ - شهادة خصومهم لهم بعلو الكعب في الفصاحة واللسن . فقد شهد
عبيد الله بن زياد بفصاحتهم وأشار الى اثر كلامهم في نفوس الناس ، حين قال
حائرا بما يصنع بهم : «لكلام هؤلاء أسرع الى القلوب من النار الى اليراع» . وهذا
خارجي آخر يحاور عبد الملك بن مروان - الذي عرف بسعة علمه ورجاحة عقله -
فيكاد يوقع في نفسه ان الجنة انما خلقت للخوارج ، لولا ما ثبت الله على المؤمنين
من الحجة وما قرره في قلوبهم من الحق .

٢٥ - المصدر نفسه ٢٤٣/١ .

٢٦ - المصدر نفسه ١١١/١ ، ٣٦١ .

٢٧ - الجاحظ : البيان ، ٤٦/١ . وهناك خطيب صفري آخر اسمه القاسم بن عبيد الرحمن بن

صديقه لم يصل الينا شيء من آثاره ايضا (البيان ٢٤٣/١ ط . لجنة التأليف ١٩٤٨) .

٢٨ - ق/٤ (الدبوان) .

ومن اسباب ضالة ما انتهى اليها من هذه الخطب ، يمكن ان يضاف الى عوامل فقدان الشعر - التي سبقت الاشارة اليها - ان رواية الخطب اكثر صعوبة من رواية الشعر ، خصوصا في غياب الاهتمام بتسجيل تلك الآثار . فضع علينا الكثير الكثير من ثروة الخوارج الادبية والفكرية .

أغراض الخطابة الخارجية وخصائصها :

كانت خطب الخوارج - على قلتها - ترجمت لافكارهم العامة ، دون ان تأتي من قريب او من بعيد على ذكر خلافاتهم المذهبية . كما انها خلت خلوا تماما من ذكر اية فرقة من فرقهم ، رغم ان كثيرين من هؤلاء الخطباء قد عرفوا - من خلال ترجماتهم - بانتماءاتهم الفرعية .

والافكار التي تضمنتها هذه الخطب تكاد تكون الافكار ذاتها التي عرفناها لهم عند دراستنا لشعرهم . فتكفيرهم للحكمين ومن رضي بحكهما كان اول ما طلع علينا به خليفتهم عبد الله بن وهب الراسبي ، حين قال لاصحابه : « فان هذين الحكمين قد حكما بغير ما انزل الله ، وقد كفر اخواننا حين رضوا بهما ، وحكموا الرجال في دينهم » (٢٩) . ثم يرى وجوب الجهاد فيهم ، فيقسم على مقاتلتهم ولو بمفرده ، وذلك بعد ان نبذوا حكم الله وراء ظهورهم (٣٠) .

ويلج هؤلاء الخطباء على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بعد ان اصبحوا مصابيح الهدى وحملة راية الحق من دون الناس (٣١) . ومن هنا فقد تداخوا الى الخروج ، لانهم وجدوا ان الاقامة في غير مجتمع الخوارج امر لا تجيزه المبادئ الخارجية ، خصوصا وان في استمرار اقامتهم استمرارا لـجور الولاة والحكام (٣٢) . وقد رأى بعضهم انهم بخروجهم من ديار اعدائهم يجنبون انفسهم القتل في مضاجعهم كما تقتل الكلاب في مراتبها (٣٣) .

٢٩ - خ/١٥ (الديوان) .

٣٠ - قال الراسبي بعد مبايعة الخوارج له : « فاقسم بمن تمنو له الوجوه وتخضع له الابصار ،

لو لم اجد على قتالهم مساعدا لقاتلتهم وحدي حتى القى ربي شهيدا » خ/١٢ (الديوان) .

٣١ - خ/٤ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ (الديوان) .

٣٢ - قال صالح بن السرّاح بحث اصحابه على الخروج : « ما ادري ما تنتظرون ، وحتى متى

انتم مقيمون ! هذا الجور قد فشا ، وهذا العدل قد عفا ، ولا ترداد هذه الولاة على الناس الا غلوا وعتوا » خ/٩ . وتردد هذا المعنى عند آخرين ، منهم : مرداس بن اديّة خ/٢٨ ، ابو حمزة المختار

خ/٢٦ (الديوان) .

٣٣ - خ/٢ (الديوان) .

وهم لا يحذون الخروج فحسب ، وانما ينكرون القعود ، ولا يجوزون الفصل بين القول والعمل . فقد جاء ابو الوازع الراسبي الى نافع بن الازرق فأنبئه على تحصنه بصرامة لسانه ، وقال له : «أتحضّ على الحق وتقعده عنه ، وتقبسح الباطل وتقيم عليه؟» (٢٤) . وقد لجأوا للترغيب والترهيب في تشجيع الناس على الشراية والخروج ، ولكنه لم يكن ترهيبا من عقاب عاجل ، ولا ترغيبا بسراب زائل . فالترغيب عندهم هو الفوز برضوان الله وموعوده للمؤمنين ، والترهيب هو الخوف من سخط الله وعقابه في الدار الابدية (٢٥) . ولا ينسى الخطيب عندهم ان يدعو اصحابه الى الالتزام بالسلوك الخارجي وما يفرضه عليهم هذا السلوك من تقوى الله وحسن القيام بما أمر (٢٦) ، ثم يضعهم امام مسؤولياتهم وواجباتهم ، فيقول احدهم لاصحابه : «فلا تعيبوا على قوم اعمالا ثم تعملوا بها ، فان كل ما انتم عاملون عنه مسؤولون» (٢٧) .

ولا يأتي خطباء الخوارج بشيء جديد فوق ما جاء به شعراؤهم في غرض الزهد . فهم طلاب آخرة ، والدنيا في نظرهم لا تعدو ان تكون هما وشجنا لمن حرص عليها وتمسك بها . وقد حقّر من شأنها المستورد بن علفه حتى جعلها - في تفاهتها - أقل من حزام نعله (٢٨) ، وذلك امام المثل الاعلى الذي يحدده لهم : «وما نريد الا الخلود في دار الخلود» (٢٩) .

ولما كانت الخوارج في قتال مستمر مع اعدائهم ، فقد استخدموا الخطبة وسيلة لتشجيع اصحابهم وتثبيت اقدامهم عند اللقاء ، كما فعل عبد ربه الكبير حين قال لساكره في ارض المعركة: «فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم، وهبوا انفسكم لله في الدنيا يهبها لكم في الآخرة» (٤٠) . ولكي يشيع الامل في نفوسهم بعد الهزيمة ، ويبعد الوهن عنهم بعد الانكسار ، ويبعث الرجاء فسي قلوبهم بعد مقتل زعمائهم ، فان الخطيب الخارجي يصور لاتباعه ان ما يصيبهم من هزائم وخسائر انما هو تكفير لهم عن سيئاتهم ، فسي حين ان ما يصيب اعداءهم هو خذلان لهم (٤١) .

٢٤ - خ/١ (الديوان) .

٢٥ - خ/١١ ، ٣١ (الديوان) .

٢٦ - خ/١٦ (الديوان) .

٢٧ - خ/١٠ (الديوان) .

٢٨ - قال المستورد بن علفه في شأن الحياة الدنيا : «وما احب انها لي بخدافيرها واضعاف

ما يتنافس فيه بقبال نعلي» خ/٣١ (الديوان) .

٢٩ - خ/٣٠ (الديوان) .

٤٠ - خ/١٨ (الديوان) .

٤١ - قال الزبير بن علي حين بايئت له الخوارج ، بعد انكسارهم في احدى مواقعهم : «ان البلاء للمؤمنين تمحيص وأجر ، وهو على الكافرين عقوبة وخزي . . فيوم سلّي كان لكم بلاء وتمحيصا ، ويوم سولاف كان عقوبة وتكالا» خ/٥ (الديوان) .

ولا تختلف الزايات التي يصفون بها اصحابهم من الخوارج عن تلك الصفات المألوفة التي عرفناها في شعرهم . فهم الذين اكلت الارض ركبهم وايديهم وانوفهم وجباههم من كثرة السجود ، وهم الذين هزلت اجسادهم من مواصلة الصيام ، وهم الذين انحنى اصلابهم على تلاوة القرآن (٤٢) . كما تعود الينا صراحة قطري - التي عرفناها في شعره - حين يمتدح قادة خصومه العسكريين ، فينعتهم بالجود والفروسية والبطولة ، ويقول في خصمه اللدود المهلب بن ابي صفرة : «فهو الليث المبرّ والثعلب الرواغ والبلاء المقيم» (٤٣) . ولعله في مدحه لهم انما اراد ان يمدح نفسه بشكل غير مباشر .

وقد يجد الخطيب في الخطبة مجالا لتوضيح فكرته للناس وتحديد موقفه منهم . فعبد الله بن يحيى يحدد دستور الاباضية ، فيقول : «الاسلام ديننا ، ومحمد نبينا ، والكعبة قبلتنا ، والقرآن إمامنا» وانهم يطئون ما أحلّ الله ويحرّمون ما حرّم . ثم يطلع علينا باجتهاداته الخاصة ، التي يخالف بها آراء جمهور المسلمين من غير الخوارج ، وذلك حين يرمي الزاني والسارق وشارب الخمر بالكفر (٤٤) .

وخطباء الخوارج غالبا ما يتخذون من خطبهم اداة حرب اعلامية يشنونها على خصومهم - الاحياء منهم والاموات . فقد وزعوا التهم جزافا على كل من خالفهم من المسلمين . فعثمان رموه بما رماه به اسلافهم من الثوار الذين حاصروه وقتلوه (٤٥) . وعلي كفتروه لقبوله التحكيم (٤٦) ، ثم زعموا انه لم يبلغ من الحق قصدا ولا رفع له منارا (٤٧) . وتبلغ حملتهم الاعلامية ذروتها حين يجيء دور بني امية . فقد اصابوهم بأشنع التهم ، واستعملوا ضدّهم اقسى العبارات الجارحة . فمعاوية لعين رسول الله وابن لعينه اتخذ عباد الله اماء وعبيدا ، كما اتخذ دينه عوجا وفسادا . والذين جاؤوا بعده من خلفائهم كانوا فساقا ، يأكلون الحرام ويشربون الحرام ويلبسون الحرام . ويلخص ابو حمزة رأيه بالامويين ، فيقول : «واما بنو امية ففرقة ضلالة ، بطشهم بطش جبرية ، يأخذون بالظنّة ويقضون بالهوى ، ويقتلون على الغضب ، ويحكمون بالشفاعة ، ويأخذون الفريضة من غير موضعها ويضعونها في غير اهلها» (٤٨) . واما الشيعة فيرمونهم بالافتراء

٤٢ - خ/٢٣ (الديوان) .

٤٣ - خ/٢١ (الديوان) .

٤٤ - خ/١٦ (الديوان) .

٤٥ - خ/١٩ (الديوان) .

٤٦ - خ/١٤ (الديوان) .

٤٧ - خ/٢٣ (الديوان) .

٤٨ - خ/٣ ، ٢٣ (الديوان) .

والكذب (٤٩) ، وبأنهم اهل فتنة يعتقدون الرجعة الى الدنيا «ويؤمنون بالبعث قبل الساعة ، ويدعون علم الغيب لمخلوق لا يعلم احدهم ما في داخل بيته ، بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبه او يحويه جسمه» (٥٠) . ولا يسلم من مزاعمهم اهل المدينة الذين يرونهم قد ضعف الدين في نفوسهم ، وبأنهم لم يلتزموا بسيرة اسلافهم ، فكانوا بذنك بس خلف لخير سلف (٥١) .

اما لجهة الاسلوب والصيغة اللفظية ، فنلمح في خطب الخوارج الخصائص التالية :

- يبدأ الخطيب - احيانا - بالحمدلة او بآية من القرآن على الطريقة الاسلامية المألوفة (٥٢) . وقد يختمها بآية قرآنية (٥٣) او بالاستغفار والانابة الى الله (٥٤) او بالتأكيد على غرض الخطبة كما هي الحال في اكثر الاحيان .
- تغلب على خطبهم الشعارات الاسلامية والمعاني القرآنية ، التي يأتون بها اما لدعم موقفهم واثبات صحة دعواهم ، وإما لتحريك مشاعر سامعيهم (٥٥) .
- قد يمهّد الخطيب لغرض الخطبة الاساسي بنبذة تاريخية يصور بها حال المسلمين بأسلوب قصصي ، وذلك لتهيئة اذهان السامعين لقبول ما سيعرض عليهم او مقدمة للانقضاض على خصومهم (٥٦) .
- تغيب الحجة وينعدم البرهان في بعض آرائهم الاجتهادية ، وذلك في مثل قول امام الاباضية عبد الله بن يحيى : «من زنا فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، ومن شك في انه كافر فهو كافر» (٥٧) . بينما لا نجد فيما تبقى من خطبته منا يدعم به تهمه في توزيع الكفر على الفاسقين .
- وقد يلجأ بعضهم الى لغة التهديد والوعيد ، كما فعل ابو حمزة حين قال لاهل المدينة : «وانتم يا اهل المدينة ان تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده او بأيدينا» (٥٨) .
- ونجد خطيب الخوارج ابا حمزة الخارجي يعمد الى استثارة عواطف سامعيه في رسم لهم صورا مؤثرة لقتلى الخوارج ، فيقول : «فكم من عين في منقار طائر ،

٤٩ - خ/٣١ (الديوان) .

٥٠ - خ/٢٥ (الديوان) .

٥١ - خ/٢٥ (الديوان) .

٥٢ - خ/١٩ ، ٢٣ ، ٣١ (الديوان) .

٥٣ - خ/٣ ، ٢٩ (الديوان) .

٥٤ - خ/١٦ ، ٢٤ (الديوان) .

٥٥ - خ/٣ ، ٨ ، ٣٤ (الديوان) .

٥٦ - خ/١٩ ، ٢٣ ، ٢٥ (الديوان) .

٥٧ - خ/١٦ (الديوان) .

٥٨ - خ/٢٤ (الديوان) .

طلما بكى صاحبها من خشية الله ، وكم من يد ابينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راعها ساجدا» (٥٩) . وقد يفلت لجام لسانه ، فيقول بعصبية حادة وانفعال ظاهر في هجومه الصاعق على بني أمية : «ثم ولي يزيد بن معاوية ، يزيد الخمر ، ويزيد القرود ، ويزيد الفهود ، الفاسق في بطنه ، المأبون في فرجه ، فعليه لعنة الله وملائكته» (٦٠) .

– تتسم لغة هذه الخطب بالبساطة . فقد جاءت خالية من الصنعة اللفظية ، بعيدة عن التكلف والتعقيد . ولكن نجد في عدد من خطبهم – وبخاصة فسي خطب ابي حمزة وقطري – ميلا الى التأثير في جماهير الناس بأسلوب ادبي فعال ، فيعمدون – حينذاك – الى الجمل القصيرة والسجع والازدواج والموازنة .
– يمكن القول ان أسلوبهم في خطبهم لا يختلف في حال من الاحوال عن الأسلوب المعروف في خطب معاصريهم من اصحاب الفرق الاسلامية اخرى .

رسائل الخوارج :

اما رسائل الخوارج التي وقعنا على عدد محدود منها ، فانها لا تختلف في كثير او قليل عن جوهر خطبهم – غرضا واسلوبا ، الا بما يتطلبه الاطار الخارجي للرسالة . فكتاب المستورد بن علفة الى سيماك الأزدي يصدره قائلا : «من عبد الله المستورد امير المؤمنين الى سيماك بن عبيد الأزدي» (٦١) . والكتبان المتبادلان بين نافع بن الأزرق (٦٢) ونجدة الحنفي (٦٣) مصدران بالبسطة . بينما كتاب ايسن الأزرق (٦٤) الى عبد الله بن الزبير ، والرسائل المتبادلة بين صالح بن المروح (٦٥) وشبيب الخارجي (٦٦) خلت من ذلك او انها سقطت – سهوا – من الرواة . كما يلاحظ ان هذه الرسائل – غالبا – تختتم بعبارة مستوحاة من معاني القرآن او بآية منه ، كقول المستورد في ختام رسالته : «ان الله لا يحب كيد الخائنين» (٦٧) .

٥٩ – خ/٢٤ (الديوان)

٦٠ – خ/٢٣ (الديوان)

٦١ – خ/٣٢ (الديوان)

٦٢ – خ/٣٧ (الديوان)

٦٣ – خ/٣٨ (الديوان)

٦٤ – خ/٣٦ (الديوان)

٦٥ – خ/٧ (الديوان)

٦٦ – خ/٦ (الديوان)

٦٧ – خ/٣٢ (الديوان) . من قوله تعالى : «ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وأن الله لا يهدي

كيد الخائنين» (يوسف ٥٢) .

وتذييل نافع كتابه الى محكمة البصرة (٦٨) : «والسلام على من اتبع الهدى» (٦٩) .
 اما الرسالتان المتبادلتان بين نجدة الحنفي ونافع بن الازرق فتبدوان ذوي
 طابع خاص بالعرض من تبادلهما . فقد كانتا حوارا ومحاجة بين زعيمين من زعماء
 الخوارج - كل واحد منهما يجتهد في القرآن ، ثم يخرج منه برأي مخالف
 لصاحبه ، مدعم بآيات من كتاب الله . فنجدة في كتابه لنافع يذكره اولاً بماضيه
 الناصع الابيض ، ويبين له كيف استهواه الشيطان واستماله ، ثم يعرض عليه
 القضايا التي يخالفه فيها (٧٠) . ولكن نافعا من جهته لا يسلم بمزاعم نجدة ، فيرد
 عليه ويقارعه الحجة بالحجة والرأي بالرأي والآية بالآية (٧١) . ولعل هاتين
 الرسالتين هما اقدم الوثائق التي بين ايدينا في أوجه الخلافات الاجتهادية بين
 زعماء الخوارج .

وهكذا - مما تقدم - يتبدى لنا ان الخوارج في خطبهم ورسائلهم ، شأنهم في
 ذلك كعهدنا بهم في شعرهم ، يتميزون بالصراحة والقوة ، ويقدمون المعاني على
 الالفاظ . واذا اختاروا العبارات المثيرة والالفاظ الملونة احيانا ، فانما للتأثير بها
 على سامعيهم واستمالتهم لقبول آرائهم ، لا لظهار براعتهم الفنية والكلامية .
 وهم في اكثر نتاجهم الادبي - شعرا ونثرا - يدورون حول فكرة رئيسة
 واحدة يلحون عليها ، الا وهي الخروج في سبيل الله ، لا طمعا في سلطان ، ولا
 سعيا وراء ملك او جاه ، وانما احقاقا للحق وازهاقا للباطل .

٦٨ - خ/٣٥ (الديوان)

٦٩ - طه ٤٧ .

٧٠ - خ/٣٨ (الديوان)

٧١ - خ/٣٧ (الديوان)

ملاحظات توضيحية حول فهرس هذا القسم من الرسالة

- لم اذكر بعض الاعلام التي كثر ورودها في البحث ، ولكني ابقيت على اعلام الخوارج لاهميتها .
- رمزت بالحرف «ح» الى الاعلام التي ورد ذكرها في الحاشية دون المتن .
- لم اجد ضرورة لعمل فهرس خاص بالابيات الشعرية ، لان اكثرها مثبت في ديوان الخوارج .

فهرس الفرق الاسلامية

- ح -	- ا -
البحارنية : ٢٤١ (ح)	الاباضية : ٢٢٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١
الحرارية : ١٩٤	٢٤١ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٨
الحرورية: ١٩ ، ٢٧ ، ٣٤ ، ٧٩ ، ١١٥	٢٩٩ ، ٣٠٠
٢٠٠ ، ١٩٣ ، ١٨٩ ، ١٨٧ ، ١٧٢	الازارقة : ٥٨ ، ١٤٠ ، ١٥٤ ، ١٩٤ ، ٢٠٤
٢٢٣ ، ٢٢٢	٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦
الحفصية : ٢٤١ (ح)	٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٤
- خ -	٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٣
الخازمية ٢٢٧	٢٧٣ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٢٩٤
- ر -	٢٩٥
الراسية : ١٩٤	- ب -
الرافضة : ٢٠٣	البدعية : ٢٢٧ (ح)
الراوندية : ٢٠٧	البيضية : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤١
- ز -	٢٤١
الزيدية : ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١١	- ث -
- س -	الثعالبة : ٢٤١
السبئية : ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧	- ج -
	الجمية : ٢٠٠

الفضيلية : ٢٣٨ (ح)

- ك -

الكيسانية : ٢١١

- م -

المارقة : ١٥ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ١٨٨

١٩.

الحكمة : ١٨٩ - ٢٠٤ - ٢٢٢

المرجئة : ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣

٢١٤

المتزلة : ١٩٧ (ح) ، ٢٠٠ - ٢٠١

٢٠٢ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١٣

- ن -

النجدية (النجدات) : ١٥ - ٢١٦

٢٢ - ٢٢٧ - ٢٢٩ - ٢٣١ - ٢٣٤

٢٤١ - ٢٥١ - ٢٥٢

النواصب : ١٩٤

- و -

الواقفة : ٢٤١ (ح)

الواقفية : ٢٣٢

- ي -

اليزيدية : ٢٤١ (ح)

٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٨٠

- ش -

الشمسية : ٢٣٤ (ح) ، ٢٣٨ (ح)
الشرافة : ١٩٢

الشيعة : ٥٩ - ٧٩ - ١٢١ - ١٢٤ ، ١٢٩ - ١٩٤ - ٢٠٧ - ٢٩٦ - ٢٩٩

- ص -

الصفارية : ١٦٢ - ٢١٦ - ٢٢٠ - ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ - ٢٣٦ - ٢٣٥ - ٢٣٤

٢٤١ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٩٤ - ٢٩٥

- ض -

الضحاكية : ٢٤١ (ح)

- ع -

العجاردة : ٢٤١

العطوية : ٢٢٩ (ح) ، ٢٣١ (ح)

العوفية : ٢٣٤ (ح)

- غ -

الغيلانية : ٢١٤

- ف -

الفنديكية : ٢٣١ (ح)

فهرس الاماكن والقبائل

- ا -

بدر : ٦٠ ، ٢١٠
 براز الروز : ١١٦
 البسوس : ٢١
 بنو بكر وائل : ٢١ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٥٦ ،
 ١٦٤ ، ١٧٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧
 بهر سير : ١١٨ ، ١١٩ ، ١٦٩
 بيت المقدس : ١١٠

- ت -

تبوك : ٦٤ ، ٢٠٨
 تغلب : ٢١ ، ٦٨ (ح)
 بنو تميم : ١٤ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٥٦ ،
 ٧٧ ، ١٣٥ ، ٢٥١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧
 تهامة : ١٣٣
 توج : ١٢٩
 تيماء : ٣٥
 بنو تيم الرباب : ١١٧ ، ١٤٨
 بنو تيم اللات بن ثعلبة ١٧٧ (ح)

- ث -

الثوير : ١٤٧

أسك : ١٢٩
 آمد : ١٦٣
 اباض : ١٤٦ ، ٢٣٨
 أذربيجان : ٧١ ، ١٦٤ ، ١٦٦
 أذرح : ٨١ ، ٩٦ ، ٩٧
 أذرعان : ٣٧
 أرمينية : ١٤٤
 أرجان : ١٤٤ ، ١٤٥
 الأزد : ٢٣ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٣٥ ،
 ١٤١ ، ١٤٧ ، ٢٧٨ (ح)
 أشجع : ١١٥
 أصبهان : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٧
 اصطخر : ١٤٥ ، ١٦٢
 الأنبار : ١٠٢ ، ١١٠ ، ١٦٧
 الأندلس : ٢٣٣
 الأوس : ٣٦

- ب -

بانقيا : ١٢٠
 بجيلة : ١٧ ، ٢٧ ، ١١٩
 البحرين : ١٢٣ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
 ١٧٦

- ج -

جبئل : ١٧٧ (ح)
جرجرايا : ١٠٢ ، ١١٨ ، ١٦٥ ،
الجزيرة : ٦٥ ، ١٤٤ ، ١٦٣ ، ١٧٦ ،
١٧٩
الجنند : ١٨٣
جندسابور : ١٢٥
جوخي : ١٠٢ ، ١١٩ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ،
١٦٥ ، ١٦٧
جيرفت : ١٥٩

- ح -

بنو الحارث بن كعب : ٣٦ ، ١١٩
الحيشة : ٣٩
الحجاز : ٤٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٢ ،
١٨٢
حجر : ١٤٩
الحديبية : ٦٠ ، ٨٧
حروراء : ١٩ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٥٧ ،
٧٩ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٨٨ ،
١٨٩ ، ٢٥٧
الحضارم (حضر موت) : ١٤٦ ، ١٤٨ ،
١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣
حلوان : ١٢٠ ، ١٦٩
حمص : ٨٣
حمير : ٣٦
بنو حنيفة : ٢٣ ، ٢٦
الحيرة : ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ،
١٧٧ (ح) ، ١٧٨

- خ -

خانقين : ١٦٥
خثعم : ٦٨
خراسان : ٢٤ ، ١٢٢ ، ١٤٢ ، ١٦١ ،
٢٣٣
الخزرج : ٣٦
خم : ٢٠٨
خيبر : ٣٨

- د -

دارا : ١٦٣
الدسكرة : ١٦٤
دوققاء : ١٦٦ ، ٢٦٩
دوغان : ١٦٣
دولاب : ١٤٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧
دومة الجندل : ٧٦ ، ٨١ ، ٩٦

- ذ -

ذات السلاسل : ٢١٣
ذبيان : ٢١
ذو المجاز : ١٤٧

- ر -

راذان : ١٦٤
بنو راسب : ٧٧
رأس عين : ١٧٩
رامهرمز : ١٠١ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ،
بنو ربيعة : ٢٣ ، ٢٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ١٣٥ ،
١٦٣ ، ١٧٨
الرقعة : ١٧٩
الرميلة : ٥٨
الري : ١١٧ ، ١٤٥ ، ١٦٩

- ز -

زرارة : ١٢٠
زنجبار : ٢٣٩
بنو زهرة : ٤١

- س -

ساباط : ١١٠ ، ١٤٥
سابور : ١٤٥ ، ١٥٧
بنو ساعدة : ٢٣
السبخة : ١٦٦
سجستان : ١٤٨ ، ١٦١ ، ١٧٧ (ح) ،
١٨٠
بنو سعد : ١٦ ، ٥٧ ، ٦٣
السقيفة : ٢٠٧

الفساسنة : ٦٦
بنو غفار : ٤١

- ف -

فدك : ٣٥
فلسطين : ٨١ (ح) ، ١١٠

- ق -

القادسية : ٣٩ ، ٧١
قديد : ٢٨ ، ١٨٢
قريش : ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ،
٢٦ ، ٣٩ ، ٨٢
بنو قريظة : ٣٦ ، ٣٧
قضاة : ٢٣
القطيف : ١٤٧
قم وقاشان : ١٦٩
قومس : ١٥٩ ، ١٦١
قينقاع : ٣٦ ، ٣٧

- ك -

كازرون : ١٥٧
كاظمة : ١٤٨
كربلاء : ٩٥ ، ١٣٣ ، ٢١١ (ح)
الكرخ : ١٦٦
نرمان : ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ،
١٨٠ ، ١٥٩
بنو كعب بن ربيعة : ١٤٧
كفرتوثا : ١٧٨ ، ١٧٩
بنو كنانة : ٣٦
كندة : ٢٣ ، ٣٦ ، ٦٧ ، ٦٩

- ل -

لحج : ١٨١

- م -

ماسبدان : ١٠٢
بنو مخزوم : ٤١
المدائن : ٤٥ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٢ ، ١١٠ ،

سلى : ١٤٢ ، ١٤٤ ، ٢٩٨ (ح)
بنو سلمى بن عبد القيس : ١١٨
السند : ١٤٨
السوس : ١٤٤
سولاف : ١٤٢ ، ١٤٦ ، ٢٩٨ (ح)

- ش -

شهرزور : ١٠٣ ، ١١٥
بنو شيبان : ١٦٤

- ص -

الصراة : ١١٨
صفين : ١٢ ، ١٥ ، ١٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ،
٣٤ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٩ ،
٨١ ، ٨٣ ، ٩٩ ، ١١٤ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ،
١٩٧ ، ٢٠٥
صنعاء : ٤٩ ، ١٤٨ ، ١٨١ ، ١٨٣

- ض -

نو ضبيعة : ١٢٤

- ط -

الطائف : ١٤٨ ، ٢٦٦ (ح)
طبرستان : ٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٥
طوبلج : ١٤٨
طليء : ٦٧

- ع -

اعاقول : ١٤٣
بنو عبد شمس : ٦٦
بنو عبد قيس : ٢٣ ، ١٢٧ ، ١٤٧ ، ٢٥١
عبس : ٢١
عرنة : ١٧
بنو عقيل : ٢٧٨ (ح)
عمان : ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٣٩

- غ -

غدير خم : ٢٠٨

النهران : ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ،
٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٥ ،
٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
٢٤٩ ، ١٦٥

- ه -

بنو هاشم : ٦٦ ، ٢٢٠ ،
بنو هذيل : ٤١ ،
همدان : ٥٨ ، ٦٧ ، ٧٩ ، ١٧٠ ،
الهند : ١٧٦

- و -

وادي القرى : ٣٥ ، ١٨٢ ،
واسط : ١٧٦ ، ١٧٨

- ي -

يثرب (المدينة) : ٥٠ ، ٥١ ، ١١٥ ، ١٣٤ ،
١٥٦ ، ٣٠٠ ،
بنو يشكر : ٧٩ ، ١٧٤ ،
اليمامة : ٢٦ ، ٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ،
١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٨٢

١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،
١٩٦ ، ٢٩٤ ،
المديج : ١٦٤ ،
المزار : ١٠١ ، ١١٩ ،
مذحج : ٦٧ ،
مراد : ٧٧ ،
مسكن : ١٢٥ ،

مصر : ٤٩ ، ٥٠ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٣٦ ،
١٧٩

مضر : ٥٢ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ١٣٥ ،
مكة : ١١٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٨ ،

١٥٦ ، ١٨١ ،
مناذر الصفري : ١٤٣ ،

المناذرة : ٦٦ ،
مؤته : ٢١٣ ،

الموصل : ١٤٤ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
١٧٦ ، ١٧٨

- ن -

نجد : ١٨ ،
نجران : ١٤٩ ،
النخيلة : ٩٦ ، ٩٧ ، ١١٦ ،
نصيبين : ١٧٩ ،
بنو النضير : ٣٦ ، ٣٧

فهرس اسماء الاشخاص

- ١ -

- أبو العيزار : ٢٩٦
 أبو القاسم : ١٤٧
 أبو قتادة : ٩٣
 أبو لهب : ٢١٦
 أبو ليلى الخارجي : ١١٧
 أبو مريم السعدي : ٩٤ ، ١٠٣
 أبو المصك الطائي : ٢٧٩
 أبو موسى الأشعري : ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ،
 ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٢ ،
 ٨٤ ، ١٠٦ ، ١٩٥ ، ٢٠٥
 أبو نوح الحميري : ٦٨
 أبو الوازع الراسبي : ١٣٩ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥٨ ، ٢٩٣ (ح) ، ٢٩٤ ، ٢٩٨
 الأحنف بن قيس : ٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤٤
 أخت حازوق : ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٦٦ (ح) ،
 ٢٦٨
 ادريس الأباضي : ٢٤٠ (ح)
 أسامة بن زيد : ٦٢ (ح)
 أسلم بن زرعة الكلابي : ١٢٩ (ح)
 أسماء بنت أبي بكر : ١٣٣ ، ١٥٣
 الأشتر بن مذحج : ٥٢ ، ٦٧ ، ٧٠ ،
 ٧٢ ، ٧٦
 أشرس بن عوف : ٩٤ ، ١٠٢
 الأشعث بن عبد الله بن الجارود : ١٧٥
 الأشعث بن قيس الكندي : ٢٥ ، ٢٦ ،
- أباض بن عمرو : ٢٣٨
 أبرهة بن الصباح : ١٨١ ، ١٨٢
 أبراهيم بن الأشتر : ١٤٦
 ابن أبي مياس المرادي : ١٠٥ ، ٢٦٣ (ح)
 ابن أسود : ٤٨
 ابن حوشب : ١٤٥
 ابن كيسان (أبو بكر الأصم) : ٢١٣
 أبو اسحاق السبيعي : ٢٥٠
 أبو الأعور السلمي : ٦٨ (ح)
 أبو أيوب الأنصاري (خالد بن زيد) : ٩٢ ،
 ٩٣
 أبو بيهس : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣
 أبو جعفر المنصور : ٢٠٧
 أبو حزابة : ٢٥٣
 أبو خالد القناني : ٢٥٠ ، ٢٦١ ، ٢٧٦
 أبو ذر الغفاري : ٤١
 أبو سعيد الخدري : ٦٢ (ح) ، ١٨٨
 أبو سفيان : ١٨ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ١١٣ ،
 ١٢١ ، ٢٠٩
 أبو سنان (حر بن وائل) : ٢٣٠
 أبو طالوت (سالم بن مطر) : ١٣٨ ، ١٤٦ ،
 ١٤٧ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨
 أبو علي (مولى بني الحارث) : ١١٩ .

٢٥٠ ، ٢٨٤
 الجراح بن سنان الاسدي : ١١١
 جرير : ٢٥٣
 الجزل بن سعيد الكندي : ١٦٥
 حمد : ٧٧
 الجعدي بن ابي صمام الذهلي : ٢٤٨ (ح)
 ٢٦٩ ، ٢٧٠ (ح)
 جعفر بن ابي طالب : ٢١٣
 جهيزة (ام شبيب) : ٦٦ (ح)
 الجون بن كلاب الشيباني : ١٨٠ ، ٢٩٥

- ح -

الحارث بن جعونة العامري : ١٦٣
 الحارث بن عبد الله (القباع) : ١٤١
 انحارث بن عميرة الهمداني : ١٦٤ ، ١٦٥
 الحارث بن مرة العبدي : ٩٢
 انحارثة بن بدر الغداني : ١٤٠
 حبيب بن خدره الهلالي : ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٩٥
 ٢٧٠ ، ٢٧٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٥
 حبيب بن عبد الرحمن الحكمي : ١٦٧
 حبيب بن مسلمة الفهري : ٦٨ (ح)
 الحجاج بن باب الحميري : ١٤٠ ، ٢٦٦ (ح)
 الحجاج بن عبد الله الصريمي (البرك) : ٧٨
 حجر بن عدي : ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٠٥ (ح) ، ١١٣
 حرقوص بن زهير السعدي : ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٧ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٦٣ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٢٤٩
 حسان بن بجرج : ١٣٨
 حسان بن جعدة : ٢٦٩
 الحسن البصري : ٨٠ ، ١٩٧
 الحسن بن علي : ٥٠ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢١
 الحسين بن علي : ٥٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٩٧ (ح)
 الحصين بن حفص السعدي : ٢٤٧ (ح)
 الحصين بن نمير السكوني : ١٣٤
 حطان الأعسر : ٢٤٧ (ح)
 الحكم بن ابي العاص : ٤٠
 حمران بن ابان : ١٢٢
 حمزة بن سنان الاسدي : ٢٧ ، ٨٩ ، ٩٣

٢٧ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، ١٨٩ ، ٢٠٩
 الأشهب بن بشر البجلي : ١٠٢
 الأعرج المعني : ٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٢٨٤
 الأقرع بن حابس : ١٤ (ح) ، ١٨
 أم البرذون الصفرية : ٢٥٠
 أم حكيم : ٢٥٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩
 أم سنان الصيداوية : ٩١
 أم عمران الراسبي : ٢٥٠ ، ٢٦٦ (ح) ، ٢٦٨
 أم فروة : ٧٠
 أمية بن عبد الله : ١٤٩

- ب -

البراء بن قبيصة : ١٦٩ ، ١٧٠
 بسر بن ارطاة : ٦٧ ، ١٢٢
 بسطام (شوذب) : ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢٦٩
 بسطام البيهسي : ١٧٨
 بشر بن مروان : ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥
 بكير بن هارون البجلي : ٢٤٧ (ح) ، ٢٩٣ (ح)
 بلج السقوري : ١٨١
 البلجاء : ١٩٧
 بهلول بن بشر الشيباني (كثارة) : ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٧٤ (ح) ، ٢٧٥
 بيهس بن صهيب : ٢٤٨ (ح) ، ٢٥١ ، ٢٦٧ ، ٢٨٣

- ث -

ثابت التمار : ١٤٩ ، ٢١٦
 ثابت الخارجي : ٢٤٧ (ح)
 ثابت قنطة : ٢٤٦

- ج -

جابر البجلي ١١٧
 جابر بن زيد : ٢٣٨ ، ٢٤٢
 جدار : ١٢٧
 الجديعاء (زوجة ابي حمزة المختار) :

ربيعة الاجذم : ١٤٠
رجاء النميري : ١٣٦
الرشيد : ٢٥٠
الرهين المرادي : ٢٥٣ ، ٢٤٩
رؤية الضبيعي : ١٢٤
الريثان بن عبد الله الشكري : ٢٦٦ (ح)

- ز -

زائدة بن قدامة الثقفي : ١٦٥
الزبير : ٥٠ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
٦٥ ، ١٣٧ ، ٢١٠ ، ٢٢٥
الزبير بن الماحوز : ١٤٠ ، ١٤٥ ، ٢٢١ ،
٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ (ح)
زحاف الطائي : ١٢٤
زرعة بن البرج الطائي : ١٦ ، ٨٩
زياد الأعجم : ٢٨٢
زياد الأعسم : ٢٤٨ (ح) ، ٢٥١
زياد بن ابي سفيان : ٥٩ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ،
١٥٦ ، ٢٩٦
زياد بن الأصفر : ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧
زياد بن خراش العجلي : ١٢٥
زياد بن خصفة : ١٠١
زيد بن ثابت : ٦٢ (ح)
زيد بن جندب : ٢٥١ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ،
٢٩٥
زيد بن حارثة : ٢١٣
زيد بن الحصين الطائي : ٣١ ، ٥٦ ،
٧٤ ، ٧٦ ، ١٠٢
زيد الخيل : ١٤ (ح)

- س -

سالم بن ابي الجعد الأشجمي : ٢٤٧ (ح) ،
٢٥٠
سالم بن ربيعة : ٩٤
سالم مولى حذيفة : ٢١٢ ، ٢١٤
سعد بن وقاص : ٣٩ ، ٤٠ ، ٦٢ (ح) ،
٧١
سعد بن عبادة : ٢٣ ، ٢١١
سعد بن مسعود : ١٠٣
سعد الطلائع : ١٥٤
سعيد من بني محارب غيلان مضر : ٧٨

حمزة بن عبد الله بن الزبير : ١٤٧
حمزة بن المغيرة : ١٦٩ ، ١٧٠
حنظلة بن بيهس : ١٣٨ ، ٢٢١
حوثرة بن وداع الاسدي : ١١٦
حوثرة الازدي : ٢٤٧ (ح)
حوثرة الخارجي : ١٩٦
الحويرث الراسبي : ٢٧٣
حيان بن ظبيان : ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ،
٢٦٧ ، ٢٩٣ (ح)
حيي بن وائل : ٢٤٧ (ح) ، ٢٥١

- خ -

خارجة : ٢٠٥
خالد بن جزء السلمي : ١٦٣
خالد بن عبد الله بن أسيد : ١٥٢ ، ١٥٣
خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي : ١٦٧
خالد بن الوليد : ١٤ (ح)
خالد بن يزيد : ١٣٤
خالد القسري : ١٧٦ ، ١٧٧ (ح)
خديجة بنت خويلد : ١٣٣
الخيريت الناجي : ٢٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ،
١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢
الخطيم الباهلي : ١٢٢ ، ١٢٣ ،
الخيربي الشيباني : ١٧٩ ، ٢٤٨ (ح) ،
٢٨٣

- د -

داود بن عقبة العبدي : ١٧١ (ح) ، ٢٤٩
داود بن قحذم : ١٥٤
دعامة الشيباني : ١٧٧

- ذ -

ذو الثدية : ١٧ ، ١٨
ذو الخويصرة : ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩٠ ،
١٩٣
ذو الكلاع الحميري : ٦٨

- ر -

راشد الطويل : ٢٢٧

شيبان بن سلمة الحروري : ١٧٩

- ص -

- صالح بن شفيق المرادي : ٧٧ ، ٢٤٧ (ح)
صالح بن عبد الرحمن : ٢٤٢
صالح بن مخراق العبدي : ١٥٤ ، ١٥٩ ،
٢٢١
صالح بن السرح : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
٢١٦ ، ٢٤٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ (ح) ،
٣٠١
صبيح (مولى سوار بن الاسعر المازني) :
١٧٧ (ح) ، ٢٢٢
صبيغ : ٥٤
الصحاري بن شبيب : ١٧٧ (ح) ، ٢٥١ ،
٢٥٨ (ح)
صعصعة بن صوحان : ١١٨
صفية بنت عبد المطلب : ١٣٣

- ض -

- الضحاك بن قيس الشيباني : ٢٨ ،
١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٦٦ (ح) ،
٢٧٠ ، ٢٩٦

- ط -

- الطرماح : ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ،
٢٧٤ (ح) ، ٢٧٧ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ،
٢٩١ ، ٢٩٦
طلحة بن الزبير : ٥٠ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
٦٤ ، ٦٥ ، ١٣٧ ، ٢١٠ ، ٢٢٥ ،
طواف بن غلاق : ١٢٧

- ع -

- عائشة : ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
٦٥ ، ٧٤ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٨٨ ،
٢١٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٥
عاصم بن عروة الثقفي : ١٤٨
عامر بن الجراح (ابو عبدة) : ٢١٠ ، ٢١٣ ،
عامر بن ضبارة : ١٨٠
عامر بن الطفيل : ١٤ (ح)

- سعيد بن بهدل الشيباني : ١٧٧
سعيد بن العاص : ٢٤ ، ٣٠
سعيد بن عمرو الحرشي : ١٧٥
سعيد بن قفل التيمي : ١٠٢
سعيد بن المجالد الهمداني : ١٦٥
سفيان بن الأبرد : ١٦١ ، ١٦٧
سفيان بن ابي العالية الخثعمي : ١٦٤
سفيان بن عمرو العقيلي : ١٧٥
سفيان الثوري : ٢٧٥
سلامة بن سيار الشيباني : ١٦٤ ، ٢٥١ ،
٢٦٠

- سليم بن مخدوج العبدي : ١١٨
سليمان بن صرد : ٨٠
سليمان بن عبد الملك : ١٧٢
سليمان بن هشام بن عبد الملك : ٢٨ ،
١٧٨ ، ١٨٠
سماك بن عبيد الازدي : ١١٨ ، ١٢٠ ،
٣٠١
سمرة بن جندب : ١٢٤ ، ١٢٧ ،
سمرة بن الجعد : ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٦١ ،
٢٦٢ ، ٢٧٩
سهل بن حنيف : ٦٤ ، ١٠١
سهم بن غالب : ١٢٢
سودان بن حمران المرادي : ٥٠ ، ٥١
سورة بن ابجر التيمي : ١٦٥
سويد بن عبد الرحمن السعدي : ١٦٦ ،
١٦٩

- ش -

- شيث بن ربيعي التيمي : ٢٧ ، ٧٩ ، ٩٣ ،
شبيب بن بجرة : ١٠٣ ، ١١٦
شبيب بن يزيد الحروري : ١٥٧ ، ١٦٣ ،
١٦٤ ، ٢٤٨ (ح) ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ،
٢٥٢ ، ٢٨١ ، ٢٩٣ (ح) ، ٣٠١
شبيب بن عزرة الضبيعي : ٢٤٨ (ح) ،
٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٩٥
شريح بن اوفى العبسي : ٢٧ ، ٥٢ ،
٥٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٢٤٨ (ح) ،
٢٤٩
شريح بن هانيء : ١٠٣
شريك بن الأعور : ١١٩
شمّر بن عبد الله الشكري : ٢٦٦ (ح)

عبد الله الطائي : ٩٤
عبد الله بن عامر بن كريز : ٤٠ ، ١١٠ ، ١٢٢
عبد الله بن عباس : ٢٥ ، ٢٨ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٦ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٣٣ ، ١٤٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩
عبد الله بن عقبة الغنوي : ١٢٠
عبد الله بن عمر بن الخطاب : ٥٩ ، ٦٢ (ح) ، ٨٢ ، ٨٤ ، ١٣٣ ، ١٤٨
عبد الله بن عمر بن عبد العزيز : ٢٨ ، ١٧٨
عبد الله بن عمرو بن العاص : ٦٨ (ح)
عبد الله بن عمرو بن غيلان : ١٢٧
عبد الله بن عمير الليثي : ١٤٧
عبد الله بن عون (عوف) الاحمر : ١١٦ ، ١٩٦
عبد الله بن الكواء الشكري : ٢٧ ، ٥٦ ، ٧٩ ، ٩٣
عبد الله بن الماحوز : ٢٢١
عبد الله بن مروان بن محمد : ١٧٩
عبد الله بن مسعود : ٣١ ، ٤١ ، ٦٧
عبد الله بن معبد الجرمي : ١٨٣
عبد الله بن وهب الراسبي : ٢٧ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٣٥ ، ٢٤٨ (ح) ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣ (ح) ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧
عبد الله بن يحيى الكندي : ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ (ح) ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٩٣ (ح) ، ٣٠٠
عبد المطلب بن هاشم : ٦٦
عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي : ١٨٢
عبد الواحد الاسدي : ٢٥١
عبد الواحد بن سليمان : ١٨١
عبيد الله بن زياد : ١٢٧ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٩٨ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦
عبيد الله بن عباس : ١١١
عبيد الله بن عمر بن الخطاب : ٣١ ، ٦٨ (ح)
عبيد الله بن الماحوز : ١٤٠ ، ١٤١

عبد المعافري : ١٧٧ (ح)
عبد بن علقمة المازني : ١٢٩
العباس بن عبد المطلب : ٢٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩
عبد الحميد بن عبد الرحمن : ١٧٣ ، ١٧٥
عبد ربه الصغير : ١٥٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢
عبد ربه الكبير : ١٥٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد : ٦٨ (ح)
عبد الرحمن بن سمرة : ١٦١
عبد الرحمن بن عثمان بن ربيعة : ١١٩
عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث : ١٥٤
عبد الرحمن بن مختف : ١٥٧
عبد الرحمن بن ملجم : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ٢٠٥ ، ٢٢٥ ، ٢٥٤ ، ١٧٧
عبد الرعيني : ١٧٦
عبد العزيز بن عبد الله بن اسيد : ١٥٤
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : ١٨٢
عبد الله بن اباض : ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩
عبد الله بن ابي الحوساء : ١١٥
عبد الله بن بديل : ٣١ ، ٦٧
عبد الله بن ثور (ابو فديك) : ١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢٢٧ ، ٢٣١
عبد الله بن جعفر بن ابي طالب : ٧٧
عبد الله بن الحارث القرشي : ١٣٩ ، ١٤١
عبد الله بن حرس : ٤٨
عبد الله بن حكام : ٢٨٨
عبد الله بن خازم السلمي : ٢٦١
عبد الله بن الخباب : ٧٧ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٨
عبد الله بن سبأ : ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ١٩٣
عبد الله بن السخبر : ٢٩٣ ، ٢٩٥
عبد الله بن سعد بن ابي سرح : ٤٠
عبد الله بن سعيد الحضرمي : ١٨١
عبد الله بن سلام : ٣٨
عبد الله بن صفار : ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦

١١٧ ، ١١٤ ، ١٠٣ ، ٨٢ ، ٨١ ،
 ٢٥٧ ، ٢١٣ ، ٢٠٥ ، ١٩٥
 عمرو بن عمير العنبري : ٢٢١
 عمرو القنا العنبري : ٢٤٨ (ح) ، ٢٥١ ،
 ٢٧٣ ، ٢٥٣
 عمرو بن معدي كرب المرادي : ١٠٤
 عمرو اليشكري : ١٧٧
 عميرة (زوجة مجاشع) : ٢٥٠
 العنزي : ١٧٧ (ح)
 العيزار الطائي : ٢٨٨
 عيسى بن فاتك : ٢٤٨ (ح) ، ٢٥٣ ،
 ٢٧٢ (ح) ، ٢٨٣ ، ٢٩٠
 عيينة بن بدر : ١٤ (ح)

- غ -

غزالة : ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٢٨١

- ف -

الفأرة بنت طريف : ٢٦٦ (ح)
 الفرزدق التميمي : ٢٥٣ ، ٢٧٦ ،
 ٢٨٧ (ح)
 فروة بن نوفل الاشجعي : ٩٣ ، ١١٥ ،
 ١١٦ ، ٢٤٨ (ح) ، ٢٤٩ ، ٢٦٦ (ح) ،
 ٢٧٢ (ح) ، ٢٧٣ (ح)
 فضالة بن سيار الشيباني : ١٦٤

- ق -

القاسم بن عبد الرحمن بن صديقة :
 ٢٩٦ (ح)
 قدامة السعدي : ١٠٢
 قريب بن مرّة الازدي : ١٢٤
 قطام بنت علقمة التميمية : ١٠٣ ، ١١٧ ،
 ٢٨٥ ، ٢٠٥
 قطري بن الفجاءة : ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ،
 ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ،
 ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
 ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
 ٢٦٦ (ح) ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ،
 ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ (ح)
 ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠١

١٤٢ ، ١٤٤ ، ٢٢١ ، ٢٩٤
 عبدة بن قبيص : ٢٣٤
 عبدة بن هلال اليشكري : ١٤٠ ، ١٤٥ ،
 ١٥٩ ، ١٦١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٤٨ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ (ح) ،
 ٢٦٩ ، ٢٩٣ (ح) ،
 عتاب بن ورقاء الرياحي : ١٤٥ ، ١٥٤ ،
 ١٥٧ ، ١٦٧
 عثمان بن وصيلة الشيباني : ٢٤٨ ، ٢٨٧
 عثمان بن حيان المزني : ٢٣١ (ح)
 عثمان بن عبيد الله بن معمر : ١٤١
 عثمان بن الماحوز : ٢٢١
 عدي بن زياد : ١٦٩ ، ١٧٠
 عدي بن عدي الكندي : ١٦٣
 عروة بن أدية : ٢٧ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٢٥ ،
 ١٢٨ ، ٢٧٢ (ح)
 عروة بن المغيرة بن شعبة : ١٦٦
 عطية بن الاسود : ١٣٨ ، ١٤٩ ، ٢٢١
 عطية بن سمرة الليثي : ٢٥١
 عطية الحنفي : ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢٢٧
 عققان : ١٧٥
 عكرمة (مولى ابن عباس) : ١٩٧ ، ٢٤٢
 عمار بن ياسر : ٣١ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ،
 ٦٧ ، ٦٨
 عمارة الطويل : ١٤٧
 عمر بن عبد العزيز : ١٢٦ ، ١٧٢ ،
 ١٧٥ ، ٢٦٦
 عمر بن عبيد الله بن معمر : ١٤١ ، ١٤٥ ،
 ١٥٠
 عمر بن هبيرة : ١٧٥
 عمران بن الحارث الراسبي : ١٤٠
 عمران بن حطان : ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ،
 ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٩ ،
 ٢٧٣ (ح) ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،
 ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ،
 ٢٩٦
 عمرو بن بكر التميمي : ١٠٣
 عمرو بن حريث : ١٥٥
 عمرو بن الحسن الاباضي : ٢٤٨ (ح) ،
 ٢٥٠ ، ٢٥١
 عمرو بن الحصين : ٢٥١ ، ٢٦٦ ،
 ٢٦٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩
 عمرو بن العاص : ٤٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ،

١٣٨ ، ١٩٧ ، ٢١٩ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ (ح) ،
٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ (ح) ،
٢٨٣ ، ٢٩٣ (ح) ، ٢٩٤ ،
مروان بن الحكم : ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥١ ،
مروان بن محمد : ٢٣٨ ، ٢٥٧ (ح) ،
٢٨٣

مروان بن المهلب : ١٧١ (ح)
المستورد بن علفة : ١١٧ ، ١٢٠ ، ٢٩٣ ،
٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ،
مسعر بن فدكي التميمي : ٢٧ ، ٣١ ،
٦٧ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٩٤

مسعود بن ابي زينب العبدي : ١٧٥ ،
مسلم بن عبيس : ١٤٠ ،
مسلم بن عقبة المرّي : ٦٨ (ح) ، ١٣٤ ،
مسلمة بن عبد الملك : ١٧٣ ، ١٧٥ ،
مسيلم الكذاب : ٢٣

مصاد الشيباني : ١٦٥ ، ١٦٧ ،
مصعب بن الزبير : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
١٥١

المطرح بن نجدة الحنفي : ١٤٧ ،
مظرف بن المفيرة : ١٦٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ،
معاذ بن جبل : ٨٤ ،
معاذ بن جوين الطائي : ٢٧ ، ١١٨ ،
١٢٠ ، ١٢٥ ، ٢١٥ ، ٢٤٨ ،

المعارك بن ابي صفرة : ١٤٢ ،
معاوية بن يزيد : ١٣٤ ،
معدان الأيادي : ١٩٢ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ (ح) ،
معقل بن قيس الرياحي : ١٠١ ، ١٠٢ ،
١١٧ ، ١١٩

معمرب بن شعبة : ٢٤٧ (ح) ،
معين بن عبد الله : ١١٧ ،
المفيرة بن شعبة : ٣٩ ، ٦٤ ، ١١٦ ،
١١٧ ، ١٢٣ ، ١٣١ ،
المفيرة بن المهلب : ٢٧ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ،
١٥٥

مقاتل بن مسمع : ١٥٤ ،
المقطل (المقطر) العبدي : ١٥٩ ، ٢٩٥ ،
ملحان بن معروف الشيباني : ١٧٨ ،
ممزوج (مولي بني شيان) : ١٧٤ ،
المنذر بن الجارود : ٢٤٢ ،

المنهال الشيباني : ٢٤٨ (ح) ، ٢٥١ ،
منير بن صخر الراسبي : ٢٧٨ (ح) ،
المهدي : ٢٠٩

قيس بن الاصم الضبي : ٢٤٨ (ح) ،
٢٥١ ، ٢٦٧ (ح) ،
قيس بن سعد بن عبادة : ٩٢ ، ١٠٩ ،
١١٠ ، ١١١ ،
قيس بن همام : ٥٥

- ك -

كحيلية : ١١٧ ،
كعب الازدي : ٧٤ ،
الكميت : ٢٩٦ ،
كثانة بن بشر الليثي : ٥٠ ، ٥١ ،
كهمس بن عثمان الشكري : ٢٤٧ (ح) ،
كيسان (المختار الثقفي) : ٢١١

- ل -

ليلي بنت طريف الشيباني : ٢٤٨ ،
٢٥٠ ، ٢٦٦

- م -

مالك بن أنس : ٢٤٢ ،
مالك بن ربيعة السلولي : ١٧ ،
مالك بن الوضاح : ٢٤٧ (ح) ، ٢٤٩ ،
مالك المزوم : ٢٤٨ (ح) ، ٢٦٧ ، ٢٨٢ ،
٢٨٦ ، ٢٨٨ ،
المثنى بن عمران العائذي : ١٧٨ ، ١٧٩ ،
محارب بن دثار : ٢٤٨ (ح) ، ٢٦٦ ،
محرز بن خنيس : ٨٠ ،
محرز بن هلال الشكري : ٢٢١ ،
٢٦٦ (ح)

محمد بن جرير : ١٧٥ ،
محمد بن حرب : ٢٤٠ (ح) ،
محمد بن الحنفية : ١٣٣ ، ٢١١ ،
محمد بن مروان : ١٥٢ ، ١٦٣ ،
المختار الثقفي : ١٥١ ،
المختار بن عوف الازدي (ابو حمزة) :
٢٦٨ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ (ح) ، ٢٩٤ ،
٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،
مخريق : ٣٨

مرداس بن أدية (ابو بلال) : ٢٧ ،
١١٧ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ،

- ن -

نائلة الكلية : ٦٤

نافع : ١٧

نافع بن الازرق : ٥٥ ، ٥٨ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٩٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٦٣ ، ٢٩٣ (ح) ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢

النجاشي بن الحارث : ٧٤

نجدة الحنفي : ٥٩ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٧ (ح) ، ٢٥١ ، ٢٦٦ (ح) ، ٢٩٣ (ح) ، ٢٩٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٢

نصر بن عاصم الليثي : ٢٣٥ ، ٢٥٠

النضر بن سعيد الحرشي : ١٧٨

النعمان بن صفر : ٢٣٤

- ه -

هارون : ٢٠٨

هشام بن عبد الملك : ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٢٢

هلال بن عثقة : ١٠٢

- و -

واصل بن عطاء : ١٩٦

واقد (مولى آل ابي صفرة) : ١٤٢

وزير السخثياني : ١٧٧ (ح)

الوليد بن طريف الشيبانسي : ٢٥٠ ، ٢٦٦ (ح)

الوليد بن عبد الملك : ٢٣١ (ح)

الوليد بن عقبة بن ابي معيط : ٢٤٠

الوليد بن يزيد بن عبد الملك : ١٧٧

- ي -

يحيى بن كامل : ٢٤٠ (ح)

يحيى بن كرب الحميري : ١٨٣

يحيى بن المختار : ٢٤٧ (ح) ، ٢٥١

يزيد بن الحارث الشيباني : ١٤٥

يزيد بن حبناء : ٢٤٨ (ح) ، ٢٥١ ، ٢٨٢

يزيد بن حصين : ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٩

يزيد بن عبد الملك : ١٧٥ ، ٢٣٥

يزيد بن عمر بن هيرة : ١٧٩

يزيد بن قيس الأرحبي : ٥٠ ، ٥٦

يزيد بن معاوية : ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧

يزيد بن المهلب : ٢٣٤

يوسف بن عمر : ١٧٦ ، ١٧٧ (ح)

يوشع بن نون : ٤٥ ، ٢٠٩

كشاف المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الكتاب المقدس .
- دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية - مواد متفرقة .
- ابن ابي الحديد : عز الدين عبد الحميد المدائني .
 - ١ - شرح نهج البلاغة - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - ط .
 - البابي الحلبي - القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ .
- ابن ابي طاهر : ابو الفضل احمد بن ابي طاهر .
 - ٢ - بلاغات النساء - ط . مصر ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م .
- ابن الاثير : ابو الحسن علي بن محمد الشيباني .
 - ٣ - الكامل في التاريخ - ط . دار صادر ودار بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
 - ٤ - أسد الغابة في معرفة الصحابة - ط . مصر . ١٢٨٠ هـ .
- ابن انس : ابو عبد الله مالك الاصبحي .
 - ٥ - موطأ مالك - تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - ط . مصر ١٢٨٠ هـ .
- ابن تيمية : تقي الدين احمد بن عبد الحلِيم الحرّاني .
 - ٦ - الايمان - تصحيح زكريا علي يوسف - مكتبة أنصار السنة المحمدية - مصر (بلا تاريخ) .

- ٧ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - منشورات
المكتب الاسلامي - دمشق ١٩٦٣ .
- ابن جعفر : أبو الفرج الحافظ قدامة .
٨ - كتاب الخراج - ط. ليدن ١٩٦٥ .
- ابن الجوزي : أبو الفرج الحافظ قدامة بن جعفر .
٩ - سيرة عمر بن عبد العزيز - ط. مصر ١٣٣١ .
١٠ - تلبيس ابليس - مطبعة النهضة - القاهرة ١٣٤٧ هـ /
١٩٢٨ م .
١١ - صفة الصفوة - ط. حيدر آباد - الدكن ١٣٥٥ هـ .
- ابن حبيب : أبو جعفر محمد البغدادي .
١٢ - كتاب المحبر - ط. حيدر آباد - الدكن - الهند ١٣٦١ هـ /
١٩٤٣ م .
١٣ - كتاب أسماء القتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام .
(نسخة مصورة عن مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم
٢٦٠٦ (تاريخ) .
- ابن حجر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي المسقلاني .
١٤ - كتاب الاصابة في تمييز الصحابة - ط. شرف وخانجي -
القاهرة ١٣٢٣ - ١٣٢٥ هـ .
١٥ - تهذيب التهذيب - ط. حيدر آباد - الدكن ١٣٢٥ -
١٣٢٧ هـ .
١٦ - لسان الميزان - ط. حيدر آباد - الدكن ١٣٢٩ -
١٣٣١ هـ .
- ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد الظاهري .
١٧ - كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل ط. القاهرة
١٣١٧ - ١٣٢١ هـ .
١٨ - الرد على ابن النفريلة اليهودي - تحقيق أحسان عباس -
ط. القاهرة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .
١٩ - جمهرة انساب العرب - تحقيق عبد السلام هارون - ط.
دار المعارف - مصر ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .
- ابن حنبل : أحمد بن محمد .
٢٠ - المسند - شرح احمد شاكر - ط. دار المعارف - مصر
١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م - ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .
- ابن خزيمة : محمد بن اسحاق .
٢١ - كتاب التوحيد واثبات صفات الرب ط. مصر ١٣٨٧ هـ /
١٩٦٨ م .

- ابن خلدون : عبد الرحمن .
 - ٢٢ - مقدمة ابن خلدون ط. بيروت ١٩٠٠ م .
 - ٢٣ - العبر وديوان المبتدأ والخبر ط. دار الكتاب اللبناني
 - ١٩٦٦ - ١٩٦٨ م .
- ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس أحمد بن محمد .
 - ٢٤ - وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - ط. القاهرة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ .
- ابن دريد : ابو بكر محمد بن الحسن .
 - ٢٥ - كتاب الاشتقاق - تحقيق عبد السلام هرون - ط. الخانجي القاهرة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .
- ابن سعد : محمد .
 - ٢٦ - كتاب الطبقات الكبير ط. دار صادر - بيروت ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م - ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .
- ابن سيدة : ابو الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي .
 - ٢٧ - كتاب المخصص ط. بولاق - مصر ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م - ١٣٢١ هـ / ١٩٠٤ م .
- ابن شاکر : محمد الكتبي .
 - ٢٨ - فوات الوفيات - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - ط. السعادة - مصر ١٩٥١ م .
- ابن شهر آشوب : رشيد الدين محمد بن علي المازندراني .
 - ٢٩ - مناقب آل ابي طالب - ط. النجف ١٩٥٦ م / ١٣٧٥ هـ .
- ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا .
 - ٣٠ - الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية . ط. اوروبا ١٨٩٤ م .
- ابن عبد الحكم : ابو محمد عبد الله المصري .
 - ٣١ - سيرة عمر بن عبد العزيز ط. الرحمانية - مصر ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م .
- ابن عبد ربه : احمد بن محمد الاندلسي .
 - ٣٢ - العقد الفريد - ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٠ - ١٩٥٣ .
- ابن العبري : ابو الفرج يوحنا غريغوريوس .
 - ٣٣ - تاريخ مختصر الدول ط. بيروت ١٨٩٠ م .
- ابن العزبي : ابو بكر محمد بن عبد الله .
 - ٣٤ - العواصم من القواصم - تحقيق محب الديسن الخطيب - ط. القاهرة ١٣٧١ هـ .

- ابن عساكر : علي بن الحسن الدمشقي •
٣٥ - تهذيب تاريخ دمشق - تهذيب عبد القادر بن أحمد
الدومي . ط . دمشق ١٣٤٩ هـ .
- ابن العماد : ابو الفلاح عبد الحي بن احمد الحنبلي •
٣٦ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب - ط . القاهرة
١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ .
- ابن قتيبة : ابو محمد عبد الله بن مسلم الديوري •
٣٧ - كتاب عيون الاخبار ط . دار الكتب المصرية - القاهرة
١٩٢٥ - ١٩٣٠ .
- ٣٨ - الامامة والسياسة (تاريخ الخلفاء) - تحقيق طه الزيني -
ط . مصر ١٣٧٨ هـ / ١٩٦٧ م .
- ٣٩ - كتاب المعارف - تحقيق ثروت عكاشة - ط . مصر ١٩٦٩ م .
- ٤٠ - الشعر والشعراء - ط . الخانجي - القاهرة ١٣٣٢ هـ .
- ابن الكازروني : ظهير الدين علي بن محمد البغدادي •
٤١ - مختصر التاريخ - تحقيق مصطفى جواد - ط . بغداد
١٣٩٠ هـ .
- ابن كثير : الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي •
٤٢ - البداية والنهاية في التاريخ - ط . القاهرة ١٣٤٨ -
١٣٥٨ هـ .
- ابن ماجة : ابو عبد الله محمد بن يزيد الفزويني •
٤٣ - سنن الحافظ - ط . البابي الحلبي - مصر ١٣٧٣ هـ /
١٩٥٣ م .
- ابن مزاحم : نصر المنقري •
٤٤ - وقعة صفين - تحقيق عبد السلام هرون - ط . القاهرة
١٣٨٢ هـ .
- ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم •
٤٥ - لسان العرب - ط . دار صادر - بيروت ١٩٥٥ م /
١٣٧٤ هـ - ١٩٥٦ م / ١٣٧٥ هـ .
- ابن النديم : محمد بن اسحاق •
٤٦ - الفهرست - ط . خياط - بيروت ١٩٦٤ م .
- ابن هشام : عبد الملك الحميري •
٤٧ - السيرة النبوية - ط . البابي الحلبي - مصر ١٣٧٥ هـ /
١٩٥٥ م .
- ابن الوردي : زين الدين عمر بن مظفر •
٤٨ - تاريخ ابن الوردي - ط . النجف ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

- ابن يوسف : ابو عمرو محمد .
٤٩ - كتاب الولاة وكتاب القضاة - ط . بيروت ١٩٠٨ م .
- ابو زهرة : محمد .
٥٠ - تاريخ المذاهب الاسلامية - ط . دار الفكر العربي - القاهرة (بلا تاريخ) .
- ابو الفداء : الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل .
٥١ - المختصر في اخبار البشر - ط . مصر ١٣٢٥ هـ .
- ابو النصر : عمر .
٥٢ - الخوارج في الاسلام - ط . بيروت ١٩٤٩ .
- ابو يوسف القاضي يعقوب بن ابراهيم .
٥٣ - كتاب الخراج - ط . السلفية - القاهرة ١٣٥٢ هـ .
- الاسفرايني : ابو المظفر عماد الدين .
٥٤ - التبصر في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين . ط . الخانجي - القاهرة ١٩٥٥ .
- الاشعري : ابو خلف سعد بن عبد الله .
٥٥ - كتاب المقالات والفرق - ط . طهران ١٩٦٣ .
- الاشعري : ابو الحسن علي بن اسماعيل .
٥٦ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - ط . النهضة المصرية - القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- ٥٧ - كتاب الابانة (الرسائل السبع في العقائد) - ط . حيدر اباد - الدكن ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .
- ٥٨ - كتاب اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع - ط . بيروت ١٩٥٢ م .
- الاصبهاني : الحافظ ابو نعيم احمد بن عبد الله .
٥٩ - حلية الاولياء وطبقات الاصفياء - ط . السعادة - مصر ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م - ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .
- الاصفهاني : ابو الفرج علي بن الحسين .
٦٠ - الاغانى - ط . دار الثقافة - بيروت ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .
٦١ - مقاتل الطالبين - تحقيق احمد صقر - ط . البابسي الحلبي - القاهرة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م .
- امير علي : مولاي سيد .
٦٢ - مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي - ترجمة رياض رافت - ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٣٨ م .

- أمين : أحمد .
٦٣ - فجر الاسلام - ط . النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٥ .
- الامين : السيد محسن عبد الكريم .
٦٤ - أعيان الشيعة - ط . الانصاف - بيروت ١٣٨٠ هـ /
١٩٦٠ م .
- الابيجي : عبد الرحمن .
٦٥ - شرح على كتاب المواقف للجرجاني - ط . اسطنبول
١٢٨٦ هـ .
- الباقلازي : ابو بكر محمد بن الطيب .
٦٦ - التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج
والمعتزلة - ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة
١٩٤٧ م / ١٣٦٦ هـ .
- ٦٧ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به - تحقيق
عزت العطار الحسيني - ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م .
- البخاري : ابو عبد الله محمد بن اسماعيل .
٦٨ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني -
ط . البابي الحلبي - مصر ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .
- البشبيشي : محمود .
٦٩ - الفرق الاسلامية - ط . الرحمانية - مصر ١٣٥٠ هـ /
١٩٣٢ م .
- البصير : محمد مهدي .
٧٠ - عصر القرآن - ط . المعارف - بغداد ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .
- البغدادي : ابو منصور عبد القادر بن طاهر .
٧١ - مختصر كتاب الفرق بين الفرق - ط . الهلال - القاهرة
١٩٢٤ م .
- ٧٢ - كتاب أصول الدين - ط . اسطنبول ١٩٢٨ م .
- البغدادي : عبد القادر بن عمر .
٧٣ - خزنة الادب ولب لباب لسان العرب - ط . بولاق القاهرة
١٢٩٩ هـ .
- البكري : ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز .
٧٤ - سمط الآلئ - ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر -
القاهرة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م .
- البلاذري : ابو الحسن احمد بن يحيى .
٧٥ - انساب الاشراف . ج/١ - تحقيق محمد حميد الدين -
ط . دار المعارف - القاهرة ١٩٥٩ م . ج/٤ - ط . اوربا .
ج/٥ - ط . القدس ١٩٣٦ - ١٩٤٠ . ج (٧-٨) مصورة بدار

- الكتب المصرية ، تحت رقم ١١.٣ تاريخ .
- ٧٦ - كتاب فتوح البلدان ط. المعزية - القاهرة ١٣١٩ هـ /
١٩٠١ م .
- البيهقي : الشيخ ابراهيم بن محمد .
٧٧ - المحاسن والمساوىء - ط. دار صادر بيروت ١٣٨٠ هـ /
١٩٦٠ م .
- تامر : عارف .
٧٨ - الامامة في الاسلام - ط. دار الكاتب العربي - بيروت
(بلا تاريخ) .
- التوحيدى : ابو حيان علي بن محمد .
٧٩ - البصائر والذخائر - تحقيق امين وصقر - ط. لجنة
التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٣ م / ١٣٧٣ هـ .
- الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر .
٨٠ - البيان والتبيين - تحقيق السندوبي - ط. الاستقامة -
القاهرة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .
- ٨١ - العثمانية - تحقيق عبد السلام هارون - ط. دار الكتاب
العربي - القاهرة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .
- الجرجاني : ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن .
٨٢ - دلائل الاعجاز في علم المعاني - ط. القاهرة ١٣٣١ هـ .
- الجلالان : جلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي .
٨٣ - تفسير القرآن الكريم - ط. دار العربية - بيروت ١٣٨٨ هـ /
١٩٦٨ م .
- الجمحي : ابو عبد الله محمد بن سلام .
٨٤ - طبقات الشعراء - ط. السعادة - القاهرة ١٩٢٠ م .
- الجندي : علي .
٨٥ - شعر الحرب في العصر الجاهلي - ط. بيروت ١٩٦٦ م .
- الجهشياري : ابو عبد الله محمد بن عبدوش .
٨٦ - كتاب الوزراء والكتاب - ط. البابي الحلبي - القاهرة
١٩٣٨ م / ١٣٥٧ هـ .
- الجوهرى : ابو نصر اسماعيل بن حماد .
٨٧ - تاج اللغة وصحاح العربية - ط. بولاق - القاهرة
١٢٨٢ هـ .
- الجياطي : اسماعيل بن موسى النفوسى .
٨٨ - قناطر الخيرات ، ط. البارونى - مصر ١٣٠٧ هـ .
- حتى : فيليب .
٨٩ - تاريخ العرب (مطول) - ط. دار الكشاف ١٩٦٥ م .

- ٩٠ - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين - ترجمة كمال اليازجي - ط. دار الثقافة - بيروت ١٩٥٩ م .
- حسن : حسن ابراهيم .
٩١ - تاريخ الاسلام السياسي - ط. النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .
- ٩٢ - زعماء الاسلام - ط. النموذجية - القاهرة ١٩٥٣ م .
- حسين : طه .
٩٣ - الفتنة الكبرى - ط. دار المعارف - مصر ١٩٦٨ م .
- حميد : بدير متولي .
٩٤ - من ادب الحركات الاسلامية - ط. دار المعرفة - القاهرة (بلا تاريخ) .
- الذهيري : نشوان بن سعيد .
٩٥ - الحور العين - ط. السعادة - القاهرة ١٩٤٨ م .
- الحوفي : احمد محمد .
٩٦ - ادب السياسة في العصر الاموي - ط. دار نهضة مصر ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م .
- الخربوطي : علي حسني .
٩٧ - تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي - ط. دار المعارف - مصر ١٩٥٩ م .
- الخطيب : عبد الكريم .
٩٨ - الخلافة والامامة - ط. دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٦٣ م .
- دروزة : محمد عزت .
٩٩ - اليهود في القرآن - ط. دمشق ١٩٤٩ .
- النوري : عبد العزيز .
١٠٠ - مقدمة في تاريخ صدر الاسلام - ط. الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٠ م .
- الدينوري : احمد بن داود .
١٠١ - الاخبار الطوال - تحقيق عبد المنعم عامر - ط. البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦٠ م .
- الذهبي : ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان .
١٠٢ - العبر في خبر من غير - تحقيق صلاح الدين المنجد - ط. الكويت ١٩٦٠ - ١٩٦٣ م .
- ١٠٣ - كتاب دول الاسلام - ط. حيدر اباد - الدكن ١٣٣٧ هـ .
- ١٠٤ - المشتبه في اسماء الرجال - ط. ليدن ١٨٦٣ م .

- **الرازي : فخر الدين محمد بن عمر** .
 ١٠٥ - اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين - مراجعة علي سامي
 النشار - ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦ هـ /
 ١٩٣٨ م .
- ١٠٦ - كتاب الاربعين في اصول الدين - ط . حيدر اباد - الدكن
 ١٣٥٣ هـ .
- **الزبيدي : ابو الفيض مرتضى بن محمد** .
 ١٠٧ - تاج العروس في شرح القاموس - ط . الخيرية - القاهرة
 ١٣٠٦ هـ / ١٣٠٧ هـ .
- **الزمخشري : ابو القاسم محمود بن عمر** .
 ١٠٨ - كتاب الفايق في غريب الحديث - ط . دار احياء الكتب
 العربية - القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٤٨ م .
- **زيبان : جرجي** .
 ١٠٩ - تاريخ التمدن الاسلامي - مراجعة حسين مؤنس - ط .
 دار الهلال - القاهرة ١٩٦٠ ؟
- **سليم : محمد شريف** .
 ١١٠ - ملخص تاريخ الخوارج - ط . دار التقدم - القاهرة
 ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م .
- **السمعاني : ابو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي** .
 ١١١ - الانساب - ط . هندية - مراقبة دائرة المعارف العثمانية -
 (بلا تاريخ) .
- **السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر** .
 ١١٢ - الاتقان في علوم القرآن - ط . القاهرة ١٢٧٩ هـ .
 ١١٣ - تاريخ الخلفاء - ط . ادارة الطباعة النيرية - القاهرة
 ١٣٥١ هـ .
- **الشايب : احمد** .
 ١١٤ - تاريخ الشعر السياسي - ط . النهضة المصرية ١٩٦٦ م .
- **الشريشي : ابو العباس احمد بن عبد المؤمن القيسي** .
 ١١٥ - شرح المقامات الحريرية - ط . بولاق - القاهرة ١٣٠٠ هـ .
- **الشهاخي : ابو العباس احمد بن سعيد بن عبد الواحد** .
 ١١٦ - كتاب السير ، ط . الجزائر ١٨٧٨ .
- **الشهرستاني : ابو الفتح محمد بن عبد الكريم** .
 ١١٧ - الملل والنحل - تحقيق محمد سيد كيلاني - ط . البابي
 الحلبي - مصر ١٩٦١ م / ١٣٨١ هـ .
- **الصالح : صبحي** .
 ١١٨ - النظم الاسلامية - ط . دار العلم للملايين - بيروت

١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

- **صبحي : احمد محمود .**
١١٩ - نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنسي عشرية . ط . دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩ م .
- **صيف : شوقي .**
١٢٠ - تاريخ الادب العربي (العصر الاموي) - ط . دار المعارف - مصر ١٩٦٠ (العصر الاسلامي) . ١٩٦٣ .
- **الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير .**
١٢١ - دلائل الامامة - ط . المطبعة الحيدرية - النجف ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٩ م .
١٢٢ - تاريخ الامم والملوك ، ج/٢ - ٥ ، ط . الاستقامة - القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٩ م . ج/٦-٩ ، ط . بريل ١٨٨٥ - ١٨٨٩ م .
- **الطحاوي : احمد بن محمد بن سلامة الازدي .**
١٢٣ - مشكل الآثار . ط . حيدر اباد - الدكن ١٣٣٣ هـ .
- **الطوسي : ابو جعفر محمد بن الحسن .**
١٢٤ - الفيبة - ط . النجف ١٣٨٥ هـ .
١٢٥ - رجال الطوسي : تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم - ط . النجف ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .
١٢٦ - التبيان في تفسير القرآن . ط . النجف ١٩٥٧ - ١٩٦٣ م .
١٢٧ - تلخيص الشافي - ط . النجف ١٩٦٣ .
- **عائتي : أسامة .**
١٢٨ - ابو العتاهية رائد الزهد في شعر العرب - ط . المكتبة الاهلية - بيروت ١٩٦٢ .
- **المبادي : عبد الحميد .**
١٢٩ - صور من التاريخ الاسلامي - ط . الآداب - الاسكندرية ١٩٤٨ م .
- **العسكري : مرتضى .**
١٣٠ - عبد الله بن سبأ - ط . النجاح - القاهرة ١٣٨١ هـ .
- **العش : يوسف .**
١٣١ - الدولة الاموية - ط . دمشق ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- **العصامي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك .**
١٣٢ - سمط النجوم العوالي في ابناء الاوائل والتوالي . ط . السلفية - القاهرة ١٣٧٩ هـ .

- العكبري : محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالشيخ الفقيه .
١٣٣ - الاختصاص . ط . مكتبة الصدوق - طهران ١٣٧٩ هـ .
- علي : جواد .
١٣٤ - مجلة المجمع العلمي العراقي - عدد ١٩٥٩/٦ .
- عيون وحدائق : مؤلف مجهول .
١٣٥ - عيون وحدائق - ط . المثني - بغداد (بلا تاريخ) .
- الفرابي : علي مصطفى .
١٣٦ - تاريخ الفرق الاسلامية - ط . السعادة - مصر ١٩٤٨ م .
- الفزالي : ابو حامد محمد بن محمد .
١٣٧ - فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة - ط . القاهرة
١٩٠١ م / ١٣١٩ هـ .
- ١٣٨ - احياء علوم الدين - ط . البابي الحلبي - مصر ١٣٤٦ هـ .
- الفياض : نقولا .
١٣٩ - الخطابة - ط . دار الهلال - مصر ١٩٣٠ .
- الفياض : عبد الله .
١٤٠ - تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة - ط . بغداد ١٩٧٠ م .
- النفاصي : النعمان .
١٤١ - الفرق الاسلامية في الشعر الاموي - ط . دار المعارف -
مصر ١٩٧٠ م .
- الفالي : ابو علي اسماعيل بن القاسم .
١٤٢ - ذيل الامالي (ملحق بكتاب الامالي) ط . دار الكتب المصرية -
القاهرة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ م .
- القزويني : زكريا بن محمد .
١٤٣ - آثار البلاد واخبار العباد . ط . دار صادر - بيروت
١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .
- القضاعي : الشيخ سلامة .
١٤٤ - فرقان القرآن - ط . مصر (بلا تاريخ) .
- الفلقشندي : ابو العباس احمد بن علي .
١٤٥ - صبح الاعشى في صناعة الانشا - ط . القاهرة ١٣٨٣ هـ /
١٩٦٣ م .
- ١٤٦ - نهاية الارب في معرفة انساب العرب - ط . النجاح -
بغداد ١٣٧٨ هـ .
- القلماوي : سهير .
١٤٧ - ادب الخوارج في العصر الاموي - ط . لجنة التأليف
والترجمة والنشر ١٩٤٥ م .

- كرد علي : محمد .
١٤٨ - الادارة الاسلامية في عز العرب - ط . القاهرة ١٩٣٤ .
- الكشي : ابو عمرو محمد بن عبد العزيز .
١٤٩ - رجال الكشي - مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - كربلاء (بلا تاريخ) .
- ماجد : عبد المنعم .
١٥٠ - التاريخ السياسي للدولة العربية - ط . الرسالة - مصر ١٩٥٦ - ١٩٥٧ م .
- الماوردي : ابو الحسن علي بن محمد .
١٥١ - الاحكام السلطانية - ط . القاهرة ١٢٩٨ هـ .
- المبرد : ابو العباس محمد بن يزيد .
١٥٢ - الكامل في اللغة والادب - ط . البابي الحلبي - مصر ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م .
- المحاسني : زكي .
١٥٣ - شعر الحرب في ادب العرب - ط . دار المعارف - مصر ١٩٦١ م .
- المرزباني : ابو عبد الله محمد بن عمران .
١٥٤ - معجم الشعراء - ط . المقدسي - القاهرة ١٣٥٤ هـ .
١٥٥ - نور القبس المختصر في المقتبس - تحقيق رودلف زلهام - ١٩٦٤ م / ١٣٨٤ هـ .
- المرصفي : سيد بن علي .
١٥٦ - كتاب رغبة الامل من كتاب الكامل - ط . النهضة - القاهرة ١٩٢٧ - ١٩٣٠ م .
- المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين .
١٥٧ - مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - ط . دار الرجاء - مصر ١٩٣٨ م .
١٥٨ - التنبيه والاشراف - ط . دار الصاوي - القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .
- مسلم : ابو الحسين مسلم بن الحجاج .
١٥٩ - اثبات الوصية للامام علي بن ابي طالب - ط . النجف ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .
١٦٠ - صحيح مسلم - شرح النووي - ط . القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ م .
- المصنف المجهول: الجزء الحادي عشر من تاريخ مصنف مجهول، لعله للبلاذري .
١٦١ - ط . مطبعة بولس آبل في مدينة غريفزولد ١٨٨٣ م .

- **معمر : علي يحيى** .
١٦٢ - الاباضية في موكب التاريخ - ط . دار الكتاب العربي -
القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
- **مغنية : محمد جواد** .
١٦٣ - مع الشيعة الامامية - ط . بيروت ١٩٥٦ .
- **المقدسي : مطهر بن طاهر** .
١٦٤ - كتاب البدء والتاريخ - ط . باريس ١٩١٦ - ١٩١٩ .
- **المقرنزي : ابو العباس احمد بن علي** .
١٦٥ - كتاب الخطط المقرنزية - ط . القاهرة ١٣٢٤ - ١٣٢٦ هـ .
١٦٦ - امتاع الاسماع بما للرسول من الابناء والاموال والحفدة
والتاع - ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة
١٩٤١ م .
- **الملطي : ابو الحسين محمد بن احمد بن عبد الرحمن** .
١٦٧ - التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع - ط . بيروت
١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- **الميداني : ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري** .
١٦٨ - مجمع الامثال - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد -
مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .
- **الناشيء الاكبر : عبد الله بن محمد** .
١٦٩ - مسائل الامامة - ط . المعهد الالماني للابحاث الشرقية -
بيروت ١٩٧١ م .
- **النص : احسان** .
١٧٠ - الخطابة السياسية في عصر بني امية - ط . دار الفكر
دمشق ١٩٦٥ .
- **١٧١ - العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي - ط . دار
اليقظة العربية - بيروت ١٩٦٣ .**
- **ذابوختي : ابو محمد الحسن بن موسى** .
١٧٢ - فرق الشيعة - ط . اسطنبول ١٩٣١ م .
- **الهاشمي : الخطيب علي بن الحسين** .
١٧٣ - وقعة النهروان او الخوارج - ط . الحيدري - طهران
١٣٧٢ هـ .
- **الهندي : علاء الدين علي التقي بن حسام الدين** .
١٧٤ - كنز العمال في سنن الاقوال والافعال - ط . العثمانية -
الدكن ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .
- **الهيثمي : ابو العباس احمد بن حجر** .
١٧٥ - الصواعق المحرقة - ط . دار الطباعة المحمدية - القاهرة

- ١٣٧٥ هـ .
- هيكل : محمد حسين •
- ١٧٢ - عثمان بن عفان - ط. النهضة المصرية - القاهرة
- ١٩٦٨ م .
- الوردى : علي حسين •
- ١٧٧ - وعاظ السلاطين - ط. المعارف - بغداد ١٩٥٤ م .
- ولفنسون : اسرائيل •
- ١٧٨ - تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام
- ط. الاعتماد - مصر ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م .
- ياقوت : شهاب الدين بن عبد الله الحموي •
- ١٧٩ - معجم البلدان - ط. دار صادر - بيروت ١٣٧٤ هـ /
- ١٩٥٥ م - ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م .
- ١٨٠ - معجم الادباء - ط. دار المأمون - القاهرة ١٩٣٦ -
- ١٩٣٨ م .
- اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن جعفر •
- ١٨١ - تاريخ اليعقوبي - ط. دار صادر - بيروت ١٩٦٠ م .
- اليميني : ابو عبد الله محمد بن حسين بن عمر •
- ١٨٢ - كتاب مضاهاة امثال كتاب كليلة ودمنة بما اشبهها من
- اشعار العرب - تحقيق محمد نجم - ط. دار الثقافة -
- بيروت ١٩٦١ م .

مراجع اجنبية مترجمة الى اللغة العربية

- ارنولد : توماس •
- ١٨٣ - الدعوة الى الاسلام - ترجمة حسن ابراهيم ، عبد المجيد
- عابدين ، اسماعيل النحراوي - ط. النهضة - القاهرة
- ١٩٤٧ م .
- بروكلمان : كارل •
- ١٨٤ - تاريخ الادب العربي - ترجمة عبد الحليم النجار - ط.
- دار المعارف - القاهرة ١٩٥٩ م .
- ١٨٥ - تاريخ الشعوب الاسلامية - ترجمة نبيه فارس ، منسىر
- بعلبكي - ط. دار العلم للملايين - بيروت (الطبعة الخامسة
- ١٩٦٨ م) .
- جولدتسيهر : اجناس •
- ١٨٦ - العقيدة والشريعة في الاسلام - ط. دار الكتاب العربي -

مصر ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩

- ديهومبين : موريس غود فروا .
١٨٧ - النظم الاسلامية - ترجمة ~~صلاح الشياح~~ ، فيصل
السامر - ط. الزهراء - بغداد ١٩٥٢ م .
- دونلدسن : دوايت م .
١٨٨ - عقيدة الشيعة - ط. الخانجي - مصر (بلا تاريخ) .
- فلوتن : غيراوف فان .
١٨٩ - السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بنسي
أمية - ترجمة حسن ابراهيم ، محمد ابراهيم - ط. السعادة
القاهرة ١٩٣٤ .
- فلهوزن : يوليوس .
١٩٠ - الدولة العربية وسقوطها - ط. دمشق ١٣٧٦ هـ /
١٩٥٦ م .
- ١٩١ - الخوارج والشيعة - ترجمة عبد الرحمن بدوي - ط.
النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٨ م .
- لويس : برنارد .
١٩٢ - اصول الاسماعيلية - ترجمة خليل جلو ، جاسم الرجب
ط. دار الكتاب العربي - مصر (بلا تاريخ) .
- نالينو : كارل .
١٩٣ - تاريخ الآداب العربية - ط. دار المعارف - مصر ١٩٧٠ م .

المراجع باللغات الاجنبية

- Al - Amin : Hassan .
194 - Shi'ite Encycl. Beirut, 1968.
- Encycl. of Islam .
195 - Leiden, 1927.
- Khadduri : Majid .
196 - The law of war & peace in Islam. London, Luzac
& co. 1940.
- Khuda Buksh : S .
197 - Contributions to the History of Islamic Civilization.
Calcuta, 1930.
- Lammens : Henry .
198 - Islam, Beliefs & Institutions (Tr. by Sir E. Denison

- Ross.)
 London, Meuthen & co., Ltd. 1929.
- Laoust : Henry .
 199 - Les Schismes dans L'Islam.
 Payot, Paris, 1965.
 - Macdonald : Duncan B .
 200 - Development of Moslem Theology, Jurisprudence &
 Constitutional Theory. New York, Charles Scribner's
 Sons, 1903.
 - Muir : William Temple .
 201 - The Caliphate, Its Rise, Decline & Fall. Beirut, Kha-
 yats, 1963.
 - Nicholson : A. Raynold .
 202 - A Literary History of the Arabs.
 London, 1907.
 - O'Leary : De Lacy Evans .
 203 - Arabic Thought & its place in History.
 London, 1939.
 - Pareja : F. M.
 204 - Islamologie .
 Beyrouth, 1957 - 1963.
 - Salem : Elie Adib .
 205 - Political Theory & Institutions of the Khawarej.
 Baltimore, Hopkins press, 1956.
 - Shorter Encycl. of Islam .
 206 - Leiden, 1953.
 - Sykes : Perey .
 207 - A History of Persia.
 London, 1930.
 - Thomson : William .
 208 - The Sects of Islam.
 The Moslem World Mag. Vol. XXXIX.

تاريخ

- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي د. عبد العزيز الدوري
- الجذور التاريخية للشعبوية د. عبد العزيز الدوري
- بحث في مفهوم التاريخ ومنهجه د. طريف الخالدي
- الكتاب التاريخية والمعرفة التاريخية :
مقدمة في أصول صناعة التاريخ العربي د. عزيز العظمة
- دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي د. الحبيب الجنحاني
- اسرى الحرب عبر التاريخ عبد الكريم فرحان
- الخوارج في العصر الاموي :
نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم ، ادبهم د. نايف معروف